الفصل الأول

الاتصال : المفهوم والعملية

تمهيد

سوف نحاول فى هذا الفصل أن نحدد مفهوم الاتصال وأن نحلل عمليته وأن نصنف أنماطه وأشكاله المختلفة، ووفقاً لهذه الأهداف ينقسم الفصل إلى عدة مباحث فرعية على النحو التالى :

١ — مفهوم الاتصال .

٢ — عملية الاتصال .

٣ — الاتصال والأنساق اللغوية .

٤ — الأنماط المختلفة للاتصال .

٥ — خاتمة .

الباب الأول

الإتصال، أساليبه وأنماطه

أولا : مفهوم الاتصال Communication

يشير مفهوم الاتصال إلى العملية أو الطريقة التى تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعى معين يختلف من حيث الحجم ومن حيث محتوى العلاقات المتضمنة فيه ؛ بمعنى أن هذا النسق الاجتماعى قد يكون مجرد علاقة ثنائية نمطية بين شخصين أو جماعة صغيرة أو مجتمع محلى أو مجتمع قومى أو حتى المجتمع الإنسانى ككل – إن صح إطلاق مثل هذا الإصطلاح .

وينبغى أن نميز – بادئ ذى بدء – بين انماط معينة من انتقال الأفكار والمعلومات ، وأهم ما يهمنا هنا التمييز بين نمطين رئيسيين ، يمكن أن نطلق على النمط الأول الانتقال ذا الخط الواحد . وعلى النمط الثانى الانتقال ذا الخطين . ونقصد بالنمط الأول أن المعلومات والأفكار تنتقل من مركز إصدار أو إرسال إلى مركز استقبال بحيث يكون مركز الإرسال هذا هو البعد الإيجابى بينما يكون موقف مركز الإرسال سلبيًّا تماماً . بمعنى آخر إن عملية التفاعل والتبادل تكاد تنعدم فى مثل هذا النمط ،وهنا لانستطيع أن نطبق اصطلاح الاتصال تطبيقاً تامًّا ، ويمكن أن نستعيض عنه بمفهوم النقل أو الانتقال لأن بعد التفاعل والتبادل من أهم ما يميز الاتصال كمفهوم وعملية . إلا أننا لا نستطيع بسهولة أن نقول إن مثل هذا النمط يمثل وجوداً واقعياً ، بمعنى أننا لا نجد فى الواقع عملية تبادل فكرى دون أن تكون هناك مشاركة بين أطراف معينة ، إلا أن هذا النمط يتميز بدرجة قليلة جدًّا من التبادل والتفاعل .

أما النمط الثانى وهو ما أطلقنا عليه سلفاً الاتصال ذا الخطين فإنه يعنى أن العملية الموجودة عملية تبادل فى الأفكار أكثر منها انتقالا ، وعملية تبادل فى المعلومات ؛ ببساطة عملية تفاعل مستمر ونستطيع أن نقول إن النمط الأول يشير – فى بعض جوانبه – إلى الاتصالات الجماعية Mass Communications بينما يشير النمط الثانى إلى الاتصالات بين

الأشخاص Personal Communications . وسوف نتوسع فى توضيح ذلك فى موضع آخر .

ولقد أصبح مفهوم الاتصال مفهوماً واضحاً و بارزاً فى تراث العلوم الاجتماعية ومناقشاتها حيث ظهرت فى العقود الأخيرة مؤلفات عديدة ومقالات متنوعة متخصصة تماماً فى الاتصال أو متضمنة له فى ثناياها .

وليس معنى ذلك أن مفهوم الاتصال مفهوم حديث جداً ؛ فقد استخدمه علماء الاجتماع الأوائل وبخاصة « تشارلزكولى » C, . Cooley[١] وجون ديوى[٢] J. Dewey .

ويجب أن نضع فى الاعتبار أن الجهود العلمية التى بذلت لتطوير هذا المفهوم وتحليله على أساس علمى لم تبتعد به كثيراً عن المعنى الشائع له . وهنا نقول إن مفهوم الاتصال قد يستخدم — فى بعض الأحيان — بمعنى واسع جداً وقد يستخدم فى أحيان أخرى بمعنى محدود . أما بالمعنى الواسع فإنه قد يشير إلى مختلف أنواع البرامج التعليمية و برامج العمل والإرشاد فى الزراعة و فى غيرها من المجالات . وفى مجال العلاقات فى التنظيمات الرسمية وغير الرسمية فى الصناعة وغيرها .

ولنعد إلى الوراء قليلا لنحاول تحليل مفهوم الاتصال باعتباره تعبيراً لغوياً ؛ لقد ورد هذا المفهوم من الكلمة اللاتينية Communis التى تعنى فى اللغة الإنجليزية Common أى مشترك أو اشتراك . فحينما نحاول أن نتصل أو نتواصل فإننا نحاول أن نؤسس اشتراكاً مع شخص أو مجموعة من الأشخاص ، اشتراكاً فى المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات[٣] .

و يذهب « ويلى ورايس » إلى أن انتقال المعانى بين الأفراد هو الذى يحدد العملية الاجتماعية بل يحدد جميع الأشكال المجتمعية حيث يصبح بقاء الحياة الاجتماعية واستمرارها متوقفاً على انتقال الرموز ذات المعنى وتبادلها بين الأفراد ، كما

(١) C.H. Cooley, Social Organization, (1909) pp. 61, 80, 103.

(٢) J. Dewey, Experience and Nature (1925), Chap. V.

(٣) W. Schramm, "How Communication Works" in Schramm, (edr.) The Process and Effects of mass communication (1955) p. 3.

وأن أوجه النشاط الجماعية — أيًّا كان نوعها — متوقفة — إلى حد كبير — على الخبرات المشتركة من المعانى . والاصطلاح السيسيولوجى الذى يشير إلى انتقال الرموز ذات المعنى بين الأفراد هو الاتصال أو التواصل[١] .

أما « تشارلز كولى » فإنه يعنى بالاتصال «ذلك الميكانزم الذى من خلاله توجد العلاقات الإنسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان ، وهى تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ونغمات الصوت والكلمات والطباعة والخطوط الحديدية والبرق والتليفون وكل تلك التدابير التى تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدى الزمان والمكان[٢]» .

والاتصال هو العملية الاجتماعية الأساسية طالما كانت المعانى والأفكار التى تنتقل بواسطته مؤثرة — بطريقة لا مفر منها — فى جميع العمليات الاجتماعية الأخرى والأشكال الناتجة عن هذه العمليات كالطرق الشعبية Folkways والسنن الاجتماعية Mores والنظم Institutions وكذلك الرأى العام بوصفه عملية اجتماعية تتأثر بأساليب الاتصال من زوايا متعددة . وتتطور أساليب الاتصال هذه وفقاً لظروف الجماعات كحجمها وتوزيعها المكانى ؛ فالمجتمعات البدائية تهتم بمسائل ذات وزن خاص بالنسبة لها وتناقشها وتقلبها على وجوهها المختلفة وتتخذ قراراتها فى نطاق جماعات صغيرة ، ويرجع ذلك إلى طبيعة علاقات المواجهة face to face relations وأساليب الإشارات الخاصة بنقل المعانى والرموز . إلا أنه قد حدث اتساع فى المجال الانتشارى للمعلومات والأفكار نتيجة لتطور وسائل حديثة للاتصال كالراديو والتليفزيون والبرق والتليفون والصحافة ، وتبعاً لذلك تطورت جماعات كبيرة وعريضة عديدة تجرى من خلالها المناقشات مما يمكن من القول بأن جماعات المناقشة قد تكون عالمية الانتشار بمعنى أن قضية أو مسألة أو مشكلة تنتشر عن طريق أساليب الاتصال الجمعى قد تثير جدلا ومناقشات على المستوى العالمى ، وبين جماعات لا تتصل

---

(١) M., Willey and S.A. Rice, *Communication Agencies and Social Life* (1933) p. 6.

(٢) Cooley, op. cit., p. 51.

— جغرافيًّا أو مكانيًّا — على الاطلاق، هذا بالإضافة إلى أن أساليب الاتصال الجمعى قد تخلق اهتماماً عالميًّا بموضوعات أو أبواب ثابتة يشارك الاهتمام بها مجموعات مختلفة من البشر موزعة على جميع أنحاء العالم كالحوادث أو الجرائم المروعة والأحداث العاطفية غير العادية والأخبار التجارية ، وصدق أو لا تصدق ، والقصص البوليسية المسلسلة[١]

ولقد سبق أن ذكرنا أن أساليب الاتصال تعنى مختلف الطرق التى تنتقل بها الرموز أو المعانى والأفكار بين الناس وتتراوح هذه الطرق بين الإشارات الغامضة غير المحددة إلى القواعد القانونية الصامتة الصماء والمفصلة ، ومن الكتابة التصويرية البدائية إلى فن الاختزال الدقيق والعلامات الرياضية الواضحة والمحددة . ومن الصيحة التلقائية التى تنطلق فى القبائل البدائية والتى تحمل معنى معيناً عندها إلى الاصطلاحات العلمية المحددة دقة وتفصيلا .

وتفهم هذه المعانى والاصطلاحات فى نطاق جماعات مختلفة الحجوم والخصائص . قد تتراوح ما بين جماعة من طالبين من طلبة علم معين بالجامعة إلى أخرى مكونة من المهتمين بالرموز الجبرية والرياضية أو النوتة الموسيقية أو المتخصصين فى علم النفس أو الاجتماع أو غير ذلك

ويقوم الاتصال فى جملته على أشكال رمزية مستمدة من الثقافة التى يرتبط بها الشخص أو يتعلمها من خلال الخبرة الشخصية : فالطفل حينما يتعلم كلمة معينة فإنها ترتبط فى ذهنه بمعنى محدد كالصلاة مثلا ، وبالتالى تكون هذه الكلمة مستمدة من الثقافة التى ينتمى إليها ، أما حينما يختار المراهقون الذين ينتمون إلى ثلة معينة كلمة ما ليعطوها معنى خاصًّا فإنهم — فى هذه الحالة — يتعلمون من الخبرة الشخصية ولكن كلا الشكلين قابل للانتقال طالما أن الرموز مسائل يمكن للإنسان أن يتعلمها ، وفى هذا المجال يتميز الإنسان تميزاً واضحاً عن غيره من الأنواع .

---

(١) W. Albig, *Modern Public Opinion*, 1956 pp. 33 - 34.

ويختلف الأفراد اختلافاً كبيراً من حيث قدرتهم على الاتصال من ناحية ، ومن حيث الفرص الاتصالية السانحة أمامهم — من ناحية أخرى، وحيث نلاحظ أن الفروق الفردية فى القدرة الموروثة والاستعداد والتمرين والمعرفة تقف حائلا دون المشاركة المتساوية فى ثقافة مجتمع معين فى فترة معينة وحيث نجد — فى مجال الإشارات — مثلا — أن الممثل المدرب الماهر يفوق الشخص العادى من حيث القدرة على توصيل ما يريد توصيله إلى الناس بالإشارة ، كما يتفوق الراشد على الطفل الصغير ، كما نجد أيضاً — فى مجال الأشكال الكلامية — مدى واسعاً من الألفاظ ، يتفاوت الناس وفقاً له تفاوتاً كبيراً وملحوظاً ، فالأديب والشاعر يتفوقان على الشخص العادى فى الاستخدامات اللغويه — كما يتفاوت التعبير اللغوى بين الخطابات الرسمية أو التجارية القصيرة والمحددة وبين الروايات الطويلة والأعمال الأدبية الأخرى

هذا وقد ترجع الفروق الفردية فى المقدرة الاتصالية إلى عوامل فيزيقية بنائية كالفروق الطبيعية الحسية فى البصر والسمع وما شابه ذلك ، هذه الفوارق الحسية قد تعزل الفرد — جزئياً — وقد لا تمكنه من الاتصال من خلال قنوات الاتصال العادية .

ويمكن أن يقال أيضاً إن الفروق والاختلافات الثقافية بين الجماعات تجعل عملية الاتصال من الصعوبة بمكان، نظراً للاختلافات اللغوية ، واختلاف المعانى والمفاهيم ، والاستجابات المختلفة للكلمات ذات الشحنات الانفعالية الخاصة .

وهنا نقول إن الاتصال قد يوسع مجال الاهتمام دون أن يصاحب ذلك تعمق أو اتساع فى مجال الفهم المتعلق بالثقافة؛ فبينما يتعلم قارىء الصحف شيئاً عن السياسة الأمريكية ، أو الروسية أو الإنجليزية أو الفرنسية إلا أنه عادة مايكون على قدر ضئيل من الفهم بالنظم السياسية الأمريكية والروسية والانجليزية والفرنسية[1] .

(١) See Albig, op-cit., pp. 34-65.

وبالنظر إلى الاتصال فى ضوء الثقافة يمكن القول بأن الاستجابات التى تحدث نتيجة لمثير ما فى موقف اتصالى لا تحدث بطريقة ميكانيكية أو ذاتية ولكنها — على حد قول « فرانك فيرنج » Frank Fearing — تعتمد على كلية الثقافة والشخصية — بمعنى آخر أنها تعتمد على جميع العوامل الشخصية والثقافية التى يمثلها كل شخص فى الموقف . ويلفت «فيرنج» النظر إلى أهمية هذه القضية حيث يعتقد أنه ليس بالإمكان بناء نظرية فى الاتصال على تلك الفكرة القائلة بأن العمليات الاتصالية تتكون من النقل البسيط للأفكار والمعلومات أو الوحدات الأخرى ذات المعنى التى يقوم المرسل بتوصيلها إلى المستقبل علماً بأنه يميل إلى استبدال اصطلاح المستقبل باصطلاح المفسر . ولقد فحص « فيرنج » بتعمق العلاقات الدينامية المتبادلة بينهما . وهو يذكر بأن فهم ديناميات السلوك فى المواقف العادية يساعدنا على فهم ديناميات مواقف الاتصال، وهو هنا يركز على الدور الذى تلعبه الأنساق القيمية فى عملية الإدراك ، وارتباط هذا الدور بنظرية الاتصال . ويتوصل «فيرنج » — بالتحليل العميق إلى تحليل للرموز ووظيفتها فى عملية الاتصال، ولا يكتفى بذلك فقط وإنما يضعنا فى قلب مشكلة الواقع الكامن فيما وراء الرموز حيث يوضح أن الإنسان إنما يستخدم الرموز كوسائل للتوافق النفسى مع العالم الخارجى ، وبذلك يضع « فيرنج » أسس نظرة مجالية فى الاتصال تتضح من القضايا التالية :

١ — إن مواقف الاتصال مواقف يدخل فيها بنو البشر فى علاقات استراتيجية معينة سواء مع بعضهم البعض أو مع بيئاتهم الخاصة .

٢ — تقدم هذه المواقف فرصاً مطردة ومتزايدة للمشاركة فى الخبرة وتحقيق الأهداف وكسب المعرفة والفهم والحدس ، بشكل عام تهدف هذه المواقف إلى السيطرة على البيئة ، كل ذلك من خلال استخدام الإشارات والرموز .

٣ — يعد استخدام الرموز والإشارات من الخصائص المركزية لمواقف الاتصال .

٤ ــ تعتبر الإشارات والرموز التى تستخدم فى هذه المواقف موضوعات للعملية الإدراكية لدى الأفراد المتضمنين فى هذه المواقف[١] .

ثانياً : عملية الاتصال :

حاول كثير من الباحثين فى الجوانب الميكانيكية والهندسية للاتصال ، وكذلك فى الجوانب الاجتماعية منه تطوير نماذج تحليلية عديدة لوصف وتحليل مفهوم الاتصال ، فقد طور المهتمون بالاتصال من مهندسين وعلماء طبيعة ورياضة ممن يهتمون أساساً بالجوانب التكنيكية من الاتصال ــ طوروا اصطلاحات خاصة بعملية الاتصال وحددوا شكلا دقيقاً لهذه العملية . وقد تكون اصطلاحاتهم هذه على درجة من الفائدة بالنسبة لأولئك الذين يهتمون بالجوانب الاجتماعية من عملية الاتصال وبخاصة فى مجال الاتفاق على إطار موحد من المفاهيم المتعلقة بالعملية . ويجب أن ننبه هنا إلى أن اهتمام المهندسين والرياضيين وغيرهم بالاتصال لايجاوز هذه العملية باعتبارها عملية تكنيكية بحتة إلى المجالات النفسية والاجتماعية والثقافية المتصلة بها والتى تمثل الاهتمام الأساسى لعلماءالنفس والاجتماع والأنثربولوجيا ، ولقد أشار إلى ذلك كلود شانون C. Shannon بقوله « إن الجوانب المعنوية للاتصال غير مرتبطة أو متصلة بالجوانب الهندسية منه »[٢] .

واحقاقاً للحق نقول أيضا إن الصياغة الهندسية لمفاهيم الاتصال من حيث هى عملية ميكانيكية لم تضف معلومات ذات بال تمكن من فهم الاتصال بوصفه عملية إنسانية .

ومن هذه الأطر النظرية ما وصفه كولمان Coleman ومارش Marsh حيث تحدثا عن مفهوم الاتصال باعتباره عملية ذات عناصر خمسة تحدد الفاعلية الممكنة لها ،وهذه العناصر على النحو التالى :

---

(١) See, Frank Fearing *on Human Communication* in, Dexter and White (edrs) *People Society and Mass Communication* pp. 37 - 67.

(٢) Claude Shannon & W. Weaver *mathematical Theory of communication,* 1949 p. 98,

١ — الشخص ، أو الجماعة التى تبادئ بإرسال الرسالة ويطلق على مثل هذا الشخص أو تلك الجماعة مفهوم المتصل Commu icator

٢ — محتوى الرسالة أو مضمونها Content

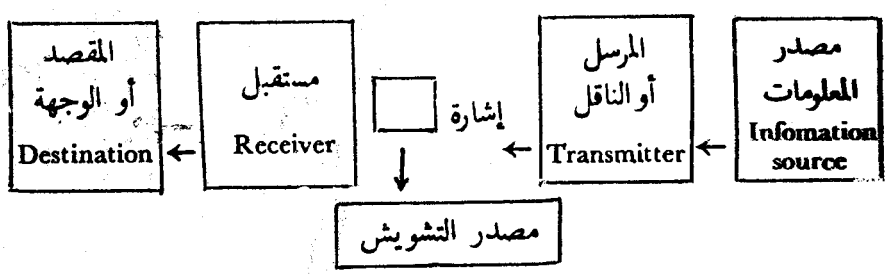
٣ — الوسيلة المستخدمة فى عملية الإرسال أو النقل Media

٤ — المستقبل أو المتصل به Communicatee

٥ — الاستجابة التى يعكسها هذا المستقبل Response

ويرى الباحثان المشار إليهما أن الاتصال قد ينهار أو يصبح عديم الفاعلية عند أى عنصر من هذه العناصر ، كما أن هناك اتصالات متباينة قد تحدث عند أى عنصر من العناصر السالف ذكرها أيضاً . ولذلك فإنهما يعتقدان أن الاتصال الفعال إنما يكون وليداً للاهتمام بكل عنصر من هذه العناصر الخمسة[١] .

أما «كلود شانون» و«وارن ويفر» فقد وضعا إطاراً آخر لمفاهيم الاتصال يوضحه الشكل التالى[٢] :



وهنا يختار مصدر المعلومات رسالة مرغوبة من بين مجموعة كبيرة من الرسائل الممكنة ويحملها للمرسل خلال قناة اتصال كالصوت أو الإشارات السلكية واللاسلكية والصور وما شابه ذلك ، ولكن مصدر المعلومات يضع فى اعتباره وجود تشويش أو ضوضاء قد يحدث نتيجة لعوامل معنوية أو نفسية أو ميكانيكية « وحينما تحدث الضوضاء أو التشويش فإن الرسالة

(١) L. Coleman' and P. Marsh, "*Differential Communication Among Farmers*" R.S. Vol. 20 (June 1955) No. 2 pp. 93 - 101

(٢) Shannon and Weaver, Loc. cit

المستقبلة سوف تكون متضمنة لتحريفات Distortions وأخطاء معينة بالإضافة إلى بعض المواد العارضة الغريبة وغير الجوهرية مما يؤكد وجود اضطراب وعدم تأكد Uncertainity بفعل عوامل الضوضاء والتشويش[١] .

« والمستقبل هو مرسل مقلوب أو عكسي يحول الإشارة المرسلة Transmitted إلى رسالة مستقبلة Received message ويعالج هذه الرسالة ويوصلها إلى وجهتها أو هدفها ، وعلى سبيل المثال حينما أتحدث اليكم فإن عقلى هنا هو مصدر المعلومات وعقولكم وجهتها أو منتهاها ، وجهازى اللفظى أوالصوتى هو المرسل أو الناقل وآذانكم والأعصبة المرتبطة بها هى المتسقبل[٢] .

ويشار إلى نشاط الناقل أو المرسل عادة — بوصفه ترميزاً Encoding أو إرسالا لرموز غير واضحة أو مجلوة . أما نشاط المستقبل فيشار إليه بوصفه تفسيراً للرموز أو حلاً لها Decoding . ولا بد أن تحدث هناك تحريفات أو تتدخل عوامل داخلية على الرسالة أثناء رحلتها . ويشير النظريون الاتصاليون إلى هذه العملية باعتبارها Entropy وهو عامل ميكانيكى يعادل المحدد .

ومن الواضح أن هذا الإطار الذى طوره شانون وويفر يغلب عليه الطابع الرياضى والميكانيكى ، إلا أنه فى كثير من جوانبه ينطبق على الاتصال بوصفه عملية إنسانية ، ولقد أوضح شانون وويفر ذلك بالمثال الذى ساقاه آنفاً .

ولقد حاول ولبرشرام Wilbur Schramm[٣] أن يطور إطاراً نظرياً — أيضاً — يصف فى ضوئه عملية الاتصال ويحللها ، موجهاً فى ذلك بالمعنى المتضمن فى الأصل اللاتينى للكلمة الإنجليزية Communication والذى يعنى اشتراكاً فى موضوع معين أو خبرة معينة ، أو فكرة ، أو اتجاهاً ، أو رأياً سياسياً . وهو بذلك يستهدف تحليل فكرته التى مؤداها أن أساس الاتصال هو خلق نوع من الاتحاد بين المرسل والمستقبل حول رسالة معينة . وكما ينطبق هذا الحال

---

(١) Shannon and Weaver, *op-cit*, p. 109

(٢) Ibid p. 99

(٣) W. Schramm, *op - cit.*, pp. 3 - 10

على الشخص الذى يبلغ عن شبوب حريق، أو وقوع حادثة فإنه ينطبق أيضاً على الجهود التى تبذلها صحيفة من الصحف بهدف إشراك القراء معها فى فكرة أو عقيدة أو مبدأ . ويعتقد شرام أن هذه الأشكال — جميعاً — تنضوى تحت مفهوم الاتصال وعمليته حيث إن العملية الأساسية المتضمنة فى كل شكل واحدة .

أما عناصر عملية الاتصال عند شرام فتتمثل فى ثلاثة على النحو التالى : —

١ — المصدر Source

٢ — الرسالة message

٣ — الوجهة أو المقصد أو الهدف Destination

والمصدر قد يكون متمثلا فى شخص يتحدث أو يكتب أو يرسم أو يومئ ، أو مؤسسة اتصالية (صحيفة أو دار نشر أو محطة إذاعة أو تليفزيون) .

أما الرسالة فإنها قد تكون فى صورة كلمات مكتوبة على الورق، أو موجات صوتية عبر الأثير ، أو إشارة يمكن تفسيرها وإعطاؤها معنى محدداً .

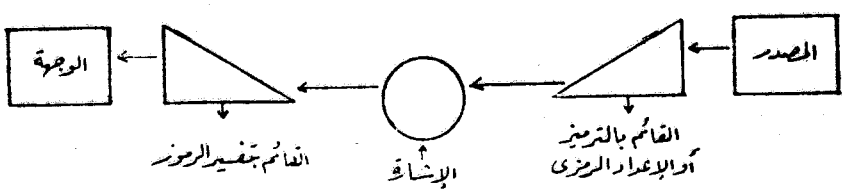
والوجهة قد تتمثل فى شخص ينصت أو يراقب ويشاهد أو يقرأ أو قد يكون عضواً فى جماعة مناقشة أو جمهور محاضرة أو جمهور كرة أو غوغاء أو عضو فى جمهور جمعى Mass Audience كقارئ الصحيفة ومستمع الراديو ومشاهد التليفزيون .

ويحاول شرام أن يحدد الخطوات التى تتبع أو التى تتوالى بالفعل حينما يحاول المصدر أن يبنى مثل هذه المشاركة أو الاشتراك مع المستقبل المقصود ، بمعنى آخر حينما يحاول المصدر أن يقيم اتصالا مع المستقبل .

تتمثل الخطوة الأولى فى إعداد الرسالة إعداداً رمزياً أو ترميز الرسالة حيث يصوغ المصدر تلك المعلومات والمشاعر التى يرغب فى إشراك المستقبل معه فيها أو إيصالها له ونقلها إليه — يصوغ هذه المعلومات والمشاعر فى صورة يمكن نقلها حيث إن الصور الموجودة فى عقولنا لا تنقل إلا إذا أعدت وعولجت معالجة خاصة أو رمزت Encoded وحينما تتم ترجمة هذه الصور الذهنية إلى كلام منطوق

فإنها تصبح قابلة للانتقال بسهولة وفاعلية ، ولكنها لايمكن أن تذهب بعيداً إلا بواسطة الراديو مثلا والكلمات المنطوقة أسرع فى الانتقال — عبر الأثير — من الكلمات المطبوعة ، ولكن الكلمات المطبوعة ترحل بعيداً جداً وتستمر عبر الزمن ، فهناك الكثير من الرسائل التى عاشت عمراً أطول من مرسليها كالإلياذة والأعمال الأدبية الخالدة . وبالإضافة إلى ذلك فإن فاعلية هذه الرسائل أقوى من قوة ومقدرة مرسليها فى مجال التغير ؛ فالكتاب والشعراء والمؤلفون قد يستشعرون الضعف وقلة الحيلة حينما يفرغون من إعداد مؤلفاتهم ويطمحون إلى نشرها ، بل إن الشخص العادى قد يخامره نفس الشعور حينما يسقط خطاباً هاماً فى صندوق البريد وتراود ذهنه تساؤلات عديدة هل يصل إلى الشخص المقصود ؟ هل يفهمه هذا الشخص كما يقصد الكاتب ؟ هل يستجيب كما يود الكاتب له أن يستجيب ؟ وغير ذلك من الأسئلة والمخاوف التى تولد ذلك الشعور الممزوج بالضعف والخوف والقلق .

وحتى تتم عملية الاتصال لابد أن تستجلى الرموز وتفسر Decoded وفى عملية استجلاء الرموز هذه — التى تمثل خطوة أخرى — يهتم المرسل بمدى توافق المستقبل وتناغمه معه ، وبالتالى مدى استيعابه لمضمون الرسالة وقدرته على فهمها ومدى تطابق الصورة التى رسمتها أو تركتها الرسالة فى ذهن المستقبل بالصورة الموجودة فى ذهنه هو . ويوضح شرام هذه العملية بالشكل التالى [١] .



فالقائم بعمل الإعداد الرمزى أو الترميز فى جهاز التليفون — مثلا — هو الجزء الذى نتحدث منه من السماعة أو الميكروفون ، والقائم بعملية تفسير الرموز هو الجزء الذى نستمع منه فى هذه السماعة .

---

(١) Schramm, Op-cit., p. 4

ويذكر شرام أنه فى حالة الحديث عن الاتصال الإنسانى يدمج المصدر مع المرمز وتدمج الوجهة مع المفسر وتصبح اللغة هى الإشارة . ويقول شرام إنه بالنظر إلى الشكل السالف الذكر يمكن التنبؤ بكيفية عمل هذا الجهاز ، كما ينبه الأذهان إلى أن التشويش أو الضوضاء قد يوجدان حينما نأخذ مفهوم الاتصال بالمعنى الهندسى أو الرياضى فقد يحدث فعلا مثل هذا التشويش فى مرحلة من المراحل ، أما فى ضوء الاصطلاح الإنسانى فإن هناك متطلبات هامة لابد من إنجازها حتى يتم الاتصال بكفاءة ومقدرة وفعالية ، ويمكن استعراض هذه المتطلبات فيما يلى :

١ ــ أن يكون المرسل متأكداً من كفاية معلوماته ووضوحها .

٢ ــ أن يكون ترميز الرسالة على درجة عاليــة من الدقة وأن تكون الإشارات والعلامات قابلة للانتقال بسرعة وكفــاية ودقة " بغض النظر عن التداخل والمنافسة" .

٣ ــ أن تفسر الرسالة تفسيراً يتفق مع ما كانت تقصده عملية الإعداد الرمزى وتعنيه .

٤ ــ أن تعالج الوجهة أو المقصد التفسير الرمزى للرسالة بحيث تحدث الاستجابة المرغوبة .

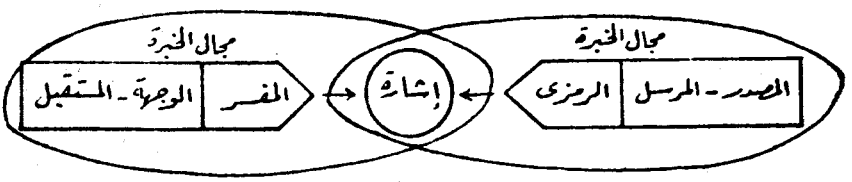
وإذا لم تتوفر هذه المتطلبات أو عدد منها أو حتى أى مطلب منها فإن الجهاز ــ حينئذ ــ يعمل بطريقة أقل من الكفاءة التامة ، فلابد إذن أن تتم كل عملية من هذه العمليات الفرعية الداخلة فيه بكفاءة عالية .

ومن المتوقع أن يتمتع مثل هذا الجهاز بقدرة عظيمة فى معالجة المعلومات التى تعتمد بالتالى على القدرات المتصلة لكل وحدة من وحدات سلسلة الاتصال كقدرة القناة الاتصالية (مدى إمكانية الفهم السريع لتفسير القضية وشرحها) وجودة هذا الترميز (عدم وجود كلمات غير ضرورية وغير لازمة) .

وعند مناقشة هذه القدرات وبخاصة قدرات الترميز والتفسير تلعب اللغة

دوراً هاماً. بل إن اللغة هي التي تحدد كفاءة هذه العمليات ، فلكل لغة سياقها الخاص من المفردات والصوتيات المضبوطة بضوابط معينة . فإذا لم تكن هناك قواعد تحكم اللغة وتضبطها فإنها تصبح ضرباً من الهراء، إلا أننا نشير إلى أن هناك حجماً أو مدى نسبياً للحرية المسموح بها في الكتابة والتحدث بأي لغة ؛ وبالتالي فإنه كلما كان هناك ثراء في اللغة ازدادت فرص الإعادة والتكرار بصيغ مختلفة حتى يتمكن المستقبل من فهم مضمون الرسالة ، كما أن ثراء اللغة لا يمكن من التكرار والإعادة فحسب وإنما يمكن أيضاً من الاستعانة بالحكم والأمثال التي توضح مضمون الرسالة وتيسر على المستقبل فهمها .

والعنصر الضروري في نسق الاتصال يتمثل في التوافق والتناغم بين المرسل والمستقبل ؛ إذ أنه بدون وجود هذا التناغم تنعدم إمكانية الاتصال ، وهذا العنصر واضح في جهاز الراديو بين المرسل Transmitter والمستقبل Receiver ولكن المسألة تصبح أكثر تعقيداً حينما نقول إن المستقبل الإنساني ينبغي أن يكون قادراً على فهم المرسل الإنساني ، وهنا وحتى يتحقق هذا الفهم لابد أن تكون الرسالة الموجهة من المرسل إلى المستقبل من مجال خبرة مشترك بينهما حتى يحدث ذلك التناغم والتوافق ، أي الفهم. ويمكن توضيح هذه القضية بالشكل التالي : (١)



ومن هذا الشكل يتبين أن المصدر أو المرسل يستطيع أن يرمز ، كما أن المستقبل يستطيع أن يفسر هذه الرموز في ضوء خبرة متجمعة ومشتركة لدى كل منهما ، فمعرفة اللغة الروسية أو الإنجليزية أو الفرنسية شرط ضروري للترميز بواسطة هذه اللغات أو لتفسير الرموز المرسلة بواسطتها . كما يتبين أيضاً

(١) Shcramm, Op. cit., p. 6

جانب على قدر كبير من الأهمية وهو أن التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل متوقف — إلى حد كبير — على النطاق المشترك من الخبرة — بمعنى آخر هناك علاقة طردية بين الخبرة المشتركة والاتصال المتناغم مما يمكننا من التنبؤ بأنه إن لم يكن هناك مجال مشترك من الخبرة يصبح الاتصال مستحيلا . أما إذا كانت مجالات الخبرة المشتركة محدودة فإن عملية الاتصال تصبح غاية فى الصعوبة ، تلك الصعوبة التى يواجهها غير المتخصص فى الطبيعة حينما يقرأ كتاباً عن نظرية النسبية ، وحينما ينتقل شخص ما إلى ثقافة مغايرة لثقافته . ولذلك فإن المرسل لابد أن يضع فى اعتباره إعداد رسالته بطريقة تمكن من تحقيق التناغم والتوافق مع المستقبل ولن يتحقق ذلك إلا بربط الرسالة بجوانب من خبرته تشابه إلى حد كبير خبرة الوجهة أو المستقبل .

والرسائل عبارة عن إشارات ، والإشارة علامة تشير إلى شىء ما فى مجال الخبرة ، فكلمة كلب مثلا أو قط كلمة معممة عن خبراتنا بالكلاب أو القطط ، والكلمة هذه تصبح غير ذات معنى بالنسبة لشخص قادم من منطقة خلو من الكلاب أو القطط ، ولكن معظم الناس يتعلمون هذه الكلمات عن طريق التداعى بحيث إننا فى البدء وجدنا أشخاصاً يجذبون اهتمامنا إلى موضوع بعينه ويقولون عنه إنه كلب أو قط ، وطالما تعلمنا الكلمة فإنها تصبح قادرة على أن تثير فى أنفسنا نفس الاستجابة التى يثيرها الموضوع نفسه ، ولكن هناك فرقاً هاماً بين الإشارة Sign والمرضوع Object فالإشارة — عادة — تحضر أو توجد الموضوع عند مستوى مختزل ، بمعنى أن الإشارة لاتستدعى جميع الاستجابات التى يستطيع الموضوع نفسه أن يستدعيها ، فكلمة كلب لا تستدعى جميع المشاعر التى يستدعيها وجود الحيوان نفسه . وذلك هو الثمن الذى ندفعه نظير إمكانية النقل المتمثلة فى اللغة .

إلا أن ذلك لا يعنى أن نسق اللغة والإشارة محدود بالعالم الواقعى الموجود بمعنى أن هناك مفردات عديدة لا تشير إلى موجودات بالفعل وإنما قد تشير ،

إلى موجودات خيالية أو تأملية ، ويندرج تحت هذا النمط الأنساق اللغوية التى تشير إلى الجوانب الغيبية والميتافيزيقية وكذلك فى الأعمال الروائية والأدبية ، فلقد استطاعت مرجريت ميشيل أن تعيد خلق احتراق آتلانتا فى رواية .

ومن الواضح أن كل شخص متضمن فى عملية الاتصال يلعب كلا الدورين ، أى المرمز أو المرسل ، والمفسر أو المستقبل ، وطالما أن مثل هذا الشخص يرسل ويستقبل فلابد أن يكون قادراً على توصيل أفكاره وإشاراته للآخرين واستقبال وفهم ما يرسله إليه الآخرون من رسائل .

ولنحاول أن نفصل ذلك بادئين بطرح السؤال التالى : ماذا يحدث حينما تأتى إشارة إلى شخص ما ؟ لنضع فى اعتبارنا أولا أنها آتية فى شكل علامة Sign ، فإذا كان مثل هذا الشخص قد تعلم هذه العلامة فإنه بالتالى يكون قد تعلم استجابات معينة مرتبطة بها ، ومن الممكن أن نطلق على مثل هذه الاستجابات اصطلاح الاستجابات الوسيطة Meditatory Responses لأنها تعدل مايطرأ على الرسالة فى الجهاز العصبى لهذا الشخص ، وهذه الاستجابات هى المعانى التى تتضمنها الإشارة أو العلامة بالنسبة لهذا الشخص . وهى معان اكتسبها من الخبرة ولكنها متأثرة بحالة الجهاز العضوى فى اللحظة التى ترد فيها ؛ فإذا كان الشخص جائعاً — على سبيل المثال — فإن صورة طبق من الطعام أو قطعة من الحلوى تكون عنده ذات معنى مختلف إلى حد كبير عن معناها إذا وردت إليه وهو شبع ، وهى بالتالى تثير استجابات مختلفة بالنسبة له .

وبالإضافة إلى أن الإنسان يتعلم استجابات وسيطة للمثيرات المختلفة فإنه يكتسب أيضاً أنماطاً من ردود الفعل المتصلة بهذه الاستجابات بحيث إن العلامة التى تعنى شيئاً ما بالنسبة للشخص سوف تستدعى عمليات أخرى عضلية وعصبية كعلامة الخطر التى تثير الأعصاب والعضلات فتدفع الشخص المتعرض له إلى طلب النجدة . بأسلوب آخر نقول إن المعنى الناتج عن تفسير الرسالة وحل رموزها سوف يستثير المستقبل ويدفعه إلى إعداد رسالة جديدة وهذه الرسالة الجديدة والمعدة إعداداً رمزياً سوف تعتمد على اختيار الاستجابات

الممكنة فى الموقف والمرتبطة بالمعنى . وإذا حدث فعل معين فإن طبيعة هذا الفعل سوف تعتمد أيضاً على أساليب الفعل الممكنة بالنسبة للشخص والحواجز والعقبات القائمة أو المحتملة ، فقد يرسل شخص ماإشارة تستثير فى شخص آخر رغبة فى ضربه — مثلا — ولكن الأخير قد يكون فى الموقف الاجتماعى الخطأ، أو قد يكون الأول ضخماً ومتين البناء، ولذلك فإن هذا الأخير قد يتجاهله أو ينظر إليه باحتقار أو يذكره بالسوء لدى معارفه .

تلك هى العملية التى يجد الإنسان نفسه منغمساً فيها وهى تفسير رموز البيئة باستمرار ثم ترميز رسائل أخرى وهكذا ، ولذلك نجد أنه من الخطأ التفكير فى عملية الاتصال بوصفها عملية تبدأفى مكان ما وتنتهى فى مكان آخر ، لأنها عملية لا نهائية يعد الناس مجرد مراكز فيها . والتفكير الدقيق فى عملية الاتصال هو ذلك الذى يحلله باعتباره عملية تمر من خلال الإنسان وتتغير بواسطة تفسيراته وعاداته وقدراته واستعداداته .

وجاء الوقت الآن لإبراز عنصر جديد ضمن عناصر الاتصال يمكن أن نطلق عليه التغذية المرتدة Feed back وهى تلعب دوراً فى غاية من الأهمية لأنها تحيط المرسل علماً بأن رسالته قد لاقت تفسيراً . والتغذية المرتدة ببساطة هى الرسالة التى يرسلها المستقبل رداً على رسالة المرسل فى شكل أنساق حركية أو لفظية كأن يقول نعم . . .هذا صحيح ،أو يهز رأسه علامة على الموافقة، ومن أمثلة هذه التغذية المرتدة — أيضاً — خطاب قارئ إلى صحيفة يحلل فيه مقالا معيناً أو يحتج عليه ، كذلك تصفيق جمهور المحاضرة .

وعلى رجل الاتصال الخبير والمدرب أن يكون حساساً غاية الحساسية بالنسبة لهذه التغذية المرتدة ، حتى يحقق التناغم والتوافق بينه وبين جمهوره وذلك بأن يعدل وينقح من رسائله وفقاً لما يلاحظ على جمهوره أو فى ضوء ما يسمع منه .

ومن النادر فى أى نوع من أنواع الاتصال أن ترسل رسالة عبر قناة واحدة أو مجرى واحد وذلك هو العنصر الأخير الذى يضاف هنا فى تحليل عملية الاتصال فحينما يتحدث ا إلى ب فإن الموجات الصوتية المنبعثة من ا تمثل الرسالة الأولية

أو التمهيدية ، ولكن هناك رسائل أخرى كالتعبيرات المرسومة على وجه ا وإيماءاته وعلاقة هذه الرسالة بالرسائل السابقة ، بل إن الرسالة الأولية أو التمهيدية إنما تحمل مستويات عديدة من المعلومات ، فهى تعطى كلمات مطلوب تفسيرها وتؤكد كلمات معينة قبل كلمات أخرى ، وهى تقدم الكلمات فى نمط توقيتى وعرضى يساهم فى خدمة المعنى العام .

وهذا الموقف المتعدد القنوات موجود حتى فى الاتصال الجمعى المطبوع ، فالصحيفة لاتكتفى بنشر المعلومات فى أبواب الأخبار ولكن تدعم ذلك بعوامل أخرى كحجم المانشيت ، وموضع الصفحة فى الصحيفة ، والصورة المصاحبة ، واستخدام التكنيكات الصحفية وجميع تلك الأمور التى تلقى ضوءاً على الموضوع ، وبالتالى فإن القناة المنظمة للاتصال ليست برقية بسيطة قد تصل أو لا تصل وإنما هى كابل مركب تتجه فيه كثير من الإشارات وتجرى فى شكل متواز من مصدر إلى وجهة ، وهذه العلاقة المتوازية علاقة مركبة أيضاً ، لكن ملاحظة النمط العام لها أمر ممكن .

ويستطيع رجل الاتصال أن يؤكد نقطة معينة بإضافة عدد من الرسائل المتوازية ، فإذا كان يقوم بالاتصال بواسطة الحديث ، فإنه قد يؤكد على كلمة أو يتخذ وضعاً معيناً قبل نطقها ، أو يدعمها بإشارات معينة ، أو يبدى انفعالات مصاحبة .

من هذا العرض السابق يتضح لنا أن المهتمين بالاتصال لم يحاولوا فقط تطوير اصطلاحات خاصة بهذا المجال ، بل حاولوا أيضاً بناء نماذج نسقية يمكن بواسطتها وصف وتحليل هذه العملية ، والمقصود بالنماذج طاقم أو إطار كاف من المفاهيم لتفسير الأبعاد المختلفة لعملية الاتصال ولقد سبقت الإشارة إلى عدد من هذه النماذج هى نماذج كولمان ومارش ، وشانون ويفر ، وشرام . وينبغى أن ننبه إلى أهمية هذه النماذج ونحن بصدد فهم عمليات اتصالية وفكرية أكثر تعقيداً ، والبديل الوحيد لهذه النماذج يتمثل فى محاولة الإحاطة المباشرة Direct grasp ببناء العملية حتى تصبح قابلة للفهم أو حتى نتمكن من مقارنة عناصر العملية

أو وحداتها وحدة بوحدة إذا استطعنا طرح مثل هذا التعبير [١] .

ثالثاً : الاتصال والأنساق اللغوية :

يرتبط الاتصال بنسق الإشارات والإيماءات وبالأنساق اللغوية ارتباطاً يكاد يكون تاماً ، فالإشارات والإيماءات والأنساق اللغوية هى المجال الأساسى الذى تستقى منه عملية الاتصال رسائلها وتفهم فى ضوئها المعانى المختلفة لهذه الرسائل ، ونقصد بالإشارة أو الإيماءة كل حركة جسمية اكتسبت معنى خاصا وتتضمن شكلا من أشكال الاتصال . ويتراوح هذا الشكل التعبيرى بين الحركة اللا إرادية التى تشير إلى اتجاه معين ، والاستخدام الشعورى الواعى لطاقم مفصل من الإشارات أو العلامات كالقوانين المهنية أو العمالية . وهناك بعض العلامات أو الإشارات غير المكتسبة كابتسامة الوليد وانفعالاته المجلوة والطرفة اللا إرادية للعين، والحركة اللاإرادية لليد، إلا أن هذه الإشارات ذات دلالة نفسية واجتماعية أيضاً بمعنى أنها قابلة للتفسير ؛ فحركة الوليد تعنى شيئاً معيناً بالنسبة لأمه ، كما كشف التحليل النفسى عن أن أغلب الإشارات والحركات غير الإرادية ذات دلالة من حيث هى تعبير حتمى عن انفعالات أو رغبات مكبوتة فى اللاشعور .

إلا أن أغلب هذه الإشارات والإيماءات لا تقف — من حيث مضمونها — عند المستوى الفردى البحت ، وإنما هى تندرج تحت أنساق ثقافية بالدرجة الأولى ومن هنا فإننا نجد أن الإشارات والإيماءات قد تختلف من جماعة إلى أخرى ، ومن مجتمع إلى آخر وفقاً للإطار الثقافى الذى يميز هذه الجماعة وهذا المجتمع . وعند هذه النقطة نستطيع أن نقول أن لكل مجتمع ولكل جماعة إطاراً ونموذجاً اتصالياً يتفق ويتكامل مع النموذج والإطار الثقافى الخاص به. ومن هنا تتضح أهمية فهم الإشارات والإيماءات فى إطارها الثقافى الخاص، فالإشارة التى قد يعبر عنها البعض باليد قد تعبر عنها بعض القبائل بتحريك الشفاه فى اتجاهات مختلفة أثناء الحديث، فاللعب بالملامح والتعبيرات الوجهية يجب أن يفسر — باستثناء

---

(١) K.W. Deutsch, "*On Communication Models in the Social Sciences*" P.O.Q. 16:3:357

الحركات غير الإرادية — فى ضوء المضمون العام للإشارات والإيماءات السائدة[١]

وترتبط الإشارات والإيماءات بعملية صياغة الرأى الجماعى وذلك بأساليب متعددة ، فمن الممكن أن يستشف الملاحظ اتجاهاً معيناً من خلال الإشارات سواء كانت المناقشات تجرى فى جماعات مناقشة تعتمد على الاتصال الشخصى أو فى التليفزيون وغيره .

ولقد لوحظت دلالة هذه الإشارات فى جميع المراحل الاجتماعية أو فى جميع فئات المجتمع الإنسانى من بدائية ومتخلفة ومتقدمة ؛ فقائد الجماعة البدائية يرقص بطريقة معينة حينما يكون بصدد إعلان حرب على جماعة أخرى ، هذا بالإضافة إلى ما يعكسه الزعماء والقادة من إشارات بالوجه أو باليد أو الجسم كله وهم بصدد إلقاء خطاب معين يناقش قضية معينة أو اتخاذ موقف أو تبرير مثل هذا الموقف أو مناقشة انتخابية[٢] .

أما اللغة فإنها تسمو على الإشارات وذلك بحكم نطاقها ومداها ومعانيها الخاصة المحدودة واختلافاتها وتدرجاتها وتعبيراتها المتعددة وقدرتها الواضحة على التجريد ، وإذا ماقارنا الإشارة باللغة فإن الأولى تكون بمثابة شكل اتصالى مساعد بدائى وفج ، ومن المعروف أن الكتابة ساعدت بل لعبت الدور الأساسى فى حفظ الأشكال اللغوية وصيانتها ، والدليل على ذلك أن القصص الشعبى والأساطير والتراث غير المدونة تدخل عليها تحريفات متعددة نتيجة لعدم المعرفة الكاملة بها ، أو إضافة شىء ، أو حذف آخر ، أو نتيجة لتغيرات طارئة تقتحم المجتمع ذاته ، وكل ذلك بالإضافة إلى عامل الذاكرة .

ويجمل بنا أن نوضح هنا أن اللغة جزء من الثقافة السائدة ، فالطفل بعد أن يمر بخبراته المبكرة القائمة — أساساً — على إصدار أصوات وصيحات معينة يبدأ فى التقاط الأشكال اللغوية التى يحتاج إليها حاجته إلى العناصر الثقافية الأخرى ، وحيث نجد أن الطفل فى المراحل الأولى محدود ومقيد بحدود المعانى والأفكار المتضمنة فى الحصيلة الكلامية التى استوعبها ، وما ينطبق على

---

(١) Albig *Op-cit.*, p. 39

(٢) Loc. cit

الطفل ينطبق كذلك على الإنسان بوجه عام . أى أن حصيلة الإنسان من اللغة تحدد نطاق تفكيره ، فالإنسان يكتسب الكلمات وهنا يتعلم المعانى والأفكار والمفاهيم ويقول « تشارلز كولى » فى هذا الصدد : « عادة ما تستحضر الكلمة ثم تثير الفكرة وهنا لا نستطيع الحصول على الفكرة وتملكها دون الحصول على الكلمة أولا فكأن الكلمة تقول : إن هذه فكرة مدهشة ومشوقة ، اذهب إليها واكتشفها ، كما أننا نوجه أيضاً نحو إعادة اكتشاف المعرفة القديمة ، وكلمات مثل الخير والحق والحقيقة والحب والبيت والعدالة والجمال والحرية ما هى إلا كلمات قوية صنعت ماقامت من أجله »[١].

أى أن مثل هذه الكلمات التى تشير إلى أفكار معينة أصبحت هى المفتاح الوحيد لهذه المعانى ، بمعنى أننا لا نستطيع أن نشير إلى معنى الحرية دون الكلمة ذاتها ، ولا نستطيع أن نصف الشىء الجميل إلا فى ضوء اصطلاحات الجمال ، فكأنما المعانى لا تحقق وجودها إلا من خلال تجسدها فى كلمات .

وقد تحدد الاصطلاحات اللغوية عملية التفكير نفسها واتجاهاتها كالاصطلاحات الليبرالية أو الماركسية اللينينية أو الاصطلاحات العلمية التى تميز اتجاهات علمية معينة أو نظرية لها أتباعها .

وينطبق ذلك أيضاً على الجماعات الفرعية الداخلة فى تكوين المجتمع حيث قد تتميز كل جماعة منها بثقافة فرعية معينة وبإطار لغوى خاص «لهجة» .

وليس الشخص مقيداً فقط — الآن — بلغته الخاصة وحدودها ، وإنما هو مقيد ومحدد أيضاً بواسطة اللغة أو اللغات التى هو على علم بها ، وبخاصة فى ظروف الثورة الاتصالية التى ربطت مختلف أرجاء العالم ، فالشخص الملم فقط باللغة الإنجليزية قد لايسعفه التعبير فى مواقف معينة ، أو قد لايستطيع فهم كتاب بهذه اللغة على مستوى معين من التجريد .

رابعاً : الأنماط المختلفة للاتصال :

إن انتشار المعلومات والأفكار وتبادلها بين الناس لايأخذ شكلا واحداً ،

---

(١) Cooley, *Op. cit*, p. 69

أو نموذجاً واحداً بعبارة أخرى إن للاتصال أنماطاً مختلفة من الممكن أن نميز بينها، ولكن ليس معنى أن هناك أنماطاً مختلفة للاتصال أن هناك عمليات مختلفة أيضاً له، بل يجب أن نضع موضع الاعتبار أن العملية الأساسية واحدة وعناصرها واحدة أيضاً، إلا أن هذه العناصر تختلف — تبعاً للموقف — من حيث الشكل أو البساطة أو التعقيد.

ومن الممكن أن نصنف أنماط الاتصال فى ضوء العمليات الأساسية الأولية Primary Processes أى أن هناك أساليب فنية أولية، عالمية الانتشار من ناحية وأساليب فنية ثانوية تسهل عملية الاتصال[١] ومن هذه الزاوية يمكن تصنيف الإشارات واللغة بوصفها أساليب أولية وعامة ، والكتابة تسهل عملية انتقال اللغة والأشكال الرمزية الأخرى ؛ وتمكن الوسائل الفيزيقية التى قد تنقل بواسطتها الرموز كالرسول أو المبعوث أو الحيوانات والدواب والنقل الآلى ؛ تمكن هذه الوسائل من تمثل الرموز الصورية أو الكتابية ولكن فى نسخ معدودة وأطر محدودة .

إلا أن الطباعة الضخمة ، والتطور الآلى فى الاتصال البرقى والتليفونى والإرسال الإذاعى والتليفزيونى والسينما — كل ذلك قد وسع من انتشار الرموز .

من الممكن إذن أن نصف أنماط الاتصال فى ضوء العمليات الأساسية إلى نمطين[٢] :

١ — نمط اتصال أولى وهو يشير إلى ذلك الأسلوب الذى تم فيه عملية انتقال الأفكار والمعانى فى إطار علاقات أولية ، ببساطة يشير هذا النمط إلى اتصالات الوجه للوجه .

٢ — نمط ثانوى، وهو يشير إلى الأسلوب الذى تنتقل به الأفكار والمعلومات بين الناس ومن أشخاص إلى أشخاص آخرين دون أن يكون هناك تفاعل بينهم، أو بمعنى أصح دون أن يكون هناك تفاعل مكانى يمكن من المواجهة التى

(١) H.D. Lasswell, *World Politics and Persoral Insecurity*, 1935 p. 186.

(٢) See Bryce Ryan "*Primery and Secnary Contacts in a Cylon Village Communily*" R.S. Vol. 17 (Dec. 1952) No. 4 pp. 311 - 321,

تنمو العلاقات الأولية فى ظلها . ويشير هذا النمط إلى الاتصالات الجمعية .

وقد تكون هناك أسس أخرى مختلفة لتصنيف أنماط الاتصال كأن نقول مثلا إن هناك نمطاً اتصالياً منظم . ونمطاً آخر غير منظم[١] ونقصد هنا بالنمط المنظم كل تلك الأجهزة والمؤسسات والتدابير التى تؤسس وتقام بقصد نقل المعلومات والأفكار وتوصيلها إلى الناس ، بينما النمط غير المنظم يشير إلى الانتقال التلقائى لتلك الأفكار والمعلومات . بمعنى أن الصحيفة والراديو والتليفزيون والسينما ومؤسسة الإرشاد الزراعى بالقرية ومكتب تنظيم الأسرة والندوات وغير ذلك مما يمكن أن يطلق عليه مؤسسات التغيير تندرج تحت النمط الاتصالى المنظم بينما النمط الثانى يشير إلى المصادر المحلية ـ عادة ـ للأخبار والأفكار والمؤثرات ، وهنا قد نقابل بشىء من الخلط الذى لا يميز بين أنماط الاتصال وفقاً للعمليات الأساسية بمعنى أن القروى قد يحاط علماً بأسلوب زراعى جديد من مناقشته للمشرف الزراعى فى القرية ، وهو هنا يكون قد تلقى معلومات من مصدر منظم للمعلومات أو نمط اتصالى منظم . أما حينما يحصل على هذه المعلومات من مناقشته لجاره أو قريبه فإنه يكون قد حصل عليها من مصدر معلومات غير منظم أو غير نظامى . علماً بأن العملية الأساسية التى جرى خلالها الحصول على المعلومات واحدة . وهى المناقشة الشخصية المباشرة .

كما قد يكون التمييز بين نمط اتصال جمعى Mass Communication ونمط اتصالى شخصى Personal Communication ، وحيث يشير النمط الأول إلى مؤسسات الاتصال القائمة أساساً لهذه العملية كالصحف ، والإذاعة ، والتليفزيون ، والسينما وغيرها ، بينما يشير النمط الثانى إلى الانتقال والانتشار عن طريق التفاعل ، ولكن ليس معنى ذلك غياب التفاعل بين مستقبل الاتصالات الجمعية ومصدرها حيث إن هناك درجة معينة من التفاعل لكننا لا نستطيع القول بأن عملية التفاعل ـ بجميع أبعادها ـ موجودة بينما يميز التفاعل التام النمط الثانى وهو النمط

---

(١) See Satadal Dasgupta "*Communication and Innovation in Indian Villages*" S.F. Vol. 43 (March, 1965) No. 6,

الشخص ،وهنا نستطيع أن ندرج ضمن النمط الشخصى الندوات وموظفى الإرشاد بالقرية وما إلى ذلك بالإضافة إلى الاتصالات التلقائية بين أهل القرية، ولكننا نجد إدراجنا لمؤسسات الإرشاد فى القرية تحت النمط الشخصى يتميز بدرجة غير قليلة من التعسف وبخاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا أن موظفى هذه المؤسسات قد يكونون — وغالباً ما يكون الأمر كذلك — غرباء عن نسق القرية ، ولذلك فقد تكون هناك عوائق وعقبات فى طريق الاتصال الشخصى — بأبعاده الحقيقية — بينهم وبين القرويين .

ويجب أن نسجل هنا ملاحظة مؤداها أن ليس هناك فصل تعسفى بين المشاركة فى كل نمط من الأنماط الاتصالية ، بمعنى أن الشخص قد يتلقى معلومات وأفكاراً من نمط جمعى ونمط شخصى فى الوقت نفسه ، وفكرة الاشتراك هذه أوحت بنمط ثالث يرتبط بلازارسفلد وكاتز وجماعتهما، وهو نمط يصف ذلك الشخص الذى يحصل على معلومات عن طريق مصادر جمعية لينقلها للناس بتأثير وفعالية . وهو مايطلقان عليه النمط ذا الخطوتين (١) Two-Stop Flow of Communication وهو نمط يتميز بوجود عنصر وسيط قد نطلق عليه قائد رأى Opinion Leader كما يفضل كاتز ولازارسفلد ، أو حارس بوابة Gate Keeper كما يفضل ليثين ،وسوف نتعرض بالمناقشة المفصلة لكل من هذه الأنماط فيمابعد.

وترجع أهمية النمط الثالث إلى إدراكه للارتباط بين الاتصال والتأثير بمعنى أنه من المتوقع أن يمارس الاتصال تأثيراً معيناً على الشخص داخل الأنساق الاجتماعية المتدرجة من حيث البناء أو الحجم .

خامساً — خاتمة :

ننتهى من هذه المناقشة إلى أن الاتصال مفهوم يشير إلى المجرى الذى تنتقل به المعلومات والأخبار خلال الجماعة أو المجتمع بحيث يأخذ هذا المجرى أشكالا . أو أنماطاً مختلفة ، بمعنى أنه قد يكون واحداً من اثنين ، أو كليهما :

---

(١) See E. Katz and P. Lazarsfeld, Personal Influence. Part Played By People, 1955.

(١) مجرى جمعيًّا أى نمط الاتصال الجمعى .

(٢) مجرى شخصيًّا أو نمط الاتصال الشخصى .

وعادة ما يكون المصدر فى النمط الشخصى من الاتصال على صلة وثيقة بالنمط الجمعى منه بحيث يستخدم معلوماته التى اكتسبها من النمط الجمعى لتدعيم مكانته كقائد رأى أو صاحب مشورة أو حارس بوابة وهنا نكون بصدد نمط فرعى أطلق عليه مطوروه مجرى الاتصال ذا الخطوتين — وسوف نحلل هذه الأنماط بالتفصيل فيما بعد .

إننا ونحن بصدد تحليل الاتصال وعمليته نستعير تلك القضية الشهيرة التى تصف الاتصال وصفاً دقيقاً فى عبارة موجزة من يقول ؟ وماذا يقول ؟ وعن طريق أى قناة ؟ ولمن يقول ؟ وما نتيجة أو أثر ذلك

Who Says what in which Channel to whom with what effect ?[1]

أما عن عناصر عملية الاتصال فإننا نستطيع أن نفيد من النماذج السابقة التى طورت لوصف وتحليل هذه العملية بأن نلتقط العناصر الضرورية لعملية الاتصال بوصفها عملية إنسانية ونجملها فى أربعة عناصر على النحو التالى :

١ — مصدر أو مرسل ، قد يكون شخصاً ، أو جماعة ، أو مؤسسة .

٢ — رسالة ، قد تكون خبراً ، أو فكرة ، أو دعوة لتغيير أو تجديد .

٣ — مستقبل ، وقد يكون أيضاً فرداً ، أو جماعة ، أو جمهوراً عريضاً .

علماً بأن هذه العناصر الثلاثة تكون متضمنة فى عنصر رابع هام وهو الموقف الذى يحيط بكل من المرسل والمستقبل ، هذا الموقف قد يكون محدوداً بحدود فيزيقية ، أو سيكلوجية ، أو اجتماعية ، أو ثقافية .

---

(١) H. Lasswell, "The Structure and function of communication in society" in Lyman Bryson (ed) The Communication of Ideas, p. 37

الفصل الثانى

التحليل الوظيفي للإتصال الجمعي

جرت محاولات متعددة لاستخدام المفهومات التى طورتها المدرسة الوظيفية فى تحليل وظائف الاتصال الجمعى، كما كانت هناك نماذج مختلفة لهذا التحليل الوظيفى، منها ما يميل إلى تحليل وظائف كل وسيلة اتصالية على حدة ومنها ما يميل إلى إجراء تحليل مقارن بين أكثر من وسيلة، ومنها ما يتجه أساساً إلى تحليل وظائف الاتصال الجمعى باعتباره نظاماً أو نسقاً اجتماعيا متكاملا .

وفى هذا الفصل سوف نعرض أمثلة لهذه النماذج موضحين مدى إمكانية استخدام هذه المفاهيم الوظيفية فى إنجاز هذا العمل .

أولا : موقف الاتصال الجمعى من الأبعاد الرئيسية لعملية الاتصال :

إذا حاولنا فحص عملية الاتصال الجمعى فى ضوء ما سقناه من خصائص عامة مرتبطة بالاتصال فإننا نجد أن العملية فى الاتصال الجمعى هى ذات العلمية فى أى اتصال آخر، إلا أن العناصر فى الاتصال الجمعى ليست بالضبط العناصر الموجودة فى عملية الاتصال، وحيث نجد أن المصدر أو المرسل فى عملية الاتصال الجمعى يتمثل فى مؤسسة اتصالية أو شخص نظامى أو مؤسسى، أى ينتمى — بحكم وظيفته — إلى مؤسسة اتصالية .

ونعنى بالمؤسسة الاتصالية الصحيفة أو المحطات الإذاعية والتليفزيونية، وبالتالى فإننا نعنى بالشخص النظامى أو المؤسسى محرراً فى صحيفة أو مذيعاً أو مقدم برامج فى محطة إرسال تليفزيونى أى أن الوزن الاتصالى لمثل هذا الشخص ينبع من كونه منتمياً — وظيفياً — إلى مؤسسة اتصالية .

وتعمل المؤسسة الاتصالية كما يعمل الفرد تماماً. فهى تلعب نفس الدور، وإذا حللنا هذه العبارة فى ضوء النموذج الاتصالى الذى طوره « ولبرشرام » فإننا نستطيع أن نقول إنها تحلل الرموز وتفسرها وترمز . فحينما نقول إن الصحيفة — على سبيل المثال — تقوم بدور تحليل الرموز فإننا نقصد أنها تستقبل البرقيات الإخبارية وتقارير المخبرين الصحفيين وتقوم هذه الأخبار وتراجع تلك التقارير وتبسط منها متى ظهرت الحاجة إلى التبسيط ثم تعد هذه الأخبار والتقارير فى صورة قصة أو رواية تختار لها العنوان المناسب ثم تطبع وتأخذ طريقها إلى القارئ . وهنا نلمس أن العملية الأساسية واحدة إلا أنها تنفذ عن طريق مجموعة من الأشخاص أكثر من كونها تنفذ بواسطة فرد واحد . وهناك فرق آخر بين المؤسسة الاتصالية والفرد الاتصالى يكمن فى أن المؤسسة الاتصالية تتمتع بدرجة عالية من الصادر Output والوارد Input ، فبينما نجد أن الأفراد يختلفون — فيما بينهم — فى نسبة الصادر والوارد التى يتمتعون بها . وحيث إن بعضهم قد يفوق البعض الآخر بحكم انتمائهم إلى مؤسسات اتصالية كالمدرس والصحفى ورجل الدين وغيرهم ، فإن المؤسسة الاتصالية معدة ومجهزة لترميز ملايين الرسائل وتفسير ملايين أخرى مثلها . فهى تتميز إذن بإمكانيات هائلة من العاملين وأجهزة الطباعة والتوزيع وما إلى ذلك من إمكانات .

ويجب أن نضع موضع الاعتبار أن وجهة الاتصال الجمعى أو هدفه أو مقصده يتمثل فى أفراد يقعون فى نهاية قنوات متعددة : قارىء الصحيفة، ومستمع الراديو . ومشاهد التليفزيون، أو السينما، وقارىء الكتب والمطبوعات، والنشرات وغير ذلك. ويختلف الحال بالنسبة لهذه المحطات الاستقبالية عنه فى موقف الاتصال بين الأشخاص القائم على أساس المواجهة ، وذلك لسبب بسيط ، هو أن الاتصال بين الأشخاص يتميز بدرجة عالية مما يمكن أن نطلق عليه —مع شرام — التغذية المرتدة أو التجاوب . بينما تقل درجة هذا التجاوب أو يقل حجم هذه التغـذية المرتدة فى نمط الاتصال

الجمعى . فبينما نجد — مثلا — أن عملية الاتصال بين شخصين سوف تتوقف إذا توقفا ، أو أحدهما عن التجاوب ، وعن تغذية العملية ، فإن عملية الاتصال الجمعى لن تتوقف إذا انعدمت التغذية المرتدة ؛ فالصحيفة لن تتوقف عن الصدور مثلا إذا لم تتلق رسائل مستمرة من قرائها . إلا أن ذلك لا يعنى أن تهمل المؤسسة الاتصالية مثل هذا التجاوب أو هذه التغذية، بل الأمر على العكس من ذلك تماماً ، فلا بد أن تتابع المؤسسات الاتصالية جماهيرها حتى تحقق التجاوب والثقة التى ينبنى عليها هذا التجاوب ولذلك فإننا نجد أن المؤسسات الاتصالية تضم أقساماً خاصة مهمتها متابعة البرامج والموضوعات ووقعها على الجماهير ، وإجراء البحوث بقصد التعرف على رغبات الجماهير ونشر تعليقات الناس على ما يتلقون من رسائل جمعية ، بالإضافة إلى معرفة هؤلاء الناس الذين تتحدث إليهم المؤسسة الاتصالية ، عاداتهم وتقاليدهم واتجاهاتهم وتصورهم للعالم ، وعلى ذلك يتوقف — إلى حد كبير — نجاح المؤسسة الاتصالية أو فشلها .

هذا ونستطيع أن نقول إن الاتصال الجمعى يتميز بقدر يسير جداً من التواصل Contact أو الاتصال الاجتماعى بين جمهوره — وذلك بخلاف جمهور المحاضرة والجماعة الصغيرة ؛ فالذين يتابعون برنامجاً تليفزيونياً معيناً أو برنامجاً إذاعياً لا يعرفون ما إذا كان جيرانهم يتابعون نفس البرامج أم لا ، نستطيع أن نقول — مع الكثير من الباحثين فى هذا المجال — إن جمهور الاتصال الجمعى مكون من أفراد وليس مكوناً من جماعات إلا أن هؤلاء الأفراد ينتمون إلى جماعات متعددة كالأسرة والأصدقاء المقربين والجماعة المهنية وغير ذلك من الجماعات وهذه مسألة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للقائمين على الاتصال الجمعى ، حيث أن الآثار التى يمارسها الاتصال الجمعى إنما تأتى وتمر من خلال جماعات بمعنى أنه إذا وجهت حملة إعلامية عن الإدخار

أو تنظيم الأسرة فإن الفرد لا يتأثر بهذه الحملة وهو بمعزل عن جماعاته ، أسرته وأقاربه وجيرانه وأصدقائه ورفاقه وغيرهم . بل إن الجماعات هذه هى

التى تمارس الأثر الأكبر وحيث انها قد تحبذ ما تنادى به الحملة فيجده الفرد مقبولا ولا مانع من ممارسته ، أو قد ترفضه فلا يستطيع الفرد أن يمارسه — بحكم انتمائه إلى هذه الجماعات — وبخاصة إذا كانت هناك ثمة أخطار تهدد مكانة هذا الفرد فى الجماعة إذا ما أقدم على ممارسة هذا السلوك وتدعم النتائج التجريبية ذلك إلى حد كبير كما سيأتى فيما بعد[1] .

ثانياً : نمو الاتصالات الجمعية :

منذ عام ١٩٢٠ تقريباً بدأت عملية واسعة من انتشار الصحف الشعبية والأفلام السينمائية والراديو ثم التليفزيون كما بدأ يشار إلى هذه الوسائل بأنها وسائل اتصال جمعى Mass Media ، أو اتصال جمعى Mass Communication ، وحينما نكون بصدد الحديث عن جمهور وسائل الاتصال الجمعى فإننا نعنى جماهير عريضة غير متجانسة ومكونة من ملايين من البشر وعند هذه النقطة بالذات برز الفرق بين نمط الاتصال الجمعى وبين غيره من الأنماط الاتصالية الأخرى ، حيث نجد أن الاتصال الشخصى — مثلا — يتم بواسطة أفراد أو جماعات محدودة فيما عدا جماهير الأفلام حيث نجد درجة قليلة من المشاركة الجماعية .

ولقد أصبح الاتصال الجمعى — بحكم انتشاره العريض — ذا تأثير ضخم فى توزيع المعلومات ونشرها وفى تحديد الاهتمامات الروائية وتقديم الفكاهة وجذب العملاء ، وباختصار أصبح الاتصال الجمعى يمد الجماهير بخبرات وافرة وعريضة . ومع أن هناك دراسات كثيرة كشفت عن وقع وتأثير الاتصال الجمعى على بعض مجالات الرأى والمعلومات إلا أن هناك مجالات أخرى لم تلق مثل هذا الاهتمام الذى يبرز دور الاتصال الجمعى ووظائفه فى مجالات الرأى الأخرى والقضايا التى تهتم بها الجماعات الأولية كالتفاعل والاتصال الاجتماعى والمكانات والأدوار والمحادثات الأسرية والروابط ذات الاهتمامات الترويحية ، وذلك بالإضافة إلى القيم بوصفها مبحثاً يمكن أن يتأثر بالاتصال

(١) See Schramm, Op. cit., pp. 18-20.

الجمعى أو يؤثر فيه فقد تفشل برامج أعلامية لمنطقة ذات ثقافة تقليدية لأنها تتعارض مع قيمها التقليدية . أى أن الحاجة تظهر إلى دراسة العلاقات الاجتماعية بمتضمناتها — خاصة إذا كنا بصدد حملات إعلامية جمعية تهدف إلى التأثير فى مثل هذه المجالات ، كما أن الأمر يتطلب أيضاً دراسات متعمقة تحاول الكشف عن الاتجاهات المختلفة سواء منها التى تقوم على قيم عميقة فى الشخصية والبناء الاجتماعى أو التى لا تتميز بمثل هذه الدرجة من العمق والأصالة ، وهنا يتضح أن الاتصالات الجمعية — والناجحة بخاصة — لا تؤثر — فقط — فى المجتمع الذى تستهدفه وإنما هى تتأثر بهذا المجتمع : قيمه وعاداته ، ومقدساته .

ولكن الذى حدث فعلا أن المهتمين بهذا الموضوع سواء من المحللين الأكاديميين أو التجاريين قد ناقشوا قضية الاتصال الجمعى فى ضوء اصطلاحات معينة مثل عملية وتكنيك ومثير ووقع وتأثير ولم يناقشوا هذه القضية فى ضوء المشاكل الأخلاقية والقيمية سواء من حيث المضمون القيمى والأخلاقى للاتصال الجمعى . أو النتائج القيمية والأخلاقية المترتبة على هذا الاتصال .

لقد حاول أفلاطون أن يحدد منذ القدم حجم المدينة الفاضلة التى كان ينادى بها على أساس من مفاهيم الاتصال حيث كان يحددها بعدد من الأشخاص يستطيع مناد واحد أن يعلمهم بشىء معين ، ويكشف هذا الشرط عن وجهة نظر سسيولوجية عميقة وبعيدة المدى فهو يعنى أن الاتصال بالناس ضرورى ومدهم بالمعلومات التى تهمهم وتخص شئون مجتمعهم وأحواله على نفس القدر من الأهمية مما يجعلنا نقول — ونحن على ثقة — إن التكامل الاجتماعى أى ربط الناس بدرجات متفاوتة بقضايا مجتمعهم ربطاً حقيقياً وصادقاً أو خلق ما يمكن أن يسمى بالوعى بالمجتمع أو الإحاطة بما يدور فيه إنما هو من الوظائف الأساسية للاتصال الجمعى . وعند هذه النقطة يثار سؤال مؤداه هل من وظائف الاتصال الجمعى خلق مثل هذا التكامل الاجتماعى على المستوى العالمى وتحقيق ما يمكن أن نطلق عليه ربط العالم ؟ وقبل أن نجيب عن مثل هذا التساؤل

نعرض تساؤلا آخر مرتبطاً به أشد الارتباط . ومؤداه إذا كانت الاتصالات الجمعية تحقق ذلك التكامل الإجتماعى العالمى فهل تذوب الولاءات القومية ومن ثم تذوب الخصائص الثقافية والإجتماعية التى تميز مجتمعاً بعينه ؟ وهنا نجد أن كثيراً من الباحثين قد وضعوا إجابات عن هذه التساؤلات مؤداها أن الاتصالات الجمعية قد حققت درجة كبيرة من التكامل الاجتماعى العالمى حتى إننا نلمح الآن الكثير من الخصائص العالمية المشتركة كما أننا قد نجد أن أسلوب حياة معين آخذ فى الانتشار فى أجزاء كثيرة من العالم وذلك بفعل الاتصالات الجمعية المتعددة بالإضافة إلى وسائل المواصلات المتوفرة والمتطورة إلا أن ذلك لا يعنى ذوبان الخصائص القومية والمحلية للمجتمعات الإنسانية العديدة فى شكل اجتماعى واحد، حيث تستمر الولاءات القومية والخصائص النفسية والاجتماعية العميقة والتى ينفرد بها شعب ما دون أن تذوب ذوباناً كليا فيما يمكن أن نطلق عليه النمط الاجتماعى العالمى ، وذلك ينطبق أيضاً على المجتمعات المحلية الصغيرة الداخلة فى تكوين المجتمع القومى حيث تنفرد هذه المجتمعات أيضاً بخصائصها المميزة .

نستطيع أن نقول إن المجتمع العالمى — إن جاز إطلاق مثل هذا الاصطلاح قد أصبح مفتوحاً على مختلف التيارات العلمية والفلسفية والأيديولوجية التى ينقلها الاتصال الجمعى

لقد أصبح من السهل تواتر الانتقال السريع للأشكال الثقافية المادية واللامادية من جماعة إلى أخرى ، ومن طبقة إلى أخرى ومن إطار ثقافى إلى إطار آخر وذلك بفضل الاتصال السهل والانتقال الميسر ، ويبدو ذلك بوضوح من ملاحظة تغير المودات وانتشارها وتغير أساليب الحياة وظهور التقاليع وانتشارها انتشاراً واسعاً .

ويرى آلبج Albig أن فقدان الاتصالات السهلة هو السبب فى استمرار بعض المجتمعات دون تغير كبير أو فى حالة استاتيكية[1] كما يرى أيضاً أن

(١) Albig, *op-cit.* p. 52

الاتجاهات الفردية والعوامل السيكلوجية التى تشجع التغيير السريع هى — فى حد ذاتها — نتاج للموقف الثقافى الذى شكلها بهذه الصورة[١] .

ولقد أوضح كروبر Kroeber — كميًّا — السرعة المتزايدة فى التغيرات المرتبطة بأساليب النساء فيما بين عامى ١٨٤٤ ، ١٩١٩[٢] .

ومن الشائع فى التراث الاجتماعى والأنثربولوجى أن الثقافة المادية أكثر قابلية للانتشار من الثقافة اللامادية إلا أن هذه القضية التقليدية أصبحت فى حاجة إلى مراجعة وإعادة نظر فى ضوء دور ووظائف الاتصال الجمعى .

ثالثاً — الإفادة من المفهومات الوظيفية فى تحليل الاتصال الجمعى :

استخدمت الدراسات المختلفة — وبخاصة فى الفترة الحديثة — إطاراً مرجعيًّا وظيفيًّا لفحص الجوانب المختلفة للاتصال الجمعى سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وقد حاول بعض الباحثين أن يحلل النقاط النظرية والمنهجية المرتبطة بنمو نظرية وظيفية للاتصال الجمعى محاولين استكشاف الجوانب التالية :

١ — البنود أو الوحدات المناسبة للتحليل الوظيفى وحيث تظهر الحاجة إلى تحديد الجوانب المختلفة للاتصال الجمعى وظواهره المختلفة وتقنينها والتى يمكن أن يلعب الاتجاه الوظيفى دوراً فى استكشافها .

٢ — تنظيم الفروض فى إطار مرجعى منسق قد يساعد البحوث والنظريات المستقبلة وبخاصة إذا كان هذا الإطار مناسباً للنتائج والفروض المختلفة حول وظيفة الاتصال الجمعى إيجاباً أو سلباً .

٣ — إعادة صياغة الفروض فى ضوء الاصطلاحات الوظيفية كالمتطلبات الوظيفية Functional Requirments ونموذج التوازن Equilibrium Model

ويهتم التحليل الوظيفى — إلى حد بعيد — بفحص نتائج الظواهر الاجتماعية التى تؤثر فى العمليات المعتادة للنسق الاجتماعى من توافق وتكيف وغير ذلك

---

(١) *Loc. cit*

(٢) A.L. Kroeber "*On the Principle of Order in Civilisation as Exemplified By Change in Fashion*" A.A. 21, 235 - 263.

من العمليات بالإضافة إلى الأفراد . والجماعات الفرعية . والأنساق الاجتماعية والثقافية[١] .

إن موضوع التحليل الوظيفى — فى رأى « ميرتون » يمثل البنود أو الوحدات المقننة والمنمطة والمتواترة مثل الأدوار الاجتماعية والأنماط النظامية والعمليات الاجتماعية وتنظيم الجماعة وبنائها والنمط الثقافى والانفعالات والعواطف المنمطة والمنظمة ثقافياً والمعايير الاجتماعية والبناء الاجتماعى وأجهزة الضبط الاجتماعى[٢] . وهنا نلاحظ أن المتطلب الأساسى واسع جداً، ومن ثم فإن الخطوة الأولى والضرورية فى تطبيق التحليل الوظيفى على الاتصال الجمعى تتمثل فى تحديد وتعيين نوع الوحدة المقننة Standerdized Item التى يهتم بها المحلل . وفى سبيل الوصول إلى هذه الوحدات المقننة يمكن عرض عدد من النماذج الواضحة لهذه الوحدة المقننة .

أولا : النموذج الأول :

الاتصال ذاته كعملية اجتماعية ظاهرة منمطة ومتواترة فى عديد من المجتمعات الحديثة . ومن ثم فإنها تناسب التحليل الوظيفى . ويصبح السؤال الملائم عند هذا المستوى التجريدى والواسع — على النحو التالى : — ما هى النتائج — بالنسبة للفرد والجماعات الاجتماعية والأنساق الاجتماعية والثقافية — التى تترتب على شكل أو نمط اتصالى يخاطب جمهوراً كبيراً غفلا وغير متجانس ويعرض نفسه بطريقة عامة وسريعة مستخدماً تنظيماً رسمياً معقداً وباهظ التكالف ؟ إلا أن مثل هذه الصياغة تجعلنا أمام تساؤل ضخم وغير قابل للمعالجة الأمبريقية ، ومن الواضح أنه من المفيد استقاء بيانات ومعلومات مقارنة فى مجتمعات متعددة على درجات متفاوتة من ممارسة الاتصال الجمعى كالمجتمعات النامية أو المتخلفة فى مقابل المجتمعات الصناعية المتقدمة . والفترات السابقة فى مقابل الفترات الحالية من حياة المجتمع نفسه . ولكن من الصعوبة بمكان أن نحلل نتائج مثل

(١) See, R.K. Merton, *Social Theory and Social Structure*, 1957, chap. 1.

(٢) Op. cit. p. 50

هذه الاتصالات غير المتشابهة تحت مثل هذه الظروف، فآثار هذه الاتصالات لا يمكن عزلها أو فصلها عن آثار الفوارق التنظيمية المعقدة . ويبقى بعد ذلك الجهد التأملى والتجربة الذهنية التى يتخيل فيها المحلل آثار وجود الاتصال الجمعى فى المجتمع أو عدم وجوده، لكن هذا الفرض لا يمكن تقويمه إمبريقيا.

إلا أنه ينبغى أن نشير إلى أن الصعوبات لن تتقلص ولن تختزل إذا ما تخلى المحلل عن تحليله للنمط الاتصالى الجمعى المجرد وسار أو اتجه نحو تحليل أبنية اتصالية ملموسة علماً بأنه فى الحالة الثانية قد حدد نطاق المشكلة . ولقد واجه « بول لازارسفلد » و « ميرتون » هذه المشكلة أو هذه الصعوبات بالنظر إلى تحليل الدور الاجتماعى للاتصال الجمعى ووسائله ، حيث قررا أنه من الصعوبة بمكان فحص مشكلة آثار الاتصال الجمعى تجريبياً أو إمبريقيا طالما كانت هناك استحالة فى التجريب والمقارنات ، وحتى إذا سنحت الفرص بمقارنات بين مجتمعات تتمتع بالاتصال الجمعى وأخرى لا تتمتع به فإنها سوف تكون مقارنات فجة وغير ناضجة ولا يمكن الإعتماد عليها فى تحقيق نتائج حاسمة(١) .

وعند هذا المستوى تطور التحليل الوظيفى حديثاً معتمداً — أساساً — على التأمل ويرى أمامه بريقاً ضئيلا من الأمل فى مستقبل يستطيع أن يطور فيه نظرية إمبريقية فى الاتصال الجمعى ويختبرها(٢) .

ثانياً : النموذج الثانى :

وهناك نموذج آخر كبير من نماذج التحليل الوظيفى وإن كان أقل مدى أو مجالا وبخاصة إذا ما قورن بالنموذج الأول ، ويضع هذا النموذج فى اعتباره أسلوباً معيناً من أساليب الاتصال الجمعى كالصحف أو التليفزيون ويتخذ من هذا الأسلوب أو هذه الوسيلة وحدة للتحليل الوظيفى وتعد محاولة مالكوم ويلى

(١) Lazarsfeld and Merton "*Mass Communication, Popular Taste and Organized Social Action*" in L. Bryson (ed) *The Communication of Ideas*, 1948 p. 98.

(٢) C.R. Wright "*Functional Analysis of Mass Communication* in Dexter and White, op-cit p.p. 91 - 108

Wiley خطوة على هذا الطريق ولقد بدأت هذه المحاولة بأن أثار ويلى سؤالا مؤداه ما هى إذن الوظائف التى تؤديها الصحيفة ؟ ما هى الحاجات الاجتماعية والفردية التى قابلتها أو أشبعتها أو مازالت تحققها وتقابلها ؟ وللإجابة عن تساؤله هذا يميز بين ست وظائف وهى الأخبار ، وأعمال المحررين ، والمعلومات العامة ، والترفيه ، والإعلان والأنسكلبيديات [١] .

ومنها أيضاً محاولة برنارد بيرلسون B. Berelson التى بدأها بإثارة سؤال مؤداه ماذا يعنى إفتقاد الصحيفة ؟ [٢] وقد أقام بيرلسون محاولته هذه على أساس تحليل لبيانات جمعها مركز البحوث التطبيقية بجامعة كولومبيا عام ١٩٦٠ ويمكن تلخيص الوظائف التى أدركها الجمهور للصحيفة فيما يلى :

١ ــ تقديم معلومات حول الشئون العامة وتفسيرها .

٢ ــ الصحيفة تمثل أداة للحياة اليومية (إحاطة القارئ علماً بحالة الطقس و برامج الراديو والتليفزيون والإعلانات وغير ذلك) .

٣ ــ وظيفة إرجائية (فترة راحة) فمتابعة بعض القصص الخيالية أو غيرها مما تنشره الصحيفة تساعد على الهروب من أعباء الحياة اليومية .

٤ ــ المركز الاجتماعى : وحيث تلعب الصحيفة دوراً كبيراً فى تحقيقه وصيانته فهى تمكن القارئ من المباهاة بما لديه من معلومات وأخبار .

٥ ــ الاتصال الاجتماعى Social Contact وذلك بخلق وطرح وتقديم موضوعات للمناقشة بين الناس .

٦ ــ الرغبة فى القراءة فى حد ذاتها ، حيث وجد أن هناك عدداً من القراء يقرأون لمجرد الرغبة فى القراءة .

٧ ــ وهناك وظائف أخرى عديدة ــ بالإضافة إلى ما تقدم ــ كشفتها الدراسة . فقد ذكر عدد من المتحدثين أنهم لا يستطيعون النوم قبل قراءة

---

(١) M. Wiley "*The Functions of The Newspaper*" Through, C.R. Wright Ibid.

(٢) B. Brelson "What 'Missing The Newspaper' Means" in W, Schramm (edr) The process and effects of mass communication, op-cit p.p. 36-47.

الصحيفة أو أنهم اعتادوا الذهاب إلى دورة المياه وهى معهم ، بالإضافة إلى التسلية فى السفر وغير ذلك ، ويشير برلسون إلى أن هذه الوظائف تجعل للصحيفة شخصية شبه قهرية .

وتدخل دراسة هارولد مندلسون H. Mendelsohn — أيضاً ضمن هذا النطاق من المحاولات التحليلية الوظيفية ، وحيث نجد هذا الباحث يدرك أهمية الاتجاه الوظيفى فى فهم وتحليل وسائل الاتصال الجمعى . ويقرر مندلسون — ابتداء — أن الحقيقة التى تقول إن الراديو ما زال منافساً خطيراً للتليفزيون توحى بأن لكل منهما وظائف مختلفة ، ويقرر أن هناك بعض الوظائف الواضحة يحققها الراديو للمستمعين ، فمن الواضح أن الراديو يسلى الناس ، ويرفه عنهم ، ويمدهم بالمعلومات بوصفه وسيلة إعلامية كما أنه يقدم إطاراً مناسباً من الضوضاء أو التشويش يسمح للناس بأن ينجزوا أعمالهم ويصرفوا أمورهم بينما هم يتسلون به أو يتلقون — عن طريقه — المعلومات . وعند هذه النقطة يلاحظ الباحث أنه من غير المجدى أن نبحث عما هو معروف بالفعل لأن البحث — بهذه الطريقة — سوف يختزل إلى مجرد عملية إعادة تسجيل ما هو مسجل ومدون بالفعل . والعمل المجدى بالنسبة لهذا الباحث هو محاولة الكشف عن الوظائف غير الواضحة أو غير المعروفة التى يحققها الاستماع إلى الراديو ويعتقد — وهو مصيب — أن هذا هو الاتجاه الصحيح لدراسة وظائف الراديو . فمن الضرورى الكشف عن الوظائف والخصائص والمزايا الكامنة والظاهرة على السواء فى إطار مواقف معينة ، وهذا هو لب التحليل الوظيفى الذى يستخدمه الباحث .

إلا أن التداخل بين الراديو والتليفزيون يقف عقبة أمام الباحث الذى يحاول الكشف عن الخصائص الفريدة التى يتميز بها الراديو عن غيره من وسائل الاتصال الجمعى ، وهنا تبرز حقيقة هامة مؤداها أن فقدان الظهور أو البروز الواضح للراديو بالنسبة لمستمعيه يضطر الباحث إلى الاعتماد على البحث الكيفى المتعمق للكشف عن الاستعمالات السيكولوجية أو الفوائد النفسية التى يجنيها المستمع من الراديو ، وأنواع الإشباعات التى يحققها عن طريق

هذا الاستماع ، علماً بأن أغلب هذه الاستعمالات والإشباعات قد لا يستشعرها المستمع ، ومن ثم فإنه لا يستطيع كشفها حينما يوجه إليه سؤال مؤداه لماذا نستمع إلى الراديو ؟ حيث لا يستطيع إلا أن يقدم الإجابة البسيطة التى تتضمن سماع الأخبار والبرامج المفضلة . ومن الواضح أن هذه الإجابة ليست بكافية لتفسير تفضيل الراديو على غيره من المصادر التى يمكن أن تقدم معلومات أو ترفيهاً أما الإجابة الحقيقية عن هذا السؤال فإنها تتحقق عن طريق القياس المتعمق لحاجات المستمع النفسية ودوافعه وتفضلاته وعاداته .

وفى دراسة لمستمعى الراديو فى مدينة نيويورك عام ١٩٦١ سنحت أمام « مندلسون » فرصة لكشف أبعاد وظائف عديدة تجاوز وظيفتى الإعلام والترفيه اللتين يحققهما الراديو. ومن أهم هذه النتائج التى كشفت عنها هذه الدراسة ما يلى :

١ — يعتبر أغلب المستمعين الذين كانوا موضوعاً للبحث (٧٨٪) أن الراديو يلعب دوراً هاماً فى حياتهم اليومية . هذا الدور الشامل والموحد للراديو إنما هو نوع من الوجود الهام المتعدد الجوانب والمزايا . والذى يستطيع أن يثير وأن يريح ويهدئ ، وهو بمثابة رفيق عزيز وغير طفيلى كما أنه فى الوقت الذى يستطيع فيه أن يعرض الأحداث الكبرى التى تقع فى العالم الخارجى فإنه يستطيع أيضاً أن ينبئ بارتداء ملابس معينة تصلح لحالة الطقس التى يعلن عنها ولقد ذكرت سيدة تقطن إحدى الضواحى . . « إننى أشعر بأن البيت خلو أثناء إغلاق الراديو ، كما أحس أن الحياة مرتبطة بتشغيله . . إننى أحب الاستماع إلى الأخبار من الراديو علماً بأننى قد أكون سمعتها من مصدر آخر أو قادرة على الاستماع إليها من مصادر أخرى . ومع أننى أستمع إلى الموسيقى من جهاز التسجيل إلا أنى لا أستطيع الاستغناء عن الاستماع إلى الموسيقى المنبعثة من الراديو . . إن الراديو مهم جداً وبخاصة إذا كان الإنسان من سكان الضواحى » .

٢ — يحضر الراديو يوم المستمع أو ينظمه ، أو يضعه بين قوسين :

يرتبط الراديو بوظيفة هامة أيضاً وهى أنه يحقق نغمة أو إيقاعاً معيناً للنشاط اليومى . فالإرسال الإذاعى ينساب إلى المستمع فى الصباح ويعده قبل أن يخرج إلى العالم الخارجى بأن يقدم له ما يجرى فى العالم من أحداث بالأمس ، وحال هذا العالم اليوم ، والتهديدات المحتملة لروتينه اليومى ، كما يساهم الإرسال الصباحى مساهمة كبيرة فى تشكيل مزاج المستمع وفى تحديد إطاره العقلى . كما أن إرسال نهاية السهرة يهدئه — سيكولوجياً — ويساعده على الاستغراق فى النوم . ومن ثم فإنه يهيئه لاستقبال يوم جديد بهمة ونشاط .

٣ — وظيفة المرافقة : ولقد تبين أن الراديو يلعب دور الرفيق — بصفة عامة — ويساعد فى خفض التوترات الناتجة عن روتين العمل اليومى من جهة ، والشعور بالعزلة من جهة أخرى .

٤ — الوظائف المزاجية للراديو : يرى مندلسون أن قابلية الراديو للتعديل وفقاً لمزاج المستمع أو إطاره السيكلوجى فى وقت معين من أهم وظائف الراديو ومميزاته . حيث إن وجود محطات إرسال عديدة إنما يعنى — فى نفس الوقت — وجود مجال واسع للاختيار والانتقاء بحيث يصبح من السهل — أمام المستمع — أن يدير المؤشر لكى يستمع إلى ما يوافقه سيكلوجيا ومزاجيا ومن ثم فإن الراديو يتطابق مع الحالة المزاجية للمستمع . كما يمكن أن يؤثر على تغير مزاجه أيضاً .

٥ — الراديو كوسيلة لنقل الأخبار والمعلومات ونشرها .

إذا كانت المناقشة السابقة تشير إلى الترفيه الظاهر Manifest Entertainment الذى يحققه الراديو — كوظيفة — فإن الباحث يناقش جانباً آخر وهو الدور الإعلامى للراديو . حيث لاحظ أن مستمعى الإرسال الإذاعى عادة ما يديرون مؤشرات الراديو للاستماع إلى الأخبار الهامة وحيث يتضح أن الراديو وسيلة هامة تربط المستمع بما يدور حوله من أحداث . كما أن هناك وظائف أخرى مشتركة بين الراديو والصحافة ، وهى تقديم أخبار شخصية تحدد نمط السلوك اليومى كأخبار الطقس والتغيرات المنتظرة فيه .

٦ — الوظيفة الاجتماعية للراديو Social Lubricating Function أو وظيفة

التسهيل الاجتماعى . وكما يتيح الراديو الفرصة أمام المستمع فى أن يشارك — سيكلوجيًا — فى أحداث اليوم وأخباره فإنه يسمح له أيضاً بأن يشترك مع الآخرين فى تشكيلة منوعة من الأحداث ذات المغزى والاهتمام المشتركين، وحيث يستخدم المستمع الراديو لتحقيق نوع من الاقتراب أو الارتباط بينه وبين وغيره من المستمعين لمجرد اشتراكه فى الاستماع إلى الأخبار نفسها والبرامج ذاتها بالإضافة إلى ما يتبع ذلك من أنه قد يناقش الآخرين فيما سمعه من أخبار أو فيما تابعه من برامج إذاعية، ومن هنا نلاحظ أن الراديو قد يخلق مجال اهتمام مشترك ، ومن ثم فإنه قد يدعم التفاعل الاجتماعى بموضوعات جديدة .

ويمكن أن نلخص أهم الوظائف التى خرج بها مندلسون من خلال تحليله فيما يلى :

١ — الوظيفة الإعلامية .

٢ — الوظيفة المزاجية .

٣ — وظيفة الاسترخاء والتحرر النفسى .

٤ — وظيفة الرفقة والصداقة .

٥ — وظيفة التفاعل الاجتماعى (١) .

وتمثل المناقشة التى تثيرها دراسة مندلسون هذه أهمية خاصة لأنها تعرض صعوبة التمييز بين الإعلام والتعليم من جهة . وبين الثقافة الجمعية Mass Culture والترفيه Entertainment من جهة أخرى وذلك عند الحديث عن وظائف الاتصال الجمعى أو دوره .

ومن المساهمات الأخرى التى قدمها مندلسون تدعيمه للفكرة التى مؤداها أن وسائل الاتصال الجمعى قد تشخصن Personalized فالمستمع قد ينظر إلى الراديو كرفيق ومن ثم فهو يضفى عليه صفة الشخص بحيث إن هذه الصفة قد تسم الراديو أكثر مما تسم غيره من وسائل الاتصال الجمعى .

---

(١) Harold Mendelsohn, "*Listening to Radio*" in Dexter & White (edrs) op.cit p.p. 239-248

إلا أن ما يميز التحليل الوظيفى لمندلسون تمييزاً أساسياً هو اعتماده فى هذا التحليل على الاختبارات الأمبريقية لكيفية تشخصن عدد من محظات إذاعة مدينة نيويورك بواسطة المستمعين .

ومن الممكن أن ينضوى وارن بريد Waren Breed أيضاً تحت لواء هذا الاتجاه الذى يركز على التحليل الوظيفى لوسيلة اتصالية بعينها [1] . وإن كان تحليل بريد يختلف جزئياً من حيث إن محاولته التحليلية الوظيفية قد جرت حول تحليل الاتصال والوظائف التى يؤديها فى مجال التكامل الإجتماعى والثقافى فى إطار اجتماعى محدود أو فى نطاق مجتمع محلى . ولقد بدأ « بريد » تحليله بإثارة لسؤال مؤداه ما هى الوظائف التى تلعبها وسيلة الاتصال فى البناء الاجتماعى الثقافى ؟

وحينما يتعرض « وارن بريد » للجانب الإجتماعى فإنه يلاحظ أن القوة Power او السلطة ، والطبقة Class — كطبقات بنائية — تجد الحماية من قبل وسائل الإتصال الجمعى وإنجازاتها ، فرجال الأعمال والأطباء ، والقضاة (فى الولات المتحدة الأمريكية) لا يزالون متمتعين بمكانة طبقية مرتفعة ، وهم ينتمون إلى جماعات تتمتع فى بعض الأحيان بقوة استخدام وسائل غير ديمقراطية للوصول إلى أهدافها ، وهذه النتيجة لا تثير الدهشة .

إلا أن القوة والطبقة ليستا بالإجابة الكافية والكلية للسؤال الذى أثير سلفاً . فمن الواضح أن الأنماط الثقافية — أيضاً — تلقى نوعاً من الحماية عن طريق وسائل الاتصال الجمعى ، فقيم الرأسمالية والوطن والصحة والعدالة والأمة والمجتمع المحلى كلها أيضاً بمثابة « قلوب مقدسة » على حد قول الباحث أو مقدسات لاينبغى التصدى أو التعرض لها ، ومن ثم فإن وسائل الاتصال الجمعى فى المجتمعات الرجعية أو المحافظة تميل إلى صيانة الأنماط القائمة لمصلحة فئة أو طبقة معينة بحيث يكون اصطلاح

(١) Warren Breed "*Mass Communication and Sociocultural Integration*" in Dexter & White, op.cit pp. 183-199.

مناطق الاتصالات المغلقة Areas of Blocked Communication اصطلاحاً قابلا للتطبيق على مثل هذه الظاهرة ، كما يصدق أيضاً تطبيق اصطلاح الحالة النظامية، أو الأنماط النظامية Institutionalized Patterns الذى قدمه « روبرت ميرتون »[١] .

وقد وجد الباحث — عند مستوى المجتمع المحلى — أن وسائل الاتصال الجمعى لاتحمى — فقط — جماعات ضاغطة ذات طبيعة خاصة ، ولكنها — أيضاً — تحمى المجتمع المحلى نفسه من جماعات معينة ذات أهداف تمزيقية أو تصديعية . ومن ثم فإن وسائل الاتصال الجمعى تميل إلى صيانة أهداف المجتمع المحلى وغايات اللانهائية — باعتباره مجتمعاً محلياً — والتى تفوق وتسمو على الأهداف والغايات الخاصة بالجماعات المكونة له ، وتقوم وسائل الاتصال الجمعى بهذه المهمة — أعنى حماية أهداف المجتمع المحلى وغاياته — باعتبارها أهدافاً وغايات تحقق وحدة المجتمع وذاتيته ، هذا مع العلم بأن الاتصال الجمعى ليس هو الميكانزم الوحيد الذى يحقق الاتفاق والتكامل والإجماع .

وترجع أهمية التحليل الوظيفى « لوارن بريد » إلى اعتماده — فى هذا التحليل — على الدراسة الميدانية للاتصالات الجمعية فى مدينة أمريكية وسطى من ناحية ، وإلى إبرازه لوظيفة التكامل الاجتماعى والثقافى التى تؤديها الإتصالات الجمعية بجانب وظيفة الترفيه والإعلام وغيرهما .

وأحيانا ما يركز المحلل الوظيفى على العلاقات المتبادلة بين وسائل الاتصال المختلفة بوصفها مؤثرة على الإتصال الكلى كنسق ، وتعد دراسة جانوفيتز Janowitz نموذجا لمثل هذه الدراسات . وقد ركز جانوفيتز دراسته حول دور الصحافة المحلية فى المجتمع المحلى حيث وجد — بين ما وجد — أن الصحيفة الأسبوعية للمجتمع المحلى لايمكن أن تزاوج ببساطة بين الخدمات

(١) R.K. Merton, *Social Theory and Social Structure*, op.cit pp. 343-365 and See also, T. Parsons & E. Shils, *Toward a general Theory of Action*, 1951 pp. 174-175.

التي تقدمها الصحيفة اليومية فى العاصمة ، ولكنها تلعب دوراً متميزاً تماماً مثل تقديم المعلومات والأخبار المتعلقة بالسكان المحليين والقضايا المحلية وتنظيمات الجيران [١] .

وبالنظر إلى وسائل الاتصال الجمعى المختلفة قد نجد أمامنا سؤالا ماثلا مؤداه : ما هى الوظائف الإيجابية والسلبية للتغطية المتعددة للأخبار عن طريق التليفزيون والراديو والصحف ؟ وهنا تسنح الفرصة لاختبار الوظائف المفترضة عند هذا المستوى حينما تسمح الظروف بوجود مجتمع يفتقد إحدى هذه الوسائل (مجتمع دون تليفزيون على سبيل المثال) أو حينما تضطرب العملية العادية لوسيلة من وسائل الاتصال الجمعى (فى حالة الإضراب مثلا) .

ثالثاً : النموذج الثالث : .

وهناك نموذج ثالث كبير من نماذج التحليل الوظيفى مركز على التحليل النظامى أو البنائى لأى وسيلة من وسائل الإتصال — بمعنى مبسط يركز على تحليل مؤسسات الاتصال ذاتها وأقسامها المختلفة والعمليات التى يجرى — من خلالها — إعداد وسيلة اتصالية معينة كالمؤسسات الصحفية ، والإذاعية والتليفزيونية ، ويلاحظ أن عملية الحصول على البيانات الإستيفاء التحليل الوظيفى الذى يتم وفقاً لهذا النموذج عملية سهلة يترتب عليها أيضا سهولة الاختبار الأمبريقى للفروض عن طريق دراسة الحالة والتحليل المقارن بالتنظيمات الأخرى الخاصة بوسائل اتصال أخرى .

رابعاً : النموذج الرابع :

وأخيراً نجدنا أمام نموذج رابع من نماذج التحليل الوظيفى — يعتقد « تشارلز رايت » Charles R. Wright أنه يمثل أملا كبيراً أمام نمو وتطور نظرية وظيفية فى الاتصال الجمعى تعالج السؤال الذى يثار حول النتائج

(١) M. Janowitz, *The Community Press in an urban Setting*, 1952.

المترتبة على معالجة أوجه النشاط الاتصالية الأساسية بواسطة الاتصال الجمعى وما هو المقصود بأوجه النشاط الاتصالية ؟

يحـــدد لازويل Lasswell ثلاثة مناشط كبرى بالنسبة للمتخصصين فى الاتصال أو القائمين عليه على النحولى التالى[١] :

١ ــ مراقبة البيئة ، أو معاينتها ، أو تغطيتها :

٢ ــ الترابط بين أجزاء المجتمع فى الاستجابة للبيئة .

٣ ــ نقل التراث الاجتماعى من جيل إلى آخر .

وبالتعديل الطفيف لهذه الوظائف الثلاث وبإضافة وظيفة رابعة وهى الترفيه يعتقد « رايت » أنه يحتمق تصنيفاً للمناشط الاتصالية الكبرى ذات الدلالة هنا ، فمراقبة البيئة أو تغطيتها Surveillance تشير إلى جمع وتوزيع المعلومات والأخبار المتعلقة بأحداث فى البيئة سواء خارج المجتمع ــ أى مجتمع ــ أو داخله، ومن ثم فإن هذه الوظيفة هى التى تعنى فى الإدراك العام معالجة الأخبار وتناولها .

أما فعل الارتباط أو الترابط فإنه يعنى تفسير المعلومات والأخبار الخاصة بالبيئة وتوصيف السلوك الذى يحدث كرد فعل لهذه الأحداث ، ويعرف هذا العمل أو هذه الوظيفة ــ على المستوى العام ــ بأعمال المحررين Editorial

وتضم وظيفة نقل التراث الاجتماعى من جيل إلى جيل ، أوجه النشاط المخططة للاتصال بما فى جعبة جماعة ما من المعايير الاجتماعية والمعلومات والقيم وما شابه ذلك من جيل إلى جيل ، أو من جماعة إلى أخرى ، أو من أعضاء قدامى ــ فى جماعة ــ إلى أعضاء جدد ، ويعرف هذا النشاط ــ عامة ــ بوصفه نشاطاً تعليمياً .

ويأتى ــ أخيراً ــ الترفيه الذى يشير إلى الاتصال الذى يستهدف

---

(١) See, Lasswell "*The Structure and Function of Communication in Socisely*" in Bryson (ed.), *The Communication of Ideas*, op. cit.

ـ أولا وقبل أى شىء ـ تسلية الناس بصرف النظر عن أى تأثيرات أخرى يمارسها .

وقبل الاستمرار فى المناقشة لابد من الإشارة إلى أن كل نشاط من هذه المناشط الأربع أو كل وظيفة منها قد ربطت بالاتصال الجمعى إلا أنه من الملاحظ أن كلا من هذه المناشط قد يقدم أو يؤدى على أساس غير جمعى ، وهو ما يحدث أحيانا فى كل مجتمع ، ولكن أينما وجدت الاتصالات الجمعية فإنها تحل محل أى اتصال غير جمعى فى أداء هذه الوظائف أو المناشط وتقديمها .

وهنا يثار سؤال بسيط مؤداه : ما هى نتائج إنجاز مثل هذه الوظائف أو المناشط عن طريق الاتصال الجمعى إذا قورنت بنتائج إنجازها عن طريق الاتصال الشخصى ؟ ويمكن تحليل هذا السؤال إلى عدة أسئلة فرعية على النحو التالى :

١ ـ ماهى نتائج معالجة أمور البيئة وأحداثها وأخبارها عن طريق الاتصال الجمعى الذى يوصل هذه المعالجة ـ دون تمييز وبطريقة جماهيرية عامة ـ إلى جمهور كبير غفل وغير متجانس ؟

٢ ـ ما هى نتائج الوصف والتفسير والنقل الثقافى والترفيه الذى يقدم بأسلوب جمعى .

وانطلاقاً من هذه الأسئلة يحاول تشارلز رايت أن يبنى مقياساً أو دليلا وظيفياً للاتصال الجمعى ، وهو يقيم هذا الدليل معتمداً على عدة مفاهيم وظيفية هامة استعارها من النظريين السيولوجيين مثل بارسونز Parsons وميرتون Merton وغيرهما ، ومن أهم هذه المفاهيم التى استعان بها رايت ـ هنا ـ الوظيفة الظاهرة Manifest Function فى مقابل الوظيفة الكامنة Latent Function بحيث تعنى الأولى النشاط المقصود أو النتائج المقصودة بينما تعنى الثانية النشاط غير المقصود أو النتائج غير المقصودة . ومن هذه

المفاهيم أيضا الوظيفة Function فى مقابل الضرر الوظيفى أو التعطل الوظفى أو اللاوظيفية Dysfunction وتعنى الوظيفة النتائج ذات القيمة الإيجابية والمرغوبة بالنسبة للنسق الاجتماعى ؛ وأى فعل مفرد قد يتضمن آثاراً وظيفية ، ولا وظيفية — فإذا أعدت حملة للصحة العامة — على سبيل المثال — فإنها قد تحدث آثارا لا وظيفية تتمثل فى رعب وخوف بالنسبة لبعض الناس الذين يفشلون فى إعطاء تقرير عن حالتهم فى الفحص الطبى . وتأسيسا على تمييز ميرتون بين النتائج Consequences والدوافع Motives بالنسبة لكل نشاط[١] يبنى تشارلر رايت سؤالا كاملا وتاما يعمل على قيادة وتوجيه الدليل أو المقياس الوظيفى الذى يسعى إلى بنائه ويضع هذا السؤال على النحو التالى[٢] :

ما هى الوظائف واللاوظائف الظاهرة والكامنة لمراقبة البيئة وتغطية أخبارها ، والارتباط أو المناشط التحريرية ، والنقل الثقافى ، والترفيه ، الموصلة جمعيًا بالنسبة للمجتمع ، الجماعات الفرعية ، والفرد ، والأنساق الثقافية ؟

What are the 1 — Manifest and 2 — Latent 3 — Functions and 4 — Dysfunctions of Mass Communicated.

5. — Surveillance (News)

6. — Correlation (editorial activities)

7. — Cultural Transmission.

8. — Entertainment.

For the

9 — Society

10 — Subgroups

(١) See, Merton, *op-cit.*

(٢) See ,C. Wright, *op.cit.*

11 — Individual

12 — Cultural systems.

ويمكن تحويل هذه العناصر الإثنى عشر الموجودة فى صيغة السؤال إلى فئات فى صحيفة مقياس تنتظم كثيراً من الآثار المفترضة والأمبريقية للاتصال الجمعى وقد حول تشارلز رايت هذه العناصر — فعلا إلى شكل عام وقبل أن نعرض لهذا الشكل يجدر بنا أن نناقش معه بعض الوظائف طالما أنه من غير الممكن عقد مناقشة كاملة لمحتوى المقياس الدليلى ونحن نستهدف من هذه المناقشة إيضاح ما يذهب إليه بتحليله لبعض الوظائف واللاوظائف الخاصة بمراقبة البيئة أو تغطيتها أو الوظيفة الإخبارية للاتصال الجمعى .

إن وجود مجرى إخبارى مستمر يضع فى متناول اليد وأمام العين ما يجرى من أحداث داخل مجتمع محدود أو على النطاق العالمى يرتبط — على الأقل — بوظيفتين أو منتجين إيجابيين ، أولهما أن مثل مجرى المعلومات و الأخبار هذا سوف يقدم — غالباً تحذيرات أو إنذارات سريعة warnings بخصوص التهديدات والأخطار التى تهدد المجتمع أو العالم كخطر الحروب أو المجاعات أو غيرها وهنا قد تظهر وظائف إضافية كتدعيم مشاعر المساواة داخل المجتمع حيث تكون الفرصة متاحة أمام كل فرد لإيجاد منفذ من هذا الخطر أو هذه الأخطار ، كما أن مجرى المعلومات والأخبار المتعلقة بالبيئة إنما هو وسيلة آلية Instrumental لتحقيق الحاجات النظامية اليومية للمجتمع كنشاط السوق والملاحة والمواصلات الجوية وغير ذلك .

١ — أما بالنسبة للفرد والوظائف التى يجتنيها من الوظيفة الإخبارية للاتصال الجمعى أو وظيفة تغطية البيئة فإن تحقيق الرفاهية الشخصية مرتبط بتحقيق الرفاهية الاجتماعية وهنا تصبح الوظائف التحذيرية والآلية للأخبار عاملة فى خدمة الفرد أيضاً ، و بالإضافة إلى ذلك فإن الفرد قد يجنى عدداً من أشكال المنفعة الشخصية الأخرى كأخبار برامج الإذاعة المحلية ، وأخبار

الأفلام والأوكازيونات والوفيات وآخر المودات . وهنا ندرك أن افتقاد الصحيفة اليومية بمثابة افتقاد لأداة تعين الأفراد فى حياتهم اليومية ، وذلك بالإضافة إلى المركز الاجتماعى الذى تضفيه الصحيفة على قارئها من جماعته الخاصة ، فهى تقدم له المعلومات التى يستطيع أن يناقش فيها جماعته، حتى إنه قد يتخذ مكانة قائد الرأى أو حارس البوابة .

ومن ناحية أخرى فان الأنباء أو الأخبار قد تكون لا وظيفية بمعنى أنه قد تكون لها مضارها سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع أو الثقافة — على النحو التالى :

١ — الأخبار غير المراقبة حول التهديدات الخطيرة التى تحيط بالعالم قد تهدد البناء الاجتماعى ، فالأنباءالتى تتصل بالإيديولوجيات والحالة الاجتماعية والاقتصادية فى مجتمعات أخرى قد تؤدى إلى أن يقارن الناس بين أوضاع هذه المجتمعات والأوضاع التى يعيشونها ، مما قد يؤدى إلى توترات تختلف فى شدتها ومداها ونتائجها .

٢ — قد تؤدى التحذيرات غير المفسرة إلى إشاعة الرعب والفزع .

وتحدث اللا وظيفة أيضاً على المستوى الفردى على النحو التالى :

١ — قد تؤدى الأخبار المتعلقة بالأخطار التى تهدد البيئة أو المجتمع إلى رفع حدة القلق بين الجمهور — علماً بأنها ذات وظيفة تحذيرية .

٢ — قد تؤدى التغطية الإخبارية الضخمة إلى الخصوصية Privatization فحينما يصبح الشخص مثقلا بالبيانات التى توصل إلى مجال اهتمامه فإنه قد يستجيب لهذه البيانات والمعلومات بالتحول إلى أمور فى حياته الخاصة يملك — إزاءها — الضبط والمراقبة أو يستطيع أن يتحكم فيها .

٣ — قد يؤدى الاقتراب من مصادر الأخبار الجمعية إلى نوع من الخمول والبلادة Apathy ، فالشخص قد يتعود على استقبال الأخبار فقط

دون أى إيجابية فى البحث عنها، ولقد وصف « ميرتون » «ولازارسفلد» هذه اللاوظيفة بالتخدير أو التنويم Narcotization [١]

ويحلل « تشارلز رايت » [٢] أيضاً وظيفة الأخبار المنقولة عن طريق الاتصال الجمعى ولا وظيفتها ، بالنسبة للجماعات الفرعية الأصغر داخل المجتمع فيرى أن مثل هذه المناشط الإخبارية تؤدى وظيفة للصفوة السياسية وبخاصة إذا كانت هذه القنوات الإخبارية تقدم معلومات مفيدة من حيث صيانة وتأكيد القوة أو السلطة بواسطة هذه الجماعة ، كما أن انتشار الأخبار حول الأحداث التى تقع يعطى هذه الأحداث صفة العمومية أو الشيوع وبالتالى فإنه يسهل كشف السلوك المنحرف أو التخريبى ويتيح الفرصة لتدخل أجهزة الضبط والمراقبة Manitor والاهتمام الذى توجهه الأخبار أو الأنباء الجمعية للشخصيات السياسية وسلوكها يستطيع أن يدعم مركز هذه الشخصيات فى بناء القوة ، ومن زاوية أخرى قد تحدث الأخبار المنقولة — جميعاً — مضاراً وظيفة لمثل تلك الجماعات السياسية وذلك بطرق مختلفة فالأخبار التى تصل إلى الجماهير الجمعية قد تهدد الصفوة السياسية صاحبة القوة والسلطة وذلك ما يحدث عند ما تأتى أخبار الهزائم العسكرية التى منيت الجماهير بانتصارات فيها ، وعادة ما تأتى هذه الأنباء عن طريق الدعاية المضادة .

وأخيراً فإن الباحث يستطيع أن يلتقط وقع الأنباء — المنقولة جميعاً — على الثقافة نفسها ، فنجد من الجانب الوظيفى أن هذه الأنباء تثرى ثقافة المجتمع وتنوعها بالمعلومات الجديدة والمتنوعة فمن المعروف أن قدرة الثقافة على التكيف والنمو إنما هى وليدة للاتصالات الثقافية ، أمامن حيث الجانب اللاوظيفى فإن الأنباء غير المراقبة والواردة من مجتمعات أخرى قد تقود إلى غزو ثقافى وبالتالى إلى إضعاف ثقافة المجتمع نفسه ، والآن نعرض بالتفصيل للدليل الوظيفى الذى طوره « تشارلز رايت » لتحليل الاتصالات الجمعية

---

(١) See, Lazarsfeld and Merton, *op.cit.*

(٢) See, Charles Wright, *op.cit.*

وهو مقسم إلى أربع وظائف كبرى وهى تغطية أخبار البيئة والربط أو أعمال المحررين. والنقل الثقافى والترفيه وهذه الوظائف الأربع الكبرى تتضمن وظائف فرعية كما تتضمن مضار وظيفية ، وهى موجهة نحو أربع جبهات المجتمع ، والفرد، والجماعات الفرعية ، والثقافة .

أولا : النشاط الاتصالى الجمعى – تغطية أخبار البيئة :

١١ – بالنسبة للمجتمع : الوظائف الظاهرة والكامنة :

(١) التحذير والإنذار . (١) المخاطر الطبيعية .

(٢) الحروب .

(٢) الآلية ، أهمية الأخبار بالنسبة للاقتصاد (السوق مثلا)

(٣) التأمل الأخلاقى للأشياء .

٢١ – بالنسبة للمجتمع : اللاوظائف أو المضار الوظيفية الظاهرة والكامنة :

(١) تهديد الاستقرار بنقل أخبار مجتمعات أفضل .

(٢) نشر الرعب والفزع .

ب ١ – بالنسبه للفرد : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ – التحذير .

٢ – الآلية أو النفع فى الحياة اليومية

٣ – تحقيق المركز الاجتماعى وقيادة الرأى .

٤ – إضفاء مكانة اجتماعية معينة .

ب ٢ – بالنسبة للفرد : اللاوظيفة على المستوى الظاهر والكامن :

١ – القلق .

٢ – التبلد والخمول .

٣ – الفردية أو الخصوصية .

٤ – التنويم والتخدير .

ح ١ – بالنسبة للجماعات الفرعية (الصفوة السياسية على سبيل المثال) : الوظائف الظاهرة والكامنة :

(١) آلية وتتعلق بالمعلومات المفيدة بالنسبة للقوة أو السلطة .

(٢) اكتشاف السلوك المنحرف والتخريبي

(٣) توجيه وضبط الرأى العام : (١) التحذير والنصح .
(٢) المراقبة والضبط .

٤ ــ مناصرة السلطة وتدعيمها : إضفاء مكانة اجتماعية .

حـ ٢ ــ بالنسبة للجماعات الفرعية : اللا وظيفة على المستوى الظاهر والكامن :
(١) تهديد السلطة (١) أخبار الواقع .
(٢) دعاية الأعداء .

د ١ ــ بالنسبة للثقافة : الوظائف الظاهرة والكامنة :
١ ــ المساعدة على الاتصال الثقافى .
٢ ــ المساعدة على النمو الثقافى .

د ٢ ــ بالنسبة للثقافة : اللا وظائف الظاهرة والكامنة :
١ ــ السماح بالغزو الثقافى .
٢ ــ اضمحلال الثقافة الأصلية .

ثانياً ــ النشاط الاتصالى الجمعى : الربط (أعمال المحررين)

ا ١ ــ بالنسبة للمجتمع : الوظائف الظاهرة والكامنة :
١ ــ المساعدة على الحركة والتغير .
٢ ــ منع المخاطر التى تهدد الاستقرار الاجتماعى
٣ ــ منع انتشار الذعر والفزع .

ا ٢ ــ بالنسبة للمجتمع : اللا وظائف الظاهرة والكامنة :
١ ــ زيادة التشابه والتماثل الاجتماعى .
٢ ــ إعاقة التغير الاجتماعى إذا كان هناك تجنب للنقد .

ب ١ — بالنسبة للفرد : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ — رفع الكفاية والقدرة : تمثل الأخبار الجديدة .

٢ — الحد من الإثارة الزائدة عن الحد .

٣ — منع التبلد .

٤ — الحد من الذاتية والخصوصية .

ب ٢ — بالنسبة للفرد : اللا وظائف الظاهرة والكامنة :

١ — اضعاف الإمكانات الانتقادية.

٢ — تشجيع السلبية .

حـ ١ — بالنسبة للجماعات الفرعية (الصفوة السياسية) :

الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ — المساعدة على الاحتفاظ بالسلطة .

حـ ٢ — بالنسبة للجماعات الفرعية : اللا وظائف الظاهرة والكامنة :

١ — تركز السلطة فى يد الصفوة وتدعيمها .

د ١ — بالنسبة للثقافة : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ — إعاقة الغزو الثقافى .

٢ — حفظ الاتفاق والاجماع الثقافى وصيانته .

د ٢ — بالنسبة للثقافة : اللا وظائف الظاهرة والكامنة :

١ — إعاقة النمو الثقافى .

٢ — إعاقة التنوع الثقافى .

ثالثاً — النشاط الاتصالى الجمعى : النقل الثقافى :

ا ١ — بالنسبة للمجتمع : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ — زيادة التماسك الاجتماعى : توسيع أساس المعايير والخبرات المشتركة.

٢ — اختزال وتقليل فوضى القيم والمعايير أو الأنوميا الاجتماعية وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية المستمرة .

ا٢ ــ بالنسبة للمجتمع :. اللاوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ زيادة حدة المجتمع الجمعى Mass Socity .

ب١ ــ بالنسبة للفرد : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ المساعدة على التكامل وذلك بالتعرض المستمر للمعايير المشتركة .

٢ ــ خفض الشذوذ الفردى واختزاله :

٣ ــ اختزال الأنوميا الاجتماعية.

ب٢ ــ بالنسبة للفرد : اللاوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ اللاتفرد فى التنشئة الاجتماعية وحيث إن البث الجمعى لا يراعى الفروق الفردية .

ح١ ــ بالنسبة للجماعات الفرعية « الصفوة السياسية » : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ توسيع نطاق السلطة والقوة .

د١ ــ بالنسبة للثقافة : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ تقنين المعايير .

٢ ــ حفظ الاتفاق والاتساق الثقافى .

د٢ ــ بالنسبة للثقافة : اللاوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ إذابة الاختلافات والفوارق بين الثقافات الفرعية .

رابعاً ــ النشاط الاتصالى الجمعى : الترفيه

ا١ ــ بالنسبة للمجتمع : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ مهلة للجماهير وراحة .

ا٢ ــ بالنسبة للمجتمع : اللاوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ شغل الجماهير وإلهاؤها بعيداً عن العمل الاجتماعى والسياسى .

ب١ ــ بالنسبة للفرد : الوظائف الظاهرة والكامنة :

١ ــ مهلة للفرد وراحة .

ب[٢] — بالنسبة للفرد : اللاوظائف الظاهرة والكامنة .

١ — زيادة السلبية .

٢ — تدهور الأذواق .

٣ — تحقيق الهروب من المشاركة الاجتماعية .

جـ[١] — بالنسبة للجماعات الفرعية (الصفوة السياسية) : الوظائف الظاهرة والكامنة .

. . . . . .

حـ[٢] — اللاوظائف الظاهرة والكامنة .

. . . . . .

د[١] — بالنسبة للثقافة : الوظائف الظاهرة والكامنة :

د[٢] — بالنسبة للثقافة : اللاوظائف الظاهرة والكامنة :

١ — إضعاف قيم الجمال ونشر ثقافة العامة .

وتعد محاولة تشارلز رايت للتحليل الوظيفى للاتصال الجمعى محاولة جادة وجديدة فى هذا المجال ، فقد أقدم عليها وهو مسلح بمحكات بناء النظرية العلمية من ناحية وبالنظرية الاجتماعية من ناحية أخرى وبخاصة أعمال بارسونز وشلز وميرتون وغيرهم ؛ أما من حيث تسلحه بمحكات النظرية العلمية فنجده يحاول إقامة نسق استنباطى تؤدى فيه المقدمات إلى النتائج ، ثم إن نظريته تمكن من التنبؤ أيضاً ، وكما وضح ذلك آنفاً[١] ، ومن حيث تسلحه بالمحاولات النظرية الاجتماعية نجده يحاول تطبيق مفاهيم أساسية فى النظرية السسيولوجية المعاصرة ؛ كالوظيفة واللاوظيفة أو العطـــل الوظيفى والوظيفة الظاهرة والوظيفة الكامنة[٢] .

إلا أن « تشارلز رايت — فى مناقشته لإطاره النظرى — قد فصل الوظائف الأربع الرئيسية التى يراها للاتصال الجمعى فصلا تعسفياً قد لا يكون موجوداً فى الواقع ، فقد تؤدى أى وسيلة اتصالية جمعية أى وظيفة من هذه الوظائف

---

(١) Herbert Hochberg, "*Axiomatic Systems, Formalization and Scientific Theory*" in L. Gross (edr.). *Symopsium on Sociological Theory*, 1959 pp. 407-436 and L. Gross, Ibid pp. 531 - 566,

(٢) See, Merton, *Social Theory and Social Structure*, op.cit.

أو قد تتحقق وظيفة نتيجة لإشباع وظيفة أخرى ، أو قد تحقق وسيلة واحدة من وسائل الاتصال الجمعى عدداً من هذه الوظائف . ومن خلال هذا الإطار النظرى يمكن استخلاص أن الكثير من وظائف نشاط اتصالى جمعى واحد يمكن تفسيرها بوصفها ميكانزما جتماعيًّا لتقليل أو تخفيف أو إزالة التعطل الوظيفى أو اللاوظيفية عن طريق نشاط اتصالى جمعى آخر ، وذلك بقصد حماية النسق من الانهيار ونضرب مثلا على ذلك بأن تقديم حجم كبير ووافر من المعلومات الإخبارية الخام قد يشكل لا وظيفية بالنسبة للفرد، فهو قد يثير فيه القلق والمخاوف والسلبية وما إلى ذلك إلا نشاطاً اتصاليًّا جمعيًّا آخر كالترفيه أوأعمال المحررين قد يزيل هذه اللاوظيفية أو يخفف من حدتها على الأقل .

الفصل الثالث

الأبعاد الاجتماعية والنفسية للاتصال الجمعي

أهداف هذا الفصل

سوف نناقش فى هذا الفصل المتغيرات النفسية والاجتماعية التى لايمكن إغفالها ونحن بصدد الحديث عن الاتصال الجمعى : كالدافعية والإدراك والانتقاء والجماعة المرجعية والبناء الاجتماعى .

وترجع أهمية هذه المتغيرات إلى أنها تشكل إلى حد كبير الموقف الذى تحدث عملية الاتصال فى نطاقه ، وتمارس تأثيرها من خلاله .

أولا — الأبعاد الاجتماعية للاتصال الجمعى

حينما نتعرض للأبعاد السسيولوجية للاتصال الجمعى لا يمكن أن نغفل لب هذه الأبعاد ، ونعنى بها هنا وقع الاتصال الجمعى على الناس وعلاقاتهم الاجتماعية من حيث كونهم يلعبون أدواراً اجتماعية معينة ويحتلون — بالتالى — مكانات اجتماعية معينة أيضاً .

نستطيع أن نقرر ابتداء — ومع غالبية الباحثين — أن المجتمع الإنسانى لا يستطيع الحياة دون اتصال ، كما أن الاتصال لا يمكن أن يحدث إلا داخل ومن خلال نسق اجتماعى ، ولقد عبر تشارلز هورتون كولى[١] — ضمناً — عن ذلك حينما قدم مفهوم الاتفاق أو الإجماع Cosnensus ، وحيث قرر جورج هربرت ميد G. . Mead « أن عملية الاتصال لا يمكن أن تقوم وأن تحدث فى حد ذاتها ولكنها تحدث كافتراض مبدئى للعملية الاجتماعية Social Process وفى مقابل ذلك تعد العملية الاجتماعية افتراضاً مبدئياً للاتصال الممكن »[٢] .

وقد كانت وجهة نظر كولى المتضمنة فى صياغته انعكاساً للاهتمام السسيولوجى الأمريكى بموضوع التثقف أو التشرب الثقافى acculturation للجماعات المختلفة والعديدة المهاجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية . ومن هنا فإنه كان من مهام التعليم والاتصال إذابة هذه الجماعات فى النسق القيمى الكلى المشترك والسائد ، هذا علماً بأن علم الاجتماع المبكر قد وجه اهتماماً كبيراً للاتصال الشخصى الأولى باعتباره وسيلة لعملية الربط والإذابة هذه ، ثم أتى أتباع هذا العلم ليوجهوا نفس الاهتمام إلى الاتصالات الجمعية بوصفها عملية تيسر هذا الذوبان والإندماج الثقافى وتسهله . فللاتصال الجمعى — إذن — وظيفة هامة يلعبها فى مجال التكامل أو التشابه الثقافى على المستوى الاجتماعى العام حيث اهتم السسيولوجيون بالقوة الرابطة للاتصالات الجمعية ومسئولياتها الاجتماعية ومن ثم

---

(١) See, C.H. Cooly, *op.cit.*

(٢) G.H. Mead, *Self and Society*, 1934 p. 290.

فإن اهتمام هؤلاء الباحثين قد وجه أيضا لفحص الدور الصحيح أو السليم الذى يمكن أن تلعبه الاتصالات الجمعية. وإذا رجعنا إلى التراث السسيولوجى لوجدنا مثل هذا الاهتمام وحيث يذكر بارنز Barnes فى مقدمته عن تاريخ علم الاجتماع أنه « لمن الضرورى أن يكون لدينا فكرة عن الأمة أو الدولة إذا كان علينا أن نحصل على مثير صادق وعلى مستوى عريض للانفعالات والفعل التعاونى، فالمواطن العادى ليس لديه أى منهج أو أسلوب نسقى لبناء فكرته عن الأمة أو الدولة ، وأن كل ما يملك ما هو إلا النتاج المكتسب غير الدقيق واللاشعورى من خلال الخبرة اليومية ، ويرجع الكثير من ذلك إلى الدعاية المقصودة ذات الاهتمامات الخاصة، ومن ثم فإن المواطن العادى قد يكون بلا هدف أو اهتمام أو تفكير وحيث إن رجال الصحافة يميلون إلى صياغة الأخبار والتعليق عليها وفقا لمصالح معينة »[١] .

وعلى طول هذا الخط يجب أن يكون واضحاً فى الذهن أن المفاهيم السسيولوجية المحملة بالقيم السلبية بالنسبة للمجتمع الجاذب قد استقطبها النظريون السسيولوجيون من أمثال سيمل Simmel وأورتيجى Ortegay وكاسيت Casset ولوبون ، ولقد افترض لوبون — وهو المتأثر بأعمال جابرييل تارد عن المحاكاة — افترض اصطلاحات انفعالية جداً حول الفكرة التى تقول بأنه من خلال فرض الرقابة على وسائل الاتصال الجمعى يستطيع القادة الموجون أن يحولوا أمة إلى حشد من الغوغاء لا يستطيع ممارسة السلوك العقلى والمنطقى .

هذا ونجد أن هؤلاء النظريين قد أدركوا — بالحدس النظرى — أن الاتصالات الجمعية تؤثر فى قيم أولئك الذين يتعرضون لها واتجاهاتهم من ناحية كما أنها تتأثر بقيم الناس واتجاهاتهم من ناحية أخرى، فمن المعروف أن الحملات الإعلامية التى تنشد النجاح ينبغى أن تضع فى اعتبارها مسائل هامة جداً كقيم الجمهور الموجهة إليه واتجاهاته العميقة أو السطحية وآرائه وعاداته وتقاليده ، ولقد لاحظ « جورج سيمل » ذلك، حيث نجده يندد بالتأثيرات

---

(١) H.E. Barnes, *An Introduction to the History of Sociology*, 1948 p. 711.

السلبية التى تتركها الجماهير على القائمين بالاتصالات Communicators ونجده يقول إن الجماهير فى الواقع ليست مجرد حاصل جمع بين الأفراد إذ أنها ظاهرة جديدة قد تكونت إلا أنها لم تتكون من الخصائص الكلية لأفرادها ولكنها مكونة فقط من تلك الشظايا المستخلصة من كل واحد منهم والتى يتمشى مع الآخرين فيها ويتشابه بها معهم — بمعنى آخر مكونة من الجوانب التى تتعلق بكل فرد معين والتى يشترك مع الآخرين فيها وهذه الشظايا المشتركة بدائية جداً، ومن هنا فإنها لاينبغى أن تؤثر على القائمين بالاتصال، أما الجمهور الذى ينبغى وضعه موضع الاعتبار الدائم وينبغى أن تكون الاتصالات قريبة جداً من كل فرد فيه فهو جمهور المتعلمين والمثقفين حيث ينبغى مخاطبة كل فرد من أفراد هذا الجمهور كوحدة فردية[١] .

إلا أن هناك بعض علماء الاجتماع الأمريكان مثل « تشارلز كولى » « وجورج ميد » « وتوماس » W.I. Thomas قد عارضوا التأكيد الأوربى المتمثل فى رأى « سيمل » على ما يسمى بتأثيرات الجماهير ذات المكانة المنخفضة Lower Masses على السلوك الاجتماعى— ولقد قدموا تفسيرات حدسية حول الأدوار الاجتماعية للاتجاهات والقيم . فلقد أكد بعضهم — متأثراً بالاتجاه الديمقراطى القائم على المساواة — المجرى الاتصالى الصاعد والهابط بين الناس وقادتهم فى عملية التبادل المتقابل فى الأفكار والقيم والمعتقدات، حيث إنه من خلال هذه المبادلات الفكرية سوف يظهر الاتفاق والإجماع الذى يهدف إلى الرفاهية المشتركة . وكنتيجة لذلك فإن آثار الاتصال على الرأى العام المسئول اجتماعياً سواء كانت هذه الآثار موجبة أو سالبة قد أصبحت بؤرة الدراسة فى موضوع الاتصال الجمعى .

ولقد طور توماس W.I. Thomas فكرة غاية فى الأهمية بالنسبة لدراسة الاتصال الجمعى وهى تتمثل فيما يسمى بالتعريف الاجتماعى للموقف وذلك بقصد تفسير مركب العلاقات بين الاتجاهات والبناء الاجتماعى حيث نجده

(١) G. Simmel, The "Fields of Sociology in K. Wolf (edr.) The Sociology of G. Simmel, 1950.

يوجه اهتمامنا إلى العلاقة المتبادلة والدور المتبادل بين الشخصية والثقافة والبناء الاجتماعى بوصفه المجال الحقيقى لدراسة الاتصال[١] كما يقف مؤلف روبرت ميرتون المعنون» الإقناع الجماهيرى كمثال واضح للتطبيق الحديث» لهذا الإطار المرجعى لمشكلة معينة فى الاتصال الجمعى[٢].

ولطالما كان الاتصال الجمعى وثيق الصلة والعلاقة بالمحتوى الاجتماعى العام وطالما يعمل هذا الاتصال فى ضوء هذه الرابطة الاجتماعية التى تربطه بالنسق الاجتماعى فيجب أن ننظر إليه — إذن — بوصفه أحد العوامل العديدة التى تؤثر فى الفرد كما تؤثر فى السلوك الاجتماعى . وكان من نتيجة هذه النظرة الجديدة للاتصال الجمعى أن بعض الباحثين المحدثين من أمثال جوزيف كلابر Klapper قد بدأو يركزون أيضا على الأدوار الوسيطة أو المعدلة للعوامل السيكلوجية والسسيولوجية الأخرى والتى تلعب دوراً معيناً فى التأثير على وقع الاتصالات الجمعية على الأفرادوالجماعات، وهذا ما يفسر لنا مسائل مثل التفاوت والاختلاف فى تقبل التجديدات أو تغير الرأى والاتجاهات[٣].

وقد لاقت ملايين الرسائل الموجهة إلى الجماهير العريضة بواسطة المعلنين والما بين والعاملين الحكوميين ورجال الدين والدعاية وغيرهم ، لاقت كثيراً من الاهتمام وكتب حولها الكثير إلا أن الأثر الدقيق للاتصال الجمعى لم يلق دراسة حاسمة أو لم يدعم بدراسات حاسمة حتى الآن ، وحيث لانجد إجابات مقنعة عن السؤال الذى مؤداه هل يلعب الاتصال الجمعى دوراً فى تغير القيم والاتجاهات والمعتقدات الأساسية أم أنه يؤثر فى بعض القرارات الصغرى وأيًّا كانت نتائج الاتصال الجمعى فإنه يبقى سؤال آخر يدور حول كيفية

---

(١) W,I. Thomas and F.Znaniecki, *The Polish Peasant in* Europe and America 1918,p.2

(٢) R.K. Merton, *Mass Persuation*, 1946,

(٣) See : 1. Joseph T. Klapper, *The Effects of Mass Communication*, 1960.

2. R.A, Bauer and A.H. Bauer "*America Mass Society and Mass media*"Journal of Social Issues (Vol. XVI No. 3, 1960) pp. 3-66.

6, J.W. Riley and M.W. Riley "*Mass Communication and Social System*" in R.K. Merton et al (edrs,) Sociology to-day, 1959 pp. 537-578,

إحداث مثل هذه التغيرات وماهية العملية التى يحدث الاتصال — من خلالها — آثاراً سواء كانت هذه الآثار متمثلة فى تغير أو إقناع أو حتى نشر مودة جديدة .

إن معظم البحوث التقليدية تركز الضوء حول حركة الرسالة بين المرسل والمستقبل وحول استجابة المستقبل لهذه الرسالة باعتبارها إحدى المثيرات ، كما تركز أيضاً على الجهود التى يبذلها المرسل لتتبع محتوى الرسالة ومضمونها ، وتتبع المستقبلين باعتبارهم جمهوراً أو جمعاً لا تقوم بينهم صلات معينة Unrelated ، بحيث إن هذه البحوث التقليدية تعد تنقيحا مفصلا لعبارة أرسطو الشهيرة فى مؤلفه عن الخطابة والتى مؤداها « طالما أن الخطابة قد وجدت لتؤثر فى اتخاذ القرارات فعلى الخطيب ألا يحاول — فقط — توضيح برهان حديثه ، وتقديمه فى صورة قابلة للتصديق وإنما عليه أيضاً أن يجعل شخصيته الذاتية تبدو كأنها على حق أو منصفه ، وأن يضع مستمعيه — الذين لهم أن يقرروا — فى الوضع العقلى والمنطقى الصائب »[١] .

وما دامت هذه النظرة تقف منطلقاً للاتجاهات الأخرى فسوف نذكر سماتها العامة التى تتضمنها صياغة لازويل الشهيرة[٢] .

Who Says what in which Channels to Whom with What Effect ?

وقد تم تناول من Who عن طريق وصف الموصلين أو المرسلين الجمعيين من حيث خبراتهم وسماتهم الشخصية والاجتماعية ، وذلك بالإضافة إلى تناول شخصية القائم على الاتصال من الزاوية التى يدركه المستقبلون منها وذلك على اعتبار أن التأثير يتوقف على قدر فهم شخصيته الحقيقية[٣] .

أما ماذا ؟ فقد حظيت باهتمام كبير أيضاً ، حيث نجد أن الكثير من باحثى الاتصال يستخلصون جوهر الاتصال الجمعى ويصنفون مادته بأشكال

---

(١) Through Riley and Riley, *op.cit.*

(٢) Lasswell, "*The Structure and Function of Communication in Society*" op.cit.

(٣) C.I. Hovland, I.L. Janis and H.H. Kelley, *Communication* and Persuation, 1953.

متباينة ، ويحصون الموضوعات والرموز . ويحللون الشعارات الخطابية . فلقد اكتشف بيرلسون وسالتر — على سبيل المثال — أن قصص المجلات الشعبية تعكس — بالفعل — ضيق الأفق الراهن للأقليات فى الوقت الذى تدعو فيه إلى المساواة الدينية والعنصرية(١) .

ولقد عالجت بعض الدراسات الأخرى العلاقة بين الرسالة والمستقبل فلقد أشار برنامج بحث يل yale — على سبيل المثال إلى أن النداءات التى تتسم بالخوف الشديد يكون تأثيرها أقل من النداءات الهادئة ، وأن الرسائل التى تتميز بالاستنتاجات الواضحة تمارس تأثيراً أكبر — بشكل عام — من تلك الرسائل التى تستحث المستقبل على استخلاص الاستنتاجات بنفسه(٢) .

أما البحوث التى تعرضت بالدراسة للقنوات Channels فقد اشتملت على تحليلات إحصائية عديدة لإطار الأوساط الجمعية أو الجماهيرية المتباينة كالراديو والتلفزيون والصحف والمجلات والأفلام والمسرحيات وما شابه ذلك . غير أن معظم الدراسات تذهب إلى ما وراء القنوات ذاتها لتظهر العلاقة بين القنوات والمستقبلين ، ومؤدى هذه العلاقة أن هناك ترابطاً بين قنوات معينة ونوع من المستقبلين مثال ذلك أن من يقرأ قصة « ذهب مع الريح » يميل إلى مشاهدتها فى السينما والعكس صحيح بمعنى أن من يشاهد الفيلم يميل إلى قراءة القصة ذاتها(٣) .

وقد ذهب « هوفلاند » — حديثاً — إلى ما هو أبعد من ذلك حيث أجرى بحوثاً تتعلق بالفروق الفردية وعلاقتها بالقابلية للاقناع (٤) .

أما حديثاً فقد أجريت بحوث عن تأثيرات الاتصالات حيث أوضحت

---

(١) Berelson and Salter "*Majority and Minority Americans, An Analysis of Magazine Fiction* P.Q.Q. 10 (1946). 168-190.

(٢) Hovland et al *op. cit* chap, 3-4.

(٣) Lazarsfeld "*Communication Research*" in W, Dennis (edr.) *Current Trends in Socia Psychology*, 1949 , p. 245.

(٤) Hovland et al, Ibid. p. 184,

هذه البحوث أن ليست هناك علاقة مباشرة وبسيطة بين الاتصال والتأثير أما قيمة هذه البحوث فتتركز فى إثارتها لقضايا هامة حول طبيعة هذه العلاقة[١] . كما أوضحت الحاجة إلى تعديل المعالجة التقليدية التى كانت تركز الضوء كلية على الفعل البسيط لعملية الاتصال من المرسل إلى المستقبل . ولم تضع المعالجة التقليدية فى اعتبارها العمليات التى تحدث فى مجال التفاعل الاجتماعى والذى يعتبر المرسل مجرد أحد مكونات تلك العملية . ولقد أوضح « ميرتون » أن « الدعاية لن تحدث الاستجابة المتوقعة إذا لم تتطابق مضامينها وتتوافق مع الحاجـــات السيكلوجية للجمهور »[٢] .

كما أوضح برنارد بيرلسون أيضاً أن الدعاية لا تتخذ طريقاً مباشراً من المرسل إلى المستقبل حيث إن الحاجات الأولية للمستقبل متضمنة أيضاً فى الموقف[٣] .

وسوف نؤجل مناقشة آثار الاتصال الجمعى إلى فصل مستقل نظراً لأهميتها وحتى ننتهى من فحص معظم الأبعاد السيكلوجية والنفسية الاجتماعية ، والاجتماعية للاتصال الجمعى .

ثانيا : الأبعاد السيكلوجية للاتصال الجمعى :

من حيث الأبعاد السيكلوجية لعملية الاتصال الجمعى سوف نجعل محور مناقشتنا لهذا الموضوع مفاهيم مثل الدوافع أو الدافعية Motivations والانتقاء والإدراك Perception ، وهنا نشير إلى أن الدوافع تمثل أهمية خاصة — كبعد سيكلوجى من أبعاد الاتصال الجمعى فقد لاحظ بيرلسون — مثلا — افتقاد القراء للصحيفة أثناء إضراب موزعى الصحف

(١) J,T. Klapper "*What We know about the effects of mass Communication : The Brink of Hope* P.O.Q. 21 : 4 (1957-58) p. 47.

(٢) Merton, *Social Theory and Social Structure*, op.cit, p. 319.

(٣) Berelson, *Communication and Public Opinion in* W. Schramm (edr.) *Communication in Modern Society*, 1948 pp. 183-184.

بالخارج وقد خرج بنتيجة مؤداها أن الصحف اليومية « تعتبر مصدراً للأمان فى عالم مزعج » A Source of Security in a Disturbing World [١] كما أوضح ولف وفسكه Wolf & Fiske أن الكتب الكوميدية ربما كانت مصدرا التطور الأنا عند الأطفال الأسوياء — على الأقل — [٢] كذلك أوضحت « هيرزوج » أن الاستماع إلى الراديو — بالنسبة إلى النساء — قد يوحى إليهن بأنماط السلوك الملائمة .

وهناك بعد سيكلوجى آخر للاتصال الجمعى وهو الانتقاء الذاتى للجمهور حيث نجد مجموعة من البحوث تنطلق — إلى حد كبير — من عمل « لازارسفلد » المبكر حيث أشار عام ١٩٤٠ إلى أن برنامج الراديو يختار جمهوره قبل أن يؤثر فيه [٣] فعندما يتمتع الفرد بحرية الفعل فإنه يختار رسائل معينة يقرأها ، أو برامج معينة يستمع إليها ، ويرفض رسائل أخرى وبرامج أخرى بحيث أن الرسائل المختارة تتفق مع اتجاهاته السابقة أو تدعم معتقداته الموجودة . وقد وجد روبنسون Robinson فى دراسة له عن الفلاح أن الراديو غير مؤثر فى تغير آراء الفلاحين « لأن سكان المناطق الريفية لن ينصتوا إلى الأفكار التى لا يوافقون عليها »[٤] . ودعمت ، هذه النتيجة دراسات أخرى عديدة عن الحملات الانتخابية والحزبية والأفلام السينمائية وغيرها [٥] .

وحينما نأتى إلى بعد الإدراك — كبعد سيكلوجى — فإننا نلاحظ

---

(١) Berelson, "What Missing the Newspaper Means" op. cit.

(٢) K.M. wolf and M. Fiske "*Why They Read Comics* in Lakarsfeld and Stanton *Communication Research, op. cit.*

(٣) Lazarsfeld, Radio and Printed Page, 1940 p. 134

(٤) W. Robinson "*Radio Comes to Farmer*" in P. Lazarsfeld and Stanton, (edrs) *Radio Research*, 1941, p. 267.

(٥) See, Lazarsfeld, Berelson and Gaudat, *The People's* Choice, 2 *nd. ed* 1948 p. 37 and Dorwin Cartwright, "*Some Principles of Mass Persuation*" Human Relations, 2 (1949) 257.

أنه إذا ما قرر شخص أن يقرأ أو يستمع إلى رسالة فإنه قد ينتقى أجزاء معينة منها تحظى باهتمامه، فالذى يحدث فى مجال الإدراك والاستيعاب أن الإنسان لا يستمع أو يلمس ما هو موجود وإنما هو يدرك ما يريد أن يستوعبه ، ويحدث ذلك بشكل يتوافق مع حاجاته Needs وقيمه Values وعواطفه Emotions وخبراته السابقة Past Experiences مثال ذلك أن الفقراء من الأطفال يميلون إلى تضخيم حجم قطع النقود إذا ما قورنوا بالأطفال الأغنياء ، كما أن القراء المتعصبين يميلون إلى تجنب المقاطع التى تدعو إلى التسامح فى رسائل الاتصالات ،معنى ذلك — أيضاً— أن إدراك رسائل الاتصال الجمعى إنما هو إدراك انتقائى Selective Perception يوافق العمليات السيكلوجية والبناء السيكلوجى للمستقبل وليس إدراكاً عشوائيا هذا الانتقـــاء قد يحدد من مجال تأثير الاتصال الجمعى طالما أن المستقبل يختار ما يوافق بناءه النفسى الواقعى [١]

ثالثاً : الأبعاد النفسية الاجتماعية :

أما من حيث الأبعاد النفسية الاجتماعية فلقد أوضحت التجارب التى أجراها « مظفر شريف » وآش Asch احتمال وجود ارتباطات معينة بين الإدراك وعلاقة المدرك بالبناء الاجتماعى ،فالأفراد يميلون إلى الموافقة على أحكام الآخرين فى الجماعة سواء كانت هذه الأحكام صائبة أم غير صائبة فإجماع الجماعة أو اتفاقها يمكن أن يقف كإطار مرجعى لأحكام الأفراد[٢] .

كما أن بعض الباحثين مثل « مظفر شريف » و « نيوكمب »و«ميرتون» وآخرين يطبقون نظرية الجماعة المرجعية « على العمليات التى ينتمى

---

(١) K. Wolf, The Sociology of G. Simmel, op. cit p. 611

(٢) S.E. Asch "Studies in the Princples of judgments and attitudes : by group and Ego standards" J. Soc. Poychol. 12 (1940) pp. 433-65.

الناس — من خلالها — إلى جماعات ويرجعون بسلوكهم إليها »[١] . فالجماعة لا تقدم معياراً للسلوك فقط ولكن الجماعة الأولية هى الأكثر أهمية حيث إنها هى التى تعلم الفرد قيمها الخاصة وتصوغ قيم الفرد وفقاً لمعتقدات الجماعة[٢] .

وقد بدأ استخدام تلك النظريات وتطبيقها فى مشكلات الاتصال الجمعى ، ووجدت المعالجات التقليدية للاتصال الجمعى — كما اتضح من قبل أنه من المفيد ومن المثمر تصنيف الأفراد وفقا لأماكن إقامتهم فى النواحى المختلفة من البلاد أو وفقا للأنواع المختلفة من الجماعات أو طبقا للمكانة الاقتصادية الاجتماعية داخل المجتمع . ومن ناحية أخرى ازداد إدراك القضية التى مؤداها أنه إذا كانت قيم المستقبل تشكل من خلال الجماعات الأولية التى ينتمى إليها فإنه من الأفضل فهم استيعابه للرسالة واستجابته لها فى حدود علاقته بهذه الجماعات الخاصة وقيمها[٣] .

وقد لوحظ — وفقا لبعض الدراسات أن إحدى نتائج ميل الفرد إلى تبنى الجماعة كمصدر للتوجيه تتمثل فى تطور التجانس بدرجة ملحوظة بين أعضاء الجماعة فى المواقف والقيم وانطلاقا من نظريته الاجتماعية من جانب ومن عمل هيدر Heider من جانب آخر أخذ نيوكمب Newcomb فى تطوير نظرية تضع ذلك التجانس فى الاعتبار وشرح كيف أن أعضاء الجماعة — أثناء عملية التفاعل — يشعرون بالثواب أو الجزاء عند ما تتحد

---

(١) Merton and Alice Kitt "Contributions to the Theory of Reference Group Behavior" in Merton and Lazarsfeld (edrs), Continuities in Social Research. Studies in the Scope and Methods of The American Solder" 1950 pp. 40-105.

(٢) M. Sherif, An Outline of Social Psychology, 1958 and Theodor Newcomb, Social Psychology, 1950.

(٣) H.H. Kelley and E.H. Volkart "*The Resistance to Change of Group-Anchored Attitudes*" A.S.R. 17 (1952) 453-65.

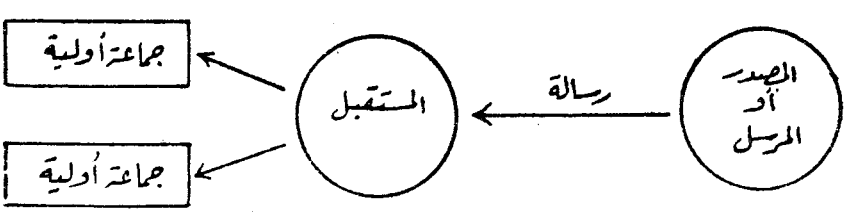
مواقفهم أو تتفق ، ومن ثم يميلون إلى التأثير على بعضهم البعض ليصلوا إلى مواقف متشابهة [١] .

ومن المهم أن نعلم أن الفرد لا ينتمى إلى جماعة واحدة بل هو ينتمى إلى جماعات متعددة وربما تطغى جماعة على أخرى . وإذا كانت قيم هذه الجماعات متفقة أو متصالحة فإننا نتوقع غياب الصراع أو انعدامه ، أما إذا كانت هذه القيم فى حالة صراع وتنافر فإن الفرد — آنئذ — يكون فى موقف صراع أو ضغوط متعارضة[٢] .

ويمثل استخدام نظرية الجماعة المرجعية نقطة البدء لاكتشاف البناء الاجتماعى الذى يكمن وراء التباين الكبير فى استيعاب الأفراد واستجاباتهم لرسالة الاتصال الجمعى بل ويعمل على تكامل هذا التباين . فغالباً ما يقرر الفرد أن يشترى شيئاً ، أو يدلى بصوته لصالح حزب أو مرشح ، أو يشاهد برامج تلفزيونية متأثراً بأناس يثق بهم ، كما أن إدراك الفرد واستيعابه واستجاباته تشكل جزءاً من نمط تفاعله مع أعضاء جماعته .

وبتركيز الضوء على وضع المستقبل فى إطار ذلك النمط أضاءت نظرية الجماعة المرجعية الطريق لتطوير المعالجة التقليدية فى اتجاه نظرة سسيولوجية أكثر رحابة .

ويوضح الشكل التالى الفرق بين النظرة التقليدية والنظرة السسيولوجية :



(١) T. Newcomb, "*An Approach to the Study of Communicative Acts*" Psychological Review, 60 (1953 pp. 393-404)

(٢) Berelson, Lazarsfeld and McPhee, *Voting: A Study of Opinion Formation ina Presidential Campain*, 1954 p. 148.

وحيث نلاحظ إن النظرة التقليدية تركز على انتقال الرسالة من المرسل إلى المستقبل أما النظرة السسيولوجية فإنها تضع فى الاعتبار الجماعات الأولية التى تساهم فى صياغة قيم الفرد وتحديد سلوكه[١] .

وقد كان البدء باستخدام مفهوم الجماعة المرجعية هذا كافياً لأن يثير عدداً من القضايا تتعلق بالدراسة الأكثر عمقاً ، حيث بذل « روبرت ميرتون » جهداً كبيراً ليوضح المشاكل العامة التى واجهته وذلك فى تحليله التفصيلى للجماعات المرجعية .

وقد أصبح فى الإمكان — الآن — تحديد بعض أنماط القضايا التى يبدو أنها فى حاجة إلى الاهتمام وهى الكيفية التى يرتبط بها رد فعل المستقبل بعضويته فى جماعة أولية واحدة ، وكيف يتباين رد الفعل هذا وفقاً لمشاعره السلبية أو الإيجابية نحو أعضاء الجماعة من جانب وكيف يحدث التباين وفقاً لموافقته على قيم الجماعة أو معارضته لها ؟ وكيف يكون تأثير الجماعات المرجعية على ردود فعل العضو للأنماط المختلفة من الاتصالات ؟ وكيف تكون الاستجابة حين يرتبط رد الفعل بأدواره العديدة باعتباره عضواً فى جماعات مرجعية متعددة ؟ أو متصارعة ؟ وكيف أن استجابته تتباين تبعاً للأهمية النسبية للجماعة بالنسبة له ، وكذلك تبعا لدرجة مشاعره الإيجابية أو السلبية نحوها وما إلى ذلك .

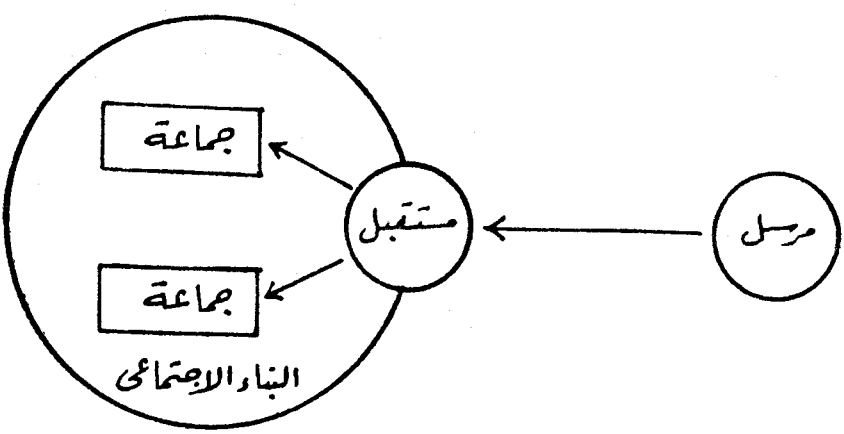
وإلى جانب تلك الدراسات حول المستقبل وجماعاته الأولية والتى يمكن أن نطلق عليها دراسات للابعاد النفس اجتماعية للاتصال نجد هناك اتجاهاً مختلفاً وأقل تطوراً يمكن أن نطلق عليه الاتجاه السسيولوجى البحت ، وقد بدأ هذا الاتجاه يستكشف البناء الاجتماعى الأكثر شمولا للتنظيمات والمؤسسات الاجتماعـــية التى تحيط بالمستقبل ، فإذا كان دور المستقبل يتأثر بقيم وأهداف الجماعات المرجعية المختلفة فكيف تقوم هذه

---

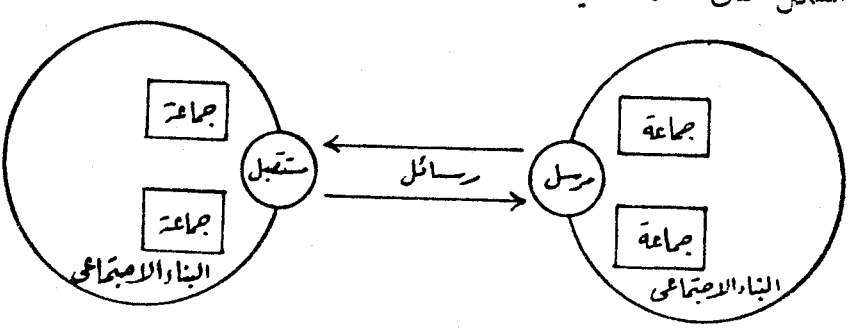
(١) R.K. Merton, Social Theory and Social Structure, op. cit, Chap. 9. and see also, Merton and Kitt, op. cit.

الجماعات – ذاتها – بصياغة قيمها وأهدافها ؟ أو من أين هذه القيم والأهداف ؟ وما هى الروابط بين هذه الجماعات الأولية ؟ وكيف تتكامل داخل البناء الاجتماعى الأكثر شمولا ؟ وفى إطار العملية الاجتماعية الأكبر .

ومن هنا تتجه هذه الدراسات إلى التركيز على البناء الاجتماعى الأكبر بدلا من التركيز على المستقبل وجماعته الأولية فهى تدرس أولا العلاقات المتبادلة بين الجماعات الأولية ثم تبحث – ثانيا – عن موضع المستقبل فى ذلك الإطار الكلى ويوضح الشكل التالى هذا الاتجاه :

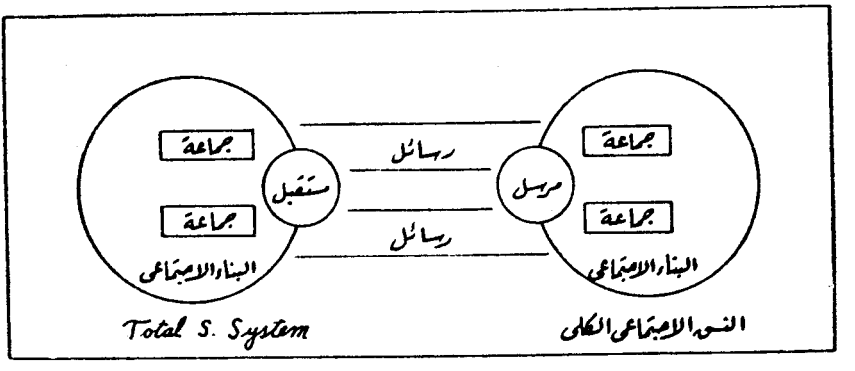


وبتطوير هذا الشكل تطويراً جزئيا تتضح العملية حيث يلعب رجل الاتصال أو المرسل دوره كجزء من البناء الاجتماعى الأكبر ويوضح الشكل التالى هذه العملية .



ومن هذا الشكل نلاحظ أن النظرة السسيولوجية تعنى وضع المرسل

والمستقبل فى ضوء جماعتهما الاجتماعية التى ينتمون إليها وفى ضوء البناء الاجتماعى الأكبر الذى يضم هـــذه الجماعات — ووفقاً لهذه النظرة نلاحظ أن هناك اعتماد امتبادلا بين المرسل والمستقبل حيث إن الرسائل متبادلة بينهما إلا أن هذا التبادل يتميز بحجم ضئيل فى الاتصال الجمعى ، كما تعنى النظرة السيولوجية أيضا أن كلا من المرسل والمستقبل له وضع ومركز محدد فى البناء الاجتماعى ، وعلى ذلك فإن الاتصالات المختلفة التى تجرى من فرد إلى جماعة ، أو من جماعة إلى أخرى ليست بأفعال عشوائية ولكنها عنصر فى نمط كلى من التفاعلات المستمرة ويوضح الشكل التالى هذا النمط :



من خلال المناقشة السابقة للأبعاد النفسية والنفس اجتماعية والاجتماعية للاتصال الجمعى نلاحظ أن فهم العملية الاجتماعية التى من خلالها ينتج الاتصال الجمعى نتائج أو يحدث تأثيراً يتطلب صياغة وتكوين نموذج عملى إجرائى قائم على تصنيف للنتائج المكتشفة فى الميادين المتعددة وتطبيق نظرية مرتبطة . وفى ضوء مثل هذا النموذج قد تحل كثير من المشاكل التى ما زالت بدون حل ويمكن أن تدور هذه المشاكل حول الأسئلة التالية :

١ — كيف يناسب الاتصال الجمعى العملية الاجتماعية الأكبر ؟

٢ — عند أى نقطة ينبغى تقوية وتدعيم الاتصال الجمعى بالاتصال الشخصى ؟

٣ — ما هى الوظائف التى يؤديها الاتصال الجمعى فى النسق الاجتماعى الكلى ؟ (١)

ومن الواضح أن النظرة السيكلوجية والسسيولوجية للاتصال الجمعى تقدم فهماً أوضح لتأثير هذا الاتصال من حيث إنها لا ترى هناك علاقة مباشرة وبسيطة بين الاتصال والتأثير وإنما تدخل فى الاعتبار المتغيرات النفسية والاجتماعية التى يجرى الاتصال وفقاً لها ويمارس تأثيره من خلالها ، وتلك النظرة هى التى نتبناها فى هذه الدراسة كما يرد فيما بعد .

(١) See, Riley and Riley, op. cit.

الفصل الرابع

آثار الاتصال الجمعي، نظريا وامبيريقيا

في هذا الفصل سوف نحاول أن نستعرض المناقشات المختلفة التي دارت حول آثار الإتصال الجمعي ، ويمكن أن نضع هذه المناقشات ضمن اتجاهين على النحو التالي :

١ ـــ اتجاه يضخم من آثار هذا الاتصال .

٢ ـــ اتجاه يقلل من هذه الآثار .

وسوف نخلص إلى بعض القضايا التي نتخذها محوراً لبناء فروض الدراسة الميدانية .

يختلف المجتمع الحديث عن المجتمعات السابقة من زاويتين فى غاية من الأهمية ، الزاوية الأولى هى قوة التكنولوجيا الصناعية والإنتاج الضخم والتحريك الذاتى وسرعة الانتقال ، أما الزاوية الثانية — وهى لا تقل عن الأولى أهمية — فهى وجود نسق للاتصال الجمعى من خلال الصحافة والإذاعة والتليفزيون والوسائل الأخرى المشابهة وسوف نهتم فى هذا الفصل بعرض الإتجاهات المختلفة التى حللت آثار الاتصال الجمعى سواء كانت هذه الاتجاهات مجرد تحليلات نظرية فقط أو قائمة على أساس دراسات تجريبية ، وسوف نلاحظ أن هناك اتجاهين رئيسيين . أولهما يبالغ فى هذه الآثار بينما يقلل الثانى من أهميتها .

وقبل تطوير النسق الاتصالى الجمعى كان الناس يعيشون حياتهم الكلية داخل جماعات صغيرة نسبيا تتميز بعلاقات ذات طابع أولى . أما الآن وبوجود الاتصال الجمعى فإن الأمر قد تغير تغيراً جذريا حتى إن المسألة لا يمكن أن تتلخص ببساطة فى أنه أصبح من الممكن — بواسطة الاتصال الجمعى — لآلاف الملايين من البشر أن يستمعوا — فى اللحظة ذاتها — إلى حديث معين أو برنامج أو إعلان ما ، ولكن الأهم من ذلك أن هذه الملايين أصبحت معرضة — باستمرار — لوسائل الاتصال الجمعى . وحيث إن مجالات اهتمامهم قد تأثرت إلى حد بعيد جدا بهذا الاتصال وحيث أصبح ما يسميه السسيولوجيون بالاتفاق Consensus أى طاقم القيم والاتجاهات المشتركة بين مجموعات من البشر ، أصبح يتشكل بواسطة أناس بعيدين جدا — فيزيقيا — كما هو يتشكل أيضاً بواسطة الأقارب والجيران وغيرهما من الجماعات الأولية ، ومن ثم فإن اصطلاحات مثل الجيران والأقارب والغرباء قد فقدت الكثير من مضامينها المعنوية التى طورت مثل هذه الاصطلاحات لوصفها ، ومن ثم فإنها فى حاجة إلى إعادة نظر .

ويبدو أن هذه المسألة لاتعود — فقط — إلى الثورة الاتصالية الجمعية فى الصحافة والإذاعة والمطبوعات . وإنما تعود — فى جانب آخر — إلى الثورة التى حدثت فى وسائل الانتقال Transportation ومن ثم فإن أى حديث عن الاتصال وأى بحث فيه لابد أن يتضمن الجانبين معاً ، نقصد الاتصال الجمعى والانتقال لأن الشخص الذى يقوم بأسفار وينتقل من بلد إلى آخر بسهولة وسرعة لايتعلم — فقط — أن يستمع ويقرأ ويتصل اتصالا واسعاً — بوجه عام — وإنما هو يتوق ويتطلع إلى فعل ذلك كله ، ولأن الناس يهتمون بوسائل الاتصال الجمعى ويتصلون بها فإنهم يتعلمون السفر ، ويرغبون فيه — ويتطلعون إليه ، ويمارسونه فى الحقيقة أو فى الخيال . أى أن العلاقة التأثيرية متبادلة بين الاتصال والانتقال .

ويبدو من الملاحظة العامة والخبرة الواقعية أن الاتصال الجمعى قد أثر — تقريباً — فى كل شخص كما أثرت فيه التكنولوجيا أيضاً ، ومنذ نصف قرن مضى كان المهاجر إلى منطقة جديدة يعيش فى عزلة كبيرة حيث كان — فى منطقته الجديدة — يمثل نوعاً مختلفاً من السكان ذلك لأنه كسر روابطه القديمة التقليدية ورحل إلى مجتمع له تقاليده الجديدة — عليه — كل الجدة والغريبة عليه كل الغرابة ، ذلك لأنه لم يسمع عنها من قبل شيئاً ولا هو رأى منها شيئاً ، أما الآن فإن أغلب الناس — حتى الذين لم يغادروا أماكن إقامة آبائهم وأجدادهم — قد كسروا جانباً من الروابط التى تربطهم كلية بتقاليد هذه المناطق وأصبحوا يعرفون الكثير عن أساليب حياة مختلفة عن أساليبهم ، بل إنهم قد يحاولون محاكاة هذه الأساليب التى يسمعون عنها ، فالقروى — الآن — أصبح يعرف — معرفة تتفاوت فى حجمها — كيف يعيش القاهرى ، أو السكندرى فهو قد يرى الكثير مما يدور فى القاهرة والإسكندرية وإن لم ير ذلك فهو على الأقل قد يسمع عنه سواء عبر الاتصالات الجمعية ، أو من أولئك العاملين الحكوميين بالقرية أو حتى من أولئك القرويين الذين يغادرون القرية للعمل فى المدينة أو يغادرونها

إلى المدينة فى المناسبات . ومن ثم فهم يعرفون شيئًا عن حياة المدينة وثقافتها وعادات سكانها ، وفى عملية علمهم ومعرفتهم هذه قد يحاولون تقليد ومحاكاة ما رأوه أو سمعوا عنه ، وحتى إن لم يحاولوا ذلك فهم قد يتأثرون بما يسمعونه ويشاهدونه والتأثر مرحلة متقدمة على التغير أو هى أولى مراحله ، ومن هنا فإننا نستطيع أن نقول إن التغير أصبح أسلوب الحياة السائد أو سنتها وحيث أصبحت الاتصالات الجمعية تعبر عن عالم جديد .

وإذا قلنا إن الاتصال الجمعى إنما هو نوع من الاتصال الثانوى الذى لايتطلب وجود علاقات أولية أى علاقات مواجهة فإننا نستطيع أن نقول إن مجتمعات الماضى قد عرفت أشكالا — محدودة جدا — من الاتصالات الثانوية — وفقا لما سجله المؤرخون وهو نمط ثانوى مشترك — فى بعض الخصائص — مع الاتصال الجمعى الذى تعيشه المجتمعات الآن، وذلك مثل سكان المدن والجماعات الخاصة التى تضم بعض المهن التجارية أو الطبقة الحاكمة وجميع أولئك الذين كانوا يسافرون بحكم مهنهم الخاصة .

ومنذ ثلاثة أجيال مضت كانت ملابس الشخص تشير إلى محل ولادته بالإضافة إلى اللهجة أما الآن فقد خفت حدة الفوارق والاختلافات بين الناس وأصبحت مثل هذه التغيرات الظاهرة مرتبطة بالتغيرات التى تطرأ على الاتجاهات والآراء .

ولا نهدف من ذلك الحديث العام إلى الانتهاء بأن المجتمع العالمى يسير إلى نوع من المشابهة أو التماثل ، أو أن القرية قد أصبحت تضارع المدينة ، وإنما نهدف إلى القول بأن الاتصالات قد كسرت الحدود وأصبح الهدف الذى يفتقده ميدان دراسة الاتصال هو التعرف على طبيعة أنماط الاتصال ودورها فى مجتمع صغير كالقرية مثلا ، لأن مثل هذا المجتمع المحدود سوف يقدم لنا فرصة للتعرف على الأدوار المتفاوتة لأنماط الاتصال المختلفة الشخصية ، والجمعية ، أو الأولية ، والثانوية ، وما إذا كان النمط الاتصالى الجمعى قد أوشك على القضاء على النمط الشخصى ،

وما إذا كانت أنماط الاتصال المختلفة قد خففت الفوارق بين القرية والمدينة كما يتبدى ذلك فى بعض الاتجاهات والآراء وتقبل التجديدات . وعما إذا كانت هذه الاتصالات قد ربطت القرية بأحداث مجتمعها وجعلتها تعيش هذه الأحداث وماهية موقف القروى من أحداث العالم وقضاياه ، كل ذلك مفتقد إلى حد كبير فى الدراسات الاتصالية وهو أساس ما نستهدفه من دراستنا هنا .

وعند الحديث عن آثار الاتصال الجمعى نجد آراء واتجاهات نظرية مختلفة فى إدراكها لآثار الاتصال الجمعى . بمعنى آخر سوف نجد إجابات متعددة حول السؤال الذى مؤداه ماذا عن آثار الاتصال الجمعى ؟ فبينما نجد أن فريقاً يلقى أهمية عظمى على الآثار التى يمكن أن يمارسها الاتصال الجمعى نجد فريقاً آخر يقلل من أهمية هذه الآثار . وحينما يتعرض « ولبر شرام » Schramm للإجابة عن هذا السؤال نجده يقول بادئ ذى بدء بأن للاتصـــال الجمعى تأثيراً شاملا Pervasive وذلك لسبب واحد وهو أنه يشمل المجتمع ككل أو هو دالة المجتمع واتصاله Society Communicating فالمجتمع — شأنه شأن أى وحدة اتصالية يعمل كمفسر للرموز ومرمز ، فهو يفسر الرموز البيئيـــة من أجل أبنائه ، ويراقب المخاطر ، ويتطلع إلى تحقيق الأهداف حتى يصل إلى اتفاق أو إجماع ،وحينئذ يستطيع أن يضع سياسة فعالة ويحفظ التفاعل العادى للحياة الاجتماعية ويصونه ، كما يساعد الأفراد على التمتع بحياتهم ثم هو أيضا يرمز الرسائل ويوجهها إلى المجتمعات الأخرى .

فالاتصال الجمعى الذى يتمتع بقوة وفعالية يمكن من مد الأبصار وتفتح الآذان لإيصال الثقافة متمثلة فيما يكتب ويقال إلى آفاق جديدة ، إنما يأخذ نصيباً كبيراً من المسئولية فى عملية الاتصال الاجتماعى هذه[1]

(١) See, Schramm, *The Process and Effect of Mass Communication*, op. cit.

فالاتصال الجمعى يمسح أخبار المجتمع وينقلها إلى أعضائه بالإضافة إلى ما يقدمه من مناقشات تربط العضو الاجتماعى بالكل ، كذا ما يقدمه من أنماط مرغوبة من السلوك كالأفلام التعليمية وغيرها حيث أصبح الاتصال الجمعى أداة رئيسية لنقل الثقافة إلى مختلف قطاعات المجتمع بطريقة لاتحتاج إلى مهارة أو إعداد ، فالأمى يستطيع أن يتابع الوسائل الجمعية المسموعة والمرئية حيث ماكان بإمكانه — فى غياب هذه الوسائل — متابعة ما يحدث حيث يفتقد المهارة اللازمة وهى معرفة القراءة والكتابة .

إن الآثار الأساسية للاتصال الجمعى نراها كل يوم — على حد قول شرام — فى طبيعة العادات الاجتماعية الموجودة حولنا وفى المشاكل التى يناقشها الناس ، واللغة التى يتحدثون بها ؛ وهى آثار بطيئة غير مدركة .

ولكن شرام يتساءل عن الآثار التى يتركها الاتصال الجمعى بشكل محدد لرسالة ما على الجمهور وهو هنا لايستطيع أن يقدم إجابة حاسمة عن هذا السؤال وبالتالى فإنه لايستطيع أن يتنأ بالآثار المحتملة على الجمهور وهو يقول : « إننا لانستطيع فقط أن يتنبأ بالتأثير على الفرد ، لقد طورت المؤسسات الاتصالية عملية إعداد جمعى للرسائل ولكن استقبال هذه الرسائل وتفسيرها يكون فرديا فقط ، وهنا نستطيع أن نتنبأ بآثار الاتصال الجمعى بالطريقة التى نستطيع بها التنبؤ بالاتصال الآخر أى فى ضوء تفاعل الرسالة ؛ والموقف والشخصية والجماعة ولكن هناك شيئاً هاما مرتبطاً بالاتصال الجمعى وهو الاهتمام Attention وحيث نجد مشكلة الاهتمام — هذه — تقابل الاتصال الجمعى باستمرار حيث يتمتع الجمهور بحرية الاختيار ولا يستطيع الاتصال الجمعى أن يفرض نفسه عليه إلا بدافع واهتمام ذاتيين فالمستمع يستطيع أن يدير مؤشر الراديو أو قناة التليفزيون أو يغلقهما تماما[1] .

(١) Schramm, op. cit p. 23

ومن تحليل شرام النظرى هذا لآثار الاتصال الجمعى نصل — وفقاً له — إلى نتيجة مؤداها أن الآثار الشاملة للاتصال الجمعى على المجتمع آثار يمكن التنبؤ بها على المدى الطويل؛ إلا أن الآثار المعينة لرسالة محددة يحتاج التنبؤ بها إلى اتخاذ جانب الحيطة والحذر، إذ أن هناك متغيرات عديدة تؤثر فى هذا التنبؤ.

هذا بينما يرى « جوزيف كلابر » أن النظرة إلى الاتصال الجمعى وآثاره نظرة تضخيمية أو بمعنى آخر أن الاتجاه إلى تضخيم آثار الاتصال الجمعى إنما هو اتجاه تقليدى يعبر عن نظرة تقليدية وأن التوجيه النظرى الحديث لدراسة آثار الاتصال الجمعى ما هو فى الأساس إلا تحول عن النظر إلى الاتصال الجمعى كسبب ضرورى وكاف للتأثيرات الجماهيرية ويتمثل هذا الاتجاه الجديد فى أنه لايمكن أن تكون الاتصالات الجمعية — فى حد ذاتها — مؤثراً جماهيريا فعالا؛ فهناك متغيرات عديدة سيكلوجية واجتماعية تتدخل فى عملية التاثير، وباختصار فإن الاتجاه الجديد لدراسة آثار الاتصال الجمعى إنما يركز على الدور الذى يلعبه هذا الاتصال — كمثير — فى ضوء ظاهرة كلية تكون موضع الملاحظة[1].

وذلك هو الاتجاه الذى تبناه كل من كاتز Katz ولازارسفلد Lazarsfald وغيرهما حيث يهتمون بدراسة التأثيرات الجماعية المختلفة على مجرى الاتصال والرسائل وذلك فى إطار جماعات أولية ذات صلات بأطر اجتماعية خارجية، وذلك قبل أن يهتموا بدراسة تأثير الاتصالات نفسها[2].

والاتجاه السيولوجى الحديث هو الذى يتضمن كل المعانى السابقة

---

(١) See, J.T. Klapper, *The Effects of Mass Communication*, 1960, p. 5.

(٢) See, Katz & Lazarsfeld, *Personal Influence*, 1955.

وهو الذى لايعترف بمثل هذه الآثار الضخمة والمبالغ فيا للاتصال الجمعى ويرى أن هذه النظرة لتلك الآثار ماهى إلا وليدة للنظرة الصحفية القديمة وغير العليمة بالجمهور ولا الخبيرة به وحيث كانت تنظر إلى هذا الجمهور كشذرات متفرقة لاتقوم بينها أى رابطة ، ولكن إذا عرفنا أن الأفراد لايعيشون دائماً كذلك وإنما هم يمارسون حياتهم فى جماعات أولية ذات علاقات أيضاً بأطر اجتماعية أكبر — ويعرف علماء النفس والاجتماع ذلك تمام المعرفة — فإننا سوف نوجه اهتمامنا أيضاً إلى القنوات الشخصية للاتصال ومن هنا فإن علماء النفس والاجتماع يوجهون الأنظار إلى المقابلة الدائمة بين الاتصال الجمعى والاتصال الشخصى ومقارنة آثار الاتصالات الجمعية بالاتصالات الشخصية .

ويعتقد «هارولد مندلسون» أن وجود المجتمع قائم على أساس الاتصالات الشخصية وليس قائماً على أساس الاتصالات الجمعية « فلقد وجدت المجتمعات — دائما — وتوجد الآن دون الاعتماد على فائدة أى نسق من أنساق الاتصالات الجمعية »[1]

وهنا يظهر أن تركيز السسيولوجيين على الاتصال الجمعى إنما هو وليد للفكرة التى مؤداها أن الاتصالات الجمعية إما أنها ليست بقادرة الآن على تقديم الشرور المريعة أو أنها بقادرة على تقديم أطيب الأعمال وإنجاز أحسن الوظائف ، ولقد كان هناك نوع من الإحباط والقلق حول هذه المسائل إلا أنه مهما يكن نوع هذا القلق والإحباط حول شرور الاتصالات الجمعية أو هذا التفاؤل حول وظائفها الجيدة والمفيدة فإننا لانستطيع أن ننكر الأهمية السسيولوجية الكبيرة للاتصال الجمعى وبخاصة دراسة الخصائص الفريدة لهذه الاتصالات والوظائف الاجتماعية التى يجب أن تحدد وتعرف وتعين أولا وقبل كل شىء .

(١) H. Hendelsohn, "*Sociological Perspectives on The Sstudy of Mass Communication*" in Dexter & white, op. cit p. 34

وقد أدت هذه النظرة الجديدة إلى الاتصال الجمعى إلى الاستعانة بمفاهيم علم النفس والاجتماع والأنثربولوجيا بالإضافة إلى الفروع الأخرى كالسياسة والاقتصاد وعلم النفس الاجتماعى حتى يمكن تحديد ما يمكن أن نطلق عليه موقف الاتصال Communication Situation على نحو ما ذكرنا سابقا فى حديثنا عن الأبعاد السيكولوجية للاتصال الجمعى وعلى نحو ما سنفصل فيما بعد عند حديثنا عن الاتصال الشخصى .

ويعتقد « جوزيف كلابر» أن الحديث عن آثار وسائل الاتصال الجمعى بعامة حديث يتسم بشىء من المجازفة ، فهناك وسائل مختلفة للاتصال الجمعى لكل وسيلة منها خصائصها الفريدة التى تميزها عن الأخرى ومن ثم تظهر الحاجة إلى فحص الفعالية المتباينة لكل وسيلة من وسائل الاتصال الجمعى على حدة، وقد دعم جوزيف كلابر وجهة نظره هذه بعرض بعض النتائج الأمبريقية التى تؤكد ما يقول[1] وهو يحذر فى البداية من الاعتماد المطلق على نتائج التجارب التى تجرى فى ظروف تجريبية وتحت شروط جامدة حيث إن هذه التجارب تختلف اختلافاً ملحوظاً عن المواقف الاجتماعية الطبيعية . وتشير هذه النتائج التى عرضها جوزيف كلابر إلى ما يلى :

١ — إن عرض المعلومات عرضاً مزدوجاً عن طريق التحدث ثم المشاهدة أي استخدام الوسائل الشفوية والمرئية فى عرض المعلومات يمارس تأثيراً فعالا فى مجال الوعى والتذكر أكثر من أى وسيلة أخرى .

٢ — أن العرض الشفوى — مهما كان نوعه — يحدث وعياً أو تذكراً ملحوظاً إذا عرضت المادة ببساطة واختصار وهو فى ذلك يفوق التقديم المرئى للمعلومات .

٣ — هناك نتائج كثيرة ومركبة ومتضاربة حول الفعالية النسبية للعرض البصرى والسمعى فى مجال التذكر والوعى ، وهناك تجارب معملية أخرى

---

(١) J.T. Klapper "*The Comparative Effects of The Various Media*" in *Schramm*, op. cit pp. 91-105.

تنتهى إلى نتائج مؤداها أن مهارة القراءة — عند الجمهور قد تكون بمثابة محك كبير . وحيث أنه من الممكن أن تمارس الكلمة المكتوبة فعالية أكبر بالنسبة للمتعلمين تعليما عالياً فى الوقت الذى يكون فيه الراديو أكثر فعالية بالنسبة للذين تقل مهارتهم فى القراءة إلا أن الأمر ما زال بحاجة إلى فحص هذه الفعالية عن طريق إجراء تجارب أخرى .

٤ — اتصال الوجه للوجه أكثر الوسائل فعالية فيما يتعلق بآثار الإقناع والاقتناع Persuation — إذا ما قيس هذا الاتصال بالوسائل السمعية التى هى — بدورها — أكثر فعالية من الوسائل المطبوعة .

ويشير « كلابر » إلى أن البحوث التى أجريت فى مواقف اجتماعية عادية تؤكد النتائج التى توصلت إليها التجارب المعملية فيما يتعلق بالنقطة الأخيرة المتعلقة بفاعلية الاتصال الشخصى أو اتصال الوجه للوجه ، وتشير هذه النتائج إلى الفروق الفردية فى بناء الجمهور والجاذبية السيكلوجية التى تميز وسائل الاتصال المختلفة ، وتشير هذه الدراسات إلى ما يلى :

١ — توصلت بعض البحوث إلى أن العرض السينمائى يؤثر — بدرجة عالية — فى مجال التذكر، ولكن هناك دراسات أخرى خرجت بأن درجة التذكر — هذه — والناتجة عن العرض السينمائى ليست بأعلى من درجة التذكر التى تنتج عن أى وسيلة أخرى .

٢ — لكل وسيلة من وسائل الاتصال الجمعى خصائصها ومزاياها الفريدة ولقد وضحت بعض هذه الخصائص الفريدة امبريقيا ويقوم بعض هذه الخصائص على مجرد الظن والتخمين النظرى بينما يقوم البعض الآخر على أساس تجريبى ويمكن وضع هذه الخصائص على النحو التالى :

١ — تسمح الوسائل المطبوعة بأن يتحكم القارئ فى وقت قراءتها وفى فرص هذه القراءة كما تمكنه من إعادة الاطلاع على مضامينها وتسمح بالتأنى — إلى حد بعيد — فى هذا الاطلاع .

٢ – يصل الراديو إلى الجمهور بطريقة مختلفة – غالباً – عن الطرق التى تصله بها الوسائل الأخرى ، وهو وسيلة تتميز بفقر فى الثقافة إذا ما قورنت بالوسائل الأخرى ويقدم الراديو للمستمع درجة ما من المشاركة فى الأحداث الفعلية المذاعة وذلك بحكم كونه أكثر اقتراباً من الاتصال الشخصى أو اتصال الوجه للوجه ، ويتميز الراديو بقدرات عالية فى الاقناع والتأثير لأنه عادة ما يكون الوسيلة الأولى فى تقديم المواد للجمهور إلا أنه ليس هناك من البحوث ما يدعم هذا الحديث عن الراديو أو يرفضه .

٣ – من المعتقد أن الشاشة تتمتع بإقناع فريد ومميزات شعبية حيث إنها تقدم المادة مرئية وبطريقة ملموسة غير مجردة ، ومن المعتقد أن هذه الأوضاع الملموسة بالإضافة إلى عوامل أخرى – تجعل الفيلم قادراً على السيطرة الوجدانية وبخاصة على الأطفال كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين ، فبينما ظهر من البحوث أن الأطفال يقبلون المواد المقدمة فى الفيلم دون مناقشة نجد أن آثار السينما على الجماهير العادية ما زالت بحاجة إلى دراسة وما زال هناك تساؤل – أيضاً – حول الفعالية المتباينة لوسائل الاتصال الأخرى بالنسبة لهذا الجمهور .

٤ – ينظر إلى الاتصال الشخصى أو اتصال الوجه للوجه – عموماً – بوصفه أكثر الأدوات فعالية بالنسبة للناس وفيما يتعلق بعملية الإقناع أو التأثير لما يتميز به من قدرات ومرونة وعرض آنى للجزاء والعقاب ، بالإضافة إلى الخصائص الأخرى النابعة من العلاقة الشخصية المتضمنة فى عملية الاتصال الشخصى .

٥ – أن استخدام وسيلة من وسائل الاتصال الجمعى مدعمة ومعضدة بالاتصال الشخصى يحقق نجاحاً باهراً وهو من أهم مميزات الحملات الدعائية الناجحة وخصائصها ، ويعتقد بعض الباحثين

أن هذه الطريقة تعتبر تدبيراً اتصاليا متفوقاً من حيث التأثير ، والإقناع، ولكن ذلك مجرد تخمين لا يعتمد كثيراً على الدراسات الثابتة .

كما وافق « دافيد مانتج هوايت » D.M. white « متدلسون » على نظرته التى ترى أن تضخيم آثار الاتصال الجمعى إنما هو ضرب من المبالغة تميز به الاتجاه التقليدى الذى تعبر عنه دراسات « لازارسفلد » « وهوفلاند » وغيرهما ممن كانوا يركزون جل اهتمامهم على التعرف على الآثار قصيرة المدى التى تحدثها الاتصالات من حيث التغيرات فى الآراء والاتجاهات والأفعال إلا أنه يرى أن النتائج التى تراكمت منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن أوضحت أن هذه الآثار التى تمارسها الاتصالات الجمعية ضئيلة جداً على خلاف ما كان متوقعاً ، ومن ثم فإن التوقعات التى كان يتوقعها الباحثون عن آثار ضخمة للاتصال إنما كانت توقعات ساذجة حيث إنه من السذاجة أن نتوقع أن الناس يتأثرون بما يسمعون ويقرأون ويشاهدون ومن الواضح الآن — وبمرور وقت طويل وظروف متعددة — أن وسائل النشر والدعاية كالصحافة والراديو والتليفزيون لا يمكن . أو لا تستطيع — وحدها — أن تمارس تأثيراً على النظم الاجتماعية الكبرى . أو العمليات الاجتماعية الكبرى لأنها لا تتمتع بمزايا تتمتع بها بعض المؤسسات الكبرى كالمؤسسات الدينيـــة والتعليمية فكلاهما يتمتع بممارسة نوع من القوة الإلزامية أو القهرية بالإضافة إلى الفترة الطويلة التى تستغرقها ممارسة نشاط كل منهما . والمتابعة المستمرة لهذا النشاط ، بالإضافة إلى أن المؤسسات الدينية والتعليمية تصل إلى درجة عالية من التنظيم يفتقدها الكثير من وسائل الاتصال الجمعى[1] .

وقد لخص « دافيد هوايت » ذلك الاعتقاد الذى كان شائعاً والذى

(١) D.M. White "*Mass Communications Research : A view in Perspective*" in Dexter and White, op. cit pp. 521-546.

مؤداه أن وسائل الاتصال الجمعى سوف تحسن الأذواق وتؤثر عليها بحيث تقضى على الفوارق بين رجل الشارع وخريج أو أساتذة جامعة أكسفورد[١] .

إلا أن هذا الاضطراب فى التحليلات النظرية والنتائج الإمبيريقية لآثار الاتصال الجمعى قد خلق — حتى بين أولئك الذين يرون آثاراً ضخمة للاتصال الجمعى — نوعاً من التناقض الوجدانى حول آثار الاتصال . وكما عرض « كلابر » فى استعراضه القيم لنتائج بحوث الاتصال الجمعى — والذى أشرنا إليه سابقاً — من أن ما نعرفه عن آثار الاتصال الجمعى إنما يعتمد على ما إذا كنا نناقش نمطاً واحداً من التأثير أو أكثر ، وقد ذكر « كلابر » أن هناك تشاؤماً حول آثار الاتصال الجمعى نتيجة للتناقضات التى تدور حولها ، ومن أهم التساؤلات التى ما زالت تلاقى إجابات متناقضة مدى العلاقة بين وسائل الاتصال الجمعى وبين الانحراف ، وما إذا كانت هناك ثمة علاقة سببية بين مشاهدة برنامج — مثلا — وبين الإقدام على ارتكاب فعل انحرافى معين . وقد خرج « كلابر » بتعميم مؤداه أن الاتصال الجمعى لا يمثل بذاته سبباً للآثار الجماهيرية وإنما هو يعمل من خلال مجموعة من العوامل ، والمؤثرات الوسيطة ، وهنا تميل وسائل الاتصال الجمعى إلى الإعلام Information أو التدعيم Reinforce أكثر مما تميل إلى التغير Change[٢] .

وفى ضوء النظرة السسيولوجية لا يصبح السؤال الأساسى ماذا عن تأثير الاتصال الجمعى فى الناس ؟ وإنما ماذا يصنع الناس بوسائل الاتصال الجمعى؟ ولقد أشار المتبنون لهذا الاتجاه إلى أنه يبدأ بافتراض مؤداه أن الرسالة — فى الاتصال الجمعى لا تؤثر فى الشخص الذى لا يجد لها استعمالا أولا يجد فيها منفعة ، ومن ثم فإن هذا الاتجاه الاستعمالى أو النفعى يرى أن قيم الناس واهتماماتهم وروابطهم وأدوارهم الاجتماعيـــة إنما هى عوامل

---

(١) D.M. White "*Mass Culture in America : Another point of* view" in D.M. White and Bernard Rosenberg (edrs) *Mass Culture: amd The Popular Arts in America*, 1957

(٢) See, J.T. Klapper, *The Effects of Mass Communication*, op. cit.

أساسية تجعلهم يختارون وينتقون الأسلوب الاتصالى المناسب ؛ وينتقون ما يسمعونه أو يشاهدونه أو يقرأونه بالنظر إلى هذه الاهتمامات والمصالح والعلاقات والأدوار[١]

إن المناقشات السابقة تقود إلى نتيجة أكثر تعقيداً وهى أن آثار الاتصال الجمعى لا يمكن أن تكون مثيراً لموضوع معين بطريقة مباشرة، فما هكذا يتأثر الناس إذ أنهم ليسوا ككرات البلياردو يتأثرون لأى عامل خارجى طارئ ؛ فهم عاشوا حياتهم أعضاء فى جماعات تؤثر وتعدل المثيرات التى تأتيهم من الخارج . وهم قادرون على خلق درجة من التكامل بين استجاباتهم وبين عديد من المثيرات التلقائية كثرت هذه المثيرات أو قلت .

وقد ناقش « جونستون » نظرة أخرى مختلفة لهذه الظاهرة وذلك فى ضوء بحث استكشافى انتهى فيه إلى أن هناك عدداً من الأبعاد تؤثر من خلالها القوى الاجتماعية فى إدراك وسائل الاتصال الجمعى ، ومع أنه يرى أن موقف الجماعة يمارس أقوى الضغوط كما أشار إلى ذلك « كاتز » و « لا زارسفلد » فى مؤلفهما وبحثهما عن التأثير الشخصى ؛ إلا أن « جونستون » يشعر بأن الجماعة الصغيرة ليست هى العامل الاجتماعى الوحيد الذى يشكل الإدراك والبصائر فى عملية الاتصال الجمعى . فهو يعتقد أن هناك أبعاداً مختلفة أخرى ينقسم إليها الجمهور كالسن والنوع والمكانة الاقتصادية والاجتماعية والمستوى العلمى[٢] .

ومن الدراسات التى نحت هذا النحو دراسة « فريدسون » Friedson التى توصل فيها إلى أن أطفال رياض الأطفال يفضلون مشاهدة التليفزيون عن الذهاب إلى السينما، بينما يفضل الأطفال فيما بين عشرة أعوام واثنى عشر عاما ، السينما عن التلفزيون[٣] .

---

(١) See, Riley and Riley, op. cit.

(٢) John W. Johnstone "*Social Conctext and Mass Penception*" Studies in Public communication Vol. 2 Summer 1959 pp. 25-30.

(٣) Eliot Friedson "*The Relation of the Social Situation of contact to media in mass communication* P.O.Q. Vol. 17, 1953, pp. 230-238.

وفى مقابل هذه التحليلات النظرية التى تقلل من أهمية آثار الاتصال الجمعى ، نجد تحليلات نظرية أخرى تعطى لمثل هذه الآثار أهمية كبرى . فقد خلص « دانيل ليرنر » فى مؤلفه عن تحول المجتمع التقليدى[١] ومكليلند David Macclelland فى مؤلفه المعنون المجتمع المنجز The Achieving Society[٢] خلصا إلى نتيجة ضخمة مؤداها أن الاتصال الجمعى يمكن أن يحدث آثاراً شخصية أو طباعية عريضة ، وذهب « ليرنر » — عن اقتناع إلى — أن وسائل الاتصال الجمعى تقدم الفرصة والقدرة على إدراك مواقف حياة جديدة ، وأساليب حياة مختلفة كلية عن تلك المواقف والأساليب الممارسة بالفعل ، وهذه قدرة أساسية للعمل فى مجتمع عريض ، والمجتمع الكبير — أو العظيم — هو على التخصيص مجتمع تتنبأ فيه كل مؤسسة صناعية أو مؤسسة أعمال بمطالب ورغبات عملائها غير المعروفين لها ويستطيع كل سياسى أن يتنبأ بمطالب منتخبيه غير المعروفين له وفيه يتأثر الأشخاص — باستمرار — الذين يعيشون ثقافته لثقافات أخرى وافدة عبر الكلمة المطبوعة أو المسموعة أو المشهد المصور ، وإذا قدمت الاتصالات الجمعية وسائل باوغ هذه الأهداف — على حد قول « ليرنر » — فإننا لا نستطيع أن ننكر الدور الضخم الذى تلعبه وسائل الاتصال الجمعى فى عملية التحضر Modernization بل الأكثر من ذلك نجد « ليرنر » يقسم الناس فى مجتمعات الشرق الأوسط — وفقاً لتعرضهم أو عدم تعرضهم أو اتصالهم أو عدم اتصالهم بالاتصات الجمعية — إلى ثلاث فئات[٣] .

١ — متمدين Modern أو عصرى ويقاس بعدة مسائل مثل التعليم وعلمانية التفكير ، والمستوى الاقتصادى المرتفع ، والتعامل مع وسائل الاتصال الجمعى .

٢ — متحول Transitional وهو يتمتع بشخصية حراكية Mobile فهو

---

(١) See Lerner, The Passing of Traditional Society, 1964.

(٢) See D. MacClelland *The Achirving Society*, 1961

(٣) Lerner, *Ibid* pp. 83-85.

يود أن يتغير ولكنه لا يملك إمكانيات التغير . فهو أمى مثلا إلا أنه يتعامل مع وسائل الاتصال الجمعى ، ويستمع إلى الإذاعات الخارجية ، ويضرب مثلا على ذلك بالبقال الذى درس حالته فى قرية بلجات التركية .

٣ — تقليدى Traditional وهو شخص يفكر بأسلوب تقليدى يغلب عليه الطابع الدينى ، وهو لا يود مغادرة قريته إن لم يكن قد غادرها على الإطلاق ويضرب مثلا على ذلك بعمدة قرية بلجات التركية .

وينتهى « ليرنر » إلى نتيجة مؤداها أنه — فى الشرق الأوسط يتميز التحوليون Transitional — فى كل إقليم من أقاليمه بخصائص مثل المشاركة الحضرية Urbanism والتعليم ثم الاتصال بوسائل الاتصال الجمعى ، ومن هنا نلاحظ مدى الأهمية التى يلقيها « دانيل ليرنر » على آثار الاتصالات الجمعية .

أما دراسة « مكليلند » فهى نوع من دراسة مضمون وسائل الاتصال الجمعى وبخاصة فيما يتعلق بأدب الأطفال حيث توصل إلى أن هذا المضمون يرفع من دافع التحصيل والإنجاز وهذا الدافع التحصيلى والإنجازى المرتفع شرط ضرورى وضخم لعملية النمو[1] .

ومن خلال استعراضنا لآراء ليرنر ومكليلند ونتائج دراساتهما نلاحظ أن اهتمامهما الأساسى كان منصبا على الآثار الناجمة مباشرة عن وسائل الاتصال الجمعى ، ولم يركز أحد منهما على قادة الرأى Opinion Leaders أو التنظيمات السياسية الموازية لوسائل الاتصال الجمعى .

ويرى بعض الباحثين أن النتيجة التى توصل إليها كل من « ليرنر » و « مكليلند » فى مجال آثار الاتصالات الجمعية ودورها فى عملية التحضر أو التغير ليست نتيجة خاطئة كلية وإنما هى نتيجة جزئية نتيجة لإغفالها الحقيقة التى مؤداها أن فاعلية وسائل الاتصال الجمعى فى عملية التمدين

---

(١) Sec. McClelland, *op. cit.*

أو التحضر تعتمد على تنظيم متطور جدا من التأثير والاتصال الشخصى ، أو الاتصال القائم على المواجه ، كما يرى أن هذه النتيجة التى توصل إليها « ليرنر » و مكليلند » نتيجة صادقة لبعض الآثار الأساسية أو النتائج الأساسية لوسائل الاتصال الجمعى ولكنها ليست صادقة تماماً .

وقد وضعت « اثيل دى سولابول » Ithiel De Sola Pool [1] تنميطاً Typology لما تكون عليه آثار أو نتائج وسائل الاتصال الجمعى التى تنقسم إلى نوعين رئيسيين :

١ — آثار تقع على الأفراد المعرضين لوسائل الاتصال الجمعى .

٢ — آثارنظامية Institutional Effects نابعة من الوجود الحقيقى والمستمر لنسق الاتصال الجمعى .

وترى من بين الآثار الآنية والمباشرة التى تحدث نتيجة لتعرض الأفراد لوسائل الاتصال الجمعى ما يطرأ من تغيرات على المجالات التالية :

١ - الاهتمام	٢ — الشهرة	Saliency
٣ — المعلومات	٤ — المهارات	Skills
٥ — الأذواق Tastes	٦ — التصورات	Images
٧ — الاتجاهات Attitudes	٨ — الأفعال	Actions

وهى ترى أن التغيرات التى تطرأ على أحد المتغيرات السالفة الذكر يمكن أن يتبعها تغيرات فى باقى المجالات الأخرى ، فالتغير الذى يطرأ على فعل شخص قد يتبعه تغير فى اتجاهه كما أن التغيرات التى تطرأ على اتجاهات شخص قد يتبعها تغير فى أفعاله ، والتغيرات التى تطرأ على المعلومات التى فى حوزة الشخص ومتناول يده قد تتبعها تغيرات فى مجال توزيع الاهتمام . والتغيرات التى تطرأ على تصورات الشخص قد تحدث تغيرات فى معلوماته .

---

(١) I.S. Pool, "*The Mass Media and Their Interpersonal Social Functions in the Process of Mdernization*" in Dexter and White, op. cit p. 140.

وانتهت تجارب عديدة إلى أن وسائل الاتصال الجمعى تمارس عملها مباشرة فى مجالات الاهتمام والمعلومات والأذواق والتصورات ، حيث أوضحت دراسة الانتخابات على سبيل المثال ، أن الحملة الانتخابية تؤتى نتائج محدودة فى مجال التغيرات التى تطرأ على الاتجاهات — على المدى القصير — ولكنها تؤتى نتائج عظيمة من حيث جذب الاهتمام نحو موضوع أو آخر[١] .

وقد كشفت دراسات التليفزيون أنه وسيلة ذات تأثير مباشر محدود نسبيا على الاتجاهات الكبرى إلا أنه ينمى الأذواق (الطيب منها والردىء) وهو يحشو عقل المتفرج بالتصورات[٢] .

ودعم « هارولد اسحق » الفكرة التى تقول بأن هذه الآثار البسيطة أو « الخرابيش » التى تتعرض لها عقولنا يمكن أن تلتقط من مصادر مختلفة بما فى ذلك الأدب والسينما[٣] .

أما التغيرات فى المهارات والاتجاهات فهى أقل قابلية للحدوث عن طريق وسائل الاتصال الجمعى . وإذا حدث ذلك أحياناً فإنه قد لايحدث فى أحيان أخرى . فعادة ما تكون العلاقات الشخصية القائمة على أساس المزاجهة هى العامل الحاسم والأساسى لإحداث التغير فى هذا المجال .

إلا أن مناقشة تأثير الاتصالات الجمعية على الاتجاهات تصبح مناقشة فجة إذا لم نحدد أى نوع من الاتجاهات تكون أكثر قابلية للتأثر بوسائل الاتصال الجمعى وهنا نستطيع أن نصنف الاتجاهات على أسس مختلفة ؛ الأساس الأول هو التميز بين الاتجاهات وفقاً لشدة جمودها Regidity ، أو

---

(١) See, Lazarsfeld, Berlson and Gaudet, *The People's Choice* op. cit and see also, Lazarsfeld, Berelson and Mac Cphee, *Voting, op. cit*

(٢) See Hilda Himmelweit, et al, *Television and the Child*, 1958 and Schramm, Lyle and E. Parker, *Television in the lives of our children*, 1960.

(٣) See, H.R. Isaacs, *Scratches on our minds*, 1958.

مرونتها ، أو ظهورها وبروزها . وهنا تكون الاتجاهات المرنة وغير المتمسك بها أو المتعصب لها أكثر استعداداً للتأثر والتعديل والتغير عن طرق وسائل الاتصال الجمعى . ولكن ذلك لا ينطبق على الاتجاهات الجامدة والعميقة ، وتعضد نتائج التجارب التى أجريت فى هذه المجال ، ونتائج المسوح الاجتماعية هذه النتيجة ، ويمكن أن نتخذ أساساً آخر للتصنيف يميز ما بين نوعين من الاتجاهات على النحو التالى :

١ — النوع الأول اتجاه سطحى وهو مؤسس على قدر ضئيل من المعرفة بموضوعه ، فالشخص قد يكون اتجاهاً ضد بلد معين بحكم معلوماته البسيطة عن هذا البلد أو معلوماته المشوشة عنها . « وهذا ما نجحت فيه الدعاية الغربية — إلى عهد قريب — فى خلق اتجاهات مضادة نحو المعسكر الاشتراكى . »

٢ — اتجاهات قائمة على معرفة عريضة وخبرة واسعة .

ويقرر « فيليب داڤيسون » W. Philip Davison [1] أن الاتجاهات ، والنماذج السلوكية . والأشكال الأخرى من المعلومات التى استدمجناها وتشربناها حينما تكون قائمة على خبرة ضئيلة وتخدم فى نفس الوقت حاجات بسيطة وضئيلة ، فإن تغيير مثل هذه الاتجاهات أمر سهل يسير ، ولكن عندما تكون الاتجاهات المستدمجة والمتشربة قائمة على أساس خبرة عميقة ، وعريضة وتشبع حاجات يستشعرها الفرد استشعاراً عميقاً فإنه يصبح من الصعوبة بمكان تغيير مثل هذه الاتجاهات وتعديلها . ولكن إذا استشعر الشخص حاجة إلى التغير ، أو إذا تغير المجال البيئى له فعليه — فى هذه الحالة — أن يهجر — على الأقل — جانباً من هذه المعلومات المكدسة فى ذهنه الواعى أو القبشعورى ، ومن ثم فإن ذلك يؤده إلى أنماط من الفعل قادرة على تحقيق التكيف مع بيئته ، وهنا يلعب

(١) W.P. Davison, "*On The Eeffects of Communication*" in Dexter and White, op. cit pp. 69-98.

الاتصال الجمعى دوراً هاما فى تقديم المعرفة والمعلومات والخبرة حيث إن بعض هذه المعلومات يتحدث عن التغيرات التى طرأت على البيئة الفيزيقية ، والاجتماعية التى قد تتطلب تعديلا وتكيفاً فى السلوك بينما يترا كم البعض الآخر من هذه الخبرة والمعلومات لكى تكون جاهزة للاستخدام فى التعامل مع البيئة فى صورتها المتوقعة ، والأهم من ذلك كله أن هذه المعلومات الجديدة تمكننا من أن نحدد أنماط سلوكنا وعاداتنا التى تتطلبها التغيرات الجديدة ، ولابد إذن أن يصاحب هذه التغيرات معلومات تعطى للناس وتوصل لهم حتى يوائموا أفعالهم وعاداتهم وفقاً لها . هذا علماً بأن أغلب هذه المعلومات يمكن اكتسابها أو معرفتها بواسطة الملاحظة المباشرة . أو المحادثات الشخصية فى نطاق القرابة والجيرة ، والمجتمع المحلى ، والعمل ، والاستماع إلى الناس وهم يتجاذبون أطراف الحديث ، ولكن يبقى جانب من المعلومات الهامة لا يمكن اكتسابها من مصادرها الأولية ، وهنا تتجه الأنظار إلى الاتصالات الجمعية . ولكن الاتصالات الجمعية لا تقف عقبة أمام المحادثات الشخصية . بل هى قد تدعمها وتعضدها ، وذلك بخلق مجال للمشاركة الفعالة فى المناقشة الشخصية تبعاً لما تقدمه من معلومات تكون موضع مناقشة وحديث . وهنا نستطيع أن نقول إن اهتمام الناس بالاتصال الجمعى إنما هو اهتمام انتقائى - إلى حد كبير - فكثير منهم يقرأون العناوين العريضة ثم يبحثون عن قراءات جانبية مفضلة لديهم أو تهمهم كجماعة أو فئة اجتماعية معينة ، وهنا يمكن تقسيم المشاركة فى الاتصال الجمعى إلى ثلاثة أنواع أو ثلاث فئات :

١ - موضوعات يبحث الناس عنها بتشوق .

٢ - موضوعات يراها الناس بالمصادفة ويكتشفون - بالمصادفة - أنها مفيدة .

٣ — موضوعات يستبعدونها كلية لأنها سوف تعوق عملية الإشباعات الشخصية .

إذا حاولنا تلخيص ما سبق أو إعادة صياغته نستطيع أن نقول إن الاتصالات تربط الفرد بالعالم الخارجي . ولكنها لا تعقد صلة بينه وبين جميع جوانب هذا العالم الخارجي . ويرجع ذلك — فى جانب منه — إلى عدم قدرة الكائن الإنسانى على استيعاب كل شيء من ناحية ، وإلى أن كل فرد ينتقى الجوانب البيئية التى تشبع لديه وتحقق له حاجات أساسية ، وفى هذه العملية الانتقائية يكون الفرد مقوداً وموجهاً — بواسطة عاداته واتجاهاته وقدراته إلى الانتقاء بوعى . فالقول الذى يرى أن الإنسان يدرك ما يهمه من الأشياء إنما هو قول صحيح إلى حد كبير .

ويؤكد علماء الاجتماع أهمية إدراك الأفعال الإنسانية بوصفها مجهودات تربط الإنسان ببيئته أو عالمه ، وفى ضوء ذلك لا يمكن القول أن الاتصال يحدث آثاراً سلوكية فى حد ذاته ، ومادام هو مجرد رابطة بين الفرد وبعض جوانب عالمه فإنه يمكنه من الاستجابة إلى هذا العالم أو معالجته .

ويمكن أن يقود الاتصال الجمعى إلى سلوك تكيفى بالنسبة لأولئك الذين يتعرضون له بطرق ثلاث رئيسية على النحو التالى :

١ — تستطيع الاتصالات الجمعية أن تقدم تقارير عن التغيرات الحادثة ، أو المتوقعة فى البيئة ، وطالما أن هذه المعلومات أو التقارير غير معروفة سلفاً فسوف تمثل معرفة جديدة — بالنسبة للمستقبل — يستطيع وفقاً لها أن يكيف سلوكه فى حدود معينة مثل موت فى الأسرة ، أو الحالة المالية السيئة للبنوك ، أو إعلان عن أوكازيونات ، وهنا تستطيع الصحف — مثلا — أن تغير من سلوك الناس كأن يستعدوا للعزاء ، وأن يهرولوا إلى البنوك لسحب أرصدتهم ، أو يسرعوا إلى الأوكازيونات لاغتنام الفرصة ، ولقد استخدمت هذه الطريقة التكتيكية فى الحرب النفسية المصاحبة للحرب العالمية الثانية حيث كانت الإذاعات تقدم أخباراً عن التطورات فى ميدان القتال .

٢ ــ أما الطريقة الثانية التى تقود إلى تكيف سلوكى فهى تتمثل فى إبراز إحدى الملامح الموجودة فى البيئة فعلا وإظهارها على السطح (وذلك ليس تغيراً فى البيئة) وبذلك تثير فى الشخص الرغبة فى التكيف السلوكى حتى يحقق مزيداً من الإشباع (وقد استخدمت هذه الطريقة استراتيجياً فى الدعاية المصاحبة للحرب العالمية الثانية، كما تستخدم فى الإعلان عن المصايف الجديدة مثلا ، وفى هذه الحالة قد تقدم الاتصالات الجمعية بعض المعلومات الجديدة) .

٣ ــ أما الطريقة الثالثة فتتمثل فى أن الاتصالات الجمعية قد تقدم للمستقبل طريقة جديدة وأسلوباً جديداً للتعامل مع بيئته أو عالمه ، فأولئك الذين خبروا عقيدة دينية ، أو تبنوا فلسفة جديدة قد يرون نفس العالم حولهم ولكنهم يفسرونه تفسيراً جديداً ، وقد لا يطرأ تغير على حاجاتهم الأساسية ، ولكنهم يكتشفون نمطاً سلوكيا جديداً سوف يخدم هذه الحاجات ويشبعها بطريقة أكثر كفاية من النمط السابق . وقد يطرأ تغير على التأكيد النسبى الذى يضعونه على القيم المختلفة ، وقد يشيع ذلك الأسلوب الثالث فى البرامج التعليمية التى تقدمها الاتصالات الجمعية .

ويمكن أن نستخلص من هذه المناقشة التحليلية عدة تطبيقات ذات أهمية بالنسبة لآثار الاتصال الجمعى وحيث إن مثل هذه النظرة التى نوقشت فى التو ترى أن القائم على الاتصال الجمعى أو رجل هذا الاتصال يستطيع أن يمارس تأثيراً على الاتجاهات والسلوك حينما يكون قادراً على نقل معلومات قد يستخدمها الجمهور لإشباع حاجات لديه أو مطالب ، ولكن هذا التأثير قد يمارس بطريقة أكثر فاعلية إذا كان لرجل الاتصال هذا سلطة على بعض الجوانب البيئية ذات الدلالة بالنسبة للجمهور، وهنا يكون عمله سهلا ميسوراً ، أما إذا فقد هذه السلطة فإن كل ما يستطيع أن يفعله هو أن يقدم معلومات تتعلق

بالتغيرات التى تطرأ على عالم هذا الجمهور أو حول التغيرات المنتظرة وذات الدلالة بالنسبة لهذا الجمهور[١] .

لكن أهم ما تتضمنه مناقشة داڤيسون أنها تنبه القائمين على الاتصال الجمعى إلى أن الجمهور لا يمثل جانباً سلبيا . بينما الاتصاليون يمثلون الجانب الإيجابى . فرجل الاتصال الذى لا يعرف جمهوره وواقعه بما يتضمنه هذا الواقع من قيم وعادات وتقاليد بالإضافة إلى حاجات الجماهير ليس من المتوقع — له — أن ينجح على الإطلاق فى التأثير عليهم .

معنى هذا أن الاتصالات الجمعية قد تمارس تأثيراً على بعض الاتجاهات — فقط — بينما يقف البعض الآخر من الاتجاهات أمامها فى صلابة مقاوماً أى تأثر أو محاولة للتعديل . فلقد كشف العلاج النفسى أن تغيير الاتجاهات الضاربة جذورها فى الشخصية يتطلب تنمية وتطوير علاقة عميقة مع شخص مرجعى كما يكشف عن ذلك أيضاً التراث التربوى .

أما المهارات فيمكن أن نقسمها إلى نوعين ، بينما يمكن للإنسان أن يتعلم نوعا منها بسهولة ويسر عن طريق القراءة أو برامج الراديو أو التليفزيون أو السينما ؛ فإن تعلم النوع الآخر — وهو الصعب — يتطلب مستوى معيناً من الدافعية Motivation يحدده شخص مرجعى ، أو جماعة مرجعية هامة .

أما الأفعال فإن التراث يدل على أن الأمر يتطلب — أولا — أن تمارس هذه الأفعال بواسطة أشخاص مرجعيين قبل أن يقوم بها الفرد العادى[٢] .

إن التغيرات فى مثل هذه الأبعاد . أعنى الاتجاهات والأفعال ، مسألة فى غاية الأهمية وبخاصة فيما يتعلق بالتنمية الاجتماعية والتغير الاجتماعى ، وتشير

(١) See, Davison, *op. cit.*

(٢) See, I.S. Pool, op. cit.

مختلف التحليلات النظرية والنتائج الامبريقية إلى أن التغيرات فى الأفعال والمهارات والاتجاهات لن تحدث بفعالية بواسطة وسائل الاتصال الجمعى فقط ولكن فاعلية الاتصالات الجمعية سوف تكون دالة مباشرة أو وظيفة لفاعلية تنظيم سياسى ترتبط به هذه الاتصالات الجمعية . وسوف نعود إلى مناقشة مفصلة نسبياً ومدعمة بالبحوث والدراسات للتغير فى الاتجاهات والأفعال والآراء كمحور مركزى للتغير الاجتماعى المقصود فى هذه الدراسة .

ولكن ماذا عن الآثار السياسية التى يمكن أن تمارسها الاتصالات الجمعية ؟

لقد نوقشت قضية تأثير الاتصالات الجمعية على المسائل السياسية مثل الانتخابات والتحزب وما إلى ذلك إلا أن نتائج هذه المناقشات كانت تعانى من نفس التناقض الذى عانت منه الآثار التغيرية والتى نوقشت آنفا إلا أنه — من المقرر — أن الاتصالات الجمعية تمارس دوراً هاماً فى هذا المجال ، فقد خلقت رابطاً قوياً بين أجزاء المجتمع المختلفة ، وفتحت الثقافات التقليدية على ما يدور فى المجتمع من أحداث سياسية واجتماعية[١] بالإضافة إلى أن الاتصالات الجمعية قد منحت السياسيين فرصة سانحة للشهرة والعمل ، فالصحافة تمكن السياسى من أن يمارس أفعاله على نطاق قومى كما تمكنهم من تقديم كلماتهم فى وقت متزامن لجميع أبناء الإقليم كما أنها تهيئ الفرصة لقيام أحزاب قومية كما تعطى الاتصالات الجمعية ، وبخاصة الصحافة — للسياسيين فرصة بناء قاعدة قومية معترف بها من الإجراءات التى تدعم مكانتهم ، وهنا تلعب الاتصالات الجمعية دوراً هاما فى تحقيق الاتفاق أو الإجماع السياسى .

من خلال التحليل السابق ، وفى ضوء التراث المتعلق بموضوع الاتصال الجمعى يمكن استخلاص الشروط اللازمة للاتصال الناجح أو المواصفات التى

(١) See, G. Hirabayashi and F. Elkhatib "*Communication and Political Awareness in the Villages of Egypt* P.O.Q. Vol. 22 No. 3, 1958.

ينبغى أن تتوفر حتى يمارس الاتصال تأثيراً ويمكن وضع هذه المواصفات فى أربعة شروط رئيسية على النحو التالى : —

١ — جاذبية الرسالة . أو مضمون الاتصال بالنسبة للمستقبل أو الجمهور .

٢ — يجب أن تستخدم الرسالة أو مضمون الاتصال الجمعى لغة مشتركة بين المرسل والمستقبل .

٣ — يجب أن تثير الرسالة بعض الحاجات الشخصية لدى المستقبل وأن تقترح عليه الطرق التى يتبعها فى إشباع هذه الحاجات .

٤ — يجب أن تكون الطرق المقترحة لإشباع هذه الحاجات مناسبة لموقف الجماعة التى ينتمى إليها المستقبل فى الوقت الذى يتحرك فيه نحو الاستجابة المرغوبة .

ويتضح من هذه الشروط أو المواصفات أهمية التركيز على المستقبلين أو الجمهور ومن ثم — ولكى يمارس الاتصال تأثيراً — لابد من تحديد الوقت المناسب لبدء عملية الاتصال ونوع اللغة التى تستخدم والاتجاهات والقيم التى يضرب عليها الاتصال ، ويجعلها عوامل جاذبة ، وذلك بالإضافة إلى معايير الجماعة التى ينتمى إليها المستقبل ، وهذه العمليات تتميز بسهولة نسبية فى مواقف الاتصال الشخصى ولكنها تكون غاية فى الصعوبة فى عملية الاتصال الجمعى .

ويهمنا أن نحلل بشىء من التفصيل الشروط : الثانى والثالث والرابع لأهمية هذه الشروط ودلالتها من حيث موضوع البحث هنا ، فنثير عدة تساؤلات ، ماذا نعنى بالخبرة المشتركة ، أو اللغة المشتركة بين المرسل والمستقبل ، نعنى بذلك أن يكون هناك نوع من التناغم والتوافق بين رجل الاتصال والمستقبلين ، فلطالما كانت هناك خبرة نامية بالبيئة فإنه يجب تصنيف هذه الخبرة وتوضيحها فى ضوء ارتباطهـــا بخبرات المستقبلين وحاجاتهم واهتماماتهم . إن المستقبل سوف يرفض الاتصال الجمعى الذى لا يناسب بناءه ، فهو على سبيل المثال

لن يقدم على قراءة نظرية « آينشتين » فى النسبية طالما هو غير قادر على فهمها ، وإذا كانت الطائرة على سبيل المثال خبرة حديثة بينما الطائر خبرة قديمة بالنسبة للمستقبل فإنه قد يفسر الإشارة الاتصالية التى تشير إلى الطائرة على أنها طائر ضخم ذو ضجيج وعجيج ، ومن هنا فلابد لرجل الاتصال أن يدرك أنه يتحدث نفس لغة المستقبل ، كما أن عليه أن يدرك أيضاً أن مضمون اتصاله الجمعى لا يتصارع مع طريقته الخاصة وأسلوبه الذى يدرك به العالم .

أما عن الشرط الثالث فهو يؤكد على ضرورة إثارة الاتصال الجمعى لبعض الحاجات الخشصية كالحاجة إلى الأمن أو الانتماء أو الفهم أو خفض التوتر والحب والتخلص من القلق وهلم جرا ؛ أى أن الاتصال الجمعى — حتى يكون فعالا — عليه أن يثير حافزاً يستشعر الفرد من خلاله توتراً يستطيع أن يخفضه عن طريق الفعل ، وعندئذ يستطيع الاتصال أن يضبط الفعل الناتج ويراقبه وذلك بأن يقترح الفعل الذى على الشخص أن يقوم به لخفض توتره[١] .

ويركز الشرط الرابع على ضرورة ملاءمة الفعل المقترح ، أو الطريق المقترح لموقف الجماعة التى ينتمى إليها المستقبل وقيمها ومعاييرها ، فلطالما كان الفرد يعيش فى جماعة وطالما يتلقى تعليمه وتربيته فى جماعات أولية ، وهو بذلك يكتسب أغلب معاييره وقيمه فإن هذه الجماعات هى التى تشكل نظام الفرد أو نمط سلوكه أو رتينه فى الحياة ، بل الأمر يتعدى ذلك حيث إن الفرد يستجيب معظم استجاباته الاتصالية فى جماعات . فإذا كان على الاتصال أن يغير من سلوك الفرد فإن المحل الأول لإقرار الموافقة على هذا السلوك الجديد هو الجماعة . ونادراً ما يعى الإنسان متضمنات الجماعة فى ذاته أو الانتماءات الجماعية التى تنمو فيه حتى تتهدد الأخطار مكانه فى الجماعة . وحينما لا توافق الجماعة على استجابته الاتصالية — بطريقة معينة — فإنه يكره القيام بهذه الاستجابة وإذا كانت جماعته توافق بشدة على نوع معين من الفعل فإنه يختار هذا

(١) See, Schramm, *The Process and Effects of Mass Communication op. cit.*

النموذج الذى يتمتع بموافقة هذه الجماعة من بين اختيارات متاحة متعددة ، فمن غير المعقول — على سبيل المثال — أن توجه الاتصالات الجمعية إعلاناً عن لحم الخنزير إلى المسلمين ، ومن غير المعقول أيضاً أن توجه إعلاناً عن مزايا لحم البقر للهنود التقليديين الذين يقدسون البقر .

وهناك إذن مبادئ عامة يمكن ذكرها بكثير من الاطمئنان ونحن بصدد التنبؤ بآثار الاتصالات الجمعية ؛ أول هذه المبادئ هو أن الاتصال الجمعى سوف ينجح فى ممارسة تأثير إذا كان مناسباً لأنماط الفهم والاتجاهات والقيم والأهداف التى يتميز بها المستقبلون ، أو على الأقل إذا بدأت الاتصالات بالنمط الموجود فعلا ، ثم حاولت — بعد ذلك — إعادة تشكيله . أما المبدأ الثانى فهو ما يسميه باحثو الاتصال بال Canalizing[1] أى أن الاتصال الجمعى يقدم قناه لمواجهة الحوافز الموجودة فعلا لدى المستقبل ، بمعنى آخر يبدأ رجل الاتصال الجمعى من مكان الجمهور وموضعه أما المبدأ الثالث فهو الذى يقرر بأن الاتصال الجمعى ما هو إلا عنصر واحد فقط ضمن أربعة عناصر هامة تحدد الاستجابات المتوقعة وهذه العناصر الثلاثة هى :

١ — الحالة الشخصية للمستقبل .

٢ — انتماؤه إلى جماعات معينة ومشاركته فى معايير هذه الجماعات .

٣ — الموقف الذى — فيه — يستقبل الاتصال الجمعى .

وترجع الصعوبة فى التنبؤ بآثار الاتصال الجمعى إلى صعوبة التحكم فى دور هذه العناصر الثلاثة فى عملية التأثير — وهذا ما سوف نحاول أن نتحكم فيه الدراسة الحالية — أما حينما يتقهقر الموقف . وتنسحب ضغوط الجماعة وتتكسر مقاومة الشخص وعدائيته فإن الاتصال يصبح فعالا ومؤثراً — معنى

(١) See, Schramm, *op. cit.*

هذا أنه من الخطورة بمكان أن نفترض علاقة مباشرة وبسيطة بين الاتصال الجمعى وآثاره دون أن نحاول فحص أبعاد العناصر الأخرى فى الموقف .

والآن نخلص من مناقشة آثار الاتصال الجمعى هذه على المستوى التحليلى النظرى أحياناً ، وعلى المستوى الأمبيرقى أحياناً أخرى ، إلى أن هناك وجهتى نظر ، الأولى وجهة النظر التقليدية التى تضخم من آثار الاتصال الجمعى وتربط ربطاً مبسطاً ومباشراً بين الاتصال الجمعى وآثاره ، وهى وجهة نظر غير سسيولوجية لأنها لا تضع موضع الاعتبار العوامل الأخرى المتضمنة فى موقف الاتصال كالعوامل الشخصية والجماعية والاجتماعية بل موقف الاتصال ذاته ، وعموماً نستطيع أن نقول إن هذه النظرة لم تلق تدعيماً أمبيرقيا ، وهى كثيراً ما تتهم بالسذاجة . ولا يعد هذا الاتهام — من قبل الذين يقللون من أهمية آثار الاتصال الجمعى — نوعاً من التصوير الكاريكاتيرى الساخر له حيث إن تراث العلم الاجتماعى يدعم نظرتهم المتحفظة نحو آثار الاتصال الجمعى .

أما النظرة الثانية إلى آثار الاتصال الجمعى فهى التى لا تضخم أو لا تميل إلى تضخيم آثار الاتصال الجمعى على اعتبار أن الاتصال الجمعى ما هو إلا أحد عناصر أربعة لإثارة الفعل والعمل ويمكن الانتهاء من هذا الفصل إلى النتائج التالية التى سوف نتخذ من بعضها فروضاً توجه دراستنا الميدانية عن الآثار التغيرية المختلفة للاتصالات فى قرية مصرية :

٢ — لا يحدث النمط الاتصالى الجمعى تغيرات كبرى فى الفعل الاجتماعى Social action.

١ — لا يصحب التغيرات — قصيرة المدى — فى الرأى والمعتقدات ، تغيرات مناسبة فى الأفعال .

٣ — إذا حدثت ثمة تغيرات فمن المتوقع أن تكون فى اتجاه التحضر .

٤ — إن الاتجاهات والقيم العميقة لا تتغير نتيجة للنمط الاتصالى الجمعى غير المباشر ، بل نتيجة لتغـــير أساسى فى الشخصية ناجم عن المشاركة الاجتماعية العميقة .

٥ ــ لا يقود نمط الاتصال الجمعى غير المباشر إلى تبنى عمل أو نشاط جديد، وإنما هو يخلق وعياً بوجود هذا النشاط حيث يبادئ بعض الأشخاص ــ أولا ــ بتبنى وتقبل هذا النشاط ثم يتبعهم الآخرون ، أى أن الحاجة تظهر إلى قائد أو شخص مرجعى يحترم الجميع رأيه ويقدرونه .

٦ ــ تلعب الاتصالات الجمعية دوراً هاما فى ربط أجزاء المجتمع أوخلق وتنمية التكامل الاجتماعى .

٧ ــ تلعب الاتصالات الجمعية دوراً هاما فى مجال التكامل والوعى السياسيين .

٨ ــ إن الكلمات والأحاديث والرسائل المنقولة عن طريق الاتصال الجمعى لا تغير الناس تغييراً فعالا . بل إن هذا التغيير ــ إن حدث يكون نتاجاً لتضافر النمط الجمعى من الاتصال مع النمط الشخصى الذى يكثف التغيرات فى الرأى ويحولها إلى عمل وفعل بالنظر إلى الجماعات المرجعية والسياق الاجتماعى العام .

٩ ــ مهما يكن وقع الاتصالات المختلفة على الناس فإنها لن تحدث تغيرات فى الاتجاهات والآراء والأفعال وهى بمعزل عن عدد من المتغيرات الهامة كالسن والمستوى التعليمى والمكانة الاجتماعية الاقتصادية ودرجة المشاركة الاجتماعية أو عضوية الجماعات المختلفة ــ بمعنى آخر إن الناس يتأثرون ويتغيرون وفقاً لسنهم ومستواهم التعليمى والاقتصادى والاجتماعى ومدى مشاركتهم الاجتماعية وعضوياتهم فى الجماعات المختلفة .

١٠ ــ تخلق الاتصالات الجمعية وتقدم موضوعات قد تنعقد حولها جماعة مناقشة .

١١ ــ الاتصالات الجمعية تفوق الاتصالات الشخصية فى عملية انتشار الأخبار ، فقد أجرى بوجارت Bogart دراسة فى مدينة أمريكية بقصد التعرف على انتشار الأخبار المتعلقة بحادثة محلية بحتة ، وتوصل إلى أن

الصحيفة والراديو هما اللذان لعبا دوراً أساسيا فى نشر ما يتعلق بهذه الحادثة من أنباء ، إلا أن هذه الدراسة قد توصلت إلى أن أخبار الحادثة المحلية هذه لم تنتشر انتشاراً واسعاً بين جميع المستويات الاجتماعيةوالاقتصادية فى هذا المجتمع (١) .

١٢ــ تدعم الاتصالات الجمعية مواقف قادة الرأى فى المجتمعات التقليدية بخاصة بحيث إن مكانة قيادة الرأى تضفى ــ إلى حد كبير ــ على الأشخاص المتفتحين على العالم الخارجى من خلال وسائل الاتصال الجمعى (٢) .

---

(١) Leo Bogart "*The Spread of News on a Local Event : A Case History*" P.O.Q. 14 (Winter, 1950 - 51) pp. 769-772.

وانظر أيضاً Otto Larsen and Richard J. Hill "*Mass media and Interpersonal Communication in the Difusian of the News Event*" A.S.R. Vol. 19 (August, 1954) pp. 426-433.

(٢) أنظر ، لويس كامل مليكة ، الجماعات القيادية فى قرية عربية ، سرس الليان ١٩٦٤ وأنظر أيضاً ، محمود عودة ، القيادة فى قرية نصرية : رسالة ماجستير غير منشورة مودعة بمكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٦ .

الفصل الخامس

الاتصال الشخصي

سوف نناقش فى هذا الفصل مفهوم الاتصال الشخصى وأبعاده المختلفة . وفى ثنايا هذه المناقشة سوف نعرض لمفاهيم مثل حارس البوابة وقائد الرأى . وبالتالى الاتصال ذى الخطوتين أو المرحلتين الذى قدمه كاتز ولازار سفلد وزملاؤهما ، وسوف نخلص فى النهاية إلى تحليل نقدى لهذه المفاهيم .

نعنى بالاتصال الشخصى التبادل الشخصى للمعلومات ، أو عملية تبادل المعلومات والأفكار والأخبار التى تتم بين الأشخاص دون عوامل أو قنوات وسيطة ، وفى هذه العماية يمثل أحد الشخصين دور المرسل بينما يمثل الآخر دور المستقبل ، ويستخدم مفهوم المصادر الشخصية للمعلومات بطريقة تبادلية مع مفهوم التأثير الشخصى Personal Influence علماً بأن المعنيين لا يتسقان أو لاينطبقان تماماً . ومن أهم مزايا الاتصال الشخصى أنه يتمتع بطريقين لتبادل المعلومات ، وهنا قد يطلب المستقبل مزيداً من المعلومات لتوضيح الأفكار التى يقصد إليها المرسل ، وتنبع الحقيقة التى تقول بأن الاتصال الشخصى أكثر فعالية من الاتصال الجمعى من أن الشخصين اللذين يتفاعلان — أثناء عملية الاتصال — غالباً ما يكونان منتمين إلى نفس الطاقم من القيم والاتجاهات ، ومن هنا فإن كل واحد منهما يكون بمثابة شخص مرجعى بالنسبة للآخر .

ويكاد ينطبق النموذج المثالى الذى حللناه لعملية الاتصال فى الفصل الأول من هذه الدراسة تمام الانطباق على عملية الاتصال الشخصى .

ومع الأهمية البالغة للاتصالات الشخصية — والتى كشفت عنها البحوث حديثا فى مجال التغير وانتشار التجديدات وتقبلها واستعمالها — نجد أن ميدان الاتصال الشخصى يعد ميداناً مهملا من قبل الباحثين فى موضوع الاتصال بعامة ، بينما لقى ميدان الاتصالات الجمعية الاهتمام الأكبر فى الدراسة والتحليل ، ونتيجة لهذا الاهتمام بوسائل الاتصال الجمعى على اعتبار أنها القنوات الأساسية لانتقال الأخبار والمعلومات والأفكار ، فقد اكتسبت بحوث الاتصال الجمعى بناء محدداً غالباً ما يعبر عنه بالصياغة المشهورة التى مؤداها من يقول ماذا لمن وبأى وسيلة وبأى تأثير ؟ وحينما صاغ « لازويل » عبارته الشهيرة هذه كان يعتقد أن محطة

الإذاعة . والصحيفة . يمكن أن تشابه أو تقارن بالشخص الذى يرسل مجموعة من الرسائل . ومن هنا فإن هذه العبارة ينبغى أن تتضمن معانى أكثر مما كانت تقصده فعلا . بمعنى أنها ينبغى أن تعدل بطريقة تجعلها قابلة للتطبيق على الاتصال الشخصى كما هى قابلة للتطبيق على الاتصالات الجمعية .

وقد ازداد الاهتمام — الآن — بدراسة الاتصال الشخصى حيث أصبح من الواضح أن الشخص الذى يقرأ شيئاً ، ويتحدث به وعنه إلى آخرين لا يمكن أن ينظر إليه ببساطة بوصفه مماثلا لبعض التنظيمات الاتصالية كالصحيفة . أو الإذاعة[١] حيث ينبغى أن ندرس مثل هذا الشخص وفقاً لقدرته الفريدة ذات الوجهين Two fold capacity كشخص متصل أو رجل اتصال Communicator من ناحية ومركز إرحال أو تجديد Relay Ppoint من ناحية أخرى . مركز تجديد بمعنى أنه ينقل ما يسمعه أو يقرؤه أو يشاهده إلى آخرين . ومن هنا تظهر الحاجة إلى مزيد من دراسات الاتصال الشخصى .

وحيث إن دراسات الاتصال الشخصى ما زالت حديثة ونامية فإنه لم يكن بالإمكان تطوير مدخل أو اتجاه موحد لهذا النوع من الدراسات[٢] .

وقد اتضحت أهمية الاتصال الشخصى فى مجال التأثير سواء جرى هذا الاتصال فى مجتمعات حديثة ومتطورة أو فى مجتمعات تقليدية ، وإن كان فى الثانية يفوق الأولى حيث يعد مصدراً بديلا إلى حد كبير وبخاصة فى حالة غياب نسق أو نمط من الاتصال الجمعى ، وقد اتضحت هذه النقطة من خلال سلسلة دراسات لليونسكو حول الاستماع إلى الراديو ومشاهدة التلفزيون ، حيث أجرى « بول نيورات » Paul Neurath — على سبيل المثال دراسة على برامج الراديو فى قرية هندية ، ووجد أنه فى المواقف الضابطة حيث كان المستمعون أشخاصاً فى وضع عادى لم تمارس هذه

---

(١) See, Katz and Lazarsfeld, Personal Influence, op. cit.

(٢) Ibid, p. 1

البرامج أى تأثير ، ولكن حينما نظمت جماعات الاستماع وأديرت مناقشات حول البرامج بعد إذاعتها مباشرة أحدثت هذه البرامج تأثيراً كبيراً ، واتبع أغلب المستمعين الاقتراحات التى قدمتها[١] . وهذا ما توصلت إليه أبحاث أخرى أجريت فى فرنسا وفى أقطار أخرى عديدة[٢] . كما توصل الباحثون فى ميدان التسويق إلى نتائج مشابهة لتأثير الاتصال الشخصى متضامنا مع الاتصال الجمعى ، فسجل « فيلكس وماريا كيسنج » الثقة التى يضفيها الناس على المصادر الشخصية للأخبار والمعلومات فى « ساموا » حيث لاحظا أن هناك كلمات معينة ، وموضوعات معينة للمناقشة ، والاعتقاد فى صحة الشىء يتأتى بالإشارة إلى أشخاص مسيطرين[٣] .

وقد أدركت مؤسسات الاتصال الجمعى ، بدورها — أهمية دور الناس أو الاتصال الشخصى فى شبكة الاتصال . فحاولت إحدى دور الصحف أن تتعرف على قرائها فوجدت معظمهم ممن يحتلون وظائف هامة كأصحاب البنوك ، والمحامين ورجال الأعمال والصناعة . وقد كان هؤلاء يمارسون تأثيراً على قرارات الآخرين سواء بضربهم المثل أو إعطاء النصح ، أو إسداء المشورة ، وانتهت هذه الدار من ذلك إلى أن إرسالها لا يتوقف عند قرائها فقط وإنما هؤلاء القراء ما هم إلا محطة تجديد وإرحال لهذه الرسائل[٤] .

كما أجريت دراسة تحت لواء هذا الاتجاه بإشراف « روبرت ميرتون » ذات مرحلتين ؛ أما المرحلة الأولى فتتمثل فى التعرف على المؤثرين الفعالين وبعد اكتشاف هؤلاء المؤثرين الفعالين والتعرف عليهم فحصت حالتهم

---

(١) J.C. Muther and P. Neurath, *An Indian Experiment in* Farm Radio Forums, Unesco, Paris, 1959.

(٢) H. Cassirer, *Television Teaching Today, Unesco, Paris,* 1960.

(٣) F. and M. Kessing, *Elite Communications in Samoa,* 1956 and see also Thomas Blair "*Social structure and Information Exposure in Rural Brazil*" R.S. XXV, March 1960 pp. 65-75.

(٤) See, Kats & Lazarsfeld, *op. cit* p. 2

فوجد أنهم مشتركون فى المجلات الاختيارية القومية[١] . ولا توضح هذه النتيجة أهمية الاتصال الشخصى فقط ، وإنما توضح أيضاً أن الاتصال الجمعى والاتصال الشخصى فى تفاعل مستمر بمعنى أن الاتصال الجمعى يقدم فرصة لقيادة الرأى بينما يدعم الاتصال الشخصى آثار الاتصال الجمعى[٢] .

وحينما درس تأثير الراديو خلال الحملة الرئاسية عام ١٩٤٠ بالولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى المطبوعات على اتخاذ القرارات فى مجتمع محلى من مجتمعات ولاية « أوهايو » ، أشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن دور وسائل الاتصال الجمعى فى اتخاذ القرارات متضائل إذا ماقورن بالاتصالات الشخصية ، حيث يتخذ الناخبون قراراتهم بحيث يتشابهون فى النهاية ويسايرون الجو السياسى لبيئتهم الاجتماعية إلى حد بعيد ، وتدعم بالدليل الواضح أن هذه القرارات قد تشكلت — إلى حد بعيد — عن طريق نصائح واقتراحات الآخرين الذين يقابلهم الناخبون خلال مجرى حياتهم اليومية العادية . وطالما أن الأمر يتطور هكذا فإن ثمة مجموعة من الأشخاص تتمثل مهمتها فى بلورة آراء زملائهم[٣] .

وقد أصبح من المفترض سلفاً أن الآراء تتشكل بواسطة صفوة من المجتمع وحينئذ تتسرب هذه الآراء من طبقة اجتماعية إلى أخرى حتى تتشابه آراء الجميع مع آراء هذه الصفوة التى تتربع على قمة بناء المجتمع المحلى ، ولكن دراسة الانتخابات المشار إليها تشير إلى الوجود المتوازى بين ما كان يسمى حينئذ بالقيادة الأفقية للرأى ، حيث إن لكل طبقة اجتماعية قادة رأى ينتمون إلى نفس هذه الطبقة ، بمعنى آخر تخلق كل طبقة الأشخاص

---

(١) See, R.K. Merton "*Patterns of Influence : A Study of Interpersonal Influence and Communication Behavior in a Local Community*" in Lazarsfeld and Stanton(edrs) Communication Researches, 1948-49.

(٢) محمود عوده ، المرجع السابق .

(٣) Katz and Lazarsfeld, *op. cit*

الذين تفضل استشارتهم فى أمورها أو الأشخاص المؤثرين بالنسبة لها .

وقد تكشف « لكاتز » من خلال استعراضه للبحوث التى أجريت فى مجال الاتصال والتأثير الشخصى أن هناك ما يشير إلى نمط اتصالى يمكن له أن يطلق عليه المجرى الاتصالى ذو الخطوتين Two-Step Flow of Communication ومنذ هذه اللحظة أخذ هذا الاصطلاح ينمو ويتطور على يد « كاتز » نفسه وغيره من الباحثين . ومؤدى مفهوم الاتصال ذو الخطوتين هذا أنه قادة الرأى فى كل طبقة اجتماعية أو فى كل مجموعة اجتماعية يميلون إلى الاتصال بوسائل الاتصال الجمعى ، أى أنهم من قراء الصحف والمجلات ومن مستمعى الراديو ومشاهدى التليفزيون .

ويبدو من خلال ذلك أنه يمكن افتراض أن التأثيرات النابعة من وسائل الاتصال الجمعى تأتى إلى قادة الرأى Opinion Leaders الذين يمررون — بدورهم — هذه الآثار إلى جماعاتهم أو طبقاتهم[١]

وسعى « كاتز » و « لازارسفلد » إلى اختبار هذا المفهوم الجديد إمبيريقياً حتى يستكشفا من خلال هذا الاختبار الإمبيرقى ذلك المجرى الاتصالى المتعدد الخطوات ، فقاما بتصميم بحث مجاله البشرى قطاعات عرضية من النساء ، وذلك بهدف التعرف على الأشخاص الذين يؤثرون على أفراد هذه العينة فى متابعتهن لمناشطهن اليومية واختار الباحثان أربعة مجالات للدراسة على النحو التالى :

١ — التسوق المنزلى .

٢ — المودة فى الأزياء والمساحيق وأدوات التجميل المختلفة .

٣ — اختيار الأفلام السينمائية اللائى يشاهدنها .

٤ — صياغة الرأى وتكوينه حول المسائل العامة أو الشئون العامة التى حدث أن كانت موضع مناقشات أثناء إجراء الباحثين لبحثهما .

---

(١) *op. cit* p. 4

وسئلت كل مبحوثة عما إذا كانت قد أدخلت أية تغيرات حديثة ، أو اتخذت قرارات فى أى مجال من هذه المجالات الأربعة ، وإذا كان شىء من هذا القبيل قد حدث كانت تسأل عدداً ضخماً من الأسئلة فى محاولة للتعرف على أى وسائل الاتصال الجمعى أو الشخصى قد مارست تأثيراً عليها .

وعن طريق استخدام إجراءات أبعد ، حاول الباحثان التعرف على أولئك الأشخاص الذين يتبين أنهم موضع ثقة واستشارة ونصيحة أعضاء العينة فى بيئاتهن الخاصة . وقد اختار الباحثان المجال الجغرافى لدراستهما وفق متطلبات موضوعية ، حيث جمعا البيانات اللازمة والممكنة عن المدن التى يصل تعداد سكانها إلى ستين ألف نسمة تقريباً ، حيث لاحظا أن هناك عدداً صغيراً من المدن استخلصا أنه متشابه فى ضوء الخصائص الوسطية ، وبإضافة اعتبارات أخرى ركز الباحثان على مدينتى ديكاتور decatur والينوى Illinois وقد انتقى الباحثان خمس مشاكل جمعا بيانات حولها فى ديكاتور ويمكن ضع هذه المشاكل الخمس كما يلى :

١ ــ كيف ترتبط فكرة التأثير الشخصى كما هى محددة فى البحث بمفاهيم أخرى مشابهة كالمركز الاجتماعى والإقناع Persuation وهلم جرا .

٢ ــ حاول الباحثان تطبيق الأساليب السسيومترية ، وهى محاولة مقصودة لاختبار مدى إمكانية تطبيق مثل هذه الأساليب على الجماهير العريضة ، وهى الأساليب التى لم تستخدم ــ منذ اكتشافها وتطويرها ــ إلا فى دراسة الجامعات الصغيرة . ولكن لما كان الباحثان قد اختارا عينة فقط فإنهما لم يتمكنا من تطبيق ذلك على المجموع الكلى للسكان ، إلا أنه كثيراً ما حدث ن يكون الأشخاص المختارون خارج نطاق العينة ، وهنا كان الباحثان يجريان لهما استبارات متابعة منفصلة ، وبقصد انتقاء الأشخاص المؤثرين من داخل العينة استخدم الباحثان أسلوب التعيين الذاتى Self-Designation أو التقدير الذاتى .

٣ – وحينما توصلا إلى معرفة الأشخاص المؤثرين وتحديدهم بالأساليب المتعددة أرادا أن يستكشفا طبيعة هؤلاء الناس وذلك فى ضوء الخصائص الديمجرافية والاجتماعية واهتمامهم بالمجالات التى حـــددها الباحثان مجالا لدراستهما ، ووضعهم فى شبكة الاتصال الجمعى ؛ كما أرادا أن يستكشفا طبيعة علاقاتهم بالأشخاص الذين يمارسون تأثيرهم عليهم هل هم أكبر منهم سنا أم العكس ، وهل هم أعلى مكانة اقتصادية أم غير ذلك ، وهل يشتركون فى عضوية عائلة واحدة أم هم أصدقاء ، أم زملاء عمل ؟

٤ – أراد الباحثان – فيما يتعلق بجميع المبحوثين – أن يقارنا بين التاثيرات التى تأتى من أشخاص آخرين ، والتأثيرات التى تأتى من وسائل الاتصال الجمعى وذلك فى ضوء خبرات اتخاذ القرارات ، وكانت هذه المقارنة بمثابة قضية هامة للباحثين . ولقد قادتهما هذه المقارنة إلى ما يمكن تسميته بتحليل الوقع أو الأثر Impact Analysis .

٥ – كان من المأمول فى بداية الدراسة أن يتمكن الباحثان من إجراء استبارات متابعة مع المؤثرين أو أصحاب النصيحة والمشورة بحيث يستطيعان تتبع سلسلة التأثير التى تسير من شخص إلى آخر ، إلا أنهما – ولظروف مادية – لم يتمكنا من ذلك ، ومع ذلك فإن البيانات التى جمعت تنبئ بمجال جديد وخصيب من مجالات البحث الاجتماعى فى المستقبل .

وذكرت المجيبات ٦٣٤ شخصاً بوصفهم مصادر من مصادر التأثير الشخصى فيما يتعلق بتكوين آرائهم أو تغيرها .

وقد كان التأثير الشخصى عاملا فعالا فى التغيرات التى تطرأ على مسألة التسوق والعادات الشرائية واختيار الأفلام السينمائية ، كما كانت الاتصالات الشخصية متضمنة فى ١٦,٣٪ من الاختيارات فى التغيرات التى تطرأ على المودة وحوالى ١٩,٦ ٪ من الاختيارات يمكن إرجاعها إلى الاتصالات الشخصية .

وما ظهر أنه آراء خاصة أو اتجاهات خاصة كانت مكونة ومشكلة بواسطة أعضاء الأسرة أو الأصدقاء أو زملاء العمل أو الأشخاص المؤثرين ـ عموماً ـ فى المحيط الاتصالى الشخصى للمبحوث حيث وجد الباحثان ما يلى :

١ ـ فى حالة الأفلام السينمائية واختيارها يؤثر الصغار على الكبار .

٢ ـ حينما يكون الأمر بصدد شراء سلع استهلاكية فإن ربة البيت الكبيرة تؤثر فى الصغيرة .

٣ ـ حينما يكون الأمر بصدد تشكيل رأى شخصى حول الشئون المحلية فإن آراء الصفوة تكون مؤثرة[١] .

وأصبح من الواضح ـ وفقاً لهذه الدراسة أن تأثيرات وسائل الاتصال الجمعى ليست متوازية ـ فقط ـ مع التأثيرات الشخصية ولكن تأثيرات الاتصال الجمعى تتكسر ـ إذا أمكن استعارة هذا المفهوم من الضوء ـ على البيئة الشخصية للعميل أو المستقبل كما أنه حينما يؤثر شخص فى آخر فإن مرد هذا التأثير لا يرجع فقط إلى العلاقة بين الشخصين وطبيعتهما ولكن إلى الأسلوب والطريقة التى ينتميان ـ بها ـ إلى دوائر وحلقات من الأصدقاء والأقارب أو زملاء العمل[٢] .

ومع أن الباحثان قد جمعا الكثير من البيانات المرتبطة بهذه القضية أو النتيجة إلا أنهما ـ وباعترافهما ـ لم يوجها بحثهما بأى نظرية من نظريات « ديناميات الجماعة » وفيما يتعلق بالأبحاث المتقدمة ضمن مجال ديناميات الجماعة ـ ومن خلال الاهتمام المتزايد بهذا الميدان فإن هناك خطوتين عظيمتين قد أحرزتا حول « الاتصالات داخل الجماعة ـ يمكن وصفهما كما يلى :

---

(١) Katz and Lazarsfeld, *op. cit.*

(٢) OP. CIT. pp. 7-8.

(ا) تتولد الآراء والاتجاهات الظاهرة ،أو تعاد صياغتها وتكوينها —غالباً— داخل جماعات صغيرة كالأسرة وثلة الأصدقاء وزملاء العمل، وتصبح الآراء أكثر ثباتاً حينما تكون مشتركة بين أعضاء الجماعة ، ولذلك فإن الناس — يفضلون أن يغيروا آراءهم — تحت وطأة الحملات الإعلامية — وهم فى اتصال أو فى معية Togetherness مع زملائهم فى الجماعة ولا يميلون إلى تعديل هذه الآراء فرادى .

(ب) إن الأسر وجماعات الأصدقاء ، وجماعات العمل وما شابه ذلك بمثابة شبكة اتصالات شخصية تتخللها التأثيرات بطرق نمطية محددة، والقائد عنصر استراتيجى من عناصر صياغة آراء الجماعة ، فهو أكثر وعياً بأفكار أعضاء الجماعة ، وهو يحاول التعديل والتوفيق بينهم .

ولما كانت مسألة تأثير أشخاص فى أشخاص آخرين لا تتأثر بالجماعات الأولية فقط ولكنها بالإضافة إلى ذلك ، تتأثر بالوضع النظامى أو البنائى العام ، وحيث قدتمارس بعض الجماعات الضاغطة ذات الجهود المركزة تأثيرات معينة ، فإن الأمر يتطلب دراسة كيفية صيانة الجماعة لاتصالها بالمحيط الاجتماعى الخارجى ويبدأ هذا الموضوع بإثارة سؤال عن البراهين التى تدلل على أن الاتصال ينتقل أو يرحل أو يجـــدد خلال مجرى ذى خطوتين أو مرحلتين ، ونستطيع أن نجد فى بعض البيانات ما يدلل على صحة هذا الافتراض فى مجالات تأثيرية مختلفة ، فقد دعم هذا الفرض — أولا - . دراسة « كاتز ولازار سفلد » التى عرضنا لها فى التو إلا أن نطاق هذا البرهان ما يزال متواضعاً وما سنحاوله الآن هو أن نستكشف ونعين بعض الطرق التى تعمل من خلالها الاتصالات والتأثيرات القادمة من خارج الجماعة حتى تتخذ طريقها بنجاح داخل هـــذه الجماعة لكى تؤثر فى الأفكار والسلوك ومن ثم فإننا سوف نعين ونحدد العلاقات والروابط بين الاتصالات الواردة من خارج الجماعة ، أو من العالم الخارجى للجماعة بتعبير آخر ، وبين الاتصالات الشخصية . وإذا نجحت عملية التحديد هذه فسوف

تتضح أهمية الإتصال الشخصى بالنسبة للاتصال الجمعى . ولا بد ونحن بصدد إجراء مثل هذه العملية — من أن نضع الموقف والمحيط الاجتماعى فى الاعتبار وهنا يمكن اتخاذ جماعات الأقلية مثالا لتوضيح ذلك ، وحيث إنه — فى بعض الأحيان أو فى بعض المواقف يكون المحيط الاجتماعى المرتبط بهذه الأقليات هو جماعات الأغلبية وعندئذ تعين جماعات الأقلية « سفراء » إن صح هذا التعبير من بين أعضائها القادرين على الاتصال بجماعات الأغلبية . وفى أحيان ومواقف أخرى قد لا تكون جماعات الأغلبية على معرفة كبيرة بثقافة جماعات الأقلية وهنا تسنح الفرصة لظهور طاقم مختلف تماماً من الأدوار الإتصالية أو التجديدية أو الإرحالية ، ولقد كانت خصائص هؤلاء الذين يقومون بهذه الأدوار الإتصالية موضع دراسات فى مجال جماعات الزنوج التى اهتم بها « ميردال » Mvrdal[١] وجماعات اليهود التى اهتم بها « كورت ليڤين » Lewin[٢] .

وقد قدم « ميرتون نقطة وصل فى دراسته عن دور الاتصالات الشخصية فى الأخبار والأحداث فى بلدة صغيرة[٣] حيث اكتشف فى هذه الدراسة نوعين من المؤثرين ، النوع الأول يتمثل فى أشخاص يقدمون دائماً الأخبار المحلية للبلدة ، أما النوع الثانى فإنه يقدم الأخبار العالمية أو الخاصة بعالم البلدة الخارجى ، أى إننا بصدد نوعين من ناقلى الأخبار ، ناقل محلى وآخر منفتح على العالم . وحينما نحاول تحديد خصائص هؤلاء الناقلين أو — الا تصاليين فلا بد أن نرجع إلى العوامل البنائية والثقافية إذ أنها سوف تقدم لنا جانباً من التفسير والتحليل . وبالنظر إلى هذه العوامل البنائية والثقافية نجد أن دور ناقل الأخبار أو الاتصالى أو حارس البوابة Gate Keeper قد يختلف من موقف إلى موقف آخر فمدير المكتب — على سبيل المثال — قد

---

(١) Cunnar Myrdal, *The American Dilemma*, 1944

(٢) Kurt Lewin, *Resolving Social Conflicts*, 1948

(٣) R. Merton, Op. cit

يلعب مثل هذا الدور بالنسبة لموظفى مكتبه ، والشخص صاحب الاتصالات بجماعات الأغلبية قد يلعب مثل هذا الدور بالنسبة لجماعته التى تمثل أقلية وأول أسرة اقتنت جهاز تلفزيون تلعب مثل هذا الدور بالنسبة لجيرانها والقروى الذى يمتلك جهاز راديو ، أو يقرأ صحيفة قد يلعب نفس الدور أيضاً على مستوى الجيرة إن لم يكن على مستوى مجتمع القرية برمته ، هذا وهناك أشخاص مجددون بحكم أدوارهم الديموجرافية والثقافية ، وحيث إن المراهقين يودون دائماً أن تساير أسرهم آخر ما وصلت إليه الثقافة الشعبية كالأفلام والأغانى والرقصات الحديثة وبحكم وضعهم هذا . وبحكم أن بعض الثقافات قد تثنى على أنماط معينة من سلوك المراهقين كثقافة الولايات المتحدة ودول غرب أوربا مثلا فإن هؤلاء قد يلعبون دوراً فى نقل بعض الاتصالات إلى ذويهم كآخر الأفلام ، وأحدث الأغنيات ، وهنا نلاحظ أن الثقافة حينما تحبذ نمطاً سلوكياً أو ثقافياً معيناً فإن أول من يتصل بهذا النمط الجديد قد يلعب مثل هذا الدور أيضاً . وهذا الدور بعينه هو ما ينطبق عليه إصطلاح حارس البوابة Gate Keeper الذى قدمه « كورت ليڤين » (١) . أو قائد الرأى Opinion Leader الذى قدمه كل من « كاتز ولازارسفلد » وحارس البوابة أو قائد الرأى هو ذلك الشخص الذى يصل بين شبكة الاتصالات الشخصية والمصادر الخارجية ويشير هذا الاصطلاح إلى التحكم فى عدد استراتيجى من القنوات الاتصالية سواء كانت هذه القنوات لمرور الأخبار أو غيرها كما يشير هذا الاصطلاح أيضاً إلى تملك نوع من القوة أو النفوذ على ما يمر ومن يمر بحيث يستطيع حارس البوابة هذا أن يسمح بمرور ما يريد ومن يريد وأن يمنع هذا المرور أيضاً .

وقد صاغ كورت ليڤين اصطلاحه هذا فى ضوء دراساته عن العادات

---

(١) K. Lewin, "*Group Decision and Social Change*" in Maccoby et al (eds) *Readings in Social Psychology*, 3rd ed. 1958 pp. 197-211.

الغذائية وحيث كان يصدد دراسة عن مدى فاعلية وتأثير الاتصال الجمعى فى تغيير عادات الغذاء فى زمن الحرب ، وعما إذا كان ينبغى توجيه تلك الحملات إلى الناس ككل أم أن هناك عناصر تحتل مراكز استراتيجية بين هؤلاء الناس بحيث إن تأثرت هذه العناصر الاستراتيجية وغيرت من عاداتها فإنها سوف تؤثر فى الآخرين ، وتغير من عاداتهم . فى حالة الطعام — الذى يصل إلى الأسرة عن طريق البدال تكون الأم هى حارس البوابة ، والخادم فى بعض الأحيان بينما يلعب الأب دور حراسة البوابة فيما يختص بالمواد الغذائية التى تنمو فى حديقة المنزل ، والخلاصة أن « ليفين » يرى أن الحملات الغذائية المعتمدة على المجال Sphere يمكن أن تتجه بفاعلية أكثر إلى شخص أو آخر من حراس البوابات هؤلاء وما يصدق فى حالة الطعام هذه يصدق أيضاً — فى رأى — ليفين — على انتقال الأخبار عبر قنوات معينة داخل الجماعة[١] .

ويجب أن ننبه إلى إن هناك تمييزاً بين أدوار مثل مبتكر الفكرة Origintor of Idea ، وناقل الفكرة Transmmier of the Idea ، والمؤثر الفعال Influential ، وقد يكون حارس البـــوابة مبتكراً لفكرة إذا قدم شيئاً من خلقه وابتكاره إلى الجماعة ، وقد يكون مجرد ناقل للفكرة إذا كان ينقلها من خارج الجماعة إلى داخلها ، وقد يمارس تأثيراً وقد لايمارس مثل هذا التأثير وهنا يثار سؤال مؤداه هل يقود دور حراسة البوابة إلى دور التأثير ؟

سوف نحاول الإجابة عن هذا السؤال من خلال الإشارة إلى بعض التحليلات النظرية والتفسيرات الأمريقية التى أجريت فى مجال الجماعات ذات الصلات بأبنية اجتماعية أكبر ، وسوف ننوع من هذه الدراسات طبقاً للتنوع والاختلاف القائم — فعلا — بين هذه الأبنية الاجتماعية ، فقد عرض إدوارد شلز Shils لخمس من هذه الدراسات فى مقال

---

(١) *op. cit.*

بعنوان « دراسة الجماعات الأولية » ، حيث انتهت جميع هذه الدراسات إلى أن قادة الجماعة المختارين بطريقة عادية Normally يجب أن يوفقوا بين حاجات زملائهم ورغباتهم وبين الاتصالات القادمة من أعلى إذا كان على هؤلاء القادة أن يمارسوا أى تأثير (١) .

وأجرى « ليتون » Leighton دراسة فى معسكر توطين للمهاجرين اليابانيين المقيمين بالولايات المتحدة زمن الحرب (وهذه إحدى الدراسات التى عرضها إدوارد شلز) حيث لوحظ أن الوجود الطويل للمجلس القائم بالإشراف على نزلاء هذا المعسكر وحيث لم يكن ممثلا — تماماً — لهم لأنه أصبح أقل كفاءة بوصفه موصلا للمعلومات ومؤثراً ، وسوف ندرك سبب ذلك إذا عرفنا أنه كان هناك نمطين من القيادة وليس نمطاً واحداً ، اليابانيين الصغار أو الشبان الذين نشأوا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، (وهم يقدرون الشخص القوى الذى يظهر استعداداً ورغبة فى تحمل المسئولية وتدبير الخطط وتنفيذ الأعمال ، أما النمط الثانى فكان متمثلا فى كبار السن وحيث إن أغلب كبار السن كانوا يشعرون بالطبع بأن القيادة يجب أن يتولاها كبار السن ورؤوس العائلات ، وهنا نلحظ اختلافاً ثقافياً فى تعيين التأثير وتحديده .

ويبدوا أن الاتحاد السوفييتى يلقى مزيداً من الاهتمام إلى الخطوط الشخصية للاتصال وذلك استشعاراً منه لأهميتها ، فالحزب الشيوعى السوفييتى يدرك تمام الإدراك قوة المؤثرين غير الرسميين ويتفهم دورهم فى رسم السياسة الحزبية الفعالة ، ولقد وضع الحزب الشيوعى مواصفات لهذا المؤثر غير الرسمى تتلخص فى أنه ذلك الشخص المتصل اتصالا وثيقاً بالناس بما يكفل له اكتساب قوة ونفوذ وكسب احترام شخصى . فالداعية الناجح هو الذى لا يعرف طبيعة الشخص الذى يعمل معه — فقط — ولكنه يعرف — أيضاً — كيف يعيش ، كما يعرف الكثير عن أسرته ، وأحواله المعيشية ، ومشكلاته التى يطلب الرأى

(١) E. Shills "*The Study of Primary Groups*" in Learner and Lasswell (edrs) *The Policy Sciences*, 1951

والمساعدة فى حلها ومشاكله الشخصية ، هو إذن الشخص الوثيق الصلة بالناس والذى يكتسب مكانته بالسلطة غير الرسمية ، والاحترام الشخصى ، معنى هذا أن الداعية يؤسس علاقات تضامن اجتماعى مع رفقائه فى العمل ، أو جيرانه فى محل الإقامة ولقد ذكر أحد الأشخاص الذين تلقوا مساعدة من داعية جماعته أن هذا الداعية ينمى الشعور بأن جماعة العمل أسرة ، وأن مكان العمل هو بيت لهذه الأسرة تتمتع بروابط متينة حتى أنه على كل شخص مسئولية معينة تجاه هذه الأسرة . وتشير تقارير الخبرات الشخصية للدعاة العاملين فى المزارع الجماعية أو غيرها من المجالات بخاصة فى مجال ربات البيوت — تشير هذه التقارير إلى أن الدعاة الناجحين هم أولئك الذين تأسس نجاحهم على نموذج العلاقات الشخصية بالجمهور [١] .

وقد أجريت عدة دراسات متأثرة بالإطار المرجعى لقيادة الرأى والاتصالات الشخصية نشير إليها لأن لها — فى اعتبارنا — أهمية مزدوجة فهى تعد بمثابة اختبارات أمبريقيـــة لمفاهيم مثل حراسة البوابة أو قيادة الرأى أو التأثير أو مجرى الاتصال ذو الخطوتين من جهة ولأنها أجريت فى أنساق اجتماعية متكاملة من جهة أخرى أى قرى أو مزارع وما شابه ذلك .

قام « جامسون » Gamson بدراسة عن تأثير القادة المشهورين فى اتخاذ القرارات السياسية أو صنع السياسة فى مجتمعات محلية ، واختار الباحث ثمانية عشر مجتمعا من مجتمعات ولاية « نيو إنجلند » المحلية بالولايات المتحدة الأمريكية فلاحظ تأثيراً ملموساً لهؤلاء القادة ، حيث وجد أن اتحاد هؤلاء القادة وترابطهم يجعلهم فى الجانب الفائز فى الانتخابات كما أنهم يحققون انتصاراً أيضا حينما يؤيدون الجانب الأقل نشاطاً من المرشحين ، بل الأكثر من ذلك أن الباحث قد وجد أن الفئة التى كان التغير ضمن برامجها قد حققت نجاحا بنسبة ٣٠٪ من المرات بدون تأييد القادة المشاهير بينما كسبت هذه الفئة ثلثا المرات حينما أيدها هؤلاء القادة ، وذلك يدعم فعالية الشهرة باعتبارها

---

(١) Alex. Inkeles, *Public Opinion in Soviet Russia*, 1950 pp. 88-89.

مصدراً للتأثير فى اتخاذ القرارات السياسية[١] .

كما قام كل من « كارتر »Carter« وبيتر » Peter بدراسة لفحص قيادة الرأى فى الشئون العامة ، ويقدم هذا الفحص معلومات جديدة حول الخصائص الشخصية لأولئك الأشخاص الذين يحققون مكانة هذه القيادة — وبالإضافة إلى ذلك فإن الباحثين قد طوروا فرضا ينبع من مفهوم المجرى الاتصالى ذو الخطوتين والذى مؤداه أن قادة الرأى أكثر تعرضا للاتصالات الجمعية ، كما أنهم أكثر تفاعلا مع جماعاتهم وأقرانهم الأقربين ، ولكنهم لا يحققون انتماءات أعلى فى الجمعيات الاختيارية . ولقد توصل الباحثان إلى أن قادة الرأى فى مجال الشئون العامة أقل محافظة وأقل مقاومة للتغير إذا ما قورنوا بغير القادة إلا أنهم لا يختلفون عن الآخرين من حيث الأنومية الاجتماعية أو النوع أو السن أو التعليم أو الطبقة الاجتماعية .

وحين نحلل هذه الدراسة بشىء من التفصيل نجد أنها تستهدف عدة أهداف يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ — التعرف على الخصائص المرتبطة بقيادة الرأى كالسن والنوع والتعليم والطبقة الاجتماعية .

٢ — فحص العلاقة بين قيادة الرأى وبعض الاتجاهات المرتبطة .

٣ — تحديد أوجه الاختلافات التى تظهر فى مجال التعرض للاتصال الجمعى بين القادة الذين يسجلون درجات قيادية عالية ، وأولئك الذين يسجلون درجات منخفضة وكيفية حدوث هذه الفروق ، والاختلافات .

٤ — التعرف على الاختلافات بين القادة المرتفعى المكانة والمنخفضى المكانة من حيث فرص تقديم الرأى والمشورة ، أو تقديم المعلومات التى تتعلق بالشئون العامة ، أو حجم التفاعل الاجتماعى .

---

(١) William A. Gamson *"Reputation and Resources in Community Politics"* A.J.S. Vol. 72 No. 2 (Sep. 1966) pp. 121-131.

أما البيانات التى اعتمدت عليها هذه الدراسة ، فلم تكن تستهدف الأهداف المعروضة آنفا حيث كانت تستهدف أساساً دراسة خصائص جمهور مشاهدى التليفزيون التربوى من الراشدين فى ولاية « مينابوليس » ويعكس اختيار العينة هذا الاعتبار . أما المقياس الذى استخدمه الباحثان فهو ما يطلق عليه أسلوب التعيين الذاتى Self Designation الذى استخدمه « كاتزولازارسفلد» وغيرهما ويتمثل هذا الأسلوب فى توجيه السؤال التالى هل حدث أن طلب منك شخص مشورة أو نصحاً فى أمر من الأمور العامة حديثاً ؟ وإذا ما قارنت نفسك بأشخاص تعرفهم فهل تعتقد أنك أكثر منهم تعرضاً للاستشارة وطلب الرأى ، أم أنك أقل منهم فى هذا المجال ؟ وحينئذ صنف الباحثان المجيبين إلى فئتين : الفئة الأولى هى التى أجابت بنعم عن السؤالين وبالتالى اعتبرت قيادة تحتل مكانة عالية ، أما الفئة الثانية فهى التى ذكرت أى إجابات أخرى مختلفة واعتبرت بذلك قيادة ذات مكانة منخفضة وكانت النسبة المئوية ٤٠ ٪ بالنسبة للفئة الأولى ، ٦٠ ٪ بالنسبة للفئة الثانية ، أما عن أهم النتائج التى وصلت إليها هذ الدراسة فإنها تتمثل فيما يلى .

١ — اتفقت نتائج هذه الدراسة مع الافتراض الشائع والذى مؤداه أن قادة الرأى أكثر تعرضاً للاتصالات الجمعية إذا ما قورنوا بغيرهم .

٢ — دعمت نتائج هذه الدراسة مفهوم « كاتزولازارسفلد » عن الاتصال ذى الخطوتين :

٣ — لا تختلف الفئة القيادية الأولى عن الثانية فى نطاق وحجم التفاعل الاجتماعى إلا أنها تختلف عنها فى نوعية هذا التفاعل فتفاعلها الاجتماعى مع الأصدقاء والأقارب وهم يناقشون الأمور العامة ، يتميز بالعمق إذا ما قورنت بالفئة الثانية وبالتالى فإن الفئة الأولى تمارس تأثيراً أبعد .

٤ — توصلت الدراسة إلى أن قيادة الرأى ترتبط ارتباطاً دالا ببعض المتغيرات الأخرى ولكن على المستوى الفردى فقط أى أن هناك مجموعة من أفراد الفئة الأولى

— وليست كلها — يختلفون عن مجموعة من أفراد الفئة الثانية[١] .

إلا أن النتائج الأساسية التى تهمنا هنا هى اتصال قادة الرأى بالاتصال الجمعى ثم تدعيم مفهوم مجرى الاتصال ذو الخطوتين .

ولكن ماذا عن دور قيادة الرأى فى المجتمعات التقليدية ؟ وما مدى انطباق مفهوم الاتصال ذو الخطوتين على مثل هذه المجتمعات ؟

فى إجابتنا عن هذه التساؤلات سوف نعرض لدراسات أجريت فى قرى يونانية ولبنانية وإسرائيلية وهى مختارة للتمثيل فقط فسوف نعرض لدراسات أجريت عن أنماط الاتصال والتأثير فى مجتمعات تقليدية فى فصل لاحق .

أما الدراسة الأولى فقد أجريب فى قرية يونانية ، ولقد قام الباحث بتنفيذها وفى ذهنه عدة أسئلة يحاول الإجابة عنها ومن أهم هذه الأسئلة ما يدور حول الدور الذى يؤديه قائد الرأى فى المناطق المتخلفة أو النامية ، مع ما ظهر من أهمية هذا الدور فى شبكة الاتصالات فى الدول المتقدمة — ولقد أجرى الباحث دراسته فى منطقة تتميز بمستوى تعليمى منخفض ، واتصال طفيف وضئيل بالاتصال الجمعى وحيث إن الاتصال بوسائل الاتصال الجمعى هو الذى يشكل دور قيادة الرأى ويصوغه إلى حد كبير ولقد خرج الباحث بمفهوم جديد وهوضابط المعلومات Information Controller وهو الشخص الذى يتحكم فى مرور المعلومات بحكم ملكيته لجهاز الراديو ، أوسيطرته عليه فقط .

وأجرى الباحث دراسته فى مجتمع يونانى يعتمد على الاقتصاد الزراعى وكنتيجة لذلك لاحظ تميزاً فى الطبقات الاجتماعية ، ويعتقد الباحث أن التراث الإغريقى الكلاسيكى هو الذى يضفى الاحترام على الأكبر سنا ، وثروة والأرفع تعليماً وحيث يرى أن لهذه الخصائص دلالات سيكلوجية هامة بالنسبة للطبقات اليونانية المتوسطة والفقيرة ، وتوضيح البيانات التى جمعها الباحث وباستخدام أسلوب تحليل المضمون . أن ندرة التعرض للاتصال

---

(١) Roy E. Carter and Clarke "*Public Affairs Opinion Leadership Among Educational Television Viewers*" A.S.R. (December 1962) Vol. 27 No. 6 pp. 792-799.

الجمعى ترتبط ارتباطاً عاليا بالأمية ، كما أن احترام التعليم وتقديره يؤديان إلى وجود نموذجين كامنين Latent من الأفراد فى استراتيجية الاتصال أو شبكته ، ودما على النحو التالى :

١ — قائد الرأى ، وهو يتميز بمستوى تعليمى مرتفع ، ومكانة اجتماعية مرموقة .

٢ — ضابط المعلومات ، ويتميز بالأمية ، أو يكاد يكون أميا ولقد احتل دوره هذا بحكم تحكمه فى جهاز الراديو الوحيد الموجود بحانة القرية .

وفى غياب الاتصالات الجمعية فى هذا المجتمع يطور قائد الرأى ، وضابط المعلومات أساليب لنشر الأخبار والمعلومات ، ويرجع ذلك إلى المكانة الاجتماعية ، والمستوى التعليمى والاتصال بأشخاص من خارج المجتمع .

وتدعم نتائج الدراسة — تدعيما واضحاً — الفرض القائل بأن قادة الرأى يتصلون اتصالا فعالا بطبقات مختلفة من طبقات المجتمع ، أما بالنسبة للفرض الذى مؤداه أن حامل الرأى Opinion Carrier ينقل أخباره أو معلوماته « غير الطازجة Second hand news إلى آخرين فإن هذا يرجع إلى الحالات القليلة التى تمكن الباحث من دراستها — على حد قوله .

أما فيما يتعلق بإمكانيات تطبيق مفهوم قائد الرأى — الذى طور فى مجتمع متقدم على ثقافة أو مجتمع آخر لم يصل إلى نفس الدرجة من التقدم فإن الباحث يخرج علينا بالتعميم التالى « يمكن التعرف بوضوح على الأهمية الكبيرة لقائد الرأى فى مجتمع متخلف ، وترجع هذه الأهمية إلى احتكاره لبعض المهارات النادرة فى المجتمع (كالقراءة مثلا) إلا أن تأثيره قد يكون محدوداً بسبب الحواجز الموجودة بين المكانات الاجتماعية[1] .

---

(١) Mayore Stycos *"Patterns of Communication in a Rural Greek Village"* P.O.Q., Vol. 16, 1952 pp. 59-70.

وهنا نلاحظ أن الباحث يضيف — إلى مفهوم قائد الرأى — مفهومين جديدين أولهما ضابط المعلومات الذى احتل دوره بحكم سيطرته على جهاز الراديو والثانى حامل الرأى إلا أن مفهوم حامل الرأى هذا يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث .

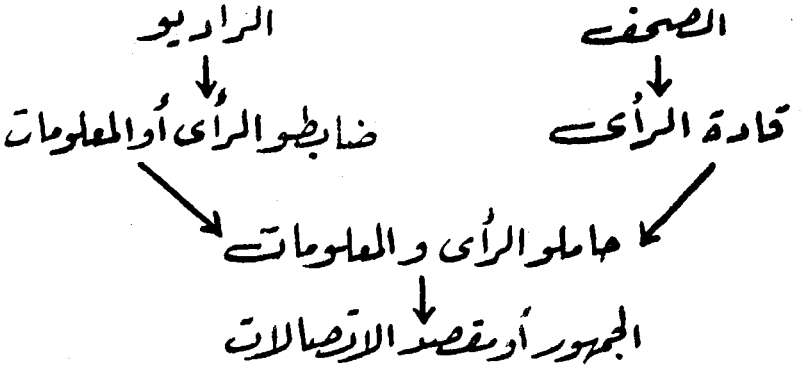
وحتى نتفهم طبيعة شبكة أو بناء الاتصال فى هذا المجتمع نسوق الشكل التوضيحى التالى :

المكانة الاجتماعية

مرتفعة منخفضة

قادة الرأى	ضابطوا المعلومات
حاملوا الرأى والمعلومات	الجمهور

وطبقاً لنموذجه التالى فإن الاتصالات قد تأخذ الشكل التالى :



أما قائد الرأى فهو مدرس ، وهو أحد اثنين فى القرية يعرفان القراءة والكتابة كما أنه الرابطة الوحيدة التى تربط القرية بالعالم الخارجى ، ودوره

بالتعبير المجازى يمثل المصدر الوحيد للمعلومات الخاصة بالشئون الخارجية للمجتمع . وذلك لأنه يقوم برحلة سنوية للمدينة فى نهاية العام الدراسى . وذلك بحكم مهنته .

أما حامل الرأى فهو ذلك القروى ، وكل قروى يهتم بالأخبار إما بها فى حد ذاتها أو يهتم بها بوصفها وسيلة تحقق له مركزاً اجتماعياً بين الآخرين ومن المهم هنا أن نقابل بين دور هذا المدرس كقائد للرأى من ناحية ، وكمؤثر فعال من ناحية أخرى وبين دور ضابط المعلومات أو ما يمكن إطلاق اصطلاح رجل الحانة Tavern Keeper عليه وهو الذى يشرف على إدارة مؤشر الراديو الوحيد فى القرية ، إن الأخير ما هو إلا شخص فى مركز استراتيجى — بحكم مهنته — بوصفه مشرفاً على المجرى الفيزيقى للاتصالات الإذاعية ولكنه ليس على علم أكثر من غيره كما أنه ليس بمؤثر .

وقد أجرى « أيزنشتات »[1] S. N. Eisenstadt. دراسة عن عمليات الاتصال بين المهاجرين اليهود إلى فلسطين المحتلة ، وركزت هذه الدراسة على الهجرة الجماعية غير المسبقة لليهود القادمين من عدد كبير ومختلف من الثقافات ، وكانت بؤرة الدراسة تتمثل فى تأثير الفوارق الثقافية على التكامل فى المجتمع والذوبان فيه وفى مناقشة « أيزنشتات » لأنماط الاتصال نجده يقابل بين نوعين من الجماعات ويقارن بينها ، أما النوع الأول فإنه يتمثل فى الجماعات التقليدية المهاجرة من مجتمعات تقليدية ، وأما النوع الثانى فيتمثل فى الجماعات الأقل تقليدية والمهاجرة من الدول الأوربية . فى النوع الأول من الجماعات — أعنى الجماعات التقليدية القادمة من الشرق — كانت أنماط الاتصال محددة على أساس تقليدى فكثيراً ما كانت هذه الجماعات تجتمع للاستماع إلى تعاليم القادة التقليديين فى أماكن العبادة وأيامها وكذلك اجتماعات مجالس التحكيم ومجالس المدارس التقليدية ، وفى مثل هذه الجماعات يميل الاتصال إلى أن

---

(١) S. N. Eisenstadt "Communication Processes among The Imigrants in Israel" P. O. Q. Vol. 16 pp. 42-58. 1952.

يأخذ شكلا تلقائياً وغير رسمى بين زملاء وأنداد ليس بينهم قادة أو أتباع . وهنا يصبح التأثير غير ذى وزن كبير .

وإذا قورن هذا النمط من الاتصال بذلك النمط السائد بين الجماعات الأوربية فإننا نجد نماذج مختلفة لقادة الرأى تبعاً لاختلاف الموضوعات المطلوب رأياً حولها أو نصحاً ولقد لاحظ الباحث أن هناك تشابهاً كبيراً بين أنماطه هذه وتلك التى اكتشفها « روبرت ميرتون » وأطلق عليها القائد المحلى والقائد المتفتح على العالم Cosmopolitan Leader كما لاحظ مناقشات واسعة كماً وكيفاً — ومشاركة كبيرة فى الشئون العامة .

وأهم ما يناقشه الباحث هنا هو موضوع تحول أعضاء الجماعة عن قائد رأى إلى قائد رأى جديد والشروط أو الظروف التى تحدث — وفقاً لها — عملية التحول هذه ، فلقد انتهى الباحث إلى أنه حينما لا يستطيع القادة ربط جماعاتهم — بطريقة فعالة ومؤثرة — بالنسق الاجتماعى الأكبر بحيث يتفهم الأعضاء الموقف وتتضح أمامهم مكاناتهم وأدوارهم فإن الفرصة تكون مواتية لظهور قادة رأى جديد ينجزون هذه الأعمال ويقابلون بالترحاب .

وقد حاول الباحث أن يتعرف على المتطلبات الاتصالية التى ينجزها القادة التقليديون فى الجماعات الشرقية حتى يحتفظوا بتأثيرهم وفاعليتهم فلاحظ أنها تتمثل فى معاونة أعضاء الجماعة على تحقيق مكانة فى النسق الاجتماعى الكلى ، وتوصيل قيم ومتطلبات هذا النسق إليهم ومدهم بالمعلومات التى تعينهم على فهم ما يدور فى المجتمع . وحينما لايتمكن القادة التقليديون من إنجاز هذه المتطلبات والمهام الاتصالية فإن الفرصة سوف تسمح بظهور قادة جدد للرأى يشغلون مكانة القيادة التقليدية .

ولقد أورد الباحث الأسباب التى دفعت بعض الناس إلى ترك قيادتهم التقليدية ، والتحول عنها وهى تتلخص فيما يلى :

١ — الشكوك المثـارة حول وضع هؤلاء القادة التقليديين أنفسهم ومكانتهم .

٢ ــ الشكوك المتزايدة حول قدرة القيادة التقليدية على ضمان الحقوق المختلفة للمهاجرين فى النسق الاجتماعى الجديد .

٣ ــ الشكوك المتزايدة حول قدرة القادة التقليديين على تفسير النسق الاجتماعى وما يدور فيه .

٤ ــ الشعور بأن انجذاب الأعضاء إلى القيادة التقليدية ، وارتباطهم بها وانتمائهم إليهما يسد الطريق أمامهم نحو مكانة اجتماعية كاملة فى المجتمع .

٥ ــ فقدان الشعور بالارتباط بالمجتمع الجديد نتيجة للارتباط الوثيق بالقيادة التقليدية .

وقام مكتب البحوث التطبيقية بجامعة كولومبيا بجمع بيانات عن السلوك الاتصالى وتحول المجتمع التقليدى فى الشرق الأوسط حيث خرجت تحليلات مختلفة لهذه البيانات فى شكل كتب ومقالات آخر ما ظهر منها مؤلف لدانيل ليرنر Lerner بعنوان تحول المجتمع التقليدى [١] وهو يتضمن إعادة تحليل وتفسير لهذه البيانات فى مختلف دول الشرق الأوسط ، وقبل ظهور هذا المؤلف ظهرت مقال اهتمت بتحليل الاتصال والاتجاهات فى مصر [٢] سوف نعرض لها فى موضع آخر ، وظهر مؤلف « لما كفى » Mcphee ، ومايرسون Meyerson خاص بجمهور الراديو فى لبنان يتضمن تحليلا لجانب من البيانات أيضاً [٣] .

وذكر ماكفى ومايرسون ــ ثم ليرنر أيضا [٤] فى القسم الذى عقده عن لبنان فى مؤلفه أن الحياة فى القرية اللبنانية التقليدية قد أصبحت عرضة للغزو البطىء الأكيد من العالم الخارجى وأصبح القادة التقليديون ــ

---

(١) Daniel Lerner, *The Passing of Traditional Society*, Op. cit

(٢) Edmund Brunner "*Communications Behavior and Attitudes* in The Middle East" R.S. Vol. 18 (June 1953) No. 3

(٣) William N. Mc Phee and Rolf B. Meyerson, *The Radio* Audiences in Lebanon, 1951.

(٤) Lerner, *op. cit* pp. 169-213.

وبخاصة كبار السن منهم – غير مناسبين للمكانة القيادية فى الوضع الجديد المتحول ، فلقد أصبحت خبرتهم بالظروف الجديدة محدودة مما ضيق من نطاق تأثيرهم ، ولقد أصبحت قيادتهم تعتمد – لأول مرة – على دور الشباب وحيث أصبح الشباب هم قادة الرأى الجـديد لأنهم – أى الشباب – هم الذين يربطون مجتمع القرويين بالعالم الخارجى.

إلا أن هذا الدور – قيادة الرأى – لم ينط بالشباب بحكم صغر سنهم فقط ولكنه منوط بهم لأنهم تلقوا تعليما فى المدينة وفى نفس الوقت استمروا على صلة بأهلهم وجيرانهم القدامى ويتميز هذا النوع الجديد بحراكه الجغرافى المتمثل فى الرحلات التى يقوم هذا الشباب بها إلى المدينة وذلك هو ما يولد فرقا ، ويخلق اختلافا بينهم وبين غيرهم من القابعين فى القرية . إذن نستطيع أن نقول بأن ما حدد دور قيادة الرأى الجديدة فى قرى لبنان ما يلى :

١ – التعليم الذى يمكنهم من الاتصال بوسائل الاتصال الجمعى .

٢ – الحراك الجغرافى والتردد على المدينة .

٣ – الصلة المستمرة بمجتمع الميلاد والنشأة .

ولا يمثل هذا الشباب قيادة رأى محلية Local أى فيما يتعلق بالقضايا والمشاكل الداخلية وإنما يمثل القيادة المنفتحة على العالم Cosmopolitan بالنسبة لأهل القرية ومن هنا فإن القادة التقليديين قد بدأوا يتخلون عن مكانتهم للشباب .

وقد وجد الباحث براهين عديدة على أن دور هؤلاء القادة الجدد لا يقتصر فقط على نقل الأخبار وإنما ينسحب تأثيرهم أيضا على مجال تفسير هذه الأخبار وتمثل هذه البراهين نذير خطر بالنسبة للقيادة التقليدية فى عقر دارها أعنى فى مجال تخصصها وهو الشئون المحلية ولنضرب مثلا لذلك ببعض المقتطفات التى ذكرها بعض القرويين فى صحائف الاستبيان؛ قال أحدهم « أنى أحب أولئك الذين يقرأون الصحف لأن لديهم –

دائماً ـ أشياء هامة يقولونها ، إنهم يتفهمون أكثر منا وعقولهم أكثر قدرة وتفتحاً فهى تهضم الأخبار والمواد الصعبة التى يقرأونها . إنهم يتفهمون أعماق الحكومة . ويعرفون ما يحدث فى دمشق وطرابلس . إننا لا نقرأ الصحف ومن ثم علينا أن ننتظر آخرين يقرأون لنا ويسلوننا بما يحدث فى القرى والمدن الأخرى . هناك صديق يسلب لبنا بحكايات غريبة يقول إنه قد قرأها فى الصحف » .

أما إذا استفاد القادة التقليديون بقادة الرأى الجدد بأن يحصلوا منهم على المعلومات والأخبار ، ويقومون بدور التفسير والتأثير فإنهم لن يفقدوا مكانتهم القيادية .

على ذلك يصبح من الممكن الانتهاء إلى صياغة مؤداها أن القائد إذا استطاع التكيف مع المتطلبات الجديدة ومواجهتها وتفسير ما يستجد من ظروف لأعضاء الجماعة فإنه لن يفقد تأثيره أما إن تخلف عن ذلك فهو فاقد تأثيره لا محالة وبذلك يظهر طاقم من القادة الجدد .

من خلال هذه الدراسات نستطيع أن نتبين مسألتين على جانب كبير من الأهمية نلخصها فيما يلى :

١ ـ إمكانية تطبيق مفهوم قائد الرأى أو حارس البوابة على مجتمعات متنوعة فى الحجم والظروف ودرجة التقدم .

٢ ـ يترتب على ذلك إمكانية تطبيق مفهوم مجرى الاتصال ذو الخطوتين أو المرحلتين وحيث توضح هذه الدراسات بجلاء أن قائد الرأى أو حارس البوابة هو نقطة أرحال أو نقل للأخبار التى يتلقاها ويعلمها عن طريق وسائل الاتصال الجمعى .

وقد حاول « فيرلنج ترولدال Verling Troldahl[1] أن يفصل فرض أو إصلاح الاتصال ذو الخطوتين ويحلله . وهو الإصلاح الذى جرى

---

(١) Verling C. Troldahl "*A Field Test of A Modified Two-step Flow of Communication Model*" P. O. Q. (Winter 1966-1967) pp. 609-623.

استخدامه منذ ما ينوف على العشرين عاماً ، حيث أجرى تجربة فى نهاية عام ١٩٦٢ فى إحدى ضواحى مدينة « بوسطن » الأمريكية لكى يختبر نموذجاً جديداً — وضعه — ويفحص بعض القضايا التى ضمنها هذا النموذج الجديد . أما الفرض القديم فهو يقول — كما نعلم — أن الأفكار والمعلومات غالباً ما تنساب من الراديو ، أو الوسائل المطبوعة إلى قادة الرأى ثم يرحلها هؤلاء إلى القطاعات الأقل فعالية ونشاطا منهم ولقد أضيف إلى هذه القضية جوانب أخرى طورها باحثون — فى محاولة لتفسير هذا الفرض ويمكن اعتبار هذه الجوانب الإضافية ضمن الفرض الأصلى . وحاول الباحث — هنا — أن يطور نموذجاً جديداً للاتصال من خلال تحليله ودراسته لنتائج ومكتشفات ديتشمان Deutschman ودانيلسون Danielson حيث انتهى هذان الباحثان — من خلال تحليلهما وتلخيصهما لنتائج ست من الدراسات المتصلة بانتشار المعلومات والأفكار والأخبار حول الأحداث الكبرى — إلى نتيجه مؤداها أنه يمكن القول إن تطبيق مفهوم كاتز ولازارسفلد عن الاتصال ذى الخطوتين ينبغى أن يكون مشوباً بالحيطة والحذر وعلى الأخص فى مجال الاتصالات الجمعية ، وقد أسسا هذه النتيجة من خلال توصلهما إلى أن المعلومات الأساسية التى يبثها الاتصال الجمعى حول الأحداث الهامة تذهب مباشرة إلى الناس ككل أو تتخذ إليهم طريقاً مباشراً ولا ترحل أو تجدد بواسطة خطوة أخرى ، وظهرت نتائج مشابهة لهذه النتيجة فى دراسات أخرى حديثة[١] وإذا كان

(١) انظر على سبيل المثال دراسة « لازرسن » و « هل » عن وسائل الجمعى والاتصالات الشخصية والتى كانت تستهدف التعرف على القنوات الاتصالية التى انتشر عن طريقها — خبر وفاة السناتور « تافت » الذى أعلن فى الساعة السابعة والنصف من مساء ٣١ يوليو سنة ١٩٥٣ ، ولقد أجريت هذه الدراسة فى مجالين ، أحدهما مجتمع كلية جامعية والآخر مجتمع عمالى يضم عناصر مختلفة ولقد وجد الباحثان أن الخبر انتشر انتشاراً واسعاً عن طريق وسائل الاتصال الجمعى سواء فى المجتمع الأول أو المجتمع الثانى إلا أن المجتمع الأول كان سابقاً إلى معرفته ، ولقد لوحظ أن أغلبية المتحدثين قد سمعوا بالنبأ عن طريق الاتصال الجمعى وليس عن طريق الاتصال الشخصى حيث احتل الراديو المكانة الأولى بين المصادر ، ولكن عندما انتشر النبأ فى المجتمعين عن طريق الاتصال الجمعى تولدت أنماط مشابهة من الاتصالات الشخصية ، ولقد

اصطلاح كاتز ولازارسفلد وفرضهما ينطبقان على المعلومات كما ينطبقان على التأثير فى الرأى والاتجاهات والقرارات فإنه سيكون ثمة تناقض بين فرض « كاتز ولازارسفلد » وبين ما وصل اليه كل من «ديتشمان» و «وانيلسون» وغيرهما من نتائج . كما يستشهد الباحث أيضا بالنتائج التى وصل إليها « روجرز »Rogers وعلماء الاجتماع الريفى من أن فرض الاتصال ذو الخطوتين غير مناسب لوصف مجرى التعليم Flow of Learning ، وحيث عرض روجرز دراسة أوضحت أن ثلثا عينته قد ذكروا أن مالديهم من معلومات إنما يرجع إلى الاتصال الجمعى، كما أرجع حوالى النصف فهمهم للأحداث إلى الاتصال الجمعى أيضا ، إلا أن الاتصال الشخصى كان أكثر تأثيرا فيما يتعلق باتجاهاتهم وسلوكهم نحو التجديدات وتقبلها واستخدمها .

من ذلك ينتهى الباحث إلى أن مجرى الاتصال ذا الخطوتين يكون أكثر كفاءة لوصف تأثير مجرى الاتصال الجمعى على المعتقدات والسلوك حيث كشفت الكثير من الدراسات أهمية الاتصال ذى الخطوتين فى مجال التأثير على الاتجاهات والآراء والمعتقدات والأفعال إلا أنه فى مجال التأثيرات التعليمية أو الإخبارية – على الأقل – يكون هناك مجرى اتصالى ذا خطوة واحدة أى أن المضمون يتخذ طريقة مباشرة من وسائل الاتصال الجمعى إلى

توصل الباحثان إلى أن سماع الأخبار عن طريق قنوات اتصال جمعية يثير ويولد قنوات شخصية أبعد مدى ولقد لاحظ الباحثان أن الدور المسيطر للاتصال الجمعى كما كشف عنه بحثهما يختلف اختلافاً كبيراً عما توصل إليه Miller من دراسته عن خبر وفاة الرئيس الأمريكى الأسبق « روزفلت » حيث كان الاتصال الشخصى هو المصدر المسيطر .

انظر :

O. Larsen and . K.Hill "Mass Media and Interpersonal Comunication in the Diffusion of A News Event" A.S.R. Vol. 19 (August 1954) No. 4 pp. 426-33,

كما أجرى بوجارت Bogart دراسة للتعرف على انتشار أخبار حادثة محلية بحتة فى مدينة تضم ٢٥٠٠٠ من السكان ولقد توصل الباحث إلى أن الصحيفة والراديو لهما الدور الرئيسى لانتشار الحادثة ٦٠٪ ، ٤٨ ٪ على التوالى بينما ذكر ٢١ ٪ فقط الاتصال الشخصى .

راجع :

L. Bogart "The Spread of News on a Local Event : A case History" P.O.Q. 14 (Winter, 1950 - 51.) pp. 769-772,

الجمهور «وباستعراض بحوث جماعة لازارسفلد لانجد تناقضا مع هذه النتيجة» .

وقد انتهت معظم البحوث التى أجريت فى مجال الاتصال ذى الخطوتين إلى أن قادة الرأى هم الذين يبادئون بالخطوة الاتصالية الثانية إلا أن تحليل «ديتشمان» و «دانيلسون» لايدعم هذه النتيجة وحيث إنهما لم يفصلا بين قادة الرأى وغيرهم . وهنا يجد الباحث أن الفكرة التى مؤداها أن قادة الرأى هم الذين يبادئون بالخطوة الاتصالية الثانية غير متسقة مع الحقيقة التى مضمونها أن قادة الرأى هم الأشخاص الذين يقصدهم الناس طالبين النصح والإرشاد ، ويستشهد الباحث ببعض الدراسات التى تدعم ما يذهب إليه فيقول بأن دراسة Elmira قد انتهت إلى أن ٥٢٪ من قادة الرأى قد ذكروا أنهم يطلبون النصحية والإرشاد فى مقابل ٤٣٪ من الإتباع فقط ، وحينما يطلب قائد الرأى النصح والمشورة فإنه يؤدى دوراً بوصفه تابعا لبعض مستويات قيادة رأى عليا وانتهى هذا البحث The Decatur Study إلى أن الخطوة الاتصالية الثانية قد تأتى من قبل الأتباع أكثر مما هو الحال بين القادة بمعنى آخر أن الأتباع قد يبادئون — إلى حد كبير — بالخطوة الاتصالية الثانية أكثر مما يبادئ القادة بها ، كما يلاحظ الباحث أن كثيراً من الدراسات قد كشفت عظم دور الاتصال الشخصى فى إحداث تغيرات فى السلوك والمعتقدات ، وذلك لأن هذه الدراسات قد نظرت إلى الأتباع باعتبارهم يطلبون النصح والمشورة من قادة الرأى الذين هم أعضاء فى الجماعات التى ينتمون إليها ، كما سجلت دراسات متعددة وذات وزن النتيجة التى تقول بأن هناك تشابها وتجانسا بين اتجاهات أعضاء الجماعة الواحدة ، والبحث عن النصح والرأى من قبل الأتباع سوف يؤدى إلى تشرب واستدماج المسائل والأمور الحديثة طالما أن قادة الرأى هؤلاء قد تعرضوا لنفس المعلومات من ناحية وأنهم قد استشاروا قادة رأى لهم أنفسهم من ناحية أخرى وأنهم قد عدلوا من اتجاهاتهم وأنماطهم السلوكية من ناحية ثالثة .

وتوضح هذه العملية ـ على حد اعتقاد الباحث ـ إن هناك دورتين للاتصال ذى الخطوتين Two Cycles of Two-Step Flow of Communication لا بد من توافرهما حتى يحدث أى تغير فى السلوك والمعتقدات ومن هنا فإن الباحث يعرض صيغة جديدة نتلخص فى « الاتصال ذى الدورتين Two-Cycle Flow of Communiction ويمكن تلخيص الغرض الذى ذهب إليه الباحث فى العبارة التالية : هناك مجرى اتصالى ذو خطوة واحدة فى مجال المعلومات بينما هناك مجرى ذو خطوتين فى مجال التأثير على الاتجاهات والمعتقدات . وسوف يعمل مجرى الاتصال ذو الخطوتين هذا ـ فقط ـ حينما يعرض الاتصال الجمعى على شخص مضموناً لا يتفق مع معلوماته وأفكاره الموجودة آنفاً . وفى مثل هذه الحالات سوف يبحث ذلك الشخص عن قائد رأيه ويكون من المتوقع أن قادة الرأى يطلبون النصح من الفنيين المختصين بينما لا يفعل الأتباع ذلك عادة .

واستقى الباحث من هذه الصياغة الفرضية عديداً من الجوانب التى يمكن اختبارها تجريبياً . ولقد أجرى ذلك الاختبار التجريبى فى نهاية عام ١٩٦٢ ومن أهم هذه الجوانب التى سعى إلى اختبارها ما يلى :

١ ـ يؤدى التعرض للاتصالات الوسيطة بين القادة والأتباع إلى وعى وشعور بموضوع الرسالة .

٢ ـ سوف يؤدى التعرض لاتصالات وسيطة بين ـ قادة الرأى فقط ـ إلى تغير فى المعتقدات بينما لا يحدث ذلك بالنسبة للأتباع .

٣ ـ سوف يلجأ الأتباع إلى قادة الرأى عندما لا تتفق المعلومات والأفكار التى تقدمها لهم الاتصالات الوسيطة . مع أفكارهم ومعتقداتهم الآتية ـ سوف يلجأون إلى قادة الرأى لطلب . النصح والإرشاد والرأى (وهو ما يحدث أيضاً بالنسبة لقادة الرأى أنفسهم حينما يلعبون دور الأتباع للفنيين المتخصصين .

٤ ـ يبحث قادة الرأى عن النصيحة أو الرأى عند الفنيين وهم يتميزون فى ذلك عن الأتباع .

٥ — يطلب قادة الرأى النصح والإرشاد من أقرب المقربين إليهم بينما لا يفعل الأتباع ذلك كثيراً .

٦ — سوف يعكس قادة الرأى والأتباع الذين يطلبون النصح والمشورة تغيراً أكبر فى المعتقدات والسلوك إذا ماقورنوا بالأشخاص الذين لا يسلكون هذا السبيل:

ولقد أجريت التجربة فى ظروف طبيعية تمكن الباحث فيها من صيانة الضبط التجريبى وحيث اختار عينة من المشتركين فى نشرة الضاحية وأمكن استيفاء هذه العينة شخصياً ولقد حدد أحد الموضوعات الإعلامية كموضوع لتجربة مجرى الاتصال المفترض ، وحتى يضبط الباحث التأثيرات الضخمة عند مستوى المعلومات والمعتقدات عزل ثلث مجموعة المشتركين البالغ عددها ٣١٨ وكون منها مجموعة ضابطة وبعد فترة من نشر موضوع التجربة بالنشرة ، وإرسالها بالبريد قام الباحث بتتبع وصول المعلومات والتأثيرات المختلفة والمسار الذى تتخذه فى هذه العملية ، وقد أعيد اختبار أفراد العينة التجريبية بعد أسبوع من إرسال النشرة بالبريد ولقد احتاط الباحث المتجانس العينة من حيث السن والتعليم والوضع المهنى .

نتائج الدراسة :

١ — كان من المتوقع أن قادة الرأى والأتباع الذين يتعرضون للرسالة سوف يحاطون علماً بموضوعاتها دون أى عون من الاتصالات الشخصية إلا أن هذا التوقع لم يلق تدعيماً بالنسبة للقادة بينما هو صادق بالنسبة للأتباع ولذلك فإن هذا التوقع ينبغى أن يعاد اختباره .

٢ — كان من المتوقع أن يحدث التعرض لهذه الوسيلة الاتصالية الجمعية تغيراً فى الاعتقادات بالنسبة لقادة الرأى دون الأتباع ولكن أى من الرسائل التجريبية المستخدمة لم يحدث أى تغير ذى دلالة بين قادة الرأى بينما أحدثت رسالة واحدة فقط مثل هذا التغير بين الأتباع . ومن ثم فإن الرسالة لم تحدث آثارها المتوقعة — هنا :

٣ — أحدثت الصفحات المصورة من الرسائل التجريبية تغيرا دالا فى المعتقدات بين الأتباع كما كان التغير الناتج بين قادة الرأى هاما ودالا فى الغالب ، ولم يكن من المتوقع حدوث أية تغيرات مباشرة من وسيلة الاتصال الجمعى بالنسبة للأتباع ولقد أتى الأمر غير ذلك وحيث أثرت الصحف المصورة فى ٢٨٪ من الأتباع مقابل ١٨٪ من قادة الرأى .

ويحاول الباحث أن يفسر هذه التناقضات التى خرجت بها دراسته من خلال الإشارة إلى دراسات ديكاتور The Decator Research حيث انتهى هذا البحث — على سبيل المثال — إلى أن المصادر الاتصالية الشخصية القائمة على أساس المواجهة هى التى مارست التأثير الأكبر على الناس إذا قورنت بالاتصال الجمعى ويقرر الباحث أن الاتصالات الوسيطة (ويعنى بها الجمعية) قد تكون أثرت فى بعض الأتباع بينما تأثر البعض الآخر عن طريق الاتصالات الشخصية ، كما يسوق الباحث تبريراً آخر لهذه التناقضات مؤداه أن « المعتقد » المتضمن فى هذه الدراسة قد لايكون معتقداً معيارياً Normative بحيث يتطلب استشارة الأتباع لقادة الرأى وطلبهم الفتوى بالتغير Legitimization

٤ — ويتوقع النموذج الاتصالى الجديد الذى وضعه الباحث أن الأتباع الذين يتعرضون لمضامين الاتصال الجمعى غير المتسقه مع آرائهم ومعتقداتهم الموجودة بالفعل سوف يبادئون بالخطوة الاتصالية الثانية وهنا يذكر الباحث أن البيانات المستقاة من هذه التجربة تدعم هذا التوقع الا أن البيانات أيضاً لا تدعم التوقع الذى مؤداه أن قادة الرأى يستشيرون المهنيين أو الخبراء أو الأشخاص المقربين إليهم ويفرقون الأتباع فى ذلك فلقد وجد الباحث أن أغلب المبحوثين قد يستشيرون المصادر الخبيرة .

٥ — كان من المتوقع أن قادة الرأى والأتباع الذين يطلبون النصح والمشورة سوف يتجهون إلى تغيير معتقداتهم نتيجة للاتصال الشخصى المتضمن فى طلب الرأى إلا أن هذا الغرض لم يلق تدعيما كذلك ، ويرجع الباحث

إخفاقه فى تدعيم هذا الغرض إلى النطاق المحدود للمعتقدات التى جعلها موضوعاً لدراسته .

وينتهى الباحث إلى أن نتائج هذه الدراسة لاتساير التنبؤات التى استقاها من نموذج الاتصال ذى الدورتين الذى طوره وحاول به أن يعدل نموذج الاتصال ذا الخطوتين لكاتز ولازارسفلد وجماعتهما — مستعينا بتحليلات دتشمان ودانيلسون .

نستطيع أن نخلص من هذا الفصل إلى أن نتائج الدراسات المختلفة سواء منها ما أجرى فى نطاق جماعات محدودة ، أو مجتمعات عصرية ، أو أخرى تقليدية تدعم أهمية الاتصال الشخصى التأثيرية كما تدعم بعض النتائج التى خرجنا بها من مناقشة آثار الإتصال الجمعى فى الفصل السابق من أن الاتصال الجمعى قد يخلق وعيا بالموضوعات الجديدة إلا أن الاقناع الشخصى هى التى تدفع إلى التأثير والتغير .

وتثير هذه المناقشات تساؤلات عديدة حول إمكانية تطبيق مفاهيم مثل قائد الرأى أو حارس البوابة أو مجرى الاتصال ذو المرحلتين على بناء الاتصال فى قرية مصرية .

الباب الثاني

طبيعة العلاقة
بين الإتصال والتغير الاجتماعي

الفصل السادس

ماذا نقصد بالتغير الاجتماعي ؟

سوف نحاول فى هذا الفصل تحديد معنى التغير الاجتماعى كما نهتم به هنا من ناحية واتجاه هذا التغير من ناحية أخرى محاولين الإشارة إلى الاتجاهات المختلفة التى تدرس هذا الموضوع وموضحين فى النهاية مضمون العلاقة بين الاتصال ومستويات هذا التغير .

حينما نتحدث — هنا — عن التغير الاجتماعى فإننا لا نقصده بمعناه العام والشائع الاستخدام فى مراجع علم الاجتماع الكلاسيكية والمحدثة ، سواء ما كتب منها بلغات أجنبية أو باللغة العربية ؛ أى أننا لا نقصد المعنى الواسع لمفهوم التغير الاجتماعى وبالتالى فإننا لا نقحم نفسنا فى نظرياته الواسعة المدى والنطاق وإنما سنشير — متى تطلبت الضرورة ذلك — إليها ومبررنا فى تجنب الغوص فى نظريات التغير الاجتماعى وعوامله هو أننا نريد تحديد أبعاد محددة للتغير يمكن أن نقيسها كمياً .

والآن سوف نقصر اهتمامنا بالتغير الاجتماعى على ثلاثة مستويات : —

١ — مستوى التغير فى الاتجاهات والآراء والأفعال أو التغير على المستوى الفردى وهنا سوف نحاول أن نحلل نظرياً وامبريقياً الطريقة التى يتغير بها اتجاه الشخص أو رأيه أو فعله وسوف نختار من البحوث التى نستشهد بها ما يوضح طبيعة العلاقة بين الاتصالات المختلفة وبين التغير فى الاتجاه أو الرأى أو الفعل أو غيرها من وحدات السلوك الفردية .

٢ — أما المستوى الثانى فهو مستوى فردى أيضاً ويتمثل فى الطريقة والأسلوب الذى ينتشر به تجديد معين متمثلا فى فكرة جديدة ، أو ممارسة جديدة ، أو معتقد اجتماعى أو سياسى جديدين ، ليس لمجرد الانتشار وإنما ما يلاقيه هذا الجديد من ترحيب وتقبل واستخدام بواسطة الأفراد أو ما يلاقيه من رفض وصد ومقاومة ومحاولة التعرف على العوامل التى تمهد لتقبل هذا الجديد أو رفضه إنما تكون محاولة هامة من حيث فهم بذور التغير الاجتماعى .

٣ — أما المستوى الثالث فهو المستوى المجتمعى ونود بادئ ذى بدء أن نحدد مفهوم التغير على المستوى المجتمعى الذى نقصده . إننا نعنى قضية محددة هنا وهى تحول المجتمع من التقليد Tradition إلى العصرية Modernism أو تخليه بمعنى آخر عن المعايير التقليدية . ومن الأهمية بمكان أن نقيم

تمييزاً بين نموذجين مثاليين من المعايير ، والمقصود بالنموذج المثالى صياغة نظرية محددة سلفا لوصف ما يجرى ، وعقد المقارنات .

وقد لا توجد هذه النماذج المثالية امبريقياً ، ولكنها يمكن أن تصاغ بتحديد خصائص السلوك موضوع الملاحظة والتحليل . وهنا نقارن هذه النماذج المثالية بما هو موجود بالفعل من أنماط السلوك الواقعية لنرى إلى أى طرف تستقطب . فالنموذج المثالى إذن أداة لفهم وتحليل بعض الأبعاد، والهدف إذن من تأسيس هذه النماذج إنما هو هدف منهجى. ومنذ وقت طويل نجد علماء الاجتماع يشيدون ويطورون نماذج مثالية تعبر عن ثنائيات معينة فنواجه بتصنيف فردناد تونيز F. Toennies الكلاسيكى الشهير والذى يمثل أحد قطبيه المجتمع الأولى الذى تسوده العلاقات الأولية والقرابة Gemeinschaft بينما يمثل المجتمع الثانوى أو التعاقدى Geselschaft القطب الآخر[١] بينما يضع دوركايم ثنائيته الشهيرة المتمثلة فى التضامن الآلى Mechanical Solidarity فى مقابل التضامن العضوى Organic Solidarity [٢] ويفرق ماكس فيبر Max Weber[٣] بين النماذج التقليدية Traditional Types والنماذج العقلية Rational Types. ويفرق « روبرت ميرتون » بين النموذج المحلى Local Type فى مقابل النموذج المنفتح على العالم Cosmopolitan [٤] بينما يضع سوروكين نموذجه المشهور الذى يقابل بين العائلية Familistic والتعاقدية Contractual[٥] ويميز هوارد بيكر H Becker بين النموذج المقدس Sacred Type والنموذج العلمانى Secular Type[٦]، كما يضع روبرت ردفيلد Robert Redfield نموذجه

---

(١) P. Toennies (Trans by C.p. Loomis) fundamental concepts of sociology, 1940,

(٢) E. Durkheim (Trans by G.A. simpson) E. Durkheim and The Division of Labor in Society, 1947,

(٣) See Max Webr, The Theory of Social and Economic Organization, 1947 (Trans by Henderson and Parsons)

(٤) See Merton "Patterns of Influence" op-cit,

(٥) Sorokin, Society, Culture and Personality, 1947 pp; 66-118.

(٦) H. Becker, "Sacred and Secular Societies" S.F. 28 (May 1950) pp. 361-76.

الذى يمثل المجتمع الشعبى Folk Society أحد قطبيه بينما تمثل المدنية Civilisation القطب الآخر[١] . ويرتكن مفهوم المجتمع الشعبى لردفيلد على المشاعر الجمعية Collective Sentiments التى تميز الثقافة الشعبية فى مقابل التأكيد على المشاعر الفردية التى تميز المدنية . ولقد تطورت ثنائية حديثة نسبياً قائمة — إلى حد كبير — على أعمال ردفيلد وثنائيته بالإضافة إلى روبرت ميرتون ويتمثل هذا النموذج الجديد فى المقابلة بين المجتمع التقليدى Traditional Society أو الثقافة التقليدية T. Culture ، وبين المجتمع العصرى Modern Society أو الثقافة العصرية M. Culture أو المجتمع التقليدى فى مقابل المجتمع التقدمى progressive . ولقد استخدم « دانيل ليرنر » ثلاثية فى تصنيف سكان الشرق الأوسط وحيث ميز بين ثلاث فئات على النحو التالى :

١ — شخص تقليدى . يفكر بأسلوب دينى تقليدى ، ولا يرغب فى مغادرة محل ميلاده وإقامته .

٢ — شخص تحولى Transitional وهو يتمتع بشخصية حراكية Mobile ويود أن يتغير ولكنه لا يملك أسباب التغير فهو أمى مثلا ، إلا أنه يتعرض للاتصال الجمعى ويستمع إلى الإذاعات العالمية .

٣ — شخص عصرى Modern ويقاس بعدة أمور كالتعليم ، وعلمانية التفكير والمستوى الاقتصادى المرتفع ، والتعرض لوسائل الاتصال الجمعى[٢].

وقد استخدم مفهوم العصرية أو التجديد للاشارة إلى الدرجة العالية من تقبل الأفكار والتكنولوجيا الحديثة . فالمجتمع العصرى إذن — بهذا المعنى — أكثر مثلا إلى التجديد وأكثر تطوراً وتقدمية وأكثر منطقية من حيث التفكير الاقتصادى ، فهو يزن كل شىء بموازين مادية ، والبعد الأساسى فى الأنساق الاجتماعية ذات المعايير التقليدية هو الفرد ذاته الذى ينتمى إلى هذه

---

(١) R. Redfield. *The Folk culture of Yactan*, 1941 *Tepoztlan, A Mexican Village*, A study of folklife, 1930, *Peasant Society and culture*, 1956.

(٢) See Lerner, *op-cit*,

الأنساق ودرجة ميله إلى التجديد وتبنى الأفكار الجديدة . ويمكن بصورة عامة أن نميز بين طرفى الثنائيات ـ جميعاً ـ على النحو التالى :

أولا : بالنسبة للقطب الأول من كل ثنائية ـ بعامة ـ وقطب التقليدية بوجه خاص :

١ ـ تكنولوجيا متخلفة ، أو أقل تطوراً وحيث تكون الزراعة هى المهنة الغالبة والسائدة .

٢ ـ يتميز التعليم بانخفاض مستواه ،ويتميز بناء الاتصال بسيطرة نمط الاتصال الشخصى ، فهو أكثر بروزاً من الاتصال الجمعى .

٣ ـ الاتصالات بين أعضاء المجتمع وبين أعضاء من المجتمعات الخارجية اتصالات قليلة ومحدودة ، ويتميز أغلب أعضاء المجتمع بأنهم محليون وغير متفتحين على العالم .

٤ ـ فقدان المنطقية الاقتصادية ، وحيث نجد أن العلاقات الجماعية الأولية كالصداقات والكرم ، تمثل قيماً عالية كغايات فى حد ذاتها وليس كوسائل لغايات أخرى .

٥ ـ فقدان القدرة على التقمص الوجدانى ، أورؤية الذات فى الآخرين وتصورها تحتل أدوارهم وبخاصة أدوار أولئك الأشخاص الغرباء عن المجتمع . فالتقليدى قد لا يحب مقابلة الغرباء ، أو الأشخاص الجدد وهو لا يدرك الأدوار الجديدة أو يتعلم العلاقات الاجتماعية الجديدة كالعصرى ،وغالبا مايلعب أولئك التقليديون الذين ينتمون إلى نسق اجتماعى تقليدى أدواراً متشابهة .

أما النسق الاجتماعى العصرى فإنه يتميز بما يلى :

١ ـ تكنولوجيا نامية ومتطورة ودرجة عالية من تقسيم العمل ، والشخص الذى ينتمى إلى مثل هذا النسق أكثر تحضراً من حيث المهنة إذا ما قورن بالشخص التقليدى ، ومع أن النسق الاجتماعى التقليدى قد يكون مصنعاً ،

إلا أن نمط الصناعة يكون أقرب إلى الصناعة المنزلية أو الكوخية أكثر من اقترابه إلى نظام المصانع الكبيرة .

٢ — تقدير عال للعلم والمتعلمين وإسباغ قيمة كبيرة عليهما .

٣ — الانفتاح على العالم فى العلاقات الاجتماعية . فالأفكار الجديدة تدخل بحرية من مصادرها الخارجية إلى داخل النسق الاجتماعى ، وغالباً ما يكون هناك تفاعل بين أعضاء هذا النسق وبين أعضاء ينتمون إلى مجتمعات خارجية .

٤ — العناية بالتخطيط وحيث ينبنى اتخاذ القرارات عل أساس من العقل والمنطق والوزن الاقتصادى . ويميل أعضاء هذا النسق إلى اختيار أكثر الوسائل فاعلية ومقدرة على الوصول إلى الأهداف المرجوة .

٥ — القدرة على التقمص الوجدانى ورؤية الذات فى الآخرين . باختصار يتميز النسق الاجتماعى العصرى بالتجديد ، وعصرية المعايير ، والتقدم التكنولوجى ، والتعليم ، والتفكير المنطقى ، والانفتاح على العالم .

ومع أن النماذج المثالية تعد أداة تحليلية فى غاية من الأهمية ، إلا أنها تعانى من عيب أساس يتمثل فى أنها قد تهول الفوارق وتضخمها بين قطب وآخر وحرصاً على عدم التهويل هذا من جهة ، ولأنه ليس ثمة نقاط تعسفية يمكن عندها الفصل بين ما هو تقليدى وعصرى أو بين ما هو شعبى وغير ذلك نؤكد بأن كل قطب من القطبين يمثل نقطة الانتهاء فى متصل تقليدى — عصرى أو متصل تجديدى Innovativeness Continuum .

والآن وبعد أن عرضنا لهذه الثنائيات يثار سؤال مؤداه إلى أين يتجه التغير الاجتماعى الذى نقصده إذن ؟ من خلال التحليلات النظرية ، والاستعراضات التاريخية والدراسات الحقلية نستطيع أن نقول — باطمئنان — إن التغير الاجتماعى يتجه من القطب الأول إلى الثانى باستمرار ، فهو يتجه من المجتمع العائلى إلى المجتمع العقدى ، ومن التضامن الآلى إلى التضامن العضوى ،

ومن العائلية إلى التعاقدية . ومن المحلية إلى الانفتاح على العالم، ومن الثقافة المقدسة إلى الثقافة العلمانية ، ومن التكافل إلى التعايش ، ومن النماذج التقليدية إلى النماذج العقلية والمنطقية . ومن المجتمع الشعبي إلى المدنية . ومن المجتمع التقليدى إلى المجتمع العصرى .

ولكن كيف نستطيع قياس التغير الاجتماعى — الآن — قياساً كميًّا ؟ لقد أصبح من السهل — الآن — وبعد تحليل المعايير التقليدية والمعايير العصرية، من أن نعين موضع الأفراد على المتصل الذى يميز بين نموذج مثالى وآخر . وهناك تشكيلة فنية تقيس بعد التقليد — العصرية — على المستوى الفردى ، وهى كما يأتى :

١ — مقياس « بنفينوتى » Benvenuti's Scale [١] . ويتكون هذا المقياس من عشر قضايا عامة ، وحيث سأل كل مبحوث من ٤٨٤ مزارعا فى المجتمع الهولندى السريع التغير عن آرائهم فى هذه القضايا العشر ، ومنح الباحث درجات للتمتع برأى حول قضية معينة سواء كان هذا الرأى صائبا أم غير ذلك، ومن ثم فإن محك التجديد أو العصرية هنا هو مدى انغماس الفرد واتصاله بقضايا المجتمع فيما وراء مجتمعه المحلى . وقد قيس صدق مقياس « بنفنيوتى » هذا بواسطة سؤال خمسة وعشرين حكما عن الذين يعتقدون أنهم منفتحون على العالم أو عصريون ، فحقق صدقا دالا إلى حد كبير . فبمقارنة تقديرات « بنفنيوتى » التى بناها على أساس الدرجات التى وضعها للرأى — بمقارنة هذه التقديرات بآراء المحكمين وجد أن هناك درجة عالية من الاتفاق .

٢ — مقياس ليرنر Lerner's Scale [٢]

وضع « ليرنر » مقياسا للعصرية أو التقليدية وهو ما طبقه على دراساته فى الشرق الأوسط وحيث حدد تسعة أسئلة تدور حول المسائل العامة طالبا —

---

(١) See Rogers. Diffusion of Innovations, pp. 62-64

(٢) See, Lerner, *op cit*,

رأى المبحوث فى هذه المسائل أو القضايا . ولقد ميز « ليرنر » ثلاث فئات وفقا لاستجاباتهم على هذا المقياس على النحو التالى : —

١ — عصريون Moderns

٢ — تحوليون Transitionals

٣ — تقليديون Traditionals

ويؤكد ليرنر أن الشخص العصرى ينبغى أن يكون لديه القدرة على التفاعل والمشاركة الانفعالية مع العالم الخارجى . وبالتالى ينبغى أن يكون له رأى فيما يتعلق بالمسائل العامة .

٣ — مقياس كوب Copp's Scale[١] طور هذا الباحث مقياسه هذا لقياس بعد التقليد — العصرية بين رعاة الماشية فى ولاية كانساس ، حيث سألهم عن محددات النجاح فى الزراعة كما يرونها ثم صنفهم إلى عصرى أومرن Flexible وتقليدى أوجامد Rigid. وكانت الاستجابة النمطية للشخص التقليدى هى العمل الشاق . والارتباط التام بالأرض ، واستمرار العناية بها .

٤ — مقياس هوب Hobb's Scale[٢] ، ويصنف هذا المقياس عينة مكونة من ٣١٥ مزارعا من مزارعى ولاية أيوا إلى نمطين ؛ العمل الموجه تقليديًا Traditional Work Oriented ، والعمل الموجه إداريًا Management وهنا نلاحظ أن « هوب » قد ركز على العمل فى حد ذاته باعتباره أحد الدلائل التى يمكن التعرف على التقليدية عن طريقها .

وقد أوضحت نتائج تطبيقات هذه المقاييس ، وغيرها — مما لم يتسع المجال لذكره هنا — على المستوى الفردى ، أوضحت أن هناك فروقاً بين الشخص العصرى والشخص التقليدى . فالأول أكثر استخداما للتكنولوجيا ، كما أنه أكثر انفتاحا على العالم وأكثر منطقية اقتصادية ، وأكثر قدرة على التصور الانفعالى للأحداث ، وأرفع تعليما ، كما أن الميل إلى التجديد يميز الشخص

---

(١) Through Rogers, op-cit,

(٢) Ibid

العصرى أيضاً ، أكثر مما يميز الشخص التقليدى .

استطعنا حتى الآن أن نعين بعض الطرق التى أمكن بواسطتها قياس بعد التقليد — العصرية كمّاً ، ولكن على المستوى الفردى فقط . وهنا يثور سؤال حول إمكانية قياس هذا البعد — كمّياً — على مستوى النسق الاجتماعى .

أمكن بالفعل قياس هذا البعد بالنسبة للنسق الاجتماعى أيضا ، وبذلت محاولات عديدة لقياس هذا البعد بالنسبة لمعايير الأنساق الاجتماعية ، إلا أن صعوبة قياس المعايير الاجتماعية — التى يمكن تعريفها بأنها أنماط السلوك الظاهرة الأكثر تواتراً بالنسبة لأعضاء نسق اجتماعى معين — لا تقاس هذه الصعوبة من حيث شدتها بما يقابله الباحث وهو يقيس هذا البعد على المستوى الفردى . إلا أن هناك ثلاثة اتجاهات مختلفة لقياس هذا البعد عند مستوى النسق الاجتماعى على النحو التالى :

١ — اتجاه بسيط مؤداه حساب متوسط درجات الميل إلى التجديد بالنسبة لأعضاء النسق الاجتماعى ، ومن ثم فإنه يمكن قياس البعد التقليدى التجديدى أو العصرى للنسق الاجتماعى ، ومقارنته به فى نسق آخر . إلا أن هناك صعوبة تواجه هذا المقياس مؤداها أنه عادة ما يكون التجديد الذى قيس فى نسق اجتماعى مختلفا عن التجديد الذى قيس فى نسق آخر ، ومن ثم فإن بعد القياس لا يكون واحداً .

٢ — أما الاتجاه الثانى فهو الذى يركز على اتجاهات أعضاء النسق الاجتماعى نحو الأشخاص المجددين ، فإذا كانت هذه النظرة نظرة تعاطف ، فان النسق حينئذ يكول نسقا عصريا .

٣ — أما ثالث المقاييس فإنه يعتمد على تقديرات المحكمين . وهنا لا بد أن يكون المحكم ملما بمختلف أبعاد النسق الاجتماعى أو جميع الأنساق الاجتماعية موضع الدراسة حتى يستطيع أن يرتب هذه الأنساق على متصل التقليد — العصرية .

٤ — وهناك طريقة رابعة يمكن — بها — قياس عصرية المجتمع أو

تقليديته ، وتتلخص فى حساب درجة تقبل الناس للأفكار ، والتجديدات والمهارات الجديدة والوسائل الفنية ، وما إلى ذلك .

إلا أن أى طريقة من الطرق السالفة الذكر لا تستعصى على النقد العلمى . ونظراً لأهمية المعايير فى التراث السسيولوجى ، فإن المحاولات التى بذلت لقياسها ما زالت أولية . والاختلافات بين الأنساق الاجتماعية ليست اختلافات كيفية بقدر ما هى كمية . ومن هنا نتبين صعوبة القياس الكمى لهذه الأنساق وتحديد موضعها على المتصل .

ونعود الآن إلى هدفنا الذى يتمثل فى فحص طبيعة العلاقات بين الاتصالات والتغير الاجتماعى على المستويات السالف ذكرها وأقصد بهذه المستويات مايلى :

١ — الاتجاهات والآراء والأفعال .

٢ — تقبل التجديدات واستخدامها وتبنيها .

٣ — التغير المجتمعى .

وسوف نخصص فصلا لكل مستوى من هذه المستويات التغيرية لنفحص فيه دور الاتصالات فى عملية التغير هذه .

الفصل السابع

الإتصال والتغير في الاتجاهات والآراء والأفعال

سوف نحدد فى هذا الفصل أولا معنى الاتجاه وعلاقته بالرأى والفعل ، وكيفية الاستدلال على الاتجاهات الحقيقية ؛ ثم نتجه إلى تحليل العملية التى تتغير بواسطتها الاتجاهات والآراء والأفعال ودور الاتصالات فيها من خلال التحليلات النظرية والاختبارات التجريبية .

ماذا نقصد بالاتجاه ؟

يعنى الاتجاه – أصلا – وضعاً معيناً يتخذه الجسم للقيام بفعل معين ، أى استعداد فيزيقى يتمثل فى اتخاذ وضع معين لأداء فعل ، إلا أن معنى الاتجاة قد أخذ يتسع شيئاً فشيئاً لكى يغطى جميع أنواع الاستعداد التى تتخذ للقيام بأفعال سواء كانت هذه الاتجاهات ظاهرة ، أو نفسية كامنة . وقد لاقى هذا المفهوم تعريفات متعددة فى التراث السوسيولوجى والسيكولوجى طوال السنوات الماضية . إلا أن هناك درجة من الإجماع أو الاتفاق حول بعض التعريفات التى نسوقها فيما يلى :

١ – إنه الوضع الذى يتخذه الكائن نحو موضع Obiect ، أو موقف Situation يرغب التوافق معه . وحينما تتم عملية التوافق يختفى الاتجاه فيما عدا ما يتبقى منه فى الذاكرة . أو فى الوضع العادى للكائن[١] .

٢ – أن الاتجاه هو ما نستطيع – بواسطته – تفهم عملية الوعى والشعور الذى يحدد النشاط الفردى الممكن ، أو الواقعى بالنظر إلى القيم الاجتماعية وفى ضوئها ، وحيث يمثل هذا الفعل أو النشاط – بأى شكل من أشكاله الرابطة أو الرباط بين الفرد والقيم الاجتماعية[٢] .

٣ – الاتجاه هو ميل للفعل ، أو اتجاه نحو ضرب معين من ضروب النشاط ، ويمكن أن نطلق عليه ميلا أو استعداداً أو انحيازاً[٣] .

٤ – يعبر الاتجاه – مهما كان ضربه – عن حالة وظيفية من الاستعداد تعد الكائن لأن يقوم برد فعل متميز نحو مثير معين ، أو نحو موقف استثارى[٤] .

---

(١) L.L, Bernard, *Introduction to social psychology* 1926 p. 246.

(٢) W.I. Thomas and P. Znaniecki, *The Polish Peasant in Europe and America*, 1918, V,I. p. 24

(٣) E, Faris "Attitudes and Behaviar" A.J.S. 34, 2 : 1928 p. 277.

(٤) M. Sherif and H. Cantril, *The Psychology of Ego* - Envolvements, 1947 p. 17.

٥ ــ الاتجاه هو تنظيم ذو وزن ــ من العمليات الدافعية ، والإدراكية ، والمعرفية . بالنظر إلى جانب معين من جوانب عالم فرد معين[١] .

٦ ــ الاتجاه هو حالة عقلية أو حالة من الاستعداد العقلى والعصبى ، منظمة من خلال الخبرة . تمارس تأثيراً توجيهياً وديناميا على استجابات الأفراد بالنسبة لجميع الموضوعات والمواقف التى يتصل بها هؤلاء الأفراد[٢] .

ويذهب« ميلتون روكيش »Milton Rokeach إلىأن التراث السابق فى دراسة الاتجاهات وتغيرها قد ركز على الاتجاهات الموجهة نحو موضوع . ولكنه يعتقد أن الاتجاهات كما أنها قد تكون قائمة بالنسبة لموضوع معين كشخص أو جماعة ، أو نظام اجتماعى . فإنها قد تكون قائمة أيضاً نحو موقف كحادثة أو قضية أو فكرة . والاتجاه ــ فى رأيه ــ حكم أو استعداد قبلى للتصرف إزاء موضوعات معينة . أو موقف معين . ويعتقد « روكيش » أن السلوك ليس وظيفة اتجاه واحد فقط . وإنما هو وظيفة اتجاهين[٣] .

وأكد « توماس » مفوم الاتجاه بوصفه مفهوماً أساسياً فى علم النفس الاجتماعى حيث أوقف القسم الأول من كتاب « الفلاح البولندى » فى أوربا وأمريكا لتحليل مفهوم القيم بالنسبة للمجتمع ، والاتجاه بالنسبة للفرد .

ويتميز الاتجاه ــ كما يستخدم فى علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع المعاصرين ــ بمجموعة عريضة من المعانى تتراوح بين الوضع التزامى للكائن إلى الميول المركبة والمستمرة نسبياً بالنسبة للفعل كاتجاه شخصى معين نحو الحرب . ويستخدم الاصطلاح للاشارة إلى السلوك الفيزيقى الظاهر والميل للفعل فى العمليات العقلية ، كما يشير أيضاً إلى الميول الخاصة أى الميول التى تميز فرداً بعينه . وهو يشير كذلك إلى الاتجاهات الثقافية والجمعية أو الجماعية

---

(١) D. Krech and R.S. Crutchfield, *Theories and Problems of Social Psychology*, 1948, p. 152

(٢) G.W. Allport, "Attitudes", in C. Marchison (edr.) *Handbook of Social Psychology*, 1965 p. 810

(٣) Milton Rokeach "Attitude and Opinion Change" p.O.Q (Winter 1966-67) pp. 529-550.

وحيث يجرد الفرد — من الثقافة — خبراته التى تنبنى عليها ميوله واتجاهاته . ويمكن أن نثير سؤالا هنا مؤداه : هل الاتجاهات متخصصة بالنسبة لموقف معين . أم أنها تنمو وتتطور خلال نزعات أو ميول عامة نحو الاستجابات إلى طائفة كلية من الظواهر ؟

كان هذا السؤال موضع جدل فى العشرينيات وحيث يذكر كانترل Cantril فى معرض حديثه عن الاتجاهات العامة والمتخصصة أن « الاتجاهات العـامة التشكيل . أكثر استمراراً وأكثر وزناً وثقلا من الاتجـاهات المتخصصة »[١] .

ومع أن السسيولوجيين كانوا يعانون من نقص تراثهم التجريبى الذى يعينهم على تحديد الاتجاه وتفسيره . إلا أن هذه القضية — الاتجاهات العامة والمتخصصة — كانت معروفة ومتضمنة لديهم . إلا أنهم ركزوا تركيزاً ضخماً على فكرة الاتجاهات العامة خلال مناقشاتهم لموضوعات مثل العلاقات العنصرية ، والاتجاهات نحو القوميات والأساس الاتجاهى المتخصص للنماذج السائدة فى الجماعات والطبقات والروابط والنظم . ومن الواضح أن النوعين من الاتجاهات العـامة والخاصة . موجودان بالفعل وحيث يكون الأفراد اتجاهات خاصة بهم أساسها التوجيه نحو موضوعات معينة . ونحو الناس . والأفكار . والاتجاهات كميول للفعل تتطور فى علاقة بالموضوعات المادية . والكائنات الحية . والعمليات السيكلوجية .

ومن المهم هنا أن نشير إلى أن هذه الثنائية من الاتجاهات قد تأسست — أساساً — بين أتباع نظريات الشخصية ذات الطابع الاستاتيكى . وهى لا تعتبر — إلى حد كبير — تصنيفات صادقة . إلا أن تصنيف جميع الاتجاهات يصبح أمراً واضح الصعوبة إن لم يكن بادى الاستحالة .

وقد طور آلبج Albig[٢] تصنيفاً خاصاً يتفق مع اتجاهه العام فى مؤلفه

---

(١) H. Cantril, "General and specific attitudes" Psycho-Mon. No. 192. 1932

(٢) Albig, *op.cil.* pp. 154-155,

عن الرأى العام الحديث ، وهو لا يعنى تصنيفه أيضاً من الأخطاء فهو غير مرض للأسباب التالية :

١ ــ أن الاتجاهات ليست وحدات Units فى حد ذاتها ، إنما هى مركبات من الاتجاهات ، وبما أنها كذلك فهى بمثابة ميول عامة لأساليب من الاستجابات . وليست الاستجابات محددة Particular فحينما نرجع اتجاهاً معيناً لشخص معين كالحب ، أو الرعب ، أو الشفقة ، فإننا لا نعبر تماماً عن الحالة الانفعالية أو الشعورية التى نحاول وصفها ، فالاتجاه المتكامل معقد جداً ولا يكفيه مثل هذا الوصف المختصر ، وكل ما نعنيه هو أن العامل الاتجاهى المذكور فى هذا الموقف (الحب مثلا) هو عامل مسيطر أو بارز ومعترف به فى هذه الحالة ، فالشفقة قد تتضمن الحب ، والرعب كذلك ، فالاتجاهات إذن ليست وحدات مستقلة .

٢ ــ الصياغات اللغوية الموجودة ليست ملائمة ــ تماماً ــ أو هى ليست كافية ــ حتى للتميز بين الاتجاهات العامة .

٣ ــ تتداخل الاتجاهات فى بعضها البعض ، ومن ثم فإن الفصل التعسفى ــ بقصد التصنيف ــ قد يستأصل الحقيقة أو يحد منها على الأقل .

٤ ــ وحتى إذا أمكن تطوير تصنيف مثالى للاتجاهات ، فإن مثل هذا التصنيف قد لا يمكن من المقارنة التامة بين الأفراد . فالمقارنة تكون نسبية ــ إلى حد كبير ــ لأن مكونات الاتجاه المشترك بين الأفراد قد تختلف من حيث الكم .

ولكن ما هى طبيعة العلاقة بين الاتجاهات والآراء ؟ حينما يظهر تعبير واضح حول نقطة خلاف أو جدل فإننا حينئذ نكون بصدد رأى Opinion . وعادة ما يظهر هذا التعبير فى الأشكال اللغوية ، إلا أنه يتبدى أيضاً بالإيماءات والإشارات والرموز والعلامات ، وأى تعبير عن رأى يتضمن اتجاهاً ، كما يتضمن شكلا من أشكال الفعل أيضاً التى تنعكس فى عدد من الاتجاهات الجسمية والعضلية ، وما يزال جانب من السيكلوجيين يشير بلفظ اتجاه إلى الاستعداد

الحركى ؛ بل لقد ظهرت محاولة لوصف الرأى بهذا المعنى أيضاً ، ولكن من الواضح أن الحركات والردود والأوضاع الجسمية والحركية لا يمكن أن تكشف عن رأى الناس فى مجتمع معين . ولذلك يصبح من العجيب أن نرى محاولات امبريقية قديمة ساذجة تحاول كشف الاتجاهات الشخصية من خلال الرأى الظاهر . ومثل هذه المحاولات قائمة حول تصور بسيط لطبيعة الاتجاه وتفاعله . وقد برهنت نتائجها على أنها غير مشجعة وليس هذا بالأمر الغريب . ولكن حتى يكون الأمر واضحاً فإنه يمكن القول بأن الآراء عادة ما تعكس اتجاهات أو تعبر عن اتجاهات ، ولكن أى الاتجاهات تلك التى تعبر عنها الآراء ؟ إن محاولة التمييز بين الاتجاهات ، وعزل الاتجاهات المتصلة برأى معين واضح كانت ضمن مجالات اهتمام العلماء الاجتماعيين منذ العشرينات من هذا القرن . وقد تطور الاهتمام بالاتجاهات ونما وليس مدعى هذا النمو هو الرغبة فى بناء إطار نظرى فقط . ولكن ذلك أيضاً ينبع من العلاقات الملحوظة بين اتجاهات معينة وبين النجاح أو التوافق فى معايشة ثقافة معينة .

من هنا يتبين أن محاولة استشفاف الاتجاهات من الآراء الظاهرة إنما هى محاولة عقيمة وحيث أصبح من المسلم به أن هناك اتجاهات كامنة Latent لا يمكن استشفافها من خلال الرأى ، وذلك على أساس أن الشخص قد يبدى رأياً معيناً فى قضية ما على أساس مبلغ منطقية هذه القضية أو درجة إقناعها . ونضرب مثالا بسيطاً على ذلك بشخص يرى أن فى التدخين مخاطر ومضار ، ويعبر دائماً عن هذه المضار برأيه الظاهر إلا أنه ليس من الضرورى أن يكون من غير المدخنين ، فهو هنا من حيث الرأى فقط لا يوافق على التدخين وإن كان اتجاهه الفعلى غير ذلك (مع وضعنا فى الاعتبار مسألة الاعتماد السيكلوجى والفسيولوجى) .

ويثير هذا المثال البسيط تساؤلا مؤداه أيهما إذن يعبر عن اتجاهه . الرأى أم الفعل والسلوك . وهنا يرى البعض أننا نستطيع الكشف عن الاتجاهات من خلال الأفعال لا الآراء ، ذلك لأن الرأى قد يتمشى مع منطقية القضية

وإقناعها أو قد تتحاشى استجابة الشخص ردود الفعل أو الاستجابات العدائية، أو قد يحاول مجاراة سياسة الدولة وبرامجها — بالرأى فقط — فى قضايا مثل تنظيم الأسرة والإدخار ؛ فحينما نوجه سؤالا لشخص معين طالبين رأيه فى موضوع كتنظيم الأسرة . فإنه يجيب بأن تنظيم الأسرة قضية ضرورية وواجبة التنفيذ ، ولكن هل استجابته هذه تمثل اتجاهه الحقيقى نحو تنظيم الأسرة ؟ تلك هى المشكلة ولذلك قد نوجه إليه سؤالا لاحقاً يدور حول ما إذا كان بصدد تنظيم أسرته أم لا ؟ وهنا قد نجد ارتباطاً بين الرأى والفعل على مستويات مختلفة من الدلالة . وقد لا نجد مثل هذا الارتباط على الإطلاق .

انتهينا إذن إلى أن البعض حاول الاستدلال على الاتجاهات من خلال الأفعال لا الأقوال . إلا أن آلبج Albig يرى أن الفعل — مثله مثل الرأى — ليس معصوماً من الخطأ بوصفه مشيراً أو دالا على جميع الاتجاهات المتضمنة فى موقف معين[١] .

ويوضح « ثرستون » Thurstone أنه لا يمكن استشفاف الاتجاه من خلال الرأى . فالإنسان قد يكذب فى رأيه ويبدى رأياً لا يمثل حقيقة ما يستشعره وذلك لأسباب تتعلق بالمجاملة وبخاصة فى المواقف التى قد لا تتقبل الصراحة فى الرأى . وقد قاد ذلك إلى افتراض مؤداه أن فعل الإنسان يشير — بأمانة — أكثر من رأيه إلى اتجاهه ، ولكن أفعاله أيضاً قد تكون تحريفات لاتجاهاته ، فالسياسى الذى يوسع من دائرة أصدقائه ويظهر بمظهر الكرم ، يعبر تعبيراً أكثر صدقاً لصديق مقرب — بعينه — فقط ؛ فلا آراءه ولا أفعاله الظاهرة أو المكشوفة غير معصومة من الخطأ كدلالات لاتجاهه ؛ أما ما يشير إلى الاتجاه بالفعل فهو ميوله الذاتية وتفضيلاته . ومن هنا فإنه من المفيد الاستمرار فى استخدام مضامين الآراء أو أى أشكال من أشكال الفعل بوصفها مجرد إشارات إلى الاتجاه ، ولكن لابد أن نضع فى اعتبارنا أن هناك تناقضا وأخطاء فى القياس — كما كان الأمر دائماً — بين الآراء والأفعال التى تستخدمها

(١) Albig, *op. cit,*

للاشارة إلى الاتجاهات ، وبين الاتجاه نفسه الذى تستخدم هذه الآراء والأفعال الظاهرة للكشف عنه[١] .

وتعتبر آراء الفرد وتعبيراته عن هذه الآراء فى الحياة اليومية بمثابة مؤشرات تشير إلى اتجاهه بالفعل ؛ إلا أن إساءة تفسير هذه الجوانب السلوكية يؤدى إلى إساءة تفسير الاتجاهات المتضمنة فيها .

وينبه « لابير » La Piere إلى أنه « إذا كنا بصدد استخدام منهج مقنع لقياس الاتجاهات الاجتماعية فعلينا أن نوجه أسئلة (عادة ما تكون مكتوبة) بحيث تطلب توافقاً لفظياً مع موقف رمزى محدد ؛ ولأن الاستخبارات التى تقيس الاتجاهات اقتصادية وسهلة وآلية . فقد أصبحت — بسرعة — الطريقة الغالبة فى الدراسات الاجتماعية والاجتماعية النفسية ؛ فالباحث يستطيع — لسهولة التكنيك أن يصنف مائة أو ألف استجابة حول سؤال مؤداه « هل تقوم من مقعدك فى الأتوبيس لسيدة أمريكية ؟ لكى يستقى اتجاه غير الأمريكيين الذكور نحو الإناث الأمريكيات . والآن فإن السؤال قد يبنى بمهارة حاذقة . وأن يغطى بعدد من الأسئلة التى تعاونه وقد تكون غير مرتبطة به ، وكل ما يحصل عليه الباحث من استجابات ما هو إلا استجابات رمزية لموقف رمزى ، فكلمة سيدة أمريكية لا تشكل « سيدة أمريكية » بلحمها وشحمها . طولها أو قصرها ، صغرها أو كبرها ، مظهرها الحسن أو القبيح ؛ والإجابة « بنعم » أو « لا » إنما هى رد فعل لفظى لا يتضمن مغادرة المقعد أو الظروف المحيطة بهذه العملية »[٢] .

وحتى نتغلب على مشكلة تمثيل الرأى للاتجاه ينبغى أن نقيم دائماً ارتباطاً بين الرأى والفعل ، أو نحاول كشف هذه الارتباطات . فإنها قد تشير أو تكشف عن الاتجاهات التى ترغب فى الكشف عنها .

---

(١) L.L. Thurstone and E.J. Chave, *The measurment of Aitt udes*, 1929, p. 7

(٢) R.T. LaPiere, "Attitudes V.S. Actions" Social Forces 13 : 230 - 237.

والآن وبعد أن ناقشنا مفهوم الاتجاه وعلاقته بالآراء والأفعال نعود إلى موضوعنا الرئيسى الذى يتركز حول التغيرات التى تطرأ على الآراء والأفعال والاتجاهات وهنا يذكر « ميلتون روكيش » أن أغلب الدراسات السابقة التى تركز على تغير الاتجاهات تحاول أن تحدد الظروف التى — فى ضوئها — يطرأ تغير على الاتجاهات — كما تعبر عنها الآراء — فى ظروف تجريبية ، وغالباً ما يكون الاتصال Communication هو المتغير الفعال[١] .

إن التغيرات الثقافية العامة التى تحدث فى المجتمع ما هى إلا تغيرات تعكس مدى ما تصل إليه المناقشات حول الآراء المتعارضة من تغيرات هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى نجد هناك علاقة متبادلة بين التغيرات الثقافية العامة وبين التغيرات التى تطرأ على الاتجاهات والآراء . وحتى وفقاً لنظرية الانتشار الثقافى نجد أن أية سمة ثقافية واحدة على مجتمع من المجتمعات تمثل موقفاً تتصارع الآراء حوله بالقبول أو الرفض سواء كانت هذه السمة الثقافية مادية أو غير مادية كالقضايا والأفكار التى يدور حولها جدل شديد ، وفى هذه الحالة تبرز عدة احتمالات على النحو التالى :

١ — الاحتمال الأول : قبول هذه السمة وتمثلها بعد أخذ ورد .

٢ — الاحتمال الثانى : رفض هذه السمة بعد أخذ ورد .

٣ — الاحتمال الثالث : قد يقبل البعض هذه السمة ويتمثلها بينما يرفضها البعض الآخر .

فى الحالة الأولى والثالثة تكون السمة الوافدة قد وقفت بمثابة قضية دار حولها الجدل وانتهى هذا الجدل بالاتفاق الكامل على قبولها أو حتى بالاتفاق النسبى . وهنا نكون بصدد حدوث تغير فى الرأى بعد أخذ ورد . أما فى الحالة الثانية — وهى الرفض الكامل — فإننا لا نستطيع أن ننكر دور هذه السمة

---

(١) M. Rokeach, *op.cit*

الوافدة كقضية أثارت آراء متعددة ، وهى وإن لم تكن قد غيرت آراء الناس واتجاهاتهم فقد خلقت شيئاً جديداً للجدل والمناقشة . ومن ناحية أخرى نجد أن الاحتمال الثالث يثير أيضاً تساؤلات فى غاية من الأهمية قد تكشف عن جانب من ديناميات الرأى والاتجاه ، والتغير الذى يطرأ عليهما ، ومؤدى هذه التساؤلات ما يلى : — لماذا يتقبل البعض السمة الثقافية الجديدة ، أى يغير رأياً قديماً واتجاهاً قديماً ويتبنى آخر جديد فى حين يرفض البعض الآخر ؟ ما هى العوامل الثقافية والاجتماعية والنفسية التى تتضافر فى خلق هذا الفرق بين شخص يتغير ويتقبل الجديد ويتخلص من القديم ، وآخر لا يفعل ذلك ؟ .

إن قضية كتنظيم الأسرة أو الادخار بمثابة قضايا وافدة على مجتمع محلى محدود كالقرية المصرية مثلا . وهى قضايا قد تثير مناقشات ومجادلات يتمخض عنها أن بعض القرويين قد يتقبل الأفكار الجديدة ويتمثلها ويمارسها ، بينما لا يقدم البعض الآخر على ذلك ، ما هى الظروف التى تساهم فى تشكيل هذا التباين ؟

وهناك مداخل مختلفة يمكن بواسطتها دراسة التغيرات التى تطرأ على الآراء والاتجاهات ويمكن اختصارها فيما يلى :

١ — صياغة تعميمات Generalizations حول هذه العملية وحيث تكون هذه التعميمات قائمة على الخبرة الخاصة أو الملاحظة المشاركة أو فحص كيفى للسجلات والصحف ، والوثائق وما شابه ذلك .

٢ — إجراء اختبارات على فترات مختلفة ومعالجتها معالجة إحصائية .

٣ — إجراء اختبارات مدعومة بمثير مضبوط كالحديث أو السينما أو متغير آخر مشابه .

٤ — إجراء دراسات كمية للرأى كما تعبر عنه سجلات مختلفة كالانتخابات ، أو تغير مضمون الاتصالات المختلفة .

أما الناحية الأولى فمن الملاحظ أن كتابات السياسيين والفلاسفة الاجتماعيين قد وضعت عمليات الرأى لدى العامة موضع الاعتبار ، وحيث مر معظم هؤلاء على موضوع الرأى . ويعرض آلبج Albig عينة عشوائية من هذه التعميمات القائمة على الخبرة العامة[١] . وهو يذكر من هذه التعميمات تكنيك « روبرت أوين » الذى مؤداه « لا تناقش وإنما كرر تأكيدك وأعده » ، وندرك من تعميم روبرت أوين هذا أن الفلاسفة الاجتماعيين قد أدركوا أهمية التكرار كوسيلة للتأثير قبل أن يدركها رجال الإعلان والدعاية المحدثين . هذا وكان « توماس جيفرسون » Thomas Jefferson يكره كراهية عميقة المناقشة الشخصية ولا يثق فيها إطلاقاً حيث يقول « لن يستطيع أحد تغيير رأيه . ولن يغيره لمجرد المناقشة . وكان مغرماً دائماً بأن يقول : قد يغير الإنسان رأيه كنتيجة لردود فعله الخاصة نحو ما قرأ وهضم ، لكن المناقشات والجدل مضيعة للوقت » .

وهناك أسلوب آخر لصياغة التعميمات حول الاتجاهات والآراء من خلال مراقبة التحولات التى تطرأ على اهتمامات الجماهير من موضوع إلى آخر وفى هذا المجال لاحظ لكى Lecky أن « الناس لا يصدقون المعجزات ولا يثقون فيها ولكنهم يخلقونها ويحققونها » فالتغيرات فى الرأى تطرأ نتيجة للبث الإيجابى المحدود فى نطاق معين ، وحيث أن العبارة الإيجابية تتمتع بجاذبية خاصة . وقد أشار وليام جيمس William James ذات مرة إلى « فلهلم فوندت » على أنه أستاذ كفء وقدير لأن لديه رأياً حول أى موضوع ، كما يتمتع بذاكرة ممتازة ولذلك فإنه نادراً ما ينسى رأيه فى الأشياء . ويمكن كشف الاعتراف بهذا المبدأ مبعثراً فى تراث العمليات الجماعية ، علماً بأن هذه القضايا الإيجابية يجب أن تكون مبشرة بأمل معين ومتفائلة غير متشائمة . ولقد أوضح « سوريل » ذلك حينما قرر أن الجماهير تكره — دائماً — كل ما هو متشائم ، أما الحتميون الاقتصاديون فقد أسسوا تعميماتهم حول التغير فى الرأى والاتجاه بحيث تتمشى

---

(١) Albig, op.cit, p.333

مع نظريتهم العامة وحيث يركزون — فى القرن التاسع عشر — على أن التعديلات التى تطرأ على الآراء إنما هى — أولا وقبل كل شىء — نتاج للتعديلات التى تحدث فى النسق الاقتصادى شأنها شأن أى شىء آخر .

وهناك إطار واسع من التعميمات — وإن كان قد جاء متأخراً — التى تضرب الأمثلة على تغيرات معينة فى الرأى ومنها أن عرض الحقائق أو ما طرأ على الواقع الموضوعى من تغير يصبح أكثر كفاءة فى مجال أحداث تغيرات فى الرأى أكثر مما هو الحال بالنسبة للمناقشات أو التحليل المجرد . ومثل هذه القضية مبنية على ملاحظات جرت فى الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا حيث نجد شعوباً عملية براجماتية لا تستجيب تماماً للبث أو المد الأيديولوجى ، وهم أخيراً لا يثقون بالحجج والمرافعات الخاصة . « فالحادثة أو الواقعة الملموسة وتفاصيلها وظروف حدوثها تؤدى وظيفة أو تخدم بوصفها نموذجاً يساعد فى توجيه الناس نحو الجزء الذى يعيشون فيه من العالم[١] » ، ويمكن أن نفترض بالطبع أن هذا التعميم تعميم محدود بالثقافة C. Bound أو محدود بثقافة معينة بالإضافة إلى أنه غير مدعم تماماً بالبراهين والحجج .

ويمكن القول بأن الآراء تتغير وتتأثر وتنمو أكثر وأكثر حول الموضوعات التى يفتقر الإنسان إلى المعلومات حولها وبالتالى لا يكون رأياً منظماً بالنسبة لها أو اتجاهاً ثابتاً . وأكثر من ذلك فإن الآراء تكون أكثر قابلية للتغير إذا كانت تدور حول القضايا العامة غير المحدودة إذا ما قورنت بالآراء التى تدور حول قضايا محدودة وجوهرية . وتنظر العلوم الاجتماعية الحديثة إلى هذا الموضوع فى ضوء الصياغة التالية « يكون مضمون الإتصال أكثر تأثيراً فى الرأى العام المتعلق بالقضايا الجديدة ، والمسائل غير المستقرة لأنها آنئذ لا تكون مرتبطة بمجموعة الاتجاهات الموجودة »[٢] . وتتمثل أيضاً فى صياغة أخرى «لكانتريل»

---

(١) R. Merton, *Social Theory and Social Structure*, op. cit., pp. 284-285.

(٢) B. Berelson *Communication in modern society* (W. Schramm edr.), 1948 p. 176.

على النحو التالى « تبلغ التوضيحات ، أو القضايا اللفظية .. أو الخطوط العامة لبرامج الفعل أقصى درجات أهميتها حينما يكون الرأى غير مستقر أو منتظم[١] .

بعد أن استعرضنا بعض التعميمات الخاصة بالمعلقين المبرزين نعرض لمصدر آخر يحتوى على مناقشات كاملة وافية حول التغيرات المفاجئة التى تطرأ على رأى الجماعات حيث نجد فيه التغيرات المفاجئة فى الرأى تحدث تحت الظروف التالية :

١ — الرأى الجماعى أو رأى الجماعة الذى لم يتشكل بناء على تفهم تام لنقاط القضية وجوانبها أو الذى لم يدعم بالروابط القوية المتسمة بالتعصب — هذا الرأى يتحلل بسهولة .

٢ — إن كثيراً من التعبيرات التى تعبر عن رأى معين ليست سوى صياغات خاوية . وقد يبدو أن تغيرات الرأى تحدث فجأة إلا أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن تغيراً معيناً قد طرأ على الاتجاهات الكامنة وراء الرأى ، أى أن التغيرات المفاجئة التى قد تطرأ على رأى معين ما هى إلا انعكاس لتغير حدث فعلا — منذ مدة — فى الاتجاهات الكامنة .

٣ — قد يتغير رأى الجماعة أو يتحرك بسرعة بسبب الأفعال المتطرفة فى عدائها والخاصة بأولئك الذين يحاولون توجيه الرأى .

٤ — هناك ميل عام — عند الجماهير العريضة — لأن تجيب بنعم عند الاقتراع على المسائل المشكوك فيها أو التى لم تكتسب اقتناعاً تاماً ، وقد دعمت هذه النتيجة تدعيماً إمبيريقياً فى الخارج .

٥ — الناس — بوجه عام — يضادون المواقف . ولا يضادون المبادئ . وهنا قد تكون التغيرات المفاجئة فى الرأى نتيجة لتغيرات مفاجئة فى الموقف كأن يحدث تعديل فى بعض جوانبه .

---

(١) H. Cantril, *Gauging Public Opinion*, 1944, p. 226.

٦ ــ الشخصيات القوية الجديدة التى تستطيع تصوير القضايا وتحليلها وتمثيلها تمثيلا حيا قد تحدث تغيراً مفاجئا فى الرأى[١].

وقد حاول السياسيون والمعلقون والمتخصصون فى المسائل العالمية أن يضعوا مقياسا لقياس التغيرات التى تطرأ على الرأى ، وهى وإن كانت مقاييس غير كمية ، وغير قائمة على أساس علمى متين إلا أنها دقيقة إلى حد ما .

أما الدراسات التجريبية التى تحاول دراسة التغيرات فى الرأى عن طريق استخدام المجموعات الضابطة ، فإنها ما زالت محدودة إلى درجة كبيرة ، كما أن هذه الدراسات تعانى من مشاكل منهجية يمكن وضعها فى صورة أسئلة على النحو التالى :

١ ــ إلى أى مدى يمكن أن نثق فى اختبارات الرأى الموجودة * ؟

٢ ــ كيف يمكن أن نميز بين مثل هذه الآراء و بين الاستجابات التقليدية أو الاتفاقية ؟

٣ ــ هل كان لدى المبحوث رأياً معيناً قبل الاختبار ؟ أم أن تطبيق الاختبار هو الذى أثار لديه هذا الرأى .

٤ ــ هل يعنى المبحوث الاتجاه الكامن الذى يحدد رأيه ؟

٥ ــ هل من المتوقع أن يعبر المبحوث عن الرأى نفسه فى ظروف مشابهة ؟

٦ ــ هل يمكن عزل الآراء لاختبارها ؟

ومن هذه الأسئلة يتبدى حجم المشكلة المنهجية التى تواجه مثل هذه الدراسات . والتراث التجريبى فى هذا المجال يهتم بنقاط قليلة تتركز حول موضوعات محدودة ، بالإضافة إلى أن صدق وثبات البيانات التى اعتمد عليها هذا التراث

---

(١) E.H. raget "Sudden Changes in Public Opinion" Social Forces : 7 : 438-442.

* ويمكن التغلب على هذه المشكلة إلى حد ما عن طريق حساب معامل الثبات والصدق .

كانا محل شك وحيث إن الاختبارات قد خلقت ظروفاً ومواقف شاذة وغير عادية . كما أن المجموعات التي اتخذت مجالا للدراسات كانت تتمثل في جماعات صغيرة غالباً ما تنتمي إلى مؤسسات تعليمية . وحتى يصبح من الممكن إقامة تعميمات حول هذه العملية فإن الأمر يتطلب استخدام قطاعات عريضة من الناس حتى يصبح من الممكن تفسير الظواهر المختلفة المرتبطة بالتغير في الرأى والاتجاه كما يصبح من الممكن أيضاً التنبؤ بما يحصل أن يحدث .

وقد أجرى عدد قليل من الدراسات حول تأثير الأغلبية والخبراء على الاتجاهات وتوصلت هذه الدراسات — مع أن البرهان غير واضح — إلى أن الناس حينما يعرفون رأى الأغلبية . ورأى الخبراء فإنهم يتجهون بدرجة كبيرة إلى رأى الأغلبية . وبدرجة أقل إلى رأى الخبراء[١]. وتوصلت دراسة أخرى إلى هذه النتيجة أجريت حول الرأى في قضايا دينية ، إلا أن الباحثين قد لاحظا تساوياً بين أهمية آراء الأغلبية ورجال الدين وفسرا ذلك بأن رجال الدين يتمتعون بوزن وثقل في المسائل الدينية[٢]. وفي عام ١٩٥٥ نشره صمرئيل ستاوفر رئيس معمل العلاقات الاجتماعية بجامعة هارفارد دراسة حول الاتجاهات نحو الشيوعية والامتثال Conformity والحريات المدنية . وتعتبر هذه الدراسة متفوقة إلى حد كبير من حيث وضع برنامج دقيق للبحث، وقد استبر في البحث الميداني ستة آلاف رجل وامرأة من جميع الأحزاب الموجودة في المنطقة، ومن جميع الفئات المهنية ، كما قام بتطبيق الاستمارات باحثون مدربون ، وحاول المشرف — بقدر المستطاع — أن يستخدم التدابير الكافية لضمان صدق اختباراته وثباتها ودقتها ودعمت نتائجه ما يتردد من تعميمات حول الطبيعة الشخصية الأساسية للمخاوف الأولية والقلق لدى أغلب الناس ، وبالرغم من الجو العالمي القلق الذي كان ينذر بخطر الدمار الذري، فقد قرر حوالى ٨٠٪ من المبحوثين الرجال والنساء أن

---

(١) C. Marple "The Comparative Susceptibility of Three Age Levels to the suggestion of group versus Expert Opinion" J.S.P. 4 : 176-188.

(٢) H.E. Burh and D.R. Falkenburg, "The Influence of Majority and Expert opinion on religious attitudes" J.S.P. 14 : 269-278.

مخاوفهم الأساسية مخاوف شخصية ومتاعب خاصة ومشاكل عائلية ، وأضاف الباقون المتاعب والمشاكل الشخصية إلى قلقهم المتعلق بالقضايا العامة وكان الاهتمام بالمسائل العالمية متمثلا فى ٨٪ فقط من الاستجابات الكلية لجميع أفراد العينة .

أما الحال بين قادة المجتمع المحلى فلم يكن كذلك تماماً فقد تبين أن ٢٢٪ من هؤلاء القادة قلقون حول المسائل العالمية و ٢٥٪ قلقون حول المشاكل القومية و ٥٪ عبروا عن مخاوفهم المتعلقة بالحريات المدنية والتهديد الشيوعى الداخلى . وقد لاحظ الباحث أن الجيل الأكبر سنا والأقل تعليما أقل تسامحاً بالنسبة لغير الممتثلين ، أو الذين يختلفون معهم إذا ما قورن هذا الجيل بمثيله الأصغر سنا والأرفع تعليما . كما وجد أن جنوبى الولايات المتحدة أقل تسامحاً من الغرب . بينما مال النساء — باتساق مع فروق بسيطة — إلى أن يكن أقل تسامحاً عن الرجال بالنظر إلى المخالفين المشكوك فيهم كاشتراكيين أو شيوعيين ، أو ملحدين [١]

إلا أن أكثر الدراسات خصوبة بالنسبة لموضوع الاتجاهات وتغيرها . هى تلك التى تتعرض للاتجاهات بوصفها عمليات دينامية مرتبطة بالبيئة الاجتماعية . والحياة العقلية للفرد وليست تلك التى تعالج الاتجاهات كوحدات مستقلة .

وقد جرت عدة محاولات لتسجيل آثار بعض المضامين الاتصالية على أولئك الذين يتعرضون لها فى ظروف تجريبية ، وأوضحت هذه الدراسات أن هذه المثيرات الاتصالية قد تؤدى إلى تحولات فى الرأى ولكن إلى حد محدود . وأجريت هذه الدراسات على مجموعات الطلبة حيث كانت هذه المجموعات الطلابية فى متناول يد الباحثين من حيث المكان . والظروف . ومن حيث إنها تتميز بالتجانس . وتوصل بعض هذه الدراسات إلى أن التغيرات التى تطرأ على الرأى ناتجة عن المثيرات التى تثير المخاوف وتنظيم المناقشات الإقناعية وعلاقات عضوية الجماعة بمدى مرونة الرأى وقابليته للتشكل ، وعلاقة الشخصية

(١) Samuel A. Stouffer, *Communism, Conformity, and Civil Liberties*, 1955.

بالاستهداف للاقناع [١].

ودرس كل من « آنيس » Annis « وميير » Meier أثر المادة أو الاتصال التحريرى على طلبة جامعة « آيوا » . واستخدم هذان الباحثان الطبعات اليومية العادية للصحف ، ثم حددوا ثلاثين مقالا أو موضوعاً النصف منها ضد المستر هوفز Haughes رئيس وزراء أستراليا منذ عام ١٩١٥ — ١٩٢٣ ، والنصف الآخر فى صالحة ، وتأكد الباحثان قبل الاختبار من أن مجموعة المبحوثين البالغ عددها ٢٠٣ مبحوثاً لا يعرفون أى شيء عن السيد « هوفز » . وقد كان من المقرر أن يقوم المستر « هوفز » برحلة إلى الغرب الأوسط لإلقاء بعض المحاضرات وقسم المبحوثون إلى جماعتين ، جماعة قرأت المضمون المتعاطف مع المستر « هوفز » بينما قرأت المجموعة الأخرى المضمون المضاد ، وتمت قراءة هذه المضامين الاتصالية خلال الاجتماعات العادية المنتظمة فى معمل علم النفس عبر فترة بلغت شهرين . وفى نهاية هذه الفترة وجد أن ٩٨٪من الذين قرأوا الاتصال المتعاطف مع المستر هوفز متعاطفون معه ومتحيزون له ، بينما ٨٦٪ من الذين قرأوا المقالات المضادة له أصبحوا متحيزين ضدة وانتهى الباحثان إلى أنه بواسطة عدد قليل من المضامين الاتصالية التى تحتوى على إيماءات غير مباشرة وحقائق قليلة أصبح من الممكن تكوين اتجاهات نحو الأفراد وبنائها [٢] ومع أن معلومات هذه الدراسة محدودة ، إلا أن الباحثين قد ساهما مساهمة محدودة فى استخدام وسيط لإثارة اتجاهات معينة نحو الأفراد ، إلا أن هذه التجربة تتميز بأنها أجريت فى ظروف قريبة من الطبيعية وحيث إنه من المستحسن فى مجالات التغير فى الرأى والاتجاهات من أن تجرى البحوث فى ظروف طبيعية .

وقد أجريت بالفعل عدة بحوث فى هذا المجال فى ظروف غير مفتعلة أو

---

(١) E.H. Volkart "The resistance to change of group anchored attitudes" A.S.R. 17; 453-465.

(٢) A.D. Annis and N.C. Meier "The Induction of Opinion Through Sugestion By Means of Planted Contend" J.S.P. 5 : 65-81.

ظروف واقعية ، حيث تم خلال الحرب العالمية الثانية تحليلات لمضمون دعاية الألمان والمعسكر المتحالف معهم من الناحيتين الاستراتيجية والتكتيكية ، وذلك عن طريق تحليل مضمون برامجهم الإذاعية ، فسجلت مضامين هذه البرامج ثم حاول المحللون كشف الأنماط الأساسية لدعاية الألمان وحلفائهم والموجهة للجماهير العريضة ، كما حاولوا أيضاً تجميع أو التقاط أى ذكاء عسكرى يمكن التقاطه من هذه البرامج .

كان أحد أهداف الألمان – بالطبع – من دعايتهم استمالة الجماهير أو تشجيع وإغراء التغيرات فى الآراء وخفض الروح المعنوية لأعدائهم . وقد وصف « تشارلز رولو » أحد تكتيكات النازى خلال السنة الأولى من سنوات الحرب فذكر «أن حرب الأعصاب Angskrieg تتمثل فى أربعة وجوه متميزة . أما الوجه الأول فإن المذيع يهدف إلى كسب جمور وكسب درجة من الشعبية ، وقد نفذ ذلك بالنسبة للبرامج النازية الموجهة الإنجلترا اللورد هو – هو Haw-Haw. ذلك « الخائن الإنجليزى » الذى كان يستقبل برنامجه من خلال أربعة عشر مليونا من أجهزة الراديو الانجليزية وفى الوجهة الثانية بدأ اللورد « هو – هو » إثارة الحرب النفسية المدنية ، وبدأ هجومه على المؤسسات والقيادات البريطانية الرئيسية واستخدم فى ذلك الشتائم وأعلى درجات البث الانفعالى ، وكان الوجه الثالث متمثلا فى التهديد وإثارة الأكاذيب ثم الأصرار على ضرورة استئصال القادة المناوئين والمناداة بالسلام ، وكانت هناك وجهة رابعة فى حالة بولندة وفرنسا والدول الصغيرة المحتلة هدفها إطالة حالة الفوضى والخلط وإبقاء الناس تحت إمرة سادتهم الجدد »[١].

وقام كل من « كريس » Kris و « سباير » Speir بدراسة أكثر تحديداً للدعاية النازية ، وهى بمثابة تقرير عن الإذاعات الداخلية التى يوجهها النازى للشعب الألمانى من عام ١٩٣٩ حتى ١٩٤٢ ، وكانت المادة موضوع التحليل هى التى تبثها الموجة المعتادة التى سجلتها هيئة الإذاعة البريطانية ، وكان هذان

---

(١) Through Albig, *op.cit* p. 354

الباحثان على معرفة بالثقافة الألمانية . كما أنهما يتميزان بالدقة المنهجية كباحثين نفسيين اجتماعيين . ولذلك فقد خرج تقريرهما وهو يمثل تحليل مضمون دقيق لما أذاعه الراديو الألمانى فى الفترة المذكورة آنفاً . وقد سجل الباحثان أن رجل الدعاية النازى يعمل على إظهار المنجزات وإكبارها كما يعمل على إخفاء الخلافات وهو مهتم فى العادة بتشكيل الرأى وتغييره ، وإرشاد الناس وضبطهم ومراقبتهم ، وكان من المعروف بوجه عام أن الفرق الألمانية تذهب إلى ميدان القتال دون حماس . وكانت بداية الحرب صدمة بالنسبة لأناس اعتادوا إحراز انتصارات دون إراقة دماء . وهنا تذكروا الذكريات الأليمه لهزيمتهم فى الحرب العالمية الأولى وحينئذ كانت مهمة « جوبلز » الأولى هى أن يحطم المقارنة والقياس بين الحربين ، بينما حاول « هتلر » أن يقود الأمة الألمانية من السلم إلى الحرب دون أن تشعر بذلك قدر المستطاع ، ثم جهزت حملات دعائية عن طريق الراديو والوسائل الأخرى تركز على أن الجيوش الألمانية لم تهزم أبدا فى الحرب العالمية الأولى وعلى أى الحالات ليس هناك وجه للمقارنة بين الحربين . وفى نفس الوقت لم يعلن « هتلر » التعبئة العامة ، بينما كانت الحملة البولندية لا تتحدث عن الحرب أو امكانية وقوعها ولكنها مجرد حملة تأديبية . وبعد ذلك أصبح من الواضح أن حرباً مستعرة على الأبواب ، وهنا ركز رجال الدعاية على الفوارق بين الحربين ، ومن بينها توقف الإمدادات الغذائية عن الألمان خلال الحرب العالمية الأولى ، والفترة الطويلة التى استغرقتها هذه الحرب بينما وعد رجال الدعاية هؤلاء بإحراز انتصارات خاطفه تكون قادرة على إحلال السلام فى أقصر وقت ممكن . وكان ذلك هو الحال خلال العامين الأولين ، وكانت الدعاية النازية مصحوبة بمد متزايد من الأمل وسرور واعتزاز بدرجة معتدلة . وقامت الحملات الإعلامية بمناقشات وأحاديث ، إلا أن التغيرات فى الرأى ما كانت وليدة لهذه الأحاديث والمناقشات ، وإنما كانت وليدة للانتصارات الخاطفة فى الميدان ، فالدعاية كانت مهمة بخصوص أداء وظيفة التفسير وحفظ الروح المعنوية وصيانتها يوماً بعد يوم ، إلا أن التغيرات الأساسية

فى الاتجاهات جاءت نتيجة للانتصارات التى حققتها الجيوش الألمانية فى الميدان [١]

ويؤخذ على أغلب ما سبق عرضه من دراسات أنها دراسات ذرية * أى تنظر إلى الجمهور باعتباره شذرات متفرقة ، وليس الجمهور كذلك وإنما هو يضم أفراداً ينتمون إلى جماعات متعددة فيها وبها يتأثرون ويؤثرون ، وهم يشكلون آراءهم واتجاهاتهم داخلها ، ومن خلال معايشتهم لها ؛ ثم إنهم لايستطيعون أن يغيروا آراءهم أو اتجاهاتهم دون موافقة الجماعات الأولية التى ينتمون إليها ، ونشير هنا إلى أن هناك دراسة هامة نظرت إلى الجمهور هذه النظرة السسيولوجية ونعنى بها دراسة « كاتز ولا زارسفلد » التى سبق أن عرضناها بالتفصيل ونحن بصدد الحديث عن الاتصال الشخصى ، وحيث توضح هذه الدراسة بجلاء أن الاتجاهات والآراء — حتى ما يبدوا خاصا منها — قد تكونت واكتسبت بواسطة أعضاء الأسرة أو الأصدقاء أو زملاء العمل ؛ باختصار بواسطة الأشخاص المؤثرين من بين المحيط الاتصالى للشخص [٢] .

وفى مجال الأفلام السينمائية وما يمكن أن تحدثه من تعديلات فى الرأى والاتجاهات أجرى « هلت Hullett تقييما لشبكة تأثير الأفلام السينمائية التجارية على اتجاه الرأى العام المحلى وذلك باستبار أفراد عينة طبقية فى مجتمع جامعى يقع وسط الغرب الأمريكى وذلك قبل وبعد المشاهدة المحلية لفيلم الأخت كينى Kenny وصنفت القائمة طبقيا من حيث عدة متغيرات كالمكانة الاجتماعية الاقتصادية ، والعنصر ، والنوع ، والسن وكان تعداد الجمهور ثلاثين ألف نسمة تقريباً اختار الباحث منه عينة بنسبة ١٩٪ أنتجت ٢٩٨ شخصاً فى الاستبيان الأول ، وتقلص هذا العدد إلى ٢٠٧ فى الاستبيان الثانى . وقد شاهد الفيلم ٢٥ شخصاً فقط من هؤلاء الأشخاص البالغ عددهم ٢٠٧ ، ولكن تسعة وعشرون شخصا آخرون ناقشوا مضمون الفيلم ومحتواه ، وكان الفيلم يمثل تقديراً رومانسيا للأخت « كينى »

---

(١) Kris and Speier, *German Radio Propaganda* 1944 Chap. 3.

* أى تفتيتية

(٢) انظر الفصل المعنون بالاتصال الشخصى .

وأسلوبها اللطيف فى علاج مرضى شلل الأطفال الأسلوب الذى كان مثار جدل بينها وبين الطبيب التقليدى على مدى بضع سنوات وكان ضمن الأسئلة التى وجهت فى الاستبيان سؤال عما إذا كانت الفرصة ستسنح للمريض بالشفاء ، إذا ما اتبع أسلوب الأخت «كينى» فى العلاج كغيره من الأساليب أم أن الأمر غير ذلك . ولقد كانت التغيرات فى الآراء طفيفة إلى حد بعيد ولا تسمح بصياغة تعميمات . ولذلك فقد وجد الباحث نفسه مضطرا لأن ينتهى إلى « أن نتائج الدراسة كانت سلبية عموماً ، وأن فيلم الأخت كينى كان أداة دعائية غير مؤثرة . ولم يكن عرضه ولا مناقشاته ، ولا قضاياه الدرامية محل اقتناع المشاهدين (١) .

وأجريت عدة تجارب نتيجة لعرض الجيش الأمريكى سلسلة من الأفلام تحت عنوان « لماذا نحارب ؟ » وهى سلسلة صممت لتثقيف القوات المسلحة وهى تتعلق بالأحداث التى تقود الأمريكيين إلى المشاركة فى الحرب . واستخدم فى ذلك الاختبارات القبلية — البعدية على عينات كبيرة من رجال الخدمة ، كما استخدم الباحثون أيضاً جماعات ضابطة وانتهى هذا البحث إلى أن « الأفلام كانت مؤثرة وفعالة تماماً فى مجال تغيير الرأى فى بعض جوانبه ، منها مثلا أن الفيلم قد غير تفسيرات الرجال للوقائع ، كما أمدهم بوقائع وحقائق جديدة ، وكانت هذه التغيرات فى الرأى مرتبطة — تماماً — بالمادة الاتصالية المتضمنة فى الفيلم . وبينما أثرت هذه الأفلام نسبيا على المجال الذى عالجته ، وبينما تغيرت الآراء بطريقة ملحوظة حول عمل البريطانيين واتحادهم خلال محركة بريطانيا ، إلا أن الباحثين لم يتمكنوا من الحصول على بيانات ثابتة حول مسائل ذات طبيعة عامة تتعلق بالجهد الحربى أو التكامل البريطانى (٢)

ومن الأعمال الرائدة فى هذا المجال عمل ثرستون Thurstone حيث أعد

---

(١) J.E. Hullett "Estimating the net effect of commercial motion picture among the trend of local public" A.S.R. 14 : 263-275, 1949.

(٢) Hovland et la. *Experiments on mass communication*, 1949, 253.

اختبارات طبقها على طلبة المدرسة الثانوية فى مجتمعات ولاية « الينوى » كما طبقها — أيضاً — على أطفال دار من دور الحضانة وذلك قبل عرض مجموعة من الأفلام المختارة وبعدها ، وكان الهدف من ذلك هو قياس آثار الأفلام المفردة Single pictures ، ثم الأثر التجمعى للأفلام Cumulative effect واستمرار هذا التأثير أو ديمومته ، أما الاختبارات المستخدمة فكانت تتمثل فى مقاييس اتجاهات ومقارنات زوجية Paired comparisons وكانت الإجراءات والنتائج كما يلى :

١ — طبق مقياس اتجاه حول الألمان ، والحرب على ١٣٣ طالباً من طلبة مدرسة ثانوية بولاية « الينوى » ، ثم عرض فيلما بعد اثنى عشر يوماً بعنوان « الأخوة الأربعة » ، وهو فيلم متعاطف مع المشاكل الخاصة للأسرة الألمانية ثم أعيد اختبار الطلبة فى الأيام التالية . وبناء على مقياس مكون من نقطتين كان متوسط الاتجاه . أو الاتجاه المتوسط للجماعة ٥.٦٦ قبل مشاهدة الفيلم ثم أصبح ٥,٢٨ بعد هذه المشاهدة . وهنا نلاحظ تغيراً فى الرأى نحو التعاطف مع الألمان وإن كان حجم التغير طفيفاً .

٢ — عرضت بعض الأفلام عن القمار وأخطاره ومنعه وتحريمه وذلك فى مجتمعات محلية مختلفة ولم يحدث أى تغير فى الرأى .

٣ — إلا أن تغيرات ملحوظة فى التعبير عن الرأى قد تبدت وذلك حول الجماعات العنصرية بعد عرض أفلام سينمائية ، فلقد عرض فيلمان . الأول فيلم رومانسى من نوع الميلودراما ، وبطله صينى وعنوانه « ابن الآلهة » أما الفيلم الثانى فكان بعنوان « مرحباً بالخطر » وهو فيلم ضد الصينيين تماماً .

وقد ترك الفيلم الأول أثراً واضحاً على التغير فى الاتجاه بين طلبة المدرسة العليا فى اتجاه التعاطف مع الصينيين (تحول الاتجاه من ٦,٧٢ إلى ٥.٥٠ على المقياس) . أما الفيلم الثانى فقد أحدث تغيرا فى الاتجاه المضاد وذلك من متوسط ٥,٧١ إلى ٥,٨٨ .

أما التغيرات الكبيرة فى الرأى فيما يتعلق بالسؤال العنصرى فقد حدثت نتيجة لعرض فيلم « مولد أمة » بطبعته الناطقة التى تمت عام ١٩٣١ ، ولقد عرض هذا الفيلم على ٤٣٤ تلميذاً من تلاميذ المدرسة العليا بمجتمع آخر من مجتمعات (الينوى) ، وكانت التغيرات فى الاتجاهات المعادية للزنوج تغيرات كبيرة حيث اتجهت من متوسط ٤١ ر٧ إلى ٩٣ ر٥ .

٤ ــ أختبر التأثير التجمعى للأفلام ، وذلك بتقسيم ٧٥ طفلا إلى خمس مجموعات عرض على كل منها فيلماً فى تشكيلة مختلفة . ولقد لوحظت بعض الآثار الطفيفة حول معارضة الحرب حينما جمع فيلما « كل شئ هادئ فى الجبهة الغربية » « ونهاية الرحلة » . ولقد اختلفت هذه الأفلام اختلافاً كبيراً فى قدرتها على اجتذاب الأطفال فى مثل هذه السن ، ولكن النتيجة لم تكن مرضية تماماً .

٥ ــ درست مسألة استمرار التأثير ، أو ديمومته ، وذلك بإعادة الاختبار خلال فترات تتراوح بين عشرة أسابيع وتسعة عشراً شهرا ، وكان من المفترض أن أثر السينما سوف يبقى إلا أن النتيجة قد أوضحت أن هناك ميلا لعودة الاتجاهات إلى ما كانت عليه قبل العرض السينمائى [١] .

ويمكن أن نأخذ على الدراسات التى سبق أن عرضناها فى هذا الفصل أنها ــ فى معظمها ــ دراسات تعامل الجمهور كوحدات متفرقة ليس بينها أية روابط ــ فيما عدا دراسة كاتزولا زارسفلد ــ وأنها تعانى من بعض العيوب المنهجية التى تتمثل فى ظروف إجراء التجارب ، وخلق مواقف صناعية ، أما عن نتائجها فقد أوضحت أن مضمون الاتصال

---

(١) R.C. Peterson and L.L. Thurstone, *Motion Pictures and social attitudes of children*, 1933 and L.L. Thrstone, "The measurement of change in social attitudes J.S.P. 2 pp. 230-241 and "Influence of motion pictures on children attitudes", J.S.P. 1 : 291-304.

لا يمارس سوى تعديلا طفيفاً ووقتياً إلى حد كبير فى الآراء والاتجاهات ، وليست هذه النتيجة بمستغربة بوصفها مترتبة على وجهة النظر التى قادت هذه الدراسات أى معالجة الجمهور كشذرات متفرقة . فما هكذا تتغير الآراء ، والاتجاهات . فإذا عرفنا أن هذه الآراء والاتجاهات إنما تتشكل وتنمو وتطور فى علاقات جماعية ، فإننا نتوقع بالتالى ألا تحدث أية تغيرات إلا فى جماعات ،أيضا وفى علاقات جماعية . والدراسة الأساسية التى وضحت ذلك هى دراسة كاتز ولاراسفلد عن التأثير الشخصى والتى عرضناها آنفا .

معنى هذا أن طبيعة العلاقة بين الاتصال والتغير فى الاتجاهات إنما هى محدودة أيضا بظروف الجماعة والانتماءات الجماعية للفرد . وهنا يكون من المتوقع أن مضمون الاتصال إذا لاقى قبولا واستجابة من قبل الجماعات ، فإنه سوف يكون أكثر فاعلية فى التأثير على أعضاء هذه الجماعات أى أن الأمر يتطلب بادئ ذى بدء الموافقة الجماعية . أو ملائمة مضمون الاتصال لبناء الجماعة وقيمها ومعاييرها . ولكن هذه النظرة الجماعية قد تمثل موقفاً محافظاً من جهة كما أنها قد تؤخذ بوصفها حتمية جماعية إن صح إطلاق مثل هذا التعبير ، ولا نستطيع وفقاً لها أن نفسر مبدأ التغير الاجتماعى ذاته طالما أن كل فرد لن يغير من قيمته واتجاهاته إلا بعد موافقة جماعاته على ذلك . ولكن الأمر ليس على هذه الصورة فليس كل الأفراد على درجة متساوية من الولاء لجماعاتهم وقيمها ومعاييرها . ولذلك فإننا نتوقع أن يبادئ بعض الأفراد بالتغيير وبالخروج على المعايير الجماعية . وهنا قد يقابلوا بعده مواقف من قبل باقى أعضاء الجماعة تتراوح بين الاستهجان أو الاستحسان .

وقد يتبعهم البعض الآخر حتى تصبح الأنماط السلوكية الجديدة هى الأنماط السلوكية الأكثر تواترا ؛ بمعنى آخر تشيع المعايير الجماعية الجديدة وهنا يعمل التغير الاجتماعى عمله ، وسوف نفصل هذه النقطة ونوضحها بجلاء فى مناقشتنا التى سنعقدها فى الفصل القادم عن انتشار التجديدات وتقبلها واستخدامها وخصائص أولئك الذين يتقبلون هذه التجديدات و يستعملونها ، وخصائص الذين يرفضونها ، وعوامل الصد ، والمقاومة ، وذلك فى ضوء تحليلات نظرية واختبارات امبريقية .

الفصل الثامن

الإتصال وانتشار التجديدات

وتقبلها - واستعمالها ، أو رفضها ، ومقاومتها

يهتم هذا الفصل بإبراز موضوع انتشار التجديدات بوصفه مجالا من مجالات البحث الاجتماعى ودور الاتصال فى عملية الانتشار والأبعاد المختلفة لهذه العملية كالتبنى والمقاومة والاقتناع وغير ذلك كما يبرز أيضاً إسهام فروع العلم الاجتماعى المختلفة فى دراسة هذا الموضوع .

معنى الانتشار وموقفه كموضوع للبحث الاجتماعى

المقصود بالانتشار هنا — ببساطة — انتقال الأفكار والتكنولوجيا والممارسات الجديدة من مصادر ابتكارها إلى الناس والنجاح الذى يصادف بعضها فى هذا الطريق والفشل الذى يصاحب البعض الآخر وظروف النجاح وأسباب الفشل . فالانتشار مرتبط إذن بالتجديدات والابتكارات ، أما التجديدات أو الابتكارات فهى أفكار يدركها الفرد بوصفها شيئاً جديداً ، وقد تتعلق هذه الأفكار الجديدة بأمور محدودة جداً مما يشغل ذهن الإنسان ، كما أنها قد تتصل بمجال واسع من الأمور والاهتمامات الإنسانية ، وتقاس مدى حداثة الفكرة بالبعد الزمنى الذى استخدمت فيه لأول مرة . كما أن حداثة هذه الفكرة هى التى تحدد رد فعل الشخص تجاهها . نعود لنكرر ما سبق أن ذكرناه من أن هذه الفكرة قد تضيق مجالا أو تتسع . فهى قد تتضمن حركات اجتماعية Social movements، أو تقاليع وبدع فى الملبس ، أو رقصات معينة ، أو برامج معينة كتنظيم الأسرة أو الادخار ، أو ممارسة زراعية محسنة كالتلقيح الصناعى ، أو بذور منتقاة ، أو نوع جديد من السماد .

ويحلل المهتمون بالانتشار — بهذا المعنى العملية — أى عملية الانتشار إلى أربعة عناصر رئيسية . أول هذه العناصر هو التجديد أو الابتكار Innovation ، أما العنصر الثانى فهو مجرى الاتصال Communication ، بينما يتمثل العنصر الثالث فى النسق الاجتماعى Social system وحيث إن هذه العملية إنما تدور وتجرى داخل نسق اجتماعى معين . أما العنصر الرابع فهو الزمن[1] . فالانتشار إذن هو العملية التى بواسطتها ينتقل التجديد ، أو ينتشر فيما بين المستخدمين أو بين الناس . ويتمثل أساس

(١) See, E. Rogers, *op.cit*, pp. 12-19,

عملية الانتشار فى التفاعل الإنسانى الذى يترتب عليه انتقال فكرة جديدة من شخص إلى شخص آخر ومن ثم — وبناء على أساس تحليلى — فإن فكرة الانتشار تتكون من فكرة جديدة ، وشخص لديه معلومات عنها وآخر ليس لديه عنها أية معلومات . فيكون لعنصر الاتصال فى العملية إذن دور أساسى ، فالاتصال — فى هذا المجال — هو العملية التى بواسطتها ينتقل تجديد معين وينتشر انتشاراً واسعاً بين الناس ، الذين يكونون نسقاً اجتماعيا معيناً . أما النسق الاجتماعى فهو مفهوم أو تصور أصبح شائع الاستخدام فى السسيولوجيا الحديثة ، وهو يشير إلى مجموعة من الأفراد يتباينون ويتفاضلون وظيفيا ، وهم معنيون بحل مشاكل جمعية أو بتحقيق هدف جمعى [١] . ومن الواضح أن الأفراد هم الذين يمثلون أعضاء هذا النسق كما يمثلون فيه أيضاً جماعات غير رسمية . ومؤسسات ومدارس وما إلى ذلك من التنظيمات ، وقد يتكون النسق الاجتماعى موضوع التحليل — فى عملية الانتشار — من جميع القرويين فى قرية ، أو المزارعين فى منطقة ، أو الأطباء فى المجتمع المحلى أو أبناء قبيلة من القبائل . ويمكن أن يتمايز كل فرد عن الآخر ويتفاضل فى الدور والمركز الاجتماعى والمكانة ، ولكن جميع الأعضاء متعاونون — على الأقل — فى المسائل العامة أو فى حل المشكلات المشتركة ، وهناك متصل من نماذج اتخاذ القرارات باستخدام التجديد وقبوله يمثل الاختيار الفردى قطبه الأول ، بينما يمثل قرار الجماعة القطب الثانى ، وقد يتقبل الفرد ويستخدم كثيراً من التجديدات بصرف النظر عن قرارات باقى أعضاء النسق الاجتماعى ، ولكنه يتخذ قراره هذا وهو متأثر بآخرين من أعضاء هذا النسق الاجتماعى ، ولكن قرار التقبل أو التبنى والاستخدام هذا يكون قراراً شخصيا إلى حد كبير . وهناك نقطة متوسطة بين الاختيار ، أو القرار الفردى ، وقرار الجماعة ، وتتمثل هذه النقطة المتوسطة فى نموذج

---

(١) See, T. Parsons, Social Systen.

التجديد الذى يتطلب قبولا — قبليا — من قبل أغلبية أعضاء النسق الاجتماعى قبل اتخاذ الفرد لقراره بتبنى هذا التجديد وقبوله واستخدامه ، وحيث نجد أن فرداً ما قد يكون راغباً فى تبنى وتقبل واستخدام شىء جديد ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك حتى يلحق به الآخرون ، ومن ناحية ثالثة نجد هناك بعض الأفكار أو التجديدات التى يتقبلها الأفراد ويستخدمونها بناء على قرار الجماعة ، حيث يرغم هـذا القرار ، الأفراد على تبنى هذه التجديدات أو استعمالها . أى أن النسق الاجتماعى هنا عامل هام من حيث اتخاذ قرارات تقبل التجديدات واستخدامها . ومن هنا فإننا لا نستطيع أن ندرس عملية الانتشار دون إحاطة بالنسق أو البناء الاجتماعى الذى يتخذ المتقبل أو المتبنى موقعاً فيه ، كما أن الأطباء لا يستطيعون دراسة الدورة الدموية دون معرفة بالأوردة والشرايين . وفى فحصنا للنسق الاجتماعى ودراسته لابد من الاهتمام بالمعايير التى تحدد أنماط السلوك المتواترة والظاهرة لأعضاء النسق الاجتماعى فالمعيار فى النسق الاجتماعى قد يكون معياراً تقليديا . ولا يشجع تبنى التجديدات وقبولها واستعمالها ، وقد يكون معياراً عصريا يشجع هذا التبنى والتقبل والاستخدام . ومن الطبيعى أن يكون الفرد منتمياً إلى أكثر من معيار اجتماعى أو أكثر من نسق اجتماعى وقد يختلف كل نسق من هذه الأنساق الذى ينتمى إليها بين التقليد . والتجديد . ويضرب « روجرز » Rogers مثالا لاحظه فى هولندا حيث لاحظ مجتمعين محليين زراعيين لا تزيد المسافة بينهما عن خمسة أميال . لاحظ أن هناك تناقضاً حاداً بين معايير هذين المجتمعين . فأحدهما تقليدى والآخر تجديدى ، ولذا فإن سكان الأول يتبنون ويتقبلون التجديدات الزراعية . بينما لا يفعل ذلك أعضاء النسق الثانى بفارق عشرين عاما[1] .

ويأتى عنصر الزمن ليأخذ نصيبه من التحليل المختصر ، وحيث نجد أن الشخص حينما يتلقى معلومات حول تجديد معين من مصادر جمعية

---

(١) Rogers. *op. cit*, p. 16

أو اتصالات جمعية . أو من مصادر شخصية فإنه — وفقاً للظروف — قد يقرر استخدام هذه الفكرة الجديدة وتبنيها ، إلا أن هذه العملية تأخذ وقتاً يفكر فيه . ويتردد . ثم يحسم ويقرر سواء بالتقبل ، أو الرفض .

أما عملية التبنى أو التقبل Adoption Process فهى العملية العقلية التى يمر الفرد من خلالها من مرحلة السماع الأولى بالتجديد ، إلى مرحلة الاستخدام النهائى له . وهناك خمس مراحل تمر بها هذه العملية وهى الوعى Awareness والاهتمام Interest . والتقييم Evaluation . والمحاولة Trial ، ثم التبنى أو التقبل أو الاستخدام التام Adoption ، ونستشف من هذا التعريف أن الاستخدام التام هو الشكل النهائى الذى تمر به العملية و بالتالى تتحدد أبعادها نهائياً كعملية تبنى كما نتبين أيضاً أن عملية التبنى تختلف عن عملية الانتشار حيث تعنى الأولى استخدام فكرة جديدة بواسطة أحد الأفراد ، بينما تعنى الثانية انتقال فكرة جديدة وانتشارها داخل النسق الاجتماعى . وتستغرق مراحل التبنى التام وقتاً طويلا أو هى تستغرق زمناً ؛ فإذا افترضنا أن شخصاً معيناً سمع بموضوع تنظيم الأسرة عام ١٩٦١ عن طريق طبيب الوحدة الصحية أو عن طريق الراديو ، أو الصحف أو غير ذلك ، وهو لم يكن مقتنعاً بالفكرة حتى عام ١٩٦٣ ، ثم سمع أن جاره أو قريبه قد نفذها فذهب إليه يناقشه هذه الفكرة التى تتمثل هنا فى الوسيلة التى استخدمها هذا القريب أو الجار مع زوجته ولتكن هذه الوسيلة أقراص منع الحمل مثلا ، ثم خرج من عند هذا الجار أو القريب ليحصل على هذه الأقراص ويعطيها لزوجته ، ثم استخدمها لمدة شهر أو شهرين وانقطع عنها وهنا نجده يتوقف عند مرحلة المحاولة فقط ، أما إذا قرر الاستمرار التام فى استخدامها فهنا يكون بصدد تبنى أو تقبل . ويمكن أن نضرب المثل فيما يتعلق بالتلقيح الصناعى للماشية الذى يهدف إلى تحسين النسل والحصول على ماشية من نوع وسلالة

جيدين . قد يسمع شخص ما فى القرية عن هذا التلقيح من جار له أو قريب ، أو الطبيب البيطرى أو الراديو فى عام ١٩٦١ ، ولكنه يظل غير مقتنع به حتى عام ٦٤ وعندما سمع أن قريبه قد جرب الفكرة فإنه قد يذهب إليه ليناقشها معه ، وقد يبدأ فى تلقيح إحدى أبقاره بهذه الطريقة إلى عام ٦٥ . وفى عام٦٥ قد يقرر نهائياً تلقيح جميع أبقاره بهذه الطريقة وهنا نكون بصدد عملية تبنى ، إلا أن هذا القروى بعد سنتين أو ثلاث قد يصبح غير راض عن ناتج هذا التلقيح الصناعى وحيث قد يراه — مثلا — غير صالح للعمل فى الأرض ، وهنا فإنه قد يقرر وقف التلقيح الصناعى والعودة إلى نمطه القديم ، ويطلق على هذه العملية التوقف أو عدم الاستمرار Discontinuance . وإذا كان ذلك الشخص الذى تبنى التلقيح الصناعى للماشية قد اتخذ قرار التبنى هذا عام ١٩٦٥ بينما يتبنى شخص آخر هذه المهارة عام ١٩٦٧ ، فإن الأول يكون أكثر ميلا إلى التجديد من الآخر . واصطلاح الميل إلى التجديد Innovativeness يشير إلى المبادرة أو التبكير النسبى من قبل بعض الأفراد بتبنى وتقبل التجديدات واستخدامها استخداما تاماً . وعلى أساس الميل إلى التجديد أو المبادرة يمكن تصنيف الناس داخل النسق الاجتماعى كما فعل روجرز إلى عدة فئات على النحو التالى :

١ — المجددون Innovators

٢ — المتبنون المبكرون Early Adopters

٣ — الأغلبية المبكرة Early Majority

٤ — الأغلبية المتأخرة Late Majority

٥ — المتمهلون أو المتريثون Laggards

وقد لاقى الانتشار كمجال للبحث اهتماماً من مباحث متعددة من العلوم الاجتماعية . وحيث نجده متضمناً فى ميادين علم النفس الاجتماعى ،

وعلم الاجتماع العام، والريفى ، والصناعى ، والطبى ، والتربوى ، بالإضافة إلى الأنثربولوجيا . وذلك لسبب بسيط وهو أن عملية تبنى التجديدات واستخدامها تتأثر بجميع العوامل السيكلوجية . والاجتماعية ، والثقافية المتضمنة فى عملية تقبل واستعمال شىء جديد بحيث يمكن كشفها وتقييمها فى محتوى الصيغة الاجتماعية الثقافية الكلية التى هى جزء منها . وطالما أن هذه العوامل محددة ومقررة جماعياً ، فإن تأثيرها يجب أن يؤكد فى مواقف جماعية(١). فإن التبنى والتفضيل يتحدد بواسطة جميع العوامل التى تمثل شروط الانتشار السمات الثقافية على العموم ، أى أن تبنى التجديدات بوجه عام وانتشار هذه التجديدات إنما يعتمد على مدى ملاءمتها للثقافة الموجودة (٢)، فالذى يحدد التبنى والتقبل إنما هم الأشخاص أنفسهم الذين يتعرضون للتجديدات وحيث نجد العديد من العوامل النفسية . والاجتماعية، والثقافية التى تتدخل فى هذه العملية . أو بمعنى محدد تتدخل فى اتخاذ القرارات التى تتعلق بهذا التحديد واستعماله وبين هذه العوامل نجد شكل الاتصالات . ونوعيتها ، ومستويات الطموح ، والمكانة الاجتماعية ودرجة الانصياع للجماعة المحلية Local group conformity ودرجة الاعتماد على الجماعات الأولية المحلية ، وذلك بالإضافة إلى المقدرة على استخدام التجديدات ، وتقييم الأفراد والجماعات لهذه التجديدات ، وهنا يصبح الإطار الاجتماعى الثقافى هو الأداة الفعالة فى الكشف والتنقيب عن هذه العوامل المتكاملة .

ويجب أن يعزى الاتجاه الاجتماعى النفسى لدراسة الانتشار والتبنى فى ميدان علم الاجتماع الريفى إلى « يوجين ولكنينج Wilkening » الذى أدرك أن التغيرات التى تطرأ على المهارات الزراعية يمكن أن تدرس فى ضوء اصطلاحات المتغيرات السيكلوجية والاجتماعية ، وأن مسألة التبنى من نتاج العلاقات الاجتماعية ذات المعنى بالإضافة إلى الانساق الفكرية

---

(١) Herbert Lionberger "The Diffusion of Farm and Home Information as an Area of Sociological Research" R.S. Vol. 17 : (June 1952) No. 2 pp. 132-143,

(٢) Ralph Linton, *The Study of Man*, 1966 p, 341.

والأيديولوجية وحيث إن « ولكينج » أول من استخدم — فى حقل هذا النوع من البحوث الإستبارات المحددة باستبيانات ذات أسئلة مفتوحة استخداما معيناً لكى يكشف عن الاتجاهات والقيم الظاهرة والكامنة فى استجابات المزارعين ، كما تمكن الباحث أيضا من التغلب على مشكلات حقيقية متعلقة بثبات التفسيرات وصدقها. ونظراً لأهمية عمل يوجين ولكينج فإننا سنعرض له تفصيلا وتحليلا . وفى عملنا هذا سوف نقتصر تقريره فى وضعه الزمنى حيث نشر عام ١٩٥٠ (١) .

يقدم تقرير ولكينج اتجاهاً نفسياً اجتماعياً للدراسة تقبل وتبنى المهارات الزراعية الحسنة بين ثمانين من ملاك المزارع فى مجتمع « بدمونت » Pedmont بولاية « كارولينا » الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية ، ولقد حلل الباحث اسبابات متعمقة عن طريق استخدام أسلوب تحليل المضمون من أجل عزل المتغيرات الاجتماعية النفسية ووضعها فى فئات ، ولقد استخدم الباحث متغيرات لتوضيح المنهج والاتجاه على النحو الآتى :

١ — الاتجاه نحو تعليم الأبناء الذين سوف يمتهنون الزراعة .

٢ — الاتجاه المحافظ Conservatism فيما يتعلق بمجالات الخبرة غير الزراعية (التعليم - الدين - الأفلام السينمائية) .

٣ — الاعتماد على روابط الجيرة ، والقرابة .

ويقدم الباحث لموضوع بحثه تقديمه توضح اهتمامه بالأبعاد السيولوجية والسيكالوجية لعملية التبنى والتقبل فيقول « إن موضوع تقبل الأساليب الزراعية الحديثة هو أحد مجالات الدراسة فى الميدان الأكثر رحابة ألا وهو التغير التكنولوجى . ويعد هذا المجال من أبرز المجالات التى تشد إهتمام المتخصصين فى علم الاجتماع بخاصة ، طالما أن هذا نموذج من نماذج التغير التكنولوجى المتأثر — إلى حد كبير — بالعلاقات الاجتماعية ،

(١) Eugene A. Wilkening "A sociopsychological approach to the Study of Innovations in Farming" R.S. Vol. 15 (Dec. 1950 No. 4) pp. 352-361.

وبالمحتوى الثقافى للحياة الريفية ، وبينما تخدم أساليب الزراعة غايات وأهداف اقتصادية إلا أن « ڤيبلن » و « بارسونز » وغيرها قد وجها الاهتمام إلى أن السلوك الاقتصادى لا يمكن فهمه فهماً حقيقيا بمعزل عن العوامل غير الاقتصادية . فالقرارات التى يتخذها المزارع فى عملياته اليومية إنما هى متأثرة — بدرجات متفاوتة — بعلاقاته الاجتماعية ، وبنسق الأفكار والقيم ، والمشاعر التى ينتمى إليها وينفعل بها[1] .

ومن هنا نجد أن ولكينج يأخذ على عاتقه — فى هذا التقرير — مهمة تطوير اتجاه لدراسة تقبل الأساليب الزراعية الحديثة من وجهة نظر اجتماعية نفسية . وتنظر وجهة النظر هذه إلى عملية التقبل بوصفها نتيجة للعلاقات الاجتماعية وللنسق الأيديولوجى (الأفكار والمشاعر) الخاص بالمزارع . إلا أن الباحث يأخذ الأمر مأخذ الحيطة والحذر فيقول إنه يضمن هذا الاتجاه بعض العوامل الأخرى التى قد لا ينطبق عليها التعريف النفسى الاجتماعى تماما بقدر ما ينطبق عليها التعريف الثقافى . ولكن « ولكينج » — بغض النظر عن الاصطلاحات — يستهدف من تقريره إبراز كيفية دراسة التغير التكنولوجى فى الزراعة فى ضوء اصطلاحات اجتماعية نفسية ذات معنى .

وقد استلهم الباحث أفكار هذا البحث نتيجة لدراسة ميدانية لثمانين مزارعاً من مزارعى « بدمونت » فى كارولينا الشمالية « ولقد جاءت بيانات هذا البحث مركزة على تقبل البرامج الزراعية الإرشادية ، والمهارات المحسنة فى قسم الطباق ، حيث طبق فى المرحلة الأولى استبيانات على ١٠٧ من العاملين بالزراعة فى المجتمع المحلى ، وكانت هذه الاستبيانات تتضمن بيانات اقتصادية واجتماعية بالإضافة إلى سجل للمزارع متعلق بثمان مهارات محسنة ، ثم سار خطوة أكثر تعمقاً حيث طبق استبيانات على ثمانين شخصاً تضمنت البيانات المتعلقة بالاتجاهات .

---

(١) op. cit,

وقبل أن يسير الباحث فى دراسته نجده يحدد ثلاثة اتجاهات تناولت التبنى على النحو التالى :

١ — يمكن اعتبار تقبل المهارات الزراعية الحديثة مشكلة من مشاكل التغير التكنولوجى وذلك بالتركيز على السياق الزمنى لعملية التقبل أو التبنى ، وهذا هو الاتجاه الذى سار عليه رايان وجروس فى دراستهما عن التقاوى المهجنة ، ومثل هذا الاتجاه يفهم عملية التقبل أو التبنى — أولا — فى ضوء الاصطلاحات الإحصائية المتعلقة بمثل هذه الأمور كدرجة التبنى أو التقبل والمؤثرات الكبرى التى تحدد درجة التقبل .

٢ — الاتجاه الثانى قائم على أساس من نظرية التعلم ، وهو يرى أن تقبل المهارات الجديدة وتبنيها، إنما هو جزء ينتمى إلى مشكلة تعليم الكبار أو التربية الأساسية ، ومن ثم فإن مثل هذا الاتجاه يركز على مسائل بعينها كاهتمام المزارعين ، ومستويات ذكائهم وأساليب التعليم .

٣ — أما الاتجاه الثالث فهو الذى يركز على الجوانب الاجتماعية النفسية لعملية التبنى والتقبل .

وقد وجد الباحث فى صياغة فروضه — معاونة أكيدة من خلال قراءة لأعمال « وسلر » Wissler ، و « مالينوفسكى » Malinowski . « وجون جيلين » Gillin . فلقد فهم هؤلاء الأنثربولوجيون انتشار السمات الثقافية فى ضوء دور هذه السمات ووظائفها فى المركب الثقافى للناس . كما استعان الباحث أيضاً بتحليل « كورت ليفين » لمشكلة تغيير العادات الغذائية أثناء الحرب ، وحيث قدمت له هذه التحليلات بعض الفروض العامة فى ضوء العوامل الموقفية والدافعية . كما أفاد الباحث أيضاً من بحوث آخرين ، وإن كانت هذه البحوث تفتقر إلى الإطار النظرى إلى حد كبير . إلا أن عدداً لا بأس به من هذه الدراسات قد خلص إلى أن تقبل وتبنى برامج زراعية ، أو صحية جديدة إنما يرتبط إلى حد كبير بعادات الناس وأفكارهم . فقد اهتم « لومس» P. Loomis « وكيمبول » S. Kimball على سبيل المثال

ببعض الجوانب الاجتماعية المرتبطة بتقبل التجديدات واستعمالها .

وقام ولكنينج — أولا — بربط نطاق واسع من المتغيرات والعوامل المرتبطة بتقبل وتبنى المهارات والأساليب الجديدة عن طريق دراسة استطلاعية ، وبدا هذا العمل مناسباً تماماً لبحثه . فقد أعد بادئ ذى بدء قائمة بجميع المجالات الصالحة لتفكير المزارعين . وخبراتهم معتقداً أن لها بعض الدلالة التى توضح المشكلة ، ولكنه اكتشف أن القائمة طويله جداً بحيث لا يمكنه تغطية جميع بنودها فى استبيان واحد . بل انه وجد — أكثر من ذلك — أنه من الصعوبة بمكان أن يحصل على بيانات ثابتة وصادقة حول بعض المسائل والقضايا المتضمنة فى الاستبيان فى استبار شخصى ، وكان من نتيجة ذلك أن حدد الاتجاهات فى اثنا عشر بنداً يسوق منها الأمثلة التالية :

١ — الاتجاهات نحو التحسينات الزراعية التى نفذت ، والتى ما يزال المجتمع يحتاج إليها أيضاً .

٢ — إدراك الحاجة إلى المعلومات المتعلقة بأحوال الزراعة ، والاتجاهات نحو الهيئات التى تقدم مثل هذه المعلومات .

٣ — الاتجاهات نحو التعليم الرسمى .

٤ — الاتجاهات نحو التسويق ، والأسعار الزراعية .

٥ — الاتجاهات نحو الهيئات الزراعية .

٦ — الاتجاهات نحو العمل التبادلى ، والزيارات بين المزارعين .

٧ — الاتجاهات نحو الكنيسة ، والشئون الدينية .

٨ — الاتجاهات نحو السينما . والأفلام .

وذلك بالإضافة إلى اتجاهات المزارعين نحو بعض البرامج الإرشادية الزراعية المطبقة فى هذه المنطقة من الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان المبحوث ــ هنا ــ هو المصدر الأول للمعلومات . بينما تمكن الباحث من خلال إقامته نحو أربعه أشهر فى المجتمع من الإحاطة ــ على حد قوله ــ بالخيوط الرئيسية للبناء الاجتماعى ، والإطار الثقافى لهذا المجتمع . أما البيانات الأساسية فكانت تدور حول الشخص نفسه ، وحول شئون المزرعة ، والفئات الاجتماعية الاقتصادية ، ثم الاتجاهات المختارة . ولقد ملأ الباحث البيانات الأساسية بحضور إخبارى Informant حتى يتأكد من صدق البيانات . أما البيانات الخاصة بالاتجاهات فقد جمعها فى استبارات ثانية . ولقد اختار الباحث أسئلة من النوع المفتوح النهاية Open-ended حيث وجده أكثر ملاءمة فيما يتعلق بالحصول على بيانات متصلة بالاتجاهات ، بالإضافة إلى أنه يتلافى « كثيراً من القيود المحيطة التى تتضمنها الأسئلة الاقتراعية » . ويعتمد الباحث فى ذلك على مناقشات « ميرتون » و « لازارسفلد » حول الأسئلة المفتوحة والمتعمقة فى موضوع الاتجاهات .

ويتميز الاستبيان والاستبار المتعمق الذى قام به الباحث بما يلى :

١ ــ يركز على مجالات محددة من الخبرة حيث اختصت مجموعة من الأسئلة بكل مجال من هذه المجالات .

٢ ــ تسمح الأسئلة المفتوحة بحرية فى الاستجابات قدر المستطاع .

٣ ــ استخدمت هذه الأسئلة لجمع بيانات حول الخبرة الذاتية أكثر منها حول الخبرة الموضوعية الخارجية .

٤ ــ بالإضافة إلى وجود أسئلة تعمقية مباشرة ، وغير مباشرة توجه متى تطلب الأمر تعمقاً .

ولقد حاول الباحث أثناء عملية الاستبار أن يجعل الموقف الاستبارى مصطبغاً بصبغة غير رسمية وذلك بتوجيهه للأسئلة من الذاكرة بعد أن كان قد استوعبها .

وقد استخدم الباحث — كما سبق أن ذكرنا — أسلوب تحليل المضمون فى تحليله لبياناته . ومن ثم تمكن أول الأمر من التمييز بين نموذجين من البيانات : النموذج الأول هو المضمون الظاهر ، أما الثانى فيتمثل فى المضمون الكامن . ولما كان تحليل المضمون ، وبخاصة الكامن يرفع راية الحذر بضرورة التأكيد على مسألة الصدق والثبات بقدر المستطاع ، فإن الباحث حاول أن يضمن جانباً من الصدق عن طريق الاستعانة بمحك خارجى وهو — هنا — يتمثل فى بعض الإخباريين من المجتمع .

ولما كان هدف هذا البحث هدفاً منهجياً أساساً حاول به صاحبه أن يطور منهجاً اجتماعياً نفسياً لدراسة عملية التبنى ، فإننا نجد الباحث حينما يشير إلى النتائج فإنه يعرض لجزء بسيط فقط من النتائج التى توصل إليها حيث ناقش فقط ثلاثة عوامل اتجاهية فى اتصالها بتقبل المهارات الزراعية المحسنة واستخدامها ، وكانت هذه الاتجاهات على النحو التالى :

١ — الاتجاهات نحو تعليم الأبناء الذين سيمتهنون الزراعة .

٢ — تقبل التغيير فى المجالات غير الزراعية (التعليم ، والدين ، والأفلام) .

٣ — الاعتماد على روابط الجيرة والقرابة .

النتائج :

١ — فيما يتعلق بالاتجاهات نحو التعليم :

بعد أن أعد الباحث دليلا للاتجاهات نحو التعليم ، انتهى إلى أن دراسته تدعم الفرض القائل بأن الاتجاهات نحو تعليم أبناء المزارعين الذين سيمتهنون الزراعة مرتبط ارتباطاً دالا مع تقبل المهارات المحسنة فى الزراعة .

٢ — فيما يتعلق بالمجالات غير الزراعية :

كان هناك فرض عام مؤداه أن الميل إلى تبنى التجديدات، إنما هو نتيجة للعوامل الشخصية والنفسية كما هو نتيجة أيضاً للعوامل الموقفية . « ولقد تدعمت هذه القضية تدعيماً عالياً بواسطة نظرية التحليل النفسي ودارسي تطور الشخصية ونموها »[١]. وهنا يثور سؤال مؤداه : هل يرتبط تقبل، أو رفض الجديد فى الشئون الزراعية بتقبل أو رفض الجديد فى الشئون غير الزراعية ؟ إذا كانت الإجابة على مثل هذا السؤال بالإيجاب ، فإنه يصبح من الضرورى الاهتمام بالعوامل الاجتماعية والنفسية حتى يتمكن الباحث من تفسير تقبل التجديدات أو عدم تقبلها .

ومن أجل اختبار هذا الفرض جمع الباحث بيانات من أغلب الإخباريين حول التعليم ، والدين ، والأفلام السينمائية ، وقارن تقبل التغير فى كل من هذه المجالات الثلاث بتقبل المهارات الزراعية المحسنة (يقصد الباحث بالتغير فى التعليم البرامج الدراسية الأوسع وأوجه النشاط خارج نطاق البرامج الدراسية، كما يقصد بالتغير فى الكنيسة قساوسة أكثر تعليماً . ومناقشة القضايا الحديثة ، والترفيه بالنسبة للشباب) .

ووفقاً لمقاييس الباحث ، وجد أن هناك ارتباطاً بين تقبل التغيرات الحديثة فى المجالات غير الزراعية السالفة الذكر ، وبين تقبل المهارات الزراعية الحديثة المحسنة وذلك عند مستوى دلالة مرتفع ، بل كان هناك اطراد فى هذه العلاقة . وتدعم هذه النتيجة وجهة النظر القائلة بأن مسألة التقبل أو التبنى لا ترتبط بعوامل اقتصادية ، أو حتى موقفية فحسب . وإنما لا يمكن تفسيرها دون النظر إلى الخبرة المتأثرة بالعوامل الاجتماعية والنفسية .

---

(١) op. cit,

٣ — الاعتماد على روابط القرابة والجيرة :

لم يدفع الباحث إلى التعرض لهذا المجال سوى إدراكه لأهمية روابط القرابة والجيرة فى المجتمعات المحلية الريفية التقليدية . وفى هذا المجال كان هناك فرض مؤداه أن الشخص المتأثر إلى حد كبير بهذه الروابط والعلاقات الأولية إنما يضع هذه الولاءات فى الحسبان عندما يقدم على اتخاذ قرارات حول الشئون الزراعية ، ومن ثم فإن مثل هذا الشخص سوف يقاوم تقبل مثل هذه المهارات وتبنيها حتى يحصل على إذن أو ترخيص من الجماعة التى ينتمى إليها ، أو من قائد هذه الجماعة . وبعد تصنيف الباحث للمبحوثين إلى فئات على أساس التمييز بين أشخاص يعتمدون اعتماداً قوياً على هذه العلاقات وأشخاص يعتمدون اعتماداً نسبياً عليها ومجموعة ثالثة مستقلة نسبياً وذلك بناء على محكات معينة كالمساعدات المتبادلة ، وزيارات الأقارب والجيران وما إلى ذلك — بعد ذلك أمكن له أن يتوصل — عن طريق هذا المقياس إلى أن الاعتماد على الروابط والعلاقات الجماعية الأولية يرتبط ارتباطاً سالباً بتقبل المهارات الزراعية المحسنة وتبنيها . وكان هذا الارتباط دالا عند مستوى كبير ، وهذه نتيجة غاية فى الأهمية ، لأنها تلقى المزيد من الضوء على العوامل الاجتماعية التى تحدد اتخاذ القرارات .

وفى النهاية يمكن أن نلخص أهم مزايا هذه الدراسة فيما يلى :

١ — إدراكه لأهمية المتغيرات والعوامل النفسية والاجتماعية فى الميل إلى تقبل التجديدات .

٢ — استخدامه لوسائل دقيقة فى جميع بياناته .

٣ — اعتماده على قراءة نظرية واسعة للتراث السسيولوجى والأنثربولوجى المتصل بالتغير الاجتماعى والتكنولوجى .

٤ — إبرازه للاتساق فى الميل إلى تقبل التجديدات . مما يوحى بأن

الشخصية المرنة — نتيجة لظروفها المختلفة — تستمر فى مرونتها فى المواقف المختلفة .

إلا أن أهم ما يسجل « لولكنينج » هنا هو أنه قد جعل من مجال انتشار المهارات المحسنة والتجديدات مجالا صالحاً للدراسة الاجتماعية والنفسية وضرب المثل على ذلك بدراسته الخاصة .

ولكن ليس معنى ذلك أن ولكنينج هو الذى فتح الباب أمام مثل هذه الدراسات فقد سبقه « برايس رايان » Ryan و « جروس » Gross فى دراسة كلاسيكية مشهورة عن تبنى واستخدام التقاوى المهجنة[١] والتى أجرياها عام ١٩٤٣ . وحيث أثرت هذه الدراسة أيضاً فى مناهج الدارسين اللاحقين فى ميدان علم الاجتماع الريفى ونتائجهم . وتفسيراتهم . ولقد بدأت هذه الدراسة بتوجيه من محطة الإرشاد الزراعى بولاية « آيوا » الأمريكية لأسباب عديدة ، منها أهمية التقاوى المهجنة كعنصر من عناصر التكنولوجيا الزراعية فى الثلاثينيات . وصلاحية هذا الموضوع للدراسة السسيولوجية بالإضافة إلى الاهتمام الشخصى « لرايان » و « جروس » .

كان « نيل جروس » طالباً صغيراً من طلبة الدراسات العليا فى علم الاجتماع بكلية ولاية « آيوا » عندما طلب منه أستاذه « رايان » أن يستشير المزارعين فيما يتعلق بتقبلهم . واستعمالهم للتقاوى المهجنة . ولقد استبر ٣٤٠ مزارعاً من مزارعين مجتمعين محليين صغيرين ثم استبعد اثنى عشر مزارعاً تقل ملكيتهم عن عشرين فداناً . كما استبعد أربعة وسبعين آخرين دخلوا إلى العملية الزراعية بعد أن أخذت التقاوى المهجنة فى الانتشار . ومن ثم أصبح العدد النهائى للمبحوثين مائتين وتسعة وخمسين مبحوثاً . وكان جميع هؤلاء المزارعين قد تبنوا واستعملوا البذور المهجنة حينما جمعت البيانات عام ١٩٤١ فيما عدا اثنين فقط .

---

(١) Ryan and Gross "The Diffusion of Hybrid Seed Corn in two Iowa Communities" R.S. 8 : 15-24 (1946),

وكانت هذه التقاوى نتاجاً لدراسات متعمقة أجراها المختصون كما أن الجيل الثانى من هذه التقاوى لم يكن يصلح للزراعة. ومن ثم كان على المزارعين أن يطلبوا تقاو جديدة كل عام . أما الميزة الكبرى التى كانت تميز هذه التقاوى فتتمثل فى أنها تحقق محصولا يزيد بنسبة ٢٠ ٪ عن المحصول القديم ، وفى بداية عام ١٩٤١ كانت هذه التقاوى تستخدم استخداماً تاماً . ولقد اكتشف الباحثان — من هذه الدراسة — أن هناك ثلاث مراحل لعملية التقبل ، أو التبنى تتلخص فيما يلى :

١ — الوعى أو السماع بالفكرة لأول مرة .

٢ — المحاولة أو الاستعمال لأول مرة .

٣ — التبنى أو التقبل أو الاستعمال الكامل .

كما توصلا إلى أن مرحلة التبنى — منذ الوعى بالفكرة حتى الاستخدام التام لها ، بالنسبة لكل حالة — تسع سنوات فى المتوسط ، منها حوالى خمس سنوات ونصف استغرقتها المرحلة من الوعى إلى المحاولة ، ثم استغرقت مرحلة الاستخدام التام ثلاث سنوات ونصف .

ومن ناحية الاتصال وعلاقته بتبنى هذه التقاوى المهجنة ، توصل الباحثان إلى أن المزارع سمع لأول مرة عن التقاوى المهجنة من تاجر أو بائع ، ولكن الجيران كانوا مصادر التأثير الملموسة والأساسية التى دفعت هذا التبنى ، ولكن التجار والبائعين كانوا يمثلون مصادر المعلومات بالنسبة للمتبنين الأوائل بينما كان الجيران هم مصادر المعلومات بالنسبة للمتبنين اللاحقين .

ويؤخذ على هذه الدراسة أنها لم تبذل أى محاولة لتحليل قيادة الرأى عملية الانتشار والتبنى ، مع أن تصميم عينتهما التى كانت تضم جميع أعضاء مجتمعين محليين كان يمكن من استخدام الأساليب السسيومترية بسهولة .

هذا وقد نالت خصائص الذين يتقبلون الجديد ويتبنونه اهتماماً منذ ذلك الحين ، فقام « نيل جروس » بالاشتراك مع « مارفن تافيز M. Taves بدراسة

عن الخصائص المرتبطة بتقبل المهارات المحسنة وتبنيها[١] . ولقد كانا يستهدفان عزل مجموعة صغيرة من العوامل التى يمكن أن تميز أولئك الذين يتقبلون الجديد ويتمنونه ويستخدمونه .

وتتلخص فروض هذه الدراسة فى أن الذين يتبنون المهارات الموصى بها — وهى هنا مجموعة من المناشط المتصلة بالزراعة ، وتربية الدواجن — يتميزون عن غير المتبنين بعدد من العوامل من أهمها ما يلى :

١ — مستواهم التعليمى أكثر ارتفاعاً .

٢ — يشاركون مشاركة اجتماعية واسعة .

٣ — يقرأون نشرات لمحطات التجارب الزراعية أكثر من غيرهم .

٤ — يقرأون الصحف والمجلات أكثر من غيرهم .

٥ — يساهمون أكثر من غيرهم فى التعاونيات .

٦ — يمتلكون مزارع كبيرة .

٧ — يتمتعون بدخول مرتفعة . وذلك بالإضافة إلى عدة عوامل أخرى كالسن ، وعدد الأطفال ، والتزاور مع الجيران ، والانتخابات ، والمشاركة فى الترفيه التجارى وتملكهم لتسهيلات حديثة ، وقراءة الكتب ، ووجود تليفون ، والسفر خلال الخمس سنوات السابقة على الدراسة ، وعمل الوالد فى نفس المزرعة ، والاستماع إلى الراديو .

وكما اتضح من نتائج الدراسة التى توصل إليها الباحثان على أسس دقيقة ، وعلى قدر معقول من الدلالة الإحصائية ، فإن الفروض التى ساقها الباحثان آنفاً لم تتدعم أو تتأكد ، وهى الفروض التى مؤداها إمكانية التمييز المتسق بين المتبنين وغيرهم لجميع المهارات العشرة الجديدة على أساس عزل

(١) N. Gross and Marven Taves "Characteristics Associated with Acceptance of Recommended Farm Practices" R.S. Vol. 17 (Dec. 1952) No. 4 pp. 321-327.

بطارية من العوامل . فلقد لاحظ الباحثان أنه ليس هناك عامل واحد يميز بين المتبنين . وغير المتبنين حتى عند مستوى ١٠٪ من الدلالة الإحصائية وذلك بالنسبة لجميع المهارات . وعلى سبيل المثال لوحظ أن عامل « قراءة نشرة كلية ولاية آيوا » لا تميز بين المتبنين وغيرهم بالنسبة لجميع المهارات . بل بالنسبة لمهارة واحدة فقط وعند مستوى ٥٪ من الدلالة الإحصائية .

ولكن عندما وضع الباحثان محكاً أقل صرامة يتمثل فى (اتساق بسيط فى اتجاه الفروق والاختلافات) . لاحظا أن هناك سبعة من المتغيرات البالغ عددها خمسة وعشرين متغيراً قد ميزت باتساق بين المتبنين وغير المتبنين بالنسبة للمهارات العشرة . ولقد لاحظ الباحثان فى جميع الأمثلة ما يلى :

١ — يقرأ المتبنون نشرات كلية ولاية « آيوا » أكثر من غيرهم .

٢ — يشارك المتبنون فى أمور مجتمعهم بطريقة أكثر فعالية .

٣ — يملك المتبنون مزارع أكبر .

بالإضافة إلى أنهم يمسكون حسابات زراعية مضبوطة ومنتظمة ، ولديهم أبناء يشاركون فى مناشط المجتمع المختلفة ، وبرامجه التعليمية .

وعند ما طبق الباحثان محكاً آخر أقل صرامة لاحظا أن هناك ستة من خمسة وعشرين متغيراً تميز بين المتبنين وغيرهم . فهم أصغر سنا ، وأرفع دخلا ، وأكثر تردداً على المراكز الحضرية ، وأكثر مشاركة فى انتخابات الرئاسة ، وأكثر قراءة للصحف والمجلات . وأكثر تملكا لأجهزة الراديو . كما لاحظ الباحثان أن هناك سبعة متغيرات تميز بين المتبنين وغيرهم ، وذلك من خمسة وعشرين متغيراً بالنسبة لثمان من المهارات العشرة الموصى بها ، وحيث كان المتبنون يتميزون بأنهم أكثر تعليما ، وأكثر انتظاماً فى الحضور للبرامج المدرسية الليلية أو البرامج الزراعية الاختيارية . وأكثر قراءة للكتب ، وأكثر تردداً على المراكز الحضرية . وقد ميز المتغيران الآخران بين المتبنين وغيرهم حيث يتميز الأولون بأنهم أكثر انتماءاً للتعاونيات . وأكثر مشاركة فى

أوجه النشاط الترفيهية التجارية ، كما وجد الباحثان أيضاً أن هنالك عاملين فقط يميزان بين المتبنين وغيرهم بالنسبة لأقل من سبع مهارات . وحيث يميز الأولون بأنهم يتمتعون بملكية التسهيلات الحديثة المرتبطة بالمهارات وأن الوالد يعمل فى المزرعة .

نستطيع أن نقول باختصار أن الفرض لم يلق تدعيما عند مستوى إحصائى مرض ، إلا أن بعض الفوارق قد ظهرت نتيجة لتطبيق محكات أقل صرامة ، ولقد كانت **الاتصالات والمشاركة فيها قاسماً مشتركاً تقريباً بين هذه الفوارق .**

ولقد قام كل من « دانكان » Duncan و « كريتلو » Kreitlow بدراسة لبعض الخصائص الثقافية المختارة وعلاقتها بتقبل البرامج ، والمهارات التعليمية[١] ، حيث قام الباحثان بمضاهاة تسعة عشر زوجاً من الجيرات الريفية ، وعقد مقارنات بينها حول تقبل ثلاثين نشاطاً ومهارة مدرسية ، وخمس وعشرين مهارة زراعية ، وأربعة عناصر تمثل المشاركة فى المنظمات . ولقد قام الباحثان بهذه المضاهاة على أساس مقارنة الجيرة ذات الخصائص عرقية Ethnic والدينية المتجانسة ، بجيرة ذات خصائص عرقية ودينية غير متجانسة ، ثم قاما باختيار عشرة عائلات زراعية من كل جيرة على أساس عشوائى حيث تم استبار أحد رؤساء كل عائلة بواسطة باحث مدرب ، ووفقاً لهذه العملية تم استبار خمسة من الرؤساء أو أرباب الأسر الذكور وخمس من ربات البيوت الإناث . ولقد اعتبر الباحثان الجيرة بمثابة وحدة للتحليل حيث اتخذا مقياساً وسيطاً للتقبل أو التبنى بين كل جيرة ، ولاحظا أن الجيرات غير المتجانسة أكثر ميلا وبطريقة متسقة نحو تقبل عدد كبير من المهارات التعليمية والمهارات الزراعية ، بل أغلب هذه المهارات . ولقد تركزت الفوارق الإحصائية الدالة حول الأهداف التعليمية والمطامح ودليل تقبل المهارات الزراعية . وتوضح هذه الدراسة — وفقاً لخطتها ونتائجها — أهمية الانتماء إلى الجماعات الأولية ،

(١) James A. Duncan and Burton W. Kreitlow "Selected Cultural Characteristics and the Acceptance of Education Programs and Practices" R.S. Vol. 19(Dec. 1954) No. 4 p. 349.

وأثر هذا الانتماء على اتخاذ القرارات التجديدية وحيث يمكن استخلاص أنه كلما زادت شدة الروابط والعلاقات الأولية زاد ميل الفرد إلى الانصياع لمعايير الجماعة وبالتالى قل ميله إلى التجديد الذى يتمثل — هنا — فى اتخاذ قرارات باستخدام بعض المهارات التى لم تتفق الجماعة على استخدامها .

وقد أجرى « بول مارش » Marsh « وكولمان » Coleman دراسة على ٣٥٣ مزارعاً فى إحدى مقاطعات كنتكى Kentucky حاولا فيها أن يربطا بين واحد وعشرين عاملا وبين تبنى ستة عشر مهارة . وعلى أساس الجدولة العرضية أو الارتباطية البسيطة وجدا أن هناك ستة عوامل ترتبط ارتباطاً ذا دلالة بتبنى أربعة عشر مهارة وثلاثة عوامل تربط بالمهارات الاثنتا عشرة الباقية . وحينما لاحظ الباحثان أن هناك ثلاثة عوامل ترتبط ارتباطاً قويًّا بالتبنى وهى المكانة الاجتماعية الاقتصادية . والتعليم ، والاتصال بممثلى الهيئات الإرشادية ، سارًّا فى تحليل أبعد مدى وجدا — من خلاله — أن هناك عوامل أقل اتساقاً فى ارتباطها وهى السن . وسنوات العمل الزراعى وعدد الأقارب ، والعمل التبادلى ، والحصول على معلومات من المختصين ، والمناشط والمشاركة الاجتماعية ، وحضور اجتماعات المزرعة وغير ذلك من المتغيرات (١) .

وحاول « فردريك فليجل » Fliegel أن يتحقق من بعض المتغيرات التى ترتبط بتبنى التغير التكنولوجى فى الزراعة واستخدامه ، واستمد بياناته من مسح أجراه « ولكنينج » عن العوامل الأسرية التى ترتبط بالتبنى فى مقاطعة Sauk فى « وسكنسن » عام ١٩٥٢ ، ثم عالجها معالجة جديدة بقصد إنجاز هدف البحث ، ولقد وجد الباحث أن العائلية Familism ، والاتصالات بقصد الحصول على معلومات ، ومستوى المعيشة ، والاتجاهات نحو المناشط أو المهارات الزراعية ترتبط ارتباطاً دالاً بتبنى المهارات المحسنة بين المزارعين (٢) .

---

(١) C.P. Marsh and A.L. Coleman "The Relation of Farmer Characteristics to the Adoption of Recommended Practices" R.S. Vol. 20 (Sep-Dec. 1955) No. 3-4 pp. 289-296.

(٢) P.C. Fliegel "A Multiple Correlation Analysis of Factors Associated with Adoption of Farm Practiees" R.S. Vol. 21 : (Sep.-Dec. 1956) No. 3-4 p. 284.

وأجرى « فليجل » أيضاً بالاشتراك مع « جوزيف كيفلن » Kivlin دراسة تستهدف قضية مؤداها أن خصائص التجديد أو الابتكار نفسه تعتبر عاملا أساسيًّا من عوامل انتشاره ، كما أن هذه الخصائص تكون قادرة على تفسير الفوارق فى معدلات التبنى ، أو الاستخدام ، بين تجديد أو ابتكار وآخر ، وكان الهدف من هذه الدراسة — إذن — هو التعرف على الخصائص التى تعين اتخاذ قرار فى وقت معين باستعمال واستخدام تجديد أو ابتكار معين . ولقد وجد الباحثان أن الخصائص الاقتصادية للتجديد أو الابتكار تمثل عاملا أساسيًّا من عوامل التبنى والاستخدام ، أى أن الشخص الذى يقبل على استخدام تجديد معين إنما يزن مدى جدواه ، ومدى ما يعود عليه من فائدة من جراء استخدامه . أما الخاصية الثانية فقد وضعها الباحثان فى اصطلاح إمكانية الاتصال Communicability . ومن تلك الخصائص أيضاً وضوح النتائج ، وتكاليف التجديد . أما الخاصية الهامة الأخرى وذات الدلالة فهى تتمثل فى ملاءمة التجديد أو الابتكار للوضع الاجتماعى والثقافى السائد بما يتضمنه من قيم ومعايير (١) .

ومن الملاحظ أن معظم الدراسات التى استعرضناها آنفاً قد جرت فى ميدان الاجتماع الريفى ، كما اتخذت من المزارع الأمريكية مجالا لدراستها ونحن نعلم أن المزارع الأمريكية لا تمثل النمط القروى المعروف فى العالم القديم ، ولذلك فإن نتائجها — فيما يتعلق بالتبنى وخصائص المتبنى — ينبغى أن تؤخذ بحذر شديد ونحن فى مجال التعميم والمقارنة .

وهناك محاولات فى مجال الأنثربولوجيا لدراسة الآثار المترتبة على تبنى تجديد معين فلقد قام شارب Sharp بدراسة تستهدف تحليل الآثار الاجتماعية المترتبة على استخدام قبيلة بدائية استرالية الفؤوس الحديدية ، وإن كانت هذه الدراسة تركز على آثار التبنى ، وتبعد إلى حد ما عن موضوع الاتصال إلا أنها

(١) P.C. Fliegel and J.E. Kivlin "Atributes of Innovations as factors in Diffusion" A,J.S. Vol. 42 No. 3 (Nof. 1966) pp. 235-248.

تلقى الضوء على سمة ثقافية جديدة دخلت إلى مجتمع بدائى وتركت انطباعات متعددة على ثقافته وبنائه الاجتماعى .

أما القبيلة موضوع الدراسة فإنها ترحل للصيد فى جماعات بدوية صغيرة عبر نطاق شاسع من الأرض . والوحدة المركزية فى ثقافة هذه القبيلة هى الفأس الحجرية حيث يرى أبناؤها أنه لا يمكن الاستغناء عن هذا الفأس كوسيلة لإنتاج القوت ، وفى تشييد المأوى واستجلاب الدفء . ومن الصعوبة أن نتصور ثورة هامة ، أكثر من إحلال الفأس الحديدية محل الفأس الحجرية . أما منهج الدراسة الذى اصطنعه الباحث فهو أسلوب الملاحظة المشاركة ، فلقد احتل الباحث دوراً فى ثقافة هذه القبيلة وشارك فى نشاطها وذلك لمدة ثلاث عشر شهرا ، وبسبب عزلة هذه القبيلة فإنها لم تتأثر بالحضارة الحديثة حتى تأسيس مركز إرسالى تبشيرى فى السنوات الحديثة ، ولقد وزع أفراد الإرسالية كثيراً من الفؤوس الحديدية على أفراد هذه القبيلة كهدايا ، ومنح ، أو أجر عن أعمال قاموا بها . أما الفأس الحجرية فكانت تمثل رمزاً يدل على الرجولة ، كما يدل على احترام كبار السن ، ومن ثم فإن هذه الفؤوس كانت تستعار من الآباء والأزواج ، والأعمام والأخوال وفقاً لنسق من العلاقة الاجتماعية يحدده العرف ، وكان أفراد هذه القبيلة يحصلون على رؤوس فؤوسهم الحجرية عن طريق المبادلة مع قبائل أخرى مقابل الرماح ، وكانت هذه المقابلة تتم كجزء من طقوس موسمية متصلة .

وحينما وزع رجال الإرسالية هذه الفؤوس الحديدية على أبناء هذه القبيلة، كانوا يطمحون إلى أن تحسن من وسائل معيشتهم ، ولم تكن هناك مقاومة تذكر فى التحول من الفؤوس الحجرية إلى الحديدية بين السكان الأصليين . فلقد كانت الأخيرة أكثر كفاءة بالنسبة لأغلب الأعمال ، ومن ثم سرعان ما اختفت الفؤوس الحجرية من هذه القبيلة . ومع أن الفؤوس الحديدية قد ساهمت مساهمة محدودة فى التقدم إلا أن أبناء هذه القبيلة كانوا يستنفدون وقت الفراغ الذى توفر لديهم فى النوم ، هذا علماً بأن الفؤوس الحديدية قد وزعت على

الرجال ، والنساء، والأطفال . وكان الشباب أكثر رغبة فى استخدام هذه الفؤوس إذا ما قورنوا بالكبار الذين كانوا يبدون نوعاً من عدم الثقة فى الإرسالية ورجالها ، وكان من نتائج ذلك تمزق علاقات المكانة الاجتماعية بين هذه القبيلة ، وحدوث خلط ثورى بالنسبة لأدوار العمر ، والنوع ، فالكبار الذين كانوا موضع أعلى درجة من الاحترام ، أصبحوا يعتمدون على النساء والشباب ، وغالباً ما كانوا يجبرون على إعارة فؤوسهم الحديدية . .

وقد حدث تفكك فى الطقوس التجارية للقبيلة أيضاً، كما انهارت علاقة الصداقة بين التجار وانقرضت المهرجانات والأعياد التى كان يتم فيها تبادل الفؤوس الحجرية بالحراب ، وهنا انسحب التفكك على النسق الدينى ، والبناء الاجتماعى بوجه عام كنتيجة لعدم المقدرة على التكيف مع السمة أو العنصر الجديد .

إلا أنه ينبغى الإشارة إلى أن الفؤوس الحديدية وحدها لم تكن السبب فى هذه التغيرات ، ومن غير المعقول أن تكون كذلك ، ولكن من المحتمل أنها عامل مركزى بالنسبة لهذه الاضطرابات [١] .

ومن الملاحظ فى الدراسات السابقة أن الاتصال عنصر أساسى من عناصر عملية التبنى أو التقبل . إلا أن هذه الدراسات التى عرضنا لها حتى الآن لم تأخذ من عملية الاتصال نقطة انطلاق لها ، وسوف نستعرض الآن عدة دراسات ارتكزت على عملية الاتصال وهى تدرس تقبل المهارات والمناشط ، والبرامج المختلفة والانتفاع بها .

قام « ليونبرجر » Lionberger « وهازنجر » Hassinger بدراسة عن الجيرات بوصفها عامل من عوامل انتشار المعلومات المزرعية ، ولقد جمعا بيانات هذه الدراسة من ٢٧٩ مزارعاً فى مجتمع شمال شرق «ميسورى » . وحيث كانت المستوى الزراعى أعلى من مستوى الولاية بوجه عام .

---

(١) Sharp "Steel Axes For Stone -Age Australians" in Edward H. Spicer (edr.) Human Problems in Technological Change, 1952 pp. 69-92.

وكشفت هذه الدراسة أن الجيرات فى هذه المنطقة عوامل مهمة جداً ولا يمكن إغفالها فى عملية انتشار المعلومات ، ولا تلعب الجيرة دورها فقط من حيث كونها مركزاً لجعل المعلومات محلية ، وإنما تلعب دوراً أيضاً فى إيجاد الظروف الملائمة لتقييم مصادر المعلومات الزراعية ووزنها[١] .

كما قام « ليونبرجر » أيضاً بدراسة لأثر الجماعات الاجتماعية غير الرسمية فى انتشار المعلومات المزرعية ، وتقدم هذه الدراسة نتائج بحث متعمق يحاول التعرف على تأثير الجماعات الاجتماعية غير الرسمية على التبادل الشخصى للمعلومات المزرعية بين المزارعين فى مجتمع زراعى بولاية « ميسورى » .

وقد أوضح تحليل البيانات أن الجماعات غير الرسمية تمارس تأثيراً تسهيلياً فى عماية نقل المعلومات الزراعية ، وتبادلها بين المزارعين ، كما وجد الباحث أيضاً أن هناك برهاناً واضحاً على أن طبيعة الميكانزمات الجماعية تحدد النماذج الاتصالية المختارة ، كما وجد أيضاً أن الجماعات الاجتماعية غير الرسمية التى لا تتميز بطابع العصبية تمارس نفس التأثير .

نستطيع أن نقول — باختصار — أن هذه الدراسة قد كشفت عن أهمية الجماعات غير الرسمية باعتبارها عاملا مساهماً ومسهلا لنقل المعلومات الزراعية ، وتبادلها بين المزرعين[٢] .

كما قام « بولجار » Polgar وآخرون بدراسة عن الانتشار والإرشاد كانوا يقصدون منها اختبار بعض الأفكار والنتائج التى توصلت إليها بحوث انتشار التجديدات ، واختاروا مهارات خاصة بإدارة المياه فى مجتمع من مجتمعات « كاليفورنيا » . ولقد توصلوا من هذه الدراسة إلى نتائج تتمثل فى أن خصائص المهارة الجديدة إنما ترتبط بتبنيها واستخدامها. ومن أهم هذه الخصائص وضوح النتائج التى سوف تؤدى إليها هذه المهارة ، ولقد أدرك هؤلاء الباحثون بناء

---

(١) H.F. Lionberger and E. Hassinger "Neighborhood as a Factor in the Diffusion of Farm Information in a Northeast Missouri Farming Community" R.S. Vol. 19 (Dec. 1954) No. p. 377,

(٢) H.F, Lionberger "Infromal Social Groups and Diffusion of Farm Information" R.S. Vol. 19 (Sep. 1954) No. 3 pp. 233-243.

التأثير فى المجتمع المحلى ودور موظفى الإرشاد باعتبارهم ممثلين اتصاليين [١] .

وفى دراسة أخرى استهدف « كولمان » و « مارش » فحص أنماط الاتصال المختلفة التى سمع المزارعون — عن طريقها — عن المهارات الزراعية الجديدة ، حيث قاما بسؤال جميع العاملين بالزراعة فى ثلاث عشرة جيرة من جيرات كنتكى Kentecky عن الوسائل الاتصالية التى أعلمتهم عن المهارات الجديدة ، وكتبا تقريراً عن بحثهما يقدم بعض التفسيرات كما يقدم أيضاً بعض الفروض التى يمكن اختبارها فى دراسات أبعد مدى ، أما المقاطعة مجال الدراسة فهى ريفية — إلى حد كبير — يقطنها حوالى ٢٣٠٠ نسمة . وتمت إجراءات العمل الميدانى عام ١٩٥٠ فى الوقت الذى كان يجرى فيه تقديم برنامج إرشادى فعال صاغته الهيئة الزراعية بالمقاطعة صياغة جيدة ، ويشرف عليه موظف الإرشاد الزراعى بالمقاطعة بمساعدة موظف زراعى وآخر مختص بالإرشاد المنزلى . وكان هذا البرنامج من أحسن البرامج الإرشادية التى أعدت وقتها بالولايات المتحدة الأمريكية .

وتوصل الباحثان — وفقاً للنتائج النهائية — إلى أن الراديو ، والأصدقاء ، والجيران اتصالات هامة فى جميع المناطق بوصفها الاتصالات الأكثر نفعاً أو مساعدة للمزارعين . أما الصحف الزراعية ، والاجتماعات الزراعية التى تعقد بقصد الإرشاد والتوضيح ، فإنها مصادر هامة فى المناطق مرتفعة المستوى ، ولكنها أقل أهمية فى المناطق منخفضة المستوى والمناطق المتوسطة ، كما وجدا أن التحدث الشخصى . مع المرشدين الزراعيين . وسيلة هامة فى كل من المناطق المتوسطة ، ومرتفعة المستوى ، ولكنها غير هامة فى المناطق منخفضة المستوى ، كما وجدا أن الأصدقاء ، والجيران ، والإقارب مصادر هامة للمعلومات بالنسبة لجميع المناطق ، ويدرك المرشدون الزراعيون ذلك جيداً حينما يتحدثون إلى مجموعة قليلة من المزارعين آملين أن ينقل هؤلاء إلى غيرهم . من الأقارب . والأصدقاء ، والجيران ماسمعوه .

---

(١) Polgar, H. Dunphy and B, Cox "Diffusion and Farming Advice : a Test of Some Current Notions" Social Forces vol. 42 : Fo. 1 (October 1963) pp. 104-111,

ويفسر الباحثان هذه النتائج بأن هذا التباين بين الجيرات لا يمكن أن يعزى تماماً إلى التباين فى المستويات الاقتصادية والاجتماعية ، ولذلك فإن الجيرات التى تسجل درجات عالية فى تبنى المهارات الجديدة ، تسجل أيضاً درجات عالية فى الاتصال بوسائل الاتصال المختلفة حيث إن هذه الاتصالات هى التى تحدد وتشخص المنطقية Rationality ، والكفاية Efficiency . كما أن جانباً من هذا التباين يمكن أن يعود أيضاً إلى الفوارق بين هذه الجيرات فى الاتجاهات ، والمعايير والتوقعات التى تتصل بالشئون الزراعية[١] .

إلا أن « ولكننج » قد وجد أن الحال ليس على هذا المنوال فى شمال كارولينا حيث درس مجتمعاً محليا ، وحيث لاحظ أن هناك فرقاً طفيفاً بين نسب أو معدلات التبنى بين المزارعين عامة ، وبين أولئك الذين ذكروا — بطريقة متكررة — بوصفهم مصادر للمعلومات[٢] .

وقد وجد « ليونبرجر » موقفاً مخالفاً تماماً فى دراسته لمجتمع محلى من أعمال ولاية « ميسورى » حيث لاحظ أن مصادر المعلومات ، أو القادة غير الرسميين أرفع درجة من الآخرين فى استخدام المهارات الجديدة ، بل إن الفرق بينهم وبين الآخرين كان فرقاً كبيراً[٣] .

وقام باحث هندى يدعى « ستادال داسجوبتا » Satadal Dosgupta بدراسة هامة عن الاتصال والتجديد فى قرى هندية محاولا الإجابة عن عدة أسئلة عنت له على النحو التالى :

١ — ما هى مصادر المعلومات المختلفة التى يستخدمها المزارعون عامة ؟

٢ — ما هى الأهمية المقارنة بين مصادر المعلومات المنظمة ، وغير المنظمة ؟

---

(١) A. Coleman and C.P. Marsh "Differential Communication Among Farmers" R.S. Vol. 20 (June, 1955) No. 2 pp. 93-101.

(٢) E.A. Wilkening "Informal Leaders and Innovators in Farm practices" R.S. XVII : 3 (Sep. 1952) pp. 272-275,

(٣) H. Lionberger "Some Characteristics of Farm Operator Sought as Sources of Information in a Missouri Community" R.S. XVIII : 4 (Dec. 1953) pp. 327-338,.

٣ ــ هل ثمة علاقة بين المكانة الاجتماعية الاقتصادية للمزارعين، وبين استخدام مصادر المعلومات المختلفة ؟

٤ ــ إلى أى حد تختلف مصادر المعلومات باختلاف نمط المهارة المحسنة ؟

ثم طور الباحث ــ وفقا لهذه الأسئلة ــ ومن خلال قراءته فى هذا المجال ، عدة فروض عن هذا الموضوع . ثم قام ببحثه الميدانى فى أربعة قرى من إقليم باراسيت Barcet فى البنغال الغربية وحيث يوجد فى هذه المنطقة مدينتان صغيرتان فقط يقطنهما ٢٢,٥٤٦ مواطنا بينما يقطن الباقون والذين يبلغ عددهم ٣٧١,٤٣٤ فى قرى يبلغ عددها ٥٩٤ قرية ، والزراعة هى المهنة الأساسية لثلثى السكان، أما الباقون فيعتمدون على النقل، والأعمال ، والتجارة ، والإنتاج ، وغير ذلك . وتسير الزراعة على نمط تقليدى أما متوسط الملكية المحصولية للأسرة فى هذه المنطقة فيصل إلى ثلاثة أفدنة ونصف ، والمنطقة على اتصال وثيق بالمدينة عن طريق من يعملون فى المدينة بالإضافة إلى الراديو والصحف . وهناك سبعة أقسام تحت إشراف البرنامج الإرشادى القومى ، وحيث يتكون كل قسم من مائة قرية . أما القسم فإنه يضم عشرة عمال من القرى واثنين من موظفى الإرشاد الزراعى ، وطبيب بيطرى ،وموظف تعاونى واثنين من المنظمين الاجتماعيين ، ويترأس هذا القسم رئيس قسم التنمية .

وقد اختار الباحث هذه القرى الأربع من خمس وعشرين قرية ، اختيرت بدورها عشوائيًا من قرى المنطقة التى يبلغ عددها ٥٩٤ ، ولقد قام الباحث باختيار القرويين من مناطق مختلفة من « باراسيت » حتى يعكسوا متغيرات مختلفة كالمستوى الاقتصادى ، والجماعات الدينية ، والطوائف والطبوغرافيا Topography ثم سأل الباحث كل رب أسرة باعتباره المسئول عن اتخاذ القرارات فى المسائل الزراعية الأسئلة التالية :

١ ــ منذ متى وأنت تستخدم هذه المهارات الزراعية الجديدة ؟

٢ ــ كيف علمت بهذه المهارات ، أو التجديدات ؟

٣ ــ ممن حصلت على معلومات متعلقة بهذه التجديدات ؟

٤ — هل ناقشت فائدة هذه التجديدات ، ومزاياها ، وجدواها ، وإمكانية استخدامها ؟

٥ — ما هى علاقتك بالشخص الذى حصلت منه على هذه المعلومات ؟

ثم سئل أيضاً عما إذا كان قد طبق هذا التجديد فى معظم أرضه حينما بدأ باستخدامه أو تبنيه ، وبجانب ذلك كان الباحث يحصل على معلومات تتعلق بالدين والطائفة والمهنـــة والتعليم وحجم الممتلكات الزراعية ، وعدد المنازل وغير ذلك من المعلومات الأساسية ومصادر المعلومات وأنماطها.

حدد الباحث نمطين لمصادر المعلومات يمثل النمط الأول المصادر النظامية أما النمط الثانى فيمثل المصادر غير النظامية . ويعرف المصادر النظامية بأنها تلك التى تنظم — جماعيًّا — بغرض نقل المعلومات ، ومن المتوقع أن تكون هذه المصادر النظامية هى المعبر الأول الذى تنتقل بواسطته الأفكار والمهارات الجديدة إلى الفلاحين ويضمن الباحث فى المصادر النظامية ، موظفى الإرشاد والموظفين على مستوى القرية ، وموظفى إنتاج الغذاء ، والمصادر غير الشخصية كالصحف والنشرات والراديو ، أما المصادر غير النظامية فهى تلك المصادر غير المنظمة رسميًّا أو شكليًّا بهدف إيصال المعلومات إلى الفلاحين ، وهى مصادر هامة إلى حد كبير — على حد قول الباحث .

ويوضع الجدول التالى طبيعة مصدر الاتصال الذى كشفته الدراسة *

طبيعة مصدر الاتصال	العدد	٪
١ — الجيران والأقارب (من داخل القرية ، أو خارجها)	٥٤٢	٧١ر٨
٢ — فلاحون آخرون (خارج القرية)	٣٤	٤ر٥
٣ — المعاملون التجاريون	٨٢	١٠ر٩
٤ — المؤسسات الإرشادية	٩٤	١٢ر٤
٥ — الصحف	٣	٥ر٤
المجموع	٧٥٥	١٠٠ر٠٠

* عرضنا النتائج رقميا هنا لأهمية هذه الدراسة باعتبارها قد أجريت فى قرية تقليدية قد تشابه القرى المصرية .

ويوضح الجدول السابق الأهمية البارزة لمصادر المعلومات غير المنظمة ، وتقف النسبة الضئيلة جداً للصحافة دليلا على ذلك كما يتضح أيضاً أن القرويين لم يذكروا — إطلاقا — النشرات الزراعية الحكومية كمصادر للمعلومات .

وصنف الباحث مصادر المعلومات وفقاً لفئات التبنى ، أو التقبل والاستخدام فكانت النتائج على النحو الذى يعكسه الجدول التالى : —

مصادر المعلومات	فئات المتبنين			دلالة الفرق *		
	مجددون Innvaors	متبنى مبكر Early A	متبنى لاحق Late A.	١—٢	١—٣	٢—٣
			٥٧٠			
ا — العدد الكلى	٥٧	١٢٨				
ب — النسبة المئوية الكلية	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠			
١— الجيران والأقارب	١٤ر٠	٣٥ر٢	٨٥ر٨	٢	٣	٣
٢— فلاحون آخرون (من خارج القرية)	١٥ر٨	١٠ر٩	١ر٩	×	١	٢
٣— معاملون تجاريون	١٥ر٨	٢١ر٩	٧ر٩	×	١	٢
٤— مؤسسات الإرشاد	٤٩ر١	٣٢ر٠	٤ر٤	١	١	٢
٥— الصحف	٥ر٣	—	—	—	—	—

ومن هذا الجدول نتجه إلى فروض الباحث وإلى أى حد دعمتها نتائجه :

١ — الفرض الأول : يتأثر المجددون ، والمتبنون المبكرون — بدرجة أكبر — بمصادر معينة للمعلومات ، إذا ما قيسوا بغيرهم من الفئات . ولقد توصل الباحث من خلال فحصه لبياناته المتصلة بهذا الفرض أن (١) المصادر النظامية للمعلومات ، كمؤسسات الإرشاد تستخدم — غالباً — بواسطة — المجددين ، والمتبنين المبكرين ، إذا ما قورنوا بالمتبنين اللاحقين (٢) كانت المصادر غير

* × تشير إلى أنه ليست هناك دلالة .

المنظمة هى المصادر التى تتعامل معها المتبنون اللاحقون . إذا ما قورنوا بالفئة الأولى والثانية (٣) يتلقى المجددون والمتبنون المبكرون معلومات من مزارعين من قرى أخرى بدرجة أكبر من المتبنين اللاحقين (٤) ذكر المعاملون التجاريون كمصدر للمعلومات بالنسبة للمجددين ، والمتبنين المبكرين إذا ما قورنوا بالفئة الثالثة (٥) ذكرت الصحف كمصدر للمعلومات لدى نسبة محددة من المجددين.

ومن ثم يعتقد الباحث أن فرضه الأول صحيح ومدعم ، كما يعتقد أن مفهوم « كاتز ولازاسفلد » عن الاتصال ذى المرحلتين ، بما أضافه إليه « روجرز » و « بيل » Beal يمكن تطبيقه على القرى الهندية .

اختلاف مصادر المعلومات وفقاً للمكانة الاجتماعية الاقتصادية :

ويمثل قياس هذا البعد هدفاً ثانيا يسعى الباحث إلى تحقيقه ، ولقد اختار المكانة الاجتماعية الاقتصادية — بالذات . لأنه يرى أن الفلاحين الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية اقتصادية مرتفعة، عادة ما يكونون أكثر ارتفاعا من حيث المستوى التعليمى وأرفع طائفة ، ويمتلكون مزارع كبيرة . ويتميزون بدرجة عالية من المشاركة الاجتماعية ، وبسبب خصائصهم هذه فإنهم أكثر منطقية فى معالجتهم العمليات الزراعية . إذا ما قورنوا بغيرهم ولأنهم أكثر اتصالا بالخارج (خارج القرية) فإنهم ينمون ويطورون اتجاها أكثر علمية فى الزراعة وأصبحوا يتميزون بعقلية رجال الأعمال ، ولذلك حاول الباحث أن يتخذ المكانة الاقتصادية الاجتماعية— بوصفها دلالة على الأبعاد السابقة ، العلمية والمنطقية وعقلية رجال الأعمال ، والتعليم ، والاتصال بالخارج لفحص علاقتها بمصادر الاتصال المختلفة . وكان من نتيجة ذلك الفرض التالى :

المزارعون الذين يتميزون بمكانة اجتماعية اقتصادية مرتفعة يستخدمون مصادر المعلومات النظامية ، أما أولئك الذين يتميزون بمكانة اجتماعية اقتصادية منخفضة فإنهم يستخدمون المصادر غير النظامية .

ولاختبار هذا الفرض قسم الباحث عينته إلى ثلاث فئات تبعاً للمكانة الاجتماعية الاقتصادية ١ ، ٢ ، ٣ وتوضح النتائج ما يلى :

١ — المجموعة رقم (١) تحصل على معلوماتها من مصادر نظامية إذا قورنت بالمجموعة ٢ ، ٣ .

٢ — تعتمد المجموعة رقم (٣) اعتماداً كبيراً على مصادر المعلومات غير النظامية إذا ما قورنت بالمجموعة ١ ، ٢ .

٣ — أما أفراد المجموعة (٢) أى المتوسطين اقتصادياً فكان اعتمادهم على مصادر المعلومات المختلفة يمثل موقفاً وسطاً بالقياس إلى المجموعة ١ ،٣، ومن ثم فإن بيانات الباحث تدعم فرضه .

اختلاف مصادر المعلومات باختلاف النشاط ، أو المهارة الجديدة :

« انتهى وكلنينج إلى أن المصادر غير المنظمة أو غير النظامية للمعلومات تستخدم فيما يتعلق بالمشروعات الزراعية » ومن هذه النتيجة استقى الباحث فرضه رقم (٣) على النحو التالى :

٣ — الفرض الثالث : المصادر المتعلقة بالمهارات الزراعية الجديدة ، والمرتبطة بالمشروعات الزراعية الأقدم هى مصادر غير نظامية ، أما مصادر المعلومات المتعلقة بالمهارات الزراعية المستحدثة تماماً . والجديدة على الخبرة الزراعية كل الجدة فإنها تكون مصادر نظامية .

وتدعم البيانات التى استقاها الباحث هذا الفرض أيضاً ويمكن تلخيص النتائج النهائية لهذه الدراسة فيما يلى :

١ — يحصل المجددون والمتبنون الأوائل من الهنود على معلوماتهم من مصادر نظامية ، كالأمريكيين تماماً بينما يحصل المتبنون اللاحقون على معلوماتهم من مصادر غير نظامية ، وعن طريق التفاعل الشخصى .

٢ — ينتمى المجددون ، والمتبنون الأوائل من الهنود إلى مكانة اجتماعية

اقتصادية مرتفعة مما يتفق مع نتائج ولكنتج فى الولايات المتحدة الأمريكية .

٣ — يميل المزارعون إلى الحصول على معلومات من مصادر نظامية فيما يتصل بالمهارات المستحدثة تماماً[١] .

ويمكن الخروج من عرض هذه الدراسات المتعلقة بالتجديدات ، وانتشارها وقبولها وتبنيها ، واستخدامها بالنتائج العامة التالية :

١ — يرتبط ميل الفرد إلى التجديد بالتوجيه العصرى ، أكثر من ارتباطه بالتوجيه التقليدى.

٢ — يختلف ميل الفرد إلى التجديد بالقياس إلى النسق الاجتماعى وموقعه على متصل التقليدية العصرية .

٣ — النمط الاتصالى الجمعى أو غير الشخصى ، يلعب دوراً هاما فى مرحلة الوعى بالموضوع الجديد ، أما الاتصال الشخصى فهو الأكثر أهمية فى مرحلة تقييم هذا الموضوع الجديد .

٤ — فقدان المعلومات الخاصة بالموضوعات الجديدة يعوق استخدامها وتبنيها .

٥ — الاتصال الجمعى أكثر أهمية بالنسبة لأوائل الذين يتبنون الجديد ويستخدمونه ، وكذلك الاتصالات الخارجية بوجه عام ، بينما الاتصال الشخصى أكثر أهمية بالنسبة لغيرهم .

٦ — لا يحدد الاتصال فقط مسألة التبنى ، أو بمعنى آخر ليست هناك علاقة بسيطة وساذجة بين الاتصال وتبنى الجديد واستخدامه بل إن الاتصال عامل واحد فقط داخل نطاق مجموعة أخرى من العوامل وحيث كشفت الدراسات ، أهمية السن ، والمكانة الاجتماعية الاقتصادية ، والتعليم ، وقوة العاطفة الدينية ، وحجم الملكية ، وشدة الانتماء الجماعى أو الولاءات الجماعية وغير ذلك من العوامل .

---

(١) Satadal Dasgupta "Communication and Innovation in Indian Villages" S.F. op.cit,.

٧ — يتأثر الناس بأشخاص ينتمون إلى نفس مجالهم الموقفى .

٨ — يميل موظفو مؤسسات التغيير والإرشاد إلى إقامة علاقات مع أفراد المجتمع الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية مرتفعة ، أكثر من ميلهم إلى تكوين مثل هذه العلاقات مع أشخاص أقل مكانة .

إلا أن هذه النتائج تفتقد — إلى حد كبير — عنصر العمومية ، كما تفتقر أيضا إلى المفاهيم السسيولوجية التى تمكن من بناء نظرية سسيو لوجية متوسطة المدى فى انتشار التجديدات .

ويوضح « لابيير » Lapiere أن عملية الاقتناع بالجديد وتبنيه إنما هى عملية فنية ، فقبل العمل على نشر شىء جديد لا بد من إضعاف سيطرة القديم وتحكمه فى الناس ، هذا التحكم الذى يختلف فى درجته من فرد إلى آخر ؛ وحيث يكون من السهل انتزاع بعض الناس من النسق الاجتماعى الذين ينتمون إليه لأن تنشئتهم الاجتماعية محدودة ، أو غير كاملة ، وهؤلاء يكون من السهل إقناعهم بتقبل الجديد لأنهم مروا بخبرات واسعة متعددة . وكما ينطبق ذلك على القروى فإنه ينطبق على غيره فكأن الأشخاص الهامشيين ، أو غير المتطابقين تماما مع المجتمع هم أسرع الناس إلى تقبل الجديد ، والاقتناع به . أما الناحية الهامة الأخرى فهى تتمثل فى تحطيم المقاومات الشعورية ، واللاشعورية التى تواجه الفكرة الجديدة عن طريق الإغراء بكسب أو مركز اجتماعى أو غير ذلك .

ولكن أهم المبادئ التى يقتضى الأمر مجابهتها فى استراتيجية التبنى هو الاهتمام بالجماعة المرجعية Group of reference ، ويصلح هذا المبدأ فى مجال ارتباط الفرد بجماعة معينة ، وتكامله معها ، وبخاصة إذا كان من الصعب انتزاع الفرد من ولائه للجماعة [١] .

---

(١) Richard T. Lapiere, Social Change, 1965 pp. 174-212.

الفصل التاسع

الإتصال والتغير الاجتماعي في مجتمعات قروية

نتجه فى هذا الفصل إلى إبراز العلاقة بين الاتصال والتغير على المستوى المجتمعى وسوف نهتم فيه بتقديم عرض تفصيلى لعدد من الدراسات الهامة التى تتشابه فى بعض جوانبها وبخاصة مجالها — مع دراستنا الميدانية من حيث إنها قد أجريت فى مجتمعات تقليدية وهى على الترتيب كما يلى :

١ — تحليل « دانيل ليرنر » للتحولات التى طرأت على قرية تركية نتيجة لربطها — فيزيقيًا — بالعاصمة .

٢ — دراسة « برايس رايان » عن الاتصالات فى قرية سيلانية .

٣ — تقرير « أدموند برونر » عن الاتصالات فى الشرق الأوسط .

٤ — دراسة « جوردون هيراباياش وفتح الله الخطيب عن الاتصال والوعى السياسى فى قرى مصرية .

٥ — دراسة إبراهيم أبو لغد عن الاتصالات الجمعية فى حياة القرى المصرية.

٦ — دراسة جوردون هيراباياش وفتح الله الخطيب عن الوعى الاجتماعى ووسائل الاتصال فى قرى مصرية .

٧ — لويس كامل مليكة ، ودراساته عن بناء الاتصال فى قرية عربية.

٨ — تقرير « أصغر فتحى » عن دور الاتصال الشخصى فى تقبل برنامج تجديدى .

٩ — دراسة « مايرر ستايكوس » عن الاتصال الشخصى وقيادة الرأى .

١٠ — دراسة « روجرز » عن الاتصال الجمعى والتحضر .

لاقت دراسات التغير الاجتماعى فى المجتمعات البدائية اهتماما كبيراً من قبل الأنثربولوجيين وحينما يتعرض علماء الأنثربولوجيا للتغير الاجتماعى فى المجتمعات البدائية إنما يرجعونه كلية إلى انفتاح الثقافة البدائية على الثقافة الأوربية نتيجة لاتصال البدائيين بثقافة الرجل الأبيض الذى قد يكون مستعمراً ، أو مبشراً ، أو مغامراً ، أو رحالة .

كما لفتت ظاهرة التغير الاجتماعى فى المجتمعات القروية اهتمام الباحثين أيضاً سواء فى مجال الأنثربولوجيا أو علم الاجتماع فنجد بعضاً منهم يفردون دراسات كاملة عن التغير الاجتماعى بينما يتناول البعض الآخر ظاهرة التغير تناولا ضمنياً ولقد ثار — فى مجال دراسة تغير المجتمعات القروية — جدل كبير حول أسباب هذا التغير وطبيعته ، فبينما نجد غالبية الباحثين يرجعون التغير الحادث فى المجتمع القروى إلى الصلات الواسعة ، والعميقة والتى أصبحت تربط القرية بالمدينة أو المراكز الحضرية القريبة نجد البعض الآخر يرى أن عوامل هذا التغير إنما هى عوامل داخلية أساسا . وما العوامل الخارجية إلا عوامل مساعدة أو معجلة [1] .

وفى أغلب هذه الدراسات نجد أن موضوع الاتصال قد نوقش بطريقة ما وكان يقصد به فى الغالب الاتصال بالمدينة ، والمراكز الحضرية ، أو التدخل الإجبارى للمدينة فى حياة القرية بمعنى التغيرات الموجهة من قبل الحكومة فنجد جون إمبرى J. Embree يقسم التغيرات الاجتماعية الملاحظة فى قرية « سويا مورا اليابانية إلى نموجين ، أولهما نموذج تغيرى موجه من قبل الحكومة ، أما النموذج الثانى فليس موجها على نفس الدرجة . فالحكومة تراقب بعناية التغيرات والآثار الغربية التى تؤثر فى الريف اليابانى ، وهنا وبحكم الأوامر والتعليمات المستمرة ، والصادرة من الجهات العليا يتقبل القروى القيم القادمة من هذه المصادر الحكومية وبالتالى يتبع ذلك تغير فى البناء الاجتماعى بوجه عام ، ويشير « إمبرى » إلى المنظمات المستحدثة

(١) انظر ، محمد عاطف غيث ، القرية المتغيرة (القيطون — محافظة الدقهلية) دراسة فى علم الاجتماع القروى ١٩٦٢ .

التى أدخلتها الحكومة إلى القرية كالجمعيات التعاونية الزراعية ، والمدارس ، وما إلى ذلك ، وأثر هذه العوامل فى تحول الولاءات المختلفة من مستوى الجيرة إلى مستوى المقاطعة ، وهكذا . بالإضافة إلى وضوح دور النقود كهدف وغاية فى حد ذاتها مما أدى إلى إضعاف الاتجاه التعاونى التلقائى الذى كان يتخذ من الجيرة وحدة له . والذى كان يقوم أساساً على المعاونة والمساعدة بالأعمال ومن جهة أخرى فإن دخول الآلة ، متمثلة فى الدراجة والأتوبيس والقطار قـد لعب دوراً هامًّا فى ربط القرية بعالمها الخارجى . وهو يرى أن وسائل الانتقال هذه لم تلعب هذا الدور فقط وإنما هى أثرت إلى حد كبير فى علاقات الناس داخل القرية نفسها.

كل هذه العوامل — فى رأى « إمبرى » — بالاضافة إلى الاعتماد العام المتزايد للجيرات على البلدان والمدن المنتجة للسلع — أدت هذه العوامل إلى انهيار الوحدة البنائية الأساسية . وهى الجيرة ، حيث بدأ يحل محلها طبقات جديدة قائمة على أساس النقود ، والمهنة .

فالعنصر البارز فى الاستجابة اليابانية للحضارة الغربية يتمثل فى الشكل المنضبط الذى تسمح الحكومة بوصوله إلى الريف وهذا الاتجاه وليد للقومية التى تتأكد دائماً فى التعليم ، والأحاديث العامة ، والتجنيد الإجبارى ، والبرامج المدرسية وتشجيع الجمعيات المختلفة . ويرى « إمبرى » أن التغيرات المنضبطة أو الموجهة كالجمعيات القومية ، والمدارس الحكومية قد أثرت فى العلاقات الداخلية للجيرة كما أثرت أيضاً فى العلاقات الخارجية من خلال توسيع مجال الاتصال سواء من الناحية الشخصية أو الفكرية لدى القروى.

أما الجوانب غير الموجهة فى التغيرات الاجتماعية فإنه يلخصها فى حركة النقود والآلة ، وهو يرى أن التغيرات التى تدخلها الحكومة وتفرضها إنما تهدف أساساً إلى إحلال أنساق اقتصادية واجتماعيـة قوية ومركزة محل أنساق أخرى قديمة ، ضعيفة ، ومستهلكة ، فطبقات الجند القديمة تختفى ليحل التجنيد الإجبارى محلها . والتعاونيات التلقائية القائمة على

الحيرة تختفى ليحل محلها الجمعيات الزراعية المنظمة؛ وتختفى الوسائل التعليمية الشفوية ليحل محلها النسق المدرسى القومى الذى يعمل كأداة مثالية لتقديم المعرفة والأفكار الغربية إلى الريف بطريقة غاية فى الانضباط ، وفى هذا المجال ظهر الدور الهام للشخص المتعلم، وبخاصة مدرسى المدارس.

ويشير إمبرى أيضاً إلى أن هناك آثاراً أخرى أدت إلى انهيار نوعية القرية وذاتيتها ، ويذكر أن أحد هذه العوامل يتمثل فى الصحيفة إلا أنه يعتقد أن تأثير الصحيفة ليس ضخماً « ولكن بعض الناس يقرأونها ويكتسبون نظرة ثاقبة»[١] وذلك حينما يناقشون الأخبار فيما بينهم . إلا أن هذه ظاهرة محدودة على حد قوله . ويبدو أن إمبرى يقلل من أهمية الصحافة أو الاتصال الجمعى بوجه عام فى عملية التغير الاجتماعى فيقول : « إن أغلب التغيرات التى تطرأ على العلاقات الاجتماعية لا تأتى إلا من خلال التواصل أو الاتصال الاجتماعى Social Contact ، وليس من الصفحات المطبوعة ، حتى فى المدارس نجد أن المدرس هو الذى يؤثر فى أفكار التلاميذ ، وأفعالهم ، وليس الكتاب »[٢] .

ويرى « إمبرى » — فى نفس المجال أن أشكالا مستحدثة من الترفيه بدأت تعمل أثرها فى العلاقات الاجتماعية، والعلاقات الخارجية كالسينما التى أصبحت وحدة جاذبة لشباب القرية الذى أصبح يتوافد على دورها القائمة فى مدن مجاورة .

ونلاحظ هنا أن إمبرى يرجع التغيرات التى طرأت على القرية أساساً إلا اتصالها بالحكومة عن طريق برامج التغير الموجه .

وقد أثار « محمد عاطف غيث » جدلا كبيراً حول أهمية مثل هذه التغيرات الموجهة[٣] محاولا التقليل من شأنها فى التغير الاجتماعى فى القرية التى درسها حيث أرجع بواعث التغير الأساسية إلى البناء الداخلى للقرية.

---

(١) J.P. Embree, A japanese Village : Suye, Mura, 1940 p. 230

(٢) Loc-cit

(٣) انظر محمد عاطف غيث ، المرجع السابق .

ودلل على فشل بعض البرامج التغيرية التى لم تناسب الثقافة القروية إلا أنه لا يهمل تماماً العوامل الخارجية وإنما يراها عوامل مساعدة أو معجلة بالتغير الاجتماعى . فالاتصال بالمدينة أو اتصال القرية بالمدينة إنما دفعه أساساً عامل داخلى مؤداه أن إمكانيات القرية الاقتصادية لم تعد كافية لإشباع حاجات أفرادها . ومن ثم اتجه القروى إلى الهجرة إلى المدينة باحثاً عن عمل . أو متطلعاً إلى تعليم يحقق له دخلا مجزياً ، ويعتقد الباحث أن المهاجرين من القرية بقصد العمل هم الذين يؤثرون تأثيراً قوياً فى مجرى التغير الاجتماعى فيها لأنهم لا ينفصلون عن القرية فهم يترددون عليها كثيراً فى المناسبات ، بينما يقلل من أهمية دور المتعلمين لأنهم ينفصلون عن القرية ولا يترددون عليها إلا نادرا . إلا أننا لا ينبغى أن نغفل تركيزه على العامل الاقتصادى بوصفه العامل الحاسم فى التغيرات التى طرأت على القرية التى درسها . ويذكر الباحث فى مجال حديثه عن تأثير المدينة على القرية أنه « يبدو تأثير المدينة واضحاً فيما يتعلق بالفنون المختلفة . والتغير هنا يكون على حساب تناقص مظاهر الفنون القروية البسيطة وازدياد مظاهر الفنون الحديثة حتى إن الوحدة الثقافية فى هذه الناحية بين القرية والمدينة يزداد تكاملها باستمرار وأهم ما أثر فى القرية فى هذا الصدد « الإذاعة » فقد انتشرت الأجهزة الإذاعية . ويزداد انتشارها عاماً بعد عام . ويقبل القرويون أفراداً وجماعات على سماع الأغانى والموسيقى والأخبار . وغيرها من المواد التى تقدمها الإذاعة وكان من آثار ذلك أن الموال يختفى شيئاً فشيئاً وتحل محله الأغانى الحديثة المذاعة . وبدأت القرى تسمع ألواناً من الموسيقى لم تكن تسمعها من قبل . وأخذ القرويون يستسيغونها ، ويلاحظ أن أعداداً متزايدة من القرويين يحفظون الأغانى ويرددونها فى المنزل أو الطريق أو الحقل أو فى الأفراح وقد عملت الإذاعة على توسيع آفاق القرويين[1] .

---

(١) د . محمد عاطف غيث ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

وعن دور الاتصالات الجمعية المقروءة يقول الباحث « بعد أن أخذت القراءة والكتابة تزداد نسبة الملمين بها باستمرار الأمر الذى يمكنهم من قراءة الصحف والمجلات والنشرات الحكومية كنشرات وزارة الزراعة والصحة والشئون الاجتماعية . ويلاحظ أن هذه الصحف والنشرات لايدل نسب التوزيع منها على مدى إقبال القرويين لها لأنها تتداول بين أكبر عدد ممكن من القرويين، ومن المظاهر المألوفة أن يقرأ القروى الصحيفة بصوت عال ليسمعه عدد من أقرانه الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ويسألون المتعلمين أو المهاجرين العائدين عندما يجلسون معهم عن كل شىء يتعلق بالمدينة . والعالم »[1] .

وتتميز مثل هذه الدراسات بأنها تحلل التغير الاجتماعى فى المجتمعات القروية تحليلا كيفيا مع بذل جهود بسيطة لتحديد ما تعنيه بهذا التغير ويترتب على اصطناعها لمثل هذا الاتجاه الكيفى أنها لا تستطيع قياس التغير الاجتماعى وفقاً لمحكات معينة كتقبل التجديدات واستخدامها أو التكامل الاجتماعى والسياسى ولذلك فإن نتائج مثل هذه الدراسات نتائج احتمالية إلى حد كبير وقد لا تأتى متناسقة ولا متفقة فى كثير من الأحيان، وهى لا تهمنا فى هذا المجال إلا بقدر ما تلقيه من الضوء على صلة الاتصال بالتغير .

١

إلا أن هناك اتجاها متزايداً ونامياً يحاول فحص العلاقة بين أنماط الاتصال المختلفة سواء كانت هذه الاتصالات شخصية أم إيكولوجية أم جمعية — بالتغير الاجتماعى فى مجتمعات قروية تقليدية فلقد حلل «ليرنر» اتجاه التغير الاجتماعى فى قرية « بلجات » التركية وهى قرية صغيرة تقع على بعد ثمانية كيلو مترات جنوبى أنقرة ، والقرية كانت غير واردة

(١) المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

على الخريطة كما أنه ليس لها تاريخ يذكر ، ولقد لفت نظر « ليرنر » إلى هذه القرية بالذات ما استشعره من مرارة وأسى وإحساس عميق باليأس يلازم القرية ومن فيها من خلال قراءته لمجموعة من التقارير التى سجلت عن تركيا عام ١٩٥٠ بواسطة بعض الخبراء .

ومن الملاحظ أن تحليل « دانيل ليرنر » لما حدث فى هذه القرية يتسم بالطابع الروائى إلا أننا نستطيع أن نستشف منه النتائج التالية[١]:

١ — كان العمدة يمثل النمط التقليدى السائد فى القرية عام ١٩٥٠ .

٢ — أما البقال فهو شخص عصرى أو على الأقل ميال إلى التجديد، ولقد اكتسب هذا الميل نتيجة لتردده على أنقرة باستمرار ومشاركته — هناك — فى الاتصالات الجمعية المختلفة كالذهاب إلى السينما أو الاستماع إلى الراديو .

٣ — إن تسهيل الاتصال الفيزيقى المتمثل فى تمهيد الطريق بين أنقرة وبلجات وتزويده بسيارات أتوبيس وغير ذلك قد أحدث انقلابا فى القرية.

٤ — وزاد من حدة هذا الانقلاب تحويل بلجات نفسها إلى ضاحية من ضواحى المدينة .

٥ — الانفتاح على العالم — فى رأى ليرنر وكما يتضح من ثنايا هذا العرض — من أهم أبعاد العصرية Modernism .

٢

ومن الدراسات الهامة فى هذا المجال والتى اعتمدت على التحليلات الإحصائية لقياس التباين فى الاتصالات بين أجيال والفوارق بين هذه الأجيال التى تتمثل فى المشاركة الاتصالية نسوق الدراسة التى أجراها برايس رايان Bryce Ryan عن الاتصالات الأولية والثانوية فى مجتمع قروى سيلانى .

(١) Daniel Lerner, "The Passing of Traditional Society, op-cit, pp. 19-42 "The Grocer and the Chief : A Parable"

وتتميز القرية موضوع الدراسة — وهى من القرى المجاورة للمراكز الحضرية فى سيلان — تتميز بالمحافظة على حياة إجتماعية أولية قائمة على أساس الجيرة والقرابة، وحيث تتميز الحياة الاجتماعية للجماعات المحلية بحدة هذين العاملين ووضوحهما . ويعتقد الباحث أن هذه القرية تمثل القرية الأولية المحبوكة العلاقات فى آسيا، ويحاول الباحث فى التقرير الذى نشره[1] أن يحدد بعضاً من أنماط العلاقات الأولية الهامة فى قرية سيلانية ، وأن يوضح الطريقة التى أدخلت بها أشكال التنظيم الاجتماعى الجديدة وعلى الخصوص الأساسى الجيرانى والقرابى للمشاركة الاجتماعية والسابق على الاتصالات الثانوية (الجمعية) ذات المصلحة الخاصة، والتى أصبحت فى الوقت الحاضر ذات أهمية مساعدة فى حياة المجتمع المحلى .

وأجريت الدراسة فى بلبولا Pelpola وهى قرية زراعية تتكون من أربعمائة دار مبنية فى السهول الخصيبة التى تبتعد نحو خمسة وثلاثين ميلا جنوب مدينة كولومبو ، ومع أن أغلبية سكان هذه القرية يعتمدون على زراعة الأرز إلا أن القادرين هناك أو الأغنياء هم من يحوزون مساحات صغيرة بينما يحصل الفقراء على رزقهم من ناتج عملهم وبخاصة فى مزارع المطاط القريبة التى لا يقيم أصحابها فيها بالإضافة إلى جماعة صغيرة تقوم بصناعة الخزف ومن الناحية العملية ينتمى جميع أبناء القرية إلى طائفة الزراع وهى أعلى طائفة فى هذه القرية .

وكما هو شائع فى سيلان ، فإن البيوت مقامة فى حدائق صغيرة نادراً ما تزيد على ربع الفدان وتمتد حقول الأرز المملوكة للأفراد وفى مساحات كبيرة متجاورة تفصل السكن فى القرية إلى أقسام متميزة تميزاً واضحاً .

وهناك صلات دم تربط بين سكان بلبولا ، كما يوجد فى هذه القرية مائة رب دار من عائلة Ge وحدها ، وهى التى تعتبر من أرقى الطوائف

---

(١) B. Ryan "Primary and Secondary Contacts in a Cylon Village Community" R.S. Vol. 17 : No. 4 (Dec. 1952) pp. 311-321.

فى القرية، وهى تمثل خطًّا أبويًّا من حيث النسب Patrilineal ، والإقامة Patrilocal وتتمتع هذه الخطوط بدلالة نسبية من حيث التفاعل الاجتماعى كما هو موجود ، إلا أنها تؤكد نوعاً من المكانة الاجتماعية المرتفعة التى بمقتضاها يتم النسب والمصاهرة إلا أن مثل هذه الاختلافات غير مميزة بوضوح حتى فى الارتباطات الزواجية .

أما صانعو الخزف فهم كطبقة متميزة ومتواضعة مشغولون بالأعمال الحرفية التقليدية ولذلك فهم معزولين اجتماعيًّا وإيكولوجيًّا أما فيما بينهم فمتصلون أشد الاتصال .

وتتمثل محددات المكانة الاجتماعية بين المزارعين الذين يمثلون ٩٠٪ من سكان القرية فى المحددات الاقتصادية أساساً .

وتقع بلبولا على بعد ستة أميال من كالوتارا Calutara على الشاطئ الغربى وهى بمثابة سوق ومركز حضارى ، وهى ترتبط بها بواسطة طريق غير ممهد تتراقص عليه سيارات الأتوبيس وعلى كل فإن هذا الطريق لا يخدم جزءاً كبيراً من أهالى القرية الذين يعتمد معظمهم على العربات التى تجرها الدواب ، كما يعتمدون على السير على الأقدام ، ولا تتمتع القرية بخدمات تليفونية بينما تتمتع بخدمة برقية ومدرسة ومعابد وحوانيت عدد من تجار القطاعى ، كما توجد بالقرية سيارتان خصوصيتان فقط وتفخر بوجود أربعة أجهزة راديو ، وتشترى القرية — يوميًّا — حوالى خمس عشرة صحيفة يومية يذهب بعضها إلى تجار القطاعى . ولما تتميز به القرية من اهتمام بالمطاط ، فإنها تهتم بالسوق التجارية وهى بالنسبة لها ذات دلالة واضحة بالنسبة للعلاقات الاجتماعية والاتصالات الخارجية .

ومن الناحية الإيكولوجية تمتد القرية عبر مساحة كبيرة تتخللها حقول الأرز والمطاط والحدائق ، وتبتعد بعض المجموعات السكنية عن البعض الآخر بمسافة قد تزيد على الأميال الثلاثة وهى مفصولة بمزارع مطاط

صغيرة ، أو حقول أرز ، أو أراضى حدائق . وفى الحقيقة تتميز مناطق الجيرة جغرافياً .

وتنقسم بليولا إلى إحدى وعشرين منطقة فرعية قد تتصل بواحدة أو اثنين من المناطق الأخرى ، ولكل منطقة من هذه المناطق اسم محدد مختار .

ويصر كثير من القرويين على أن مثل هذه الجيرات لاتتميز بأية دلالة فيما يتعلق بالتفاعل الاجتماعى وما هى إلا مجرد أسماء أماكن تقليدية داخل القرية ولكن هذه الجيرات — فى رأى الباحث — تتمتع بدلالة ذاتية ، وهو يبرهن على رأيه هذا بأنه حينما يسأل القروى عن مكان بيته فإنه يجيبه على الفور باسم الجيرة التى يقع فيها هذا البيت . ويوجد فى بعض الجيرات محلات صغيرة تخدمها إلا أن هناك جيرة مركزية تخدم القرية كمركز تجارى قروى رئيسى وحيث يوجد بها بعض المحلات والمدرسة الوحيدة والمعبد الرئيسى .

القرابة والجيرة ، وأنماط الاتصال التقليدية أو الأولية :

تعتبر العائلة الزواجية الأبوية أقوى الوحدات الاجتماعية ، وهى وحدة إنتاجية واستهلاكية . ويستشار أقارب الدرجة الأولى من الجانبين — عادة — فى المسائل العائلية كزواج الشاب أو الفتاة . ويلاحظ الباحث أن الاتجاه القوى نحو مكان إقامة الآباء يؤثر تأثيراً واضحاً فى اتجاه الاتصالات . ومن الواضح أن أغلبية رؤوس العائلات يعيشون فى تقارب فيزيقى مع ذريتهم المتزوجون أيضاً فى الغالب ، أما الزوجات فغالباً ما يقمن بعيداً عن بيوت ذويهن .

ولقد أوضحت التقارير اليومية المفصلة حول كل دارمدى فاعلية القرابة كوحدة فى الحياة الاجتماعية وبخاصة التجمع فى المصائب العائلية وطقوس المرور .

وهنا يثير الباحث سؤالا مؤداه : هل هذه الروابط العائلية هى الأكثر دلالة من حيث خطوط التفاعل فى الشئون اليومية العادية ؟

يومئ القرويون فى محادثاتهم أن الأمر ليس كذلك ، ولكن الباحث لايعتقد فى إيمائهم هذا ويسعى إلى كشف أنماط الاتصالات ، ولكى يكشف هذه الأنماط الشخصية القريبة طلب من رب كل دار وزوجته أن يذكرا ما يلى :

١ ــ الأشخاص الذين عادة ما يستعيرون منهم الأدوات والتوابل ، والأدوية ، وما إلى ذلك .

٢ ــ تكوين جماعات الأصدقاء . على سبيل المثال ، الأشخاص الذين يفضلون الثرثرة أوتبادل الزيارات معهم .

٣ ــ الشخص الذى يعتبره كل منهما صديقا مفضلا .

ولقد ذكر القرويون أشخاصاً صنفوا فيما بعد من حيث القرابة والجيرة . ولقد ذكر أغلبية المجيبين الأقارب فى كل سؤال ، ولكن الأغلبية ذكرت جيراناً سواء كانوا أقارب أو غير ذلك ولقد ذكر ٥٩ ٪ من أرباب البيوت أقارب كأصدقاء مفضلين بينما ذكر ٨٢ ٪ جيراناً وتتضمن هذه النسبة أقارب أيضاً ، أما النتيجة بالنسبة لاستجابات النساء فكانت متشابهة .

وفيما يتعلق بالأشخاص المفضلين فيما يتعلق بالثرثرة والزيارات فلقد ذكر ٤٣ ٪ من رؤوس الدور جماعات مؤلفة من الأقارب فقط بينما ذكر ٨٩ ٪ جماعات مؤلفة من الجيران تماماً . أما الزوجات فهن أقرب اتصالا بالجيران والأقارب (٩١ ٪ جيران ، ٤٩ ٪ أقارب) .

ولقد تكشف من الدراسة ــ وإلى درجة كبيرة من الصدق ــ أن المناطق الإيكولوجية التقليدية هى مناطق التفاعل الشخصى إلا أن دلالة مناطق الجيرة لم تظهر من الملاحظة المبكرة ، كما هو الحال فى حالة دلالة القرابة .

ويميل القريب إلى أن يكون جاراً أيضاً ولقد ظهر فى كثير من الأمثلة أن علاقات الدم والمصاهرة هى روابط أساسية للود ، والعلاقات الشخصية العميقة ولكن القرابة حين تترجم إلى تفاعل اجتماعى فإنها تحدد بظاهرتين متميزتين ، وهما التأكيد على الرابطة القرابية الأبوية ، والثانية هى قوة التقارب الجيرانى فى تحديد الاتصالات ، مما يدفع الباحث إلى القول بأن بليولا مجتمع محلى أولى Gemeinschaft ولكنه مجتمع مكون من مجتمعات محلية أولية Gemeinschaften تتمثل فى العائلة Family والجيرة Neighborhood والقرابة Kin .

المشاركة أو الاتصالات الثانوية :

مع أن القرية تتميز بتأكيد ضخم على أنماط الاتصال القديمة كالقرابة والجيرة إلا أنه قد ظهرت أنماط أحدث من الاتصالات مما يميز المجمعات العصرية ، ومع أن جماعات المصلحة المشتركة ، أو الاهتمام المشترك غير منتشرة بالقرية إلا أن هناك مؤسسات استحدثت — بالإضافة إلى مؤسستين دينيتين تعاونان المعبدين الدينيين الكبيرين — استحدثت جمعية تنمية ريفية ، وتعاونية استهلاكية ، وتعاونيتين للإقراض ، ومنظمة للآباء ، والمدرسين ، وكل هذه المؤسسات العلمانية حديثة عهد بالمجتمع ، وتشجعها الأجهزة الحكومية ، وهناك مؤسسة واحدة فقط يشارك فيها أهالى بليولا وتضم أعضاء من قرى أخرى وهى رابطة المزارعين ومقر هذه الرابطة فى قرية أخرى تبعد عن بليولا بحوالى خمسة أميال وحيث يشترك فى عضويتها سبعة أعضاء فقط من بليولا (تضم العينة فى هذه الدراسة اثنين منهم) أما حضور هذه الرابطة فغير منتظم . ويقول الباحث بأن أكثر المنظمات قوة وصلابة وفعالية فى القرية هى التعاونيات إلا أن حضور هذه الجمعيات غير منتظم فالاجتماعات قليلة ومتباعدة وحيث يفتقد أهالى بليولا الشعور بالانتماء فهم يتساءلون دائماً عن جدوى أى اجتماع يدعون

إليه وعن الفائدة التى تعود عليهم منه مما لايقارن بالعضوية فى المؤسسات الدينية ، فهم يرتبطون بالمعبد البوذى .

ويعالج الباحث الجمعيات الدينية فى هذه الدراسة والتى تتكون فى غالبيتها من النساء برصفها جماعات ذات مصلحة أو اهتمام خاص . حيث استخدم حضور العظات كمقياس للدلالة على المشاركة العالية فى حياة المجتمع الدينية ، ومن نافلة القول أن المشاركة الدينية لا تدل على المشاركة فى مسائل الحياة الدنيا .

أما بالنظر إلى الأشكال العلمانية من الاتصالات الثانوية فإن هناك فرصة كافية لدى القرويين للمشاركة ، فى المدن الساحلية القريبة تتوفر دور السينما بينما هناك أربعة أجهزة راديو داخل القرية أى أن أمام الراغبين فى الاستماع فرصة للاستماع إلى أحد هذه الأجهزة إلا أن الكتب والكتيبات الموجودة فى البنادر غالباً ما تكون كتباً دينية ، أو طبعات معادة لقصص مثيرة ومما يرتبط بذلك أن ٦٤ من أرباب الأسر البالغ عددهم ٨٢ أميون ، وهناك قلة من القرويين فقراء لدرجة لا تمكنهم من مشاهدة العروض السينمائية أو شراء بعض الكتيبات ، إلا أن الصحف ميسرة وبخاصة فى مخازن القرية حيث يستطيعون الاطلاع عليها (جميع الشبان غير المتزوجين المستبرين فى هذه الدراسة يعرفون القراءة والكتابة) .

ومن خلال تحليل الباحث لبياناته المتعلقة بهذا المجال لاحظ أن المشاركة فى الجماعات ذات الاهتمام الخاص ظاهرة شائعة بين أرباب الأسر بينما مشاهدة العروض السينمائية والاستماع إلى الراديو ظواهر شائعة بين الأبناء ، علماً بأن مشاركة الزوجات ، والبنات فى أى شكل من أشكال النشاط ظاهرة ملحوظة الانخفاض ، فيما عدا حضور العظات فى المعابد .

وحينما يقارن الباحث هذه القرية بالمجتمعات الريفية الغربية فإن انخفاض المشاركة يظهر بوجه عام فى جانب هذه القرية ، فهناك أقل من ربع أرباب

الأسر يحضرون اجتماعات خاصة منظمة ، بينما لم يحضر بعضهم عرضاً سينمائياً طوال حياتهم وحتى بين من يعرفون القراءة والكتابة وجد الباحث أن ٣٧ ٪ منهم فقط منتظمون فى قراءة الصحف ، وكان الأبناء هم الفئة الوحيدة المستغرقة فى نمط الاتصالات الجمعية ، أما الآباء فكان جل همهم مركز فى الكتيبات الدينية . وكان الاستماع إلى الراديو ينصب حول الموسيقى الشرقية والأحاديث الدينية .

ويلاحظ الباحث أن التصورات القروية والشرقية لدور المرأة قد أثرت فى تأسيس أنماط معينة من المشاركة ، فالنساء فيما عدا مجموعة صغيرة يستمعن إلى الراديو يبدين نشاطا قليلا من النوع الذى ينتزعهن من الاتصالات الأولية ، والتقليدية الموجودة بالقرية . والفرق بين هؤلاء النساء وبين بناتهن أقل حدة منه بين الآباء وأبنائهم فيما عدا قلة من البنات تفوقن — قليلا — على أمهاتهن فى مشاهدة العروض السينمائية .

ويبدو على حد قول الباحث — « أن الحياة العلمانية قد بدأت تضرب بجذورها بين الصغار . ومن النتائج ذات الدلالة أن نسبة من يقرأون فى الكتب الدينية بين الآباء ٤٢ ٪ يقابلها ٤ ٪ فقط من الأبناء ونسبة من يقرأن هذه الكتب من الأمهات ٣٣ ٪ تقريبا يقابلها ٣ ٪ فقط من البنات .

وقد حاول الباحث أن يقدم تحليلا لبعض العوامل المرتبطة بالمشاركة الثانوية (الإتصالات الجمعية) بين الآباء ، ووضع فى اعتباره متغيرين هما السن والوضع المالى وهو فى عمله هذا مرجه بفرض مؤداه أن الشباب والذين يتمتعون بمكانة اقتصادية مرتفعة أكثر تقبلا للأشكال الاجتماعية الجديدة ووصولا إلى هذا الهدف قسم أرباب الأسر وزوجاتهم إلى ثلاث جماعات عمرية متكافئة الحجم تقريبا * كما حدد أيضا ثلاث جماعات على

---

* المجموعة الأولى ، الشباب من الأزواج والزوجات ، والثانية متوسطو العمر ، والثالثة كبار السن .

أساس المكانة الاقتصادية التى استقاها عن كل قروى بواسطة إخبارين من القرية * ويبدو أن الاتجاه الملحوظ نحو المشاركة الحالية فى الاستماع إلى الراديو والذهاب إلى السينما من جانب الأبناء ليس نتاجا لمجرد كونهم غير متزوجين ، ولكنه يمثل جانبا من التطور العريض لمشاركة الشباب من الذكور فى هذه المناشط . ومن ناحية أخرى يمثل النشاط الدينى بالنسبة للمتزوجين من الرجال ظاهرة منتشرة إلى حد كبير وبخاصة بين المسنين ، وما هو جدير بالذكر أن الباحث وجد ارتباطا موجبا بين السن وبين المشاركة فى جماعات المصلحة أو الاهتمام المشترك ، ويبدو أن المشاركة اللادينية تتجه إلى التناقص بين المتزوجين من أرباب الأسر — بتقدم السن ، بينما تتجه المشاركة فى جماعات الاهتمام المشترك إلى الزيادة .

ولا يرى الباحث مدعاة للشك فى الأثر الموجب لوضع أرباب الأسر الإقتصادى على قراءة الصحف والكتيبات ، وممارسة النشاط فى المنظمات ، وحيث وجد أن هناك فروقاً منتظمة ومتسقة بين المستويات الاقتصادية المختلفة فيما يتعلق بالمشاركة الجماعية . بينما لاتوجد أية دلائل تشير إلى ارتباط ، أو تأثير للمكانة الاقتصادية على الإستماع إلى الراديو أو التردد على السينما وحيث يبدو أن الاستمتاع إلى الراديو ومشاهدة العروض السينمائية إنما يرتبطان بحالة الشباب Youthfulness .

وفى مقابل ذلك اتضح أن الحضور إلى أماكن العبادة نشاط أكثر ارتباطاً بالمسنين فى المحل الأول ، والأغنياء فى المحل الثانى . أما بالنسبة للزوجات فإن هناك ارتباطاً مرجبا بين المكانة الاقتصادية المرتفعة وبين القراءة . ويفسر الباحث ذلك بأن الجرائد عادة ما تأتى بانتظام إلى بيوت الأغنياء الذين يتابعون أسعار المطاط وعوامل السوق التى تؤثر فى محصولهم . ومع أن هذه المقارنات غير محددة — فى ضوء مفهوم السببية — إلا أنها توضح أن النماذج المختلفة من المشاركة الثانوية ترتبط بخصائص مختلفة وبمكانات أسرية

* مكانة اقتصادية عليا ، وسطى ، دنيا .

مختلفة أيضاً ، وحيث تبدى أن الأبناء الراشدين هم أكثر مشاركة ثانوية (مشاركة فى الاتصال الجمعى) من غيرهم إلا أن هذا النمط لم يظهر بالرجوع إلى روابط الاهتمام والمصلحة الخاصة .

ويحاول الباحث أن يخرج بأن المشاركة فى جماعات الاهتمام والمصلحة الخاصة ترتبط بالولاء القرابى القوى ، ومن ناحية أخرى فإن هناك دليلا على أن المشاركة فى الاتصالات الجمعية تشيع بين الأشخاص الأقل انتماء وولاء للعالم القرابى الأولى ، ولذلك فإنه يقول أنه من المحتمل أن اتصالات القرية العلمانية بالخارج قد أدخلها أشخاص أقل تكاملا بالنسبة للجماعات الأولية القرابية المحلية ، ومن ثم فإن التردد على السينما قد يرتبط بكل من حالة الشباب والتحرر من روابط القرابة . Kin Imancipation .

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى إبرازها لأهمية القرابة ، والجيرة فى بناء الاتصال وتباين الاتصالات وفقاً لدرجة الانتماء وشدته إلى هذه الجماعات القرابية والجيرانية من ناحية ، وإلى مزاوجتها من التحليل الإحصائى الكمى والتحليل الكيفى الذى حاول أن يقدم تفسيرات مقنعة للأرقام .

٣

ومن المفيد هنا أن نعرض دراسة أجريت عن الاتصالات فى قرى الشرق الأوسط فى الفترة نفسها تقريبا التى أجرى فيها « رايان » دراسته عن الاتصالات فى قرية سيلانية ، فمن خلال المقابلة والمقارنة نستطيع أن نلمس بعض الأبعاد التى تحدد السلوك الاتصالى القروى .

وهذه الدراسة متضمنة فى تقرير نشرة أدموند برونر Edmund Brunner متضمنا نتائج دراسة أجراها مكتب البحث الاجتماعى التطبيقى بجامعة كولومبيا . عن السلوك الاتصالى والاتجاهات السياسية فى سبع من بلدان الشرق الأوسط [١] .

(١) Edmund Brunner "Rural Communications Behavior and Attitudes in The Middle East" R.S. Vol. 18 (June 1953) No. 2 pp. 149-155.

ولقد أوضحت الدراسة فروقاً ذات دلالة بين السلوك الاتصالى الريفى وغيره إلا أن الباحث كان يتوقع أن تكون هذه الفروق أكثر حجماً . وتعنى هذه الدراسة بالبيانات التى جمعت من أربعة أقاليم عربية وهى مصر ، والأردن ، وسوريا ولبنان ، ولم تتطلب أهداف الدراسة عينة طبقية دقيقة ، ووصل مجموع الاستبارات إلى ١٢٠٠ استبار أجرى ثلثها تقريبا على مناطق ريفية وهنا تفتقد الدراسة التمثيل الصحيح للريف ، وفى كل من المناطق الريفية والحضرية ، شملت الاستبارات فئات متباينة فى الدخل ، والمستوى التعليمى ، ولقد اتجهت الاستبارات — فى جميع البلدان إلى أن تتلقى استجابات نمطية ، أو تصب فى أنماط محددة من الإستجابات ، وبعد نقطة معينة أوضحت بعض الاستبارات الاضافية تباينات قليلة جداً فى الاتجاهات .

ولقد كشفت هذه الدراسة أن عدد المستمعين فى هذه الأقطار ، تفوق عددهم فى أقطار أكثر رخاء ، فهناك حوالى الثلث من المستمعين ممن لا يملكون أجهزة راديو ، بينما كانت هذه النسبة تفوق النصف فى المجتمعات الريفية وكانت هناك نسبة تصل إلى ٤٥ ٪ ممن يستمعون إلى الراديو خارج منازلهم يمارسون هذا الاستماع فى المقهى فى الريف ، فى مقابل الثلث فى المدن .

ولقد أوضحت التعليقات بجلاء أن المقهى فى المناطق القروية يمثل مركزاً اجتماعياً Social Centre ذات أهمية كبيرة يمكن مقارنته « بمخزن الاقليم فى الولايات المتحدة الأمريكية » .

وكان من الواضح أيضا أن هذه الوظيفة الاجتماعية للمقهى — التى غالبا ما تكون عامة فى الريف — لاتصل إلى نفس الدرجة فى المدينة حيث يسودها المناخ التجارى ، وحيث لاتوجد مثل هذه الدرجة الضخمة من المناقشات والتعليقات .

ولقد لوحظ أن زمن الاستماع فى الريف ، أطول من زمن الاستماع

فى المدينة ويفسر الباحث ذلك بأن البناء الاجتماعى للمقهى الريفى بناء قائم على الصداقة ، والعلاقات غير الرسمية ، فالمستمعون يعرفون بعضهم البعض معرفة جيدة ، ويسوق الباحث للتدليل على ذلك أن أصحاب المقهى الريفى تمكنوا من ذكر ثلاثة أشخاص من زبائنهم يعتقدون أنهم أصحاب رأى ونفوذ ، وتأثير فى الوقت الذى لم يتمكن فيه أصحاب المقاهى فى المدن من ذكر هؤلاء الأشخاص .

أما باقى من كانوا يستمعون إلى الراديو خارج منازلهم فقد كانوا مقسمين بالتساوى بين « بيوت الأصدقاء » و« أماكن أخرى » ، وتنحصر هذه الأماكن الأخرى فيما بين أماكن العمل والأندية والمراكز الاجتماعية القروية القليلة آنئذ .

ويتضمن الاستماع إلى الراديو فى بيوت الأصدقاء دعوة من صديق بالطبع ولقد ظهر من بعض القرى أن هناك جماعات استماع تتفاوت فيما بينها فى درجة الانتظام فى الاستماع ، ويرى الباحث أنه من المحتمل أن يكون المشاركون فى جماعات الاستماع مرتبطين ومتصلين بصلات أخرى .

ووجد الباحث فى بعض القرى أن هناك جهازاً أو جهازين فقط يمتلكها أغنياء القرية وحيث يشكون المستمعون من أن المضيف هو الذى يحدد البرامج ويختارها ، أما باقى الأجهزة فكانت توجد فى المقاهى .

ويحاول الباحث فى تقريره أن يربط بين المشاركة فى الاتصالات وبين بعض التغيرات على النحو التالى :

١ ــ اختلاف الأنماط تبعاً لاختلاف النوع ، والديانة :

لاحظ الباحث فروقاً من حيث النوع والديانة بالنظر إلى مكان الإستماع ، وحيث وجد أنه لاتوجد امرأة واحدة فى الأقاليم العربية تتابع الإذاعات فى المقاهى التى هى بمثابة نظام اجتماعى . بينما يجرى ثلثا الاستماع النسائى فى منازل الصديقات :

٢ ــ البرامج المفضلة

كشفت النتائج أن نسبة من المستمعين تقارب الأربعة أخماس يخططون سلفاً للاستماع إلى برامجهم المفضلة ، وحيث احتلت الأخبار درجة مرتفعة وهى أكثر تفضيلا ــ إلى حد ما ــ فى المناطق الريفية إذا ما قورنت بالمناطق الحضرية ، وذلك بالنسبة لمن يتمتعون بمستوى تعليمى مرتفع ، أو ممن لايتمتعون بمثل هذا المستوى ، ولقد كشفت النتائج أن الأخيرين (الذين لايتمتعون بمستوى تعليمى مرتفع) أكثر تفضيلا للاستماع إلى الموسيقى العربية والتراتيل القرآنية أما إذا ما قورنت بالفئة الأولى .

إلا أن الريفيين ــ عموماً ــ يفضلون الاستماع إلى القرآن الكريم بدرجة أكبر من الحضريين .

ويوضح الجدول التالى البرامج المفضلة .

البرامج المفضلة	منخفضو التعليم		مرتفعو التعليم	
	ريفيون	حضريون	ريفيون	حضريون
	٪	٪	٪	٪
نشرات الأخبار	٥٩	٤٩	٦٨	٥٤
الموسيقى العربية	٥٤	٥١	٣٥	٢٩
الموسيقى الغربية	٦	٥	٢٠	٢٩
القرآن الكريم	٤٤	٣٧	٢٠	١٣
موسيقى غير محددة	١٥	١٨	٢٨	٢٢
أحاديث ومحاضرات	١٥	٢١	٢٤	٢١
برامج أخرى (مسرحيات قصص . . إلخ)	١٠	٢١	٢٠	١٧
مجموع الأفراد*	١٩٨	١٦٤	١١٦	٢٢٣

* تفوق مجموع النسب المئوية ١٠٠ حيث طلب من كل مبحوث أن يحدد برنامجين مفضلين

٣ – العلاقة بين الاستماع إلى الراديو وقراءة الصحف :

لاحظ كاتب التقرير – وفقاً للنتائج – أن من يستمعون إلى الراديو ، يقرأون الصحف أيضاً ، وبينما كانت هناك فروق متوقعة من حيث التعليم إلا أن الباحث قد وجد أن أربعة من كل خمسة من المبحوثين يقرأون الصحف ، وحتى بين الأميين توضح النتائج أن ربعهم يستمعون إلى قراءتها ، وعادة ما يحدث ذلك فى المقاهى ، ولم تكن الفروق بين المدينة والريف شاسعة كما كان متوقعاً ففى مقابل كل ستة من الحضريين الذين يستمعون إلى قراءتها يوجد خمسة من الريفيين فى نفس الظروف ، يمارسون نفس الخبرة .

أما بين أولئك الذين يتمتعون بمستوى تعليمى مرتفع فلم تكن هناك فروق فى الغالب بين الريفيين والحضريين وحيث تدل البيانات على أن ثلاثة أرباع المجموعتين يقرأون الصحف .

والأمر الغريب ، الذى توصلت إليه البيانات أن قارئ الصحف الريفى يطلع على نفس العدد من الصحف الذى يطلع عليه الحضرى .

وكانت هناك فوارق حادة فى نسبة من يقرأون أو يستمعون إلى قراءة ثلاث صحف أو أكثر بين الأقطار الأربعة المدروسة حيث فاقت مصر – فى هذه النسبة غيرها من الأقطار ، واحتلت لبنان النسبة التالية لها .

أما فى مصر فقد أعطى ثلثا القرويين أولوية للأخبار المحلية التى تتضمن تقارير القطن ونشرات سوقه بينما ذكر النصف ، الأخبار الخارجية ولم يذكر أحد مقالات المحررين .

٤ – العلاقة بين الاستماع إلى الراديو ، والتردد على السينما :

يبدو – من بيانات هذا التقرير أن نسبة من يترددون على السينما – من بين مستمعى الراديو تكاد تشابه من يقرأون الصحف منهم ولكن تكرار الخبرة (السينما) ما زال أقل بكثير خصوصا بين القرويين الذين عليهم أن

يسافروا بعيداً لمشاهدة العرض مما لا يحدث فى حالة قرنائهم الحضريين .

ولقد لوحظ أن نصف القرويين الذين يتميزون بمستوى تعليمى منخفض لم يشاهدوا العروض السينمائية على الإطلاق فى مقابل ربع نظرائهم من الحضريين ، ويوضح الجدول التالى المعلومات المفصلة عن ذلك :

المشاهدة	تعليم منخفض		تعليم مرتفع	
	ريفيون	حضريون	ريفيون	حضريون
	٪	٪	٪	٪
يشاهد فيلما أسبوعيًّا على الأقل	١٢	٣٧	٣٣	٥٦
يشاهد فى مناسبات	٤٢	٣٦	٥١	٣٦
لم يحضر عرضا على الإطلاق	٤٦	٢٧	١٦	٨
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

إلا أن تكرار مشاهدة العروض السينمائية مرتبط بوضوح بالقرب من دور السينما وبالتالى فإن السينما أقل وصولا إلى القرويين ، وهم أقل خبرة بها .

ويفترض كاتب التقرير أنه من الممكن أن يخلق الاستخدام الواسع للأفلام التسجيلية المرتبطة بحياة القرويين ، اهتماما بالسينما عند القروى . ولكنه وجد أن هذا الافتراض غير قائم ، فقد تبين فى مصر على سبيل المثال أن ٣٠ ٪ فقط من مستمعى الراديو قد شاهدوا أفلاما تسجيلية أجنبية كما وجد — أكثر من ذلك أن ٨٥ ٪ من الفلاحين يفضلون الأفلام المصرية بينما لاحظ أن ثلثى المهنيين وثلاثة أرباع ذوى الياقات البيضاء يعطون الأولوية للأفلام الأمريكية .

بالإضافة إلى أن هناك عوامل أخرى تؤثر فى المشاهدة وحيث لاحظ الباحث أن فئات السن أقل من ثلاثين عاما أكثر مشاهدة للأفلام ممن يفوقون هذه السن والعزاب أكثر مشاهدة من المتزوجين والمسيحيين أكثر مشاهدة من المسلمين .

٥ ــ التداخل ، والتشابك بين جماهير الراديو ، والصحف ، والسينما :

مع أن مناقشة قراءة الصحف ، والتردد على السينما ، قد تضمنت استخدام هذه الوسائل الاتصالية بواسطة جمهور مستمعى الراديو إلا أن المبحوث سئل عن صلاته بكل من وسائل الاتصال الجمعى الثلاث أو إحداها ويوضح الجدول التالى نتائج هذا السؤال .

التعرض للاتصال الجمعى	تعليم منخفض		تعليم مرتفع	
	ريفيون	حضريون	ريفيون	حضريون
	٪	٪	٪	٪
يتصل بالوسائل الثلاث	٢٤	٣٠	٧٢	٨١
يتصل بوسيلتين فقط	٢٣	٣٣	٢٠	١٦
يتصل بوسيلة اوحدة	٢٧	٢٣	٧	٣
لا يتصل بأى وسيلة	٢٦	١٤	١	—
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ويوضح هذا الجدول التداخل الموجود بين جماهير الراديو ، الصحف والسينما وتبدو الفوارق بين منخفضى المستوى التعليمى ومرتفعى هذا المستوى واضحة بجلاء كما أن الفوارق بين جماعات القرويين من جهة وجماعات الحضريين من جهة أخرى هامة أيضاً إلا أنها أقل وضوحاً إلى حد ما .

٦ ــ الاتصال الشفاهى Word of Mouth Communication

كان من المتوقع أن يكون اعتماد القرويين على الاتصال الشفاهى اعتماداً كبيرا وحيث أن تراث بحوث الاتصال يوضح أنالاتصال الشخصى هو الوسيلة الأكثر أهمية فى المناطق المختلفة بعامة ، والقروية بوجه خاص ، ولقد لوحظ أن هذا الاعتماد موجود فى جميع الأقطار التى درست إلا أنه غير بارز ولذلك فإنه يحتاج إلى دراسة أبعد مدى .

ولقد حاولت هيئة البحث أن تستكشف دور الإذاعات الخارجية فى تقديم البرامج ومدى متابعة العينة لهذه البرامج ولقد كشف تحليل البيانات المتعلقة بهذا الدور فروقا حادة نسبيًا بين البلدان الأربع إلا أن هذا التحليل قد كشف أن ٥٦ ٪ من مستمعى الراديو فى البلدان الأربع يستمعون إلى إذاعة خارجية أو أكثر كل شهر ولقد وجد بين نسبة من يستمعون إلى إذاعات خارجية مرتفعة بين من يملكون أجهزة راديو إذا ما قورنوا بمن لا يملكون . كما أوضحت البيانات أيضاً أن التعليم والمكانة الاقتصادية الاجتماعية يؤثران فى هذا الضرب من الاستماع ويحددانه . وحيث أن نسبة من كانوا يستمعون إلى إذاعات خارجية بين منخفضى المستوى التعليمى والاقتصادى وصلت إلى ٣١ ٪ فى مقابل ٤٩ ٪ عند مجموعة تتميز بنفس المستوى التعليمى ولكنها أكثر ارتفاعا من حيث المستوى الاقتصادى أما بين أولئك الذين يتمتعون بمستوى تعليمى مرتفع فكانت النتائج المتشابهة على التوالى ٦٥ ٪ ، ٨١ ٪ .

وقد تكشف أن هيئة الإذاعة البريطانية هى الأكثر شعبية من حيث الإرسال الإذاعى الخارجى فقد تبين أن ٨٦ ٪ ممن يستمعون إلى إذاعات خارجية يفضلون الاستماع إلى إذاعة لندن فى مقابل ٢٢ ٪ يستمعون إلى الإذاعات الأمريكية ، بينما يستمع ١٢ ٪ تقريباً إلى الإذاعة الروسية، بيد أن نسبة من يستمعون إلى الإذاعات الفرنسية وصلت إلى ٤٠ ٪ فى سوريا ولبنان .

إلا أن نسبة من يستمعون إلى الإذاعات الخارجية فى المناطق الريفية قليلة ويرجع كاتب التقرير ذلك إلى قلة من يمتلكون أجهزة راديو فى هذه المناطق .

٧ ــ أنماط الاتصال والاتجاهات والولاءات القروية :

ويهتم هذا القسم من التقرير ــ أساساً ــ بالريف المصرى باعتبار مصر أكبر الأقطار على حد قول كاتبه .

عندما سئل القرويون عن أهم المشاكل إلحاحا بالنسبة للوطن مالوا إلى تجاهل المشاكل المتعلقة بالحياة القروية وبالرغم من مشكلة ضغط السكان على الأرض الزراعية وحالة الفقر التى يعانى منها أغلب سكان القرى بالرغم من ذلك تدل البيانات على أن المشاكل القومية والوطنية كانت مركز اهتمام سكان المدن بينما لم تلاق مشكلة الفقر هذه سوى اهتمام ضئيل جداً ، كما كان هناك مد قوى بين الفلاحين ، فبينما ذكر حوالى الخمسين القضايا الداخلية وهى قضايا خاصة بالزراعة إلى حدّ كبير ، ذكر أكثر من النصف أن التهديد البريطانى لاستقلال مصر يمثل المكانة الأولى بين المشاكل وكان البعض يربط بين النوعين من المشاكل ويلوم بريطانيا على مستوى المعيشة المنخفض الذى يعيشه القرويون المصريون .

وهنا نلاحظ أن الاتصالات الجمعية لعبت دوراً أساسيًّا فى ربط القروى بمشاكل مجتمعه السياسية ، وغيرها أو ما يمكن أن نطلق عليه التكامل السياسى .

ويحاول كاتب هذا التقرير أن يفسر اهتمام القروى المصرى بالأخبار والصحف على أساس أن الصحف كانت تقدم له وقتئذ ما يجرى فى سوق القطن وآخر ما وصلت إليه الأسعار ، وهو يستشهد على ذلك بتفسير أحد القرويين لتفضيله الصحيفة حيث يقول « إن الصحف بمثابة وثائق ، فحينما يحضر التاجر لشراء قطن فإننى سوف أطلعه على السعر المدون بالجريدة حتى لا يخدعنى ويبخسنى الثمن » .

وينتهى كاتب التقرير من ذلك إلى أن وقع السوق وتأثيره قد اختزل حدود المحافظة أو المديرية التى يعيش فيها الفلاح المصرى وجعله يستشعر العالم فيما وراء قريته كما مكنه من تصور الوطن أو الأمة باعتبارها حقيقة واقعة فى حياته .

ومن هذا التقرير نستكشف الفرق الشاسع بين المشاركة فى الاتصال الجمعى فى القرية السيلانية وبينها هنا فى قرى الشرق الأوسط إلا أننا ينبغى

أن نأخذ نتائج هذا التقرير بكثير من الحذر وحيث يتضمن تصميم البحث عيبا رئيسيًّا يكمن فى طريقة اختيار العينة ، وحيث إنها لم تختر ممثلة لقطاعات عرضية من المجتمع تمثيلا صحيحاً بل روعى فيها أن تشمل أشخاصاً يتباينون من حيث التعليم والمكانة الاقتصادية ومحل الإقامة .

٤

وأجريت فى فترات لاحقة عدة بحوث تستكشف علاقة الاتصالات المختلفة بالتكامل السياسى والاجتماعى حيث قام « جوردون هيرابایاشی » Hirabayashi وفتح الله الخطيب باختيار خمس قرى فى شمالى مصر وتقع على بعد خمسين ميلا من العاصمة لكى تكون مجالا لقياس الاتصال والوعى السياسى عند القرويين ، ثم قاما باختيار عينة عشوائية من الدور أو البيوت على مرحلتين وصل بها عدد من طبق عليهم الاستبيان فى النهاية إلى ١٤٦ شخصاً من الذكور والإناث وتم إجراء العمل الميدانى فى شهرى أغسطس وسبتمبر من عام ١٩٥٦ .

وقد دعمت نتائج هذه الدراسة الغرض الذى مؤداه أنه بينما تلعب الاتصالات الجمعية دوراً مركزيًّا كمصدر أساسى للمعلومات فإن الوسائل المستخدمة استخداما أكثر تواتراً هى الاتصالات الشخصية التى تنبنى على علاقات المواجهة .

وبالنظر إلى العلاقات الوثيقة بين الشئون القومية والشئون المحلية لوحظ أن القرويين يهتمون بالشئون القومية كما يهتمون بالشئون المحلية أيضاً إلا أن هذه الدراسة قد كشفت ضعفاً فى الاهتمام بالقضايا العالمية وتبعاً لذلك فإن الغرض الذى يدور حول فقدان الوعى القومى والوعى العالمى فرض مردود عليه فى شقه الأول الخاص بالوعى القومى ولكنه فرض مقبول فيما يتعلق بالشئون العالمية والوعى بها .

ومن الدلائل التغيرية الهامة التى كشفت عنها هذه الدراسة أن القروى لم يعد مستغرقا فى شئون قريته فقط وإنما أصبح يشارك بدرجة واضحة فى المسائل القومية التى أصبحت — بدورها — تؤثر إلى حد كبير فى مجتمعه المحدود . ويعتقد الباحثان أن هذا الاتجاه إنما هو وليد للتغطية التى تقوم بها الاتصالات الجمعية فهى مصدر مباشر للمعلومات ثم إنها تثير بالتالى مناقشات وجدل حول الأخبار ، أى أنها تثير القنوات الاتصالية الشخصية وتقدم لها فرصة العمل . ولقد لاحظ الباحثان وجود ارتباط بين المشاركة السياسية والمستوى التعليمى[١] .

٥

وقام إبراهيم أبو لغد بدراسة تستهدف الإجابة عن الأسئلة التى تحاول استكشاف الدور الذى تلعبه الاتصالات المختلفة فى خلق التكامل السياسى وتحقيقه وتتلخص هذه الأسئلة فيما يلى :

١ — إلى أى حد نجحت الحكومة فى نقل الرسائل إلى الجمهور وعلى الأخص تلك النسبة الضخمة من الأميين ؟

٢ — أى عناصر الاتصال الجمعى أكثر فاعلية فى نقل الرسائل ؟ وإلى من ؟

٣ — ما هى طبيعة عملية الاتصال التى تحدث فى المجتمع القروى المصرى ؟

ولقد اختار الباحث ست قرى بمحافظة المنوفية تضم ١٤,٠٠٠ من السكان وحيث إن هذه القرى تشترى ١٤٦ صحيفة يومية بانتظام بالإضافة إلى ٩١ دورية أسبوعية وتحوز هذه القرى ١٣٥ جهاز راديو أى أن هناك صحيفة يومية بالنسبة لكل ٨٩ من السكان ذكورا وإناثا وأطفالا .

(١) G. Hirabayashi and F, El Kkatib "Communication and Political Awareness in The Villages of Egypt" P.O.Q. Vol. 22 No. 3, 1958 pp. 355-363.

وقرب نهاية شهر فبراير سنة ١٩٦١ أجرى المسح للست قرى هذه حتى يحصل الباحث على إجابة جزئية لهذه الأسئلة ولما كان الهدف من هذه الدراسة هو قياس الاستجابة لمثير الاتصال الجمعى فقد استغل الباحث حادثة هامة نسبيًا ، ولكنها ليست حادثة إقليمية ، ففى ٢٦ من فبراير أعلن راديو القاهرة فى إذاعته التى أرسلها فى الساعة العاشرة وفاة الملك محمد الخامس وهو خبر رددته الصحف صباح اليوم التالى « ولقد كان المصريون يحترمون هذا الرجل باعتباره قائداً عربيًا له مكانة خاصة كما كانت وسائل الاتصال الجمعى تعامله أيضاً بنفس الاحترام ، وقبل وفاته بعام كان قد قام بزيارة لمصر صوحبت بحملة إعلامية ضخمة مكتوبة ومصورة إلا أن وفاته لم تكن تمثل اهتماما حيويًا بالنسبة للمصريين » .

وباختيار هذا الموضوع افترض الباحث أن هذا الخبر إذا أخذ طريقه إلى الانتشار الواسع فى المناطق الريفية فإن غيره من الأخبار الهامة التى تؤثر فى حياة القرويين المصريين سوف تكون معروفة ومفهومة فهما جيدا .

وفى يوم ٢٧ فبراير قام فريق مكون من عشرة باحثين مدربين ومعتادين على القرى موضوع الدراسة وعلى صلة بسكانها باستبار عينة عشوائية مكونة من ٣٠٠ رب أسرة مستخدمين فى ذلك استبيانا كان قد أعد سلفا فيما عدا ما يتصل بوفاة الملك محمد الخامس ، حيث أضيف فى المساء السابق على هذا اليوم . ولقد قام التحليل على أساس الاستبيانات الدقيقة والتى بلغ عددها ٢٧٢ استبيانا أما البيانات فكانت قد جمعت خلال ست وثلاثين ساعة لاحقة على الخبر :

نتائج الدراسة :

كشفت البيانات أن هناك نسبة عالية جدًا يعرفون محمد الخامس ومن هو ، وماذا يشغل ، والدولة التى كان يحكمها ويعرفون زيارته لمصر وبلغت هذه النسبة ٦٢ ٪ وهى نسبة عالية أعلى مما توقع الباحث — واضعا فى اعتباره

أن مجال الدراسة مجال قروى ويضم نسبة عالية من الأميين بالإضافة إلى أن هذه الحادثة غير ذات دلالة بالنسبة لهم . ولقد أوحى ذلك للباحث بأن وسائل الاتصال الجمعى — بوجه عام — كانت ناجحة تماماً فى نقل الأخبار كما استرحى أيضا أن القرويين يطورون اهتمامهم بأحداث عالمية تستشرف الأحداث المحلية ولقد ذكر ٣١٪ فقط من العينة الكلية ، أو نصف الذين سمعوا بالخبر خلال اليوم التالى لإذاعته أنهم سمعوا به عن طريق الراديو .

ولقد لوحظ أن الأفراد الذين أحاطوا علما بوفاة الملك محمد الخامس يختلفون اختلافا دالاً عن أولئك الذين لم يسمعوا بالنبأ وفقاً لوجوه عديدة ، وقبل اختبار هذه الفروق يحلل الباحث نماذج مستقبلى الاتصال الجمعى أو عملائه على النحو التالى :

١ — النموذج الأول ينتمى — أكثر — إلى القطاع الحضرى — المتفتح على العالم — نسبياً من المجتمع المصرى وذلك تبعاً للتعليم والوظيفة والإطار الثقافى العام ، ويتكون هذا النموذج من موظفى الحكومة وممثليها وهم أفراد لا ينتمون بالضرورة إلى القطاع الريفى إنما عينوا بالقرية لإدارة المدارس أو جمع الضرائب أو الإشراف على الصحة العامة فهم باختصار يمثلون قطاعا من منفذى البرامج القومية ويعرفهم الباحث بأنهم متعلمين وهم يتصلون بالمجتمع الخارجى بالنسبة للقرية بحكم مهمهم وهم متمايزون — اجتماعياً — عن القرويين فى جميع الجوانب الهامة .

٢ — النموذج الثانى يتكون من مجتمع القرية نفسه مع ما يتميز به من تمايز اقتصادى اجتماعى محدود قائم على أساس الملكية الخاصة .

٣ — النموذج الثالث يمثل القرويين الذين يعيشون فى بحبوحة من العيش وهم أولئك الذين يتمتعون بملكية واسعة أو أعمال معينة وبالتالى فهم يمتلكون وسائل السفر خارج القرية وهم فى حاجة إلى هذا السفر مما يميزهم بتوجيه أكثر اتساعا .

ولقد أقام الباحث تفرقة بين الجماعة التى علمت بالنبأ وبين التى لم تعلم به وفقاً للسن والتعليم والمهنة والنوع ولقد لاحظ باختصار أن الشخص الذى يتابع الأحداث ويعرفها فى الريف المصرى وبخاصة الأحداث ذات الطابع غير المحلى هو شخص ذكر ، متعلم ، وغير زراعى ، ومنعزل عن الحياة الاجتماعية لمجتمع القرية ويتفاعل فى نطاق الأدوار المحددة والمرتبطة بالمركز الوظيفى ويعمل عادة فى إطار من العداء والشك الموروثين من الماضى .

أما مصادر السماع عن النبأ والتى استخدمها ٨٥ شخصاً سمعوا به فكانت النسبة المئوية لتمثيلها كما يلى :

(١) ٤٤ ٪ منهم سمعوا عن طريق الإذاعة .

(٢) ٢١ ٪ قرأوا الخبر فى الصحف .

(٣) ٣٥ ٪ عرفوا بالنبأ بواسطة جار أو قريب أو صديق

ويوضح الباحث أن المصدر الأخير فى غاية من الأهمية وهو يوضح مجرى الاتصال ذا الخطوتين ودوره فى نشر تأثير الاتصال الجمعى فيما وراء جمهورها الأساسى أو الحقيقى .

ولقد ظهرت للباحث حقيقة هامة تشير إلى أن هناك جمهوراً متخصصاً — إلى حد كبير فى قراءة الصحف . وبغض النظر عن نسبة التعليم الغالبة بين الجماعات التى علمت بالنبأ لاحظ الباحث أن هذه القدرة — التعليم — لاتقود بالضرورة إلى الحصول على المعلومات من المصادر المكتوبة فلقد وجد أن ١٨٪ فقط من ٥٧٪ متعلمين ، وعلموا بالنبأ . قد تلقوا معلوماتهم من الصحف ، وكان كل هؤلاء — فيما عدا اثنين — من الموظفين الحكوميين . أى أن هناك عضوين فقط من أعضاء المجتمع الحقيقيين قد تلقوا النبأ عن طريق الصحف .

وينتهى الباحث من هذه البيانات إلى أنه ليس هناك مجال للشك فى أن الأشخاص الخارجيين بالنسبة للمجتمع الحقيقى — وهم هنا الموظفون الحكوميون — هم جمهور الصحف فى القرية ، وهم ليسوا متعلمين بوجه عام فقط وإنما هم متعلمون تعليما كافياً يجعل من قراءة الصحف عملية سهلة بالنسبة لهم ، وبالفعل فإن توجيههم الخارجى أى نحو المجتمع الخارجى مرده إلى عزلتهم الاجتماعية الحقيقية عن القرية مما يدفعهم إلى الاتصال بالرابطة الوحيدة بينهم وبين العالم الخارجى وهى الصحيفة وهنا يلاحظ الباحث أنهم لا يميلون إلى اختيار موضوعات فى الصحف تتفق واهتماماتهم وإنما هم يقرأون الصحيفة من الغلاف إلى الغلاف ودون أى تمييز بين موضوعاتها . بينما وجد الأعضاء الحقيقيون فى مجتمع القرية سواء كانوا متعلمين أم غير ذلك يمثلون — أساساً — جمهور الراديو ، ولقد تبين له أن ذلك صحيح حتى بالنسبة للتجار وحيث تبين أن اثنين فقط من التجار الذين عرفوا بالنبأ يقرأون الصحف بينما الستة الباقون يستمعون إلى الراديو .

ويوضح الباحث كيف أن دكان التاجر — الذى به جهاز راديو عادة — يمثل مركزاً لتناقل الأخبار وتبادل التسلية والثرثرات وبينما الموظفون أسراء للصحف يلاحظ الباحث أن التاجر وزواره وعملاءه يتعرضون بالتساوى — وبطريقة غير متمايزة — إلى الراديو ، وحيث تخلق هذه اللقاءات على ما يقول الباحث ثرثرة ومناقشة حول إطار المناشط اليومية لا تنقطع إلا فى أوقات الصلاة والنوم . ويلعب التاجر دوراً هاما فى نقل الأخبار فبحكم مهنته أو وظيفته الاقتصادية وعدم الاحترام النسبى الموجه إليها يجب أن يلتقط الأخبار وينقلها وبخاصة تلك التى تمكنه من أن يظهر بمظهر المتعلم والعالم ببواطن الأمور .

وبينما يبدى الفلاح ميلا قليلا إلى الإحاطة بالأخبار ذات الطابع غير المحلى إلا أنه أكثر إحاطة وعلماً بالشائعات والثرثرات المحلية وبالبرامج الحكومية ذات الصلة الآنية به شخصياً ، ولأن الصحف تتطلب وتعنى متابعة إيجابية للمعرفة فهى لا تلعب دوراً حقيقياً فى حياته فلم يجد الباحث

أيًّا من الفلاحين أو الجماعات الأخرى — قد علم بالنبأ من الصحف ، ووجد أن الراديو وهو الوسيلة التى يراها سلبية نسبيًّا مسئول عن معرفة نصف الفلاحين ونسبة ضئيلة من الجماعات الأخرى .

وحينما لا تأتى المعرفة من الراديو فإنها تأتى من مصدر « أكثر سلبية » ويقصد الباحث به الاتصال الشفاهى حيث وجد أن ١٨ من ٤٥ فلاحاً و ١١ من ١٣ من الآخرين يعرفون الأخبار من أشخاص آخرين فى القرية .

ولقد حاول الباحث أن يفحص العملية التى يحدث النقل الشفاهى وفقاً لها وأجرى ذلك الفحص من خلال مقارنة أفراد العينة الذين يعلمون والذين نقلوا معلوماتهم إلى الآخرين وبين الأفراد الذين يعلمون أيضاً ولكنهم لم ينقلوا معلوماتهم إلى الآخرين .

وتشير البيانات إلى أن مصادر المعلومات المتمثلة فى الراديو والصحف والاتصال الشفاهى هى العامل الأكثر أهمية فى تحديد ما إذا كان الشخص المحاط علماً إحاطة جيدة سوف ينقل معلوماته للآخرين أم لا . فلقد تبين أن أربعة أخماس الذين سمعوا النبأ من الراديو قد نقلوا معلوماتهم إلى الآخرين ، ووجد أن واحداً من اثنين فقط من العينة الصغيرة التى قرأت النبأ فى الصحف هو الذى نقل الخبر إلى الآخرين ، أما الأقل فعالية ، فهم أولئك الأشخاص الذين حصلوا على معلوماتهم عن طريق الاتصال الشفاهى ، ولم تكن المهنة أو التعليم بعوامل دالة فى التمييز ، إلا أن النوع كان يرتبط ارتباطاً محدوداً بالنقل .

وبينما كان مصدر المعلومات مهمًّا جدا بالنسبة للفلاحين فإنه كان غير ذى أهمية بالنسبة للموظفين الحكوميين والتجار ، فالتجار بصرف النظر عن المصدر ميالون إلى نقل المعلومات بينما الموظفون الحكوميون — بصرف النظر عن المصدر أيضاً — أقل فعالية فى نشر المعلومات .

وينتهى الباحث إن أن شبكة الاتصال فى القرية تعمل داخل مجتمع القرية الأصلى أو الحقيقى ، وبينما تعرف المعلومات عن طريق أولئك الأشخاص

الأكثر إحاطة فى هذا المجتمع ، فإن هؤلاء الآخرين يعملون كرابطة وحلقة وصل بين المجتمع الخارجى ، وبين أعضاء المجتمع الأقل إحاطة .

وينقل الراديو — إلى حد كبير — العالم الخارجى إلى مجتمع القرية بينما لا تنقل الصحافة — فى الغالب — هذا العالم ومن ثم فإن أعضاء المجتمع الحقيقيين يستقبلون الأخبار عن طريق الراديو ولأنهم يستقبلونها من هذا المصدر الذى يتميز باحترام خاص ، فإنهم ينقلونها إلى الآخرين عن طريق الاتصال الشفاهى . أما أولئك الذين يظهرون سلبية فى استقبال المعلومات فإنهم يتميزون بأنهم أقل اهتماماً بالأحداث كما يحتلون مراكز منخفضة فى بناء القوة Power Structure فى القرية وهم لذلك آخر من يستقبل المعلومات أو المستقبلون النهائيون للمعلومات .

وهناك حلقة ثانية للمعلومات تتسرب — عن طريقها الأخبار إلى مجتمع القرية ، وهى الصحف ، ولكن بالنسبة لعينة فرعية من القراء فقط الذين هم فى الغالب من الموظفين الحكوميين إلا أنهم لا يلعبون دوراً هاماً فى نشر المعلومات فى القرية حيث إنهم منعزلون عن مجتمعها[١] .

وتوضح هذه الدراسة عدة مسائل هامة يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ — الدور الكبير للراديو فى حياة القرية المصرية .

٢ — القرية المصرية أصبحت مفتوحة على العالم الخارجى بفضل الاتصال الجمعى .

٣ — إمكانية تطبيق مجرى الاتصال ذى الخطوتين فى بناء الاتصال فى القرية المصرية .

---

(١) Ibrahim Abu-Lughod "The Mass Media and The Egyptian Village Life" Social forces, Vol. 42 No. 1 (October 1963) pp. 97-104.

٦

هذا وقد أجرى « جوردون هيرابایاش » ، وفتح الله الخطيب دراسة تستهدف فحص الوعى الاجتماعى وعلاقته بوسائل الاتصال فى ست قرى مصرية تقع فى نطاق مركزى الباجور ومنوف ، ولقد حدد الباحثان هذا المجال باعتباره المجال الأساسى الذى يجرى فيه مركز تنمية المجتمع بالعالم العربى بسرس الليان دراساته ، وحيث توفر لهما مساعدات قيمة من قبل المسئولين بهذا المركز . ثم قام الباحثون الميدانيون بإعداد قوائم عن أرباب الأسر فى كل قرية من القرى الست ، ومن هـــذه القوائم القبلية قاما باختيار عينة عشوائية من أرباب الأسر وصلت إلى ٥٠٪ ولقد كان الجزء الأول من صحيفة الإستبيان يتعلق بجمع بيانات أولية عن أرباب الأسر من حيث عدد أفراد الأسرة ومهنهم ومستواهم التعليمى وحالتهم الزواجية . . إلخ وعلى أساس هذه المعلومات قام الباحثان باختيار عينة المرحلة الثانية من العمل حيث قاما باختيار عينة عشوائية من الزوجات تصل نسبتها إلى ٥٠٪ ، و ٥٠٪ من باقى أفراد الأسرة الذين تزيد أعمارهم على خمسة عشر عاماً .

وظهر من البحث أن القرويين محافظون — أساساً — ويتميزون بميل قوى للإبقاء على الأوضاع كما هى . ولقد كان من الملاحظ فى هذه الدراسة أن المتعلمين أقل ميلا إلى المحافظة من الأميين وأكثر ميلا إلى تقبل الأفكار والأساليب الحديثة ، كما لوحظ أيضاً أن قراء الصحف ومستمعى الراديو يعكسون — أيضاً — رغبة أقوى فى وضع الأشياء الجديدة والبديلة عن الأشياء التقليدية موضع الاعتبار[١] .

(١) G, Hirabayushi and F, El Khatib "Social Consciousness and Means of Communicaton" Review of Economics, Politics and Business Studies, Cairo Univ, vol. 5 N°,4 1957 pp, 13-20,

ولاحظ الباحثان أن التعليم ينتشر فى القرى ولذلك فهما يتوقعان تزايد دور الصحف والمجلات وتزايد أجهزة الراديو وساعات الاستماع إليه والاستمتاع به ، وهما يعتقدان أن ذلك يرتبط بالميل المتزايد نحو التعليم الذى يؤدى بدوره إلى تغيير القيم والاتجاهات القروية .

ويلاحظ الباحثان أن بياناتهما تعكس نوعاً من التناقض كالحالة التى يفضل القروى فيها الميكنة والأساليب الزراعية التقليدية فى نفس الوقت إلا أنهما لا يعتقدان أن ذلك يمثل تناقضاً فى الواقع ، وإنما يرجعان ذلك إلى مشاكل جدية خاصة بالبحث وتنفيذه وهى تتعلق بأن القرويين قد يعكسون اتجاهاً تقدمياً — بالقول فقط — بينما يمارسون اتجاهات محافظة وتقليدية — بالفعل — وحيث تصبح عملية اكتشاف الدافعية الحقيقية التى توجه السلوك وتقيمه مهمة من مهام البحث الاجتماعى التى يجب أن يحققها .

وها نحن هنا أيضاً نواجه بالربط بين الميل إلى التجديد وبين الاتصال بوسائل الاتصال الجمعى عموماً إلا أن أهم ما تكشف عنه هذه الدراسة هو ذلك التناقض الموجود بين مايقوله القرويون وما يفعلونه وحيث تظهر الحاجة إلى سبر أغوار الاتجاهات الحقيقية .

٧

وينبه لويس كامل مليكة فى دراسته لبناء الاتصال فى قرية عربية إلى هذه النقطة حيث يقول « ومن المعروف أن تغير الاتجاهات نحو الأساليب المتبعة منذ آلاف السنين فى حياة القروى وفى عمله أمر يستغرق وقتاً طويلا لأنه يقتضى إعادة تعلم وخروجاً عن المألوف من المعايير ، ومن المحتمل أن يكون التعبير الظاهرى عن تأييد الفكرة من جانب نسبة كبيرة من الأفراد مجرد تعبير لفظى (أو استجابة اجتماعية) تتفق مع توقعات القائم

بالمقابلة دون أن يعنى اقتناعاً أصلياً بالفكرة[١] . كما ينبه العاملين فى تنمية المجتمع — فى ضوء النتائج التى توصل إليها إلى أمرين هامين يتلخص الأمر الأول فى ضرورة التعرف على آراء الأشخـــاص بالأسلوب العلمى واتجاهاتهم فيما يتصل بالموضوعات التى يدعون إليها والعوامل المرتبطة بتقبل الفكرة أو رفضها أو التردد فى تنفيذها وخصائص المتقبلين لها والإمكانيات المتوافرة لتنفيذها وكذلك مراحل تقبل المشروع أو تبنى الفكرة .

أما الأمر الثانى ، والذى أظهرته النتائج فيتمثل فى تخلف الفعل عن الفكرة ، أو تردد الفرد فى وضع الفكرة موضع التنفيذ ، برغم تعبيره اللفظى عن تأييدها . ومن العوامل التى تؤثر فى درجة تبنى القروى لموضوع جديد ، أو أسلوب حديث فهمه لمضمون الاتصال أو مادته ومنها نظرته إليها على أنها تتصل بأمور زراعته هو ، وبناء على هذا الفهم يتوقف تقرير ما إذا كان يتبنى الجديد أو يرفضه « ومن المسلم به أن هذا التحليل يهمل الكثير من الجوانب الفنية لنظرية الاتصال كمقدار المعلومات المنقولة والتحريف فيها ومشكلات تبسيط المعلومات العلمية بصورة يستطيع القروى استيعابها وفهمها كما أننا لن نتعرض لمتغير هام وهو مقومات شخصية القروى من حيث مستوى ذكائه والسمات الهامة مثل المثابرة والمخاطرة ونمط الدوافع . ... إلخ . ومن الواضح أن هـــذه المتغيرات ترتبط بدرجة فهم القروى للأساليب العلمية الحديثة»[٢] .

ومن العوامل الأخرى التى تحول القول إلى فعل والتى حللها الدكتور اويس كامل مليكة مسألة الانتماءات الجماعية للقروى هل تعكس جماعات القروى اتجاهاً متقبلا للتجديدات ؟ أم غير ذلك بالإضافة إلى درجة التمدن ومستوى التعليم والعمل فى غير المجالات الزراعية والحياة خارج

---

(١) لويس كامل مليكة « بناء الاتصال فى قرية عربية » فى لويس كامل مليكة ، (إعداد وتقديم) قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، ١٩٦٥ ص ٤٩١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٩٢ — ٤٩٣ .

القرية فضلا عن العوامل الفردية مثل السن والمستوى الصحى والقدرات وتعاون أفراد العائلة ومن ذلك أيضاً درجة وضوح الموقف وتحديده[١] .

وانتهى الدكتور لويس كامل مليكة من دراسته إلى أن القرويين فى القرية التى درسها يلمون إلى درجة مناسبة بما سئلوا عنه من أمور يفترض إلمام القروى بها ؛ وإلى أن درجة معلومات الفرد ترتبط بدرجة اتصاله بمصادر المعلومات إلا أن الإحاطة بفكرة جديدة أو موضوع جديد لا يعنى العمل وفقاً لهذا الموضوع الجديد لأن الميل إلى التجديد يرتبط بعوامل نفسية واجتماعية بالإضافة إلى العوامل الموقفية .

٨

وقد وصف أصغر فتحى Asghar Fathi حالة من التمسك بالقديم ومقاومة التغير الموجه فى مجتمع قروى من المجتمعات المتخلفة وفى هذا التقرير نجده يميز بين « قيادة الرأى والقيادة التقليدية » ودورهما فى عملية التغيير الموجه كما يحاول أن يوضح أن كل نوع من نوعى القيادة المذكورين سلفاً مناسب لموقف معين .

وبذل الباحث فى هذه الدراسة جهداً ليوضح العلاقة بين مطابقة التجديد أو عدم مطابقته واتفاقه مع القيم الموجودة فى المجتمع المحلى أو اختلافه معها كما بذل جهداً أيضاً لتوضيح الطريقة التى يصل الفرد — بمقتضاها — إلى اتخاذ قرار يتبنى هذا الموضوع الجديد فى مجتمع غير أوربى وغير مسيحى .

ووجه الباحث اهتماماً رئيسيًّا إلى الميكانزمات المتضمنة فى عملية التقبل الذاتى للتجديدات فى مجتمع غير متقدم ، والسياق البعيد المدى لإدخال سمة ثقافية أجنبية إلى مثل هذا المجتمع ليس موضع مناقشة فى هذه الدراسة . أما

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .

الاتجاه الذى استخدمه الباحث فى دراسته فهو ببساطة تحليل لحالة أو وصف لها . أما مجال الدراسة فهو مجتمع يقع فى إقليم من إقاليم الشرق الأوسط ، وحيث كان للقسم الصحى بالنقطة الرابعة الأمريكية سياسة مؤداها البدء بمشروعات جديدة عن طريق عرض أفلام سينمائية على أبناء المجتمع المحلى .

وقد ووجه المشروع فى قرية واحدة بمصاعب فى بدء تنفيذه وبالتعاون مع رئيس القرية الذى كان قد تلقى تعليمات من رؤسائه بأن يعمل على تسهيل التنفيذ ، أمكن لوحدة اتصالية سمعية بصرية تابعة للنقطة الرابعة أن تبدأ برنامج عرض الأفلام . وبعد أن بدأ العرض قذف الفنيون بالحجارة فكان عليهم أن يتوقفوا فوراً ويغادروا القرية .

وبعد مضى أشهر قليلة أرسل قسم تنمية المجتمع بالنقطة الرابعة أحد رجاله إلى تلك القرية التى تضم بين سبعين وثمانين أسرة لكى يعيد افتتاح مشروعات التنمية وحدث أن توقف هذا الرجل عند مقهى القرية حيث اختلط بالناس وتعرف عليهم وأصبح بالتدريج موظفاً معروفاً لديهم كمتخصص من قبل الحكومة فى تعليم الكبار . وفى يوم من الأيام لفت انتباه هذا الرجل وجود مناشط قروية منظمة لشغل وقت الفراغ فى المقهى ، وحيث كان واحداً أو اثنين من أنصاف المتعلمين يقرأ بعض الصحف القديمة بينما ينصت الباقون إليه . ولقد التقط هذا الموظف طرف الخيط من ملاحظته هذه حيث قرر — كخطوة أولى نحو إعادة افتتاح مشروعات التنمية فى المجتمع — أن يكون طبقة متعلمة ، وفى خلال أسبوع عبر عدد من الرجال عن رغبتهم فى المشاركة فى مثل هذا المشروع ، وبالفعل حدث أن ثلاثة من أنصاف المتعلمين أظهروا أكبر الاهتمام وشجعوا الآخرين على أن يلتحقوا بهذا المشروع .

وقد حمل أحدهم — ويحتل مكانة اقتصادية فوق المتوسط ويعمل مزارعاً بعض الوقت — حمل المشروع على عاتقه .

وحينما وصل عدد التلاميذ إلى عشرين تتراوح أعمارهم بين الصغر والكبر ، تم الاتفاق بين قسم تنمية المجتمع ومكتب تعليم الكبار على إيفاد مدرس إلى القرية ليلتين أسبوعياً .

أما الحضور إلى فصول محو الأمية فلم يكن منتظماً إلا أنه انتظم بعد ذلك حينما اختير مكان أفضل للفصل وأخذ التلاميذ على عاتقهم مهمة شراء مقاعد لهم .

ولما كان المدرس يعرف الميول الدينية العميقة لدى القرويين فقد تعمد أن يعرض أفلاماً دينية فى المناسبات الدينية .

وهنا نلاحظ العلاقة بين موافقة التجديد أو عدم موافقته لقيم المجتمع المحلى وبين تقبل هذا التجديد والوصول إلى قرار بشأنه .

وبالنظر إلى التجديدات غير الموافقة تكون شرعية Legitimazation التجديد ممثلة لأكبر العقبات التى تقف دون عملية التغير الموجه .

وهناك ثلاثة جوانب مستقلة ، قررتها هذه الدراسة وتدعم الفرض الذى مؤداه أن الحصول على موافقة القائد التقليدى — وهو الشخص الذى تنبنى قوته ونفوذه ليس فقط على المركز الوظيفى الرسمى أو على خصائصه الشخصية ولكن على مكانته التقليدية داخل المجتمع ، ويرجح الباحث أن الحصول على موافقة مثل هذا التخصص إنما يعنى أننا قد وصلنا إلى إحدى الطرق التى تمكن من التغلب على المقـــاومة الشعبية للتغير فى بعض المجتمعات المتخلفة على الأقل[١] .

---

(١) Asghar fathi "Leadership and Resistance to Change : A Case From Und-erdeveloped Area" R.S. Vol. 60 No. 2 (June 1965) pp. 204-212.

٩

وفى مجال برامج التغير الموجه قام مايرستايكوس M. Stycos بدراسة عن دور الاتصال الشخصى المتمثل فى قيادة الرأى ، فى برنامج لتنظيم الأسرة فى قرية تركية ، وتتميز هذه الدراسة بأنها دراسة متعمقة فى الرأى العام الذى هو هنا استجابة القرويين الأتراك لبرنامج حكومى عن تنظيم الأسرة وتهدف هذه الدراسة إلى فحص اتجاهات الناس نحو تنظيم الأسرة ، كما تهدف أيضاً إلى التعرف على دور قادة الرأى الذين هم هنا العمد والأئمة إزاء هذا الموضوع بالإضافة إلى قياس الفوارق فى الاستجابات بين الريف والحضر .

وكان من المتوقع أن يكون القرويون أكثر محافظة من الحضريين كما كان من المتوقع أيضاً أن يكون الذكور أكثر محافظة من الإناث .

ولأن تركيا إقليم يمثل الريف فيه أكثر من ثلثيه من ناحية عدد السكان كما أن سلطة الرجل فى الأسرة القروية لا يمكن أن تناقش فإن الباحث قد أدرك أن الدراسة يجب أن تخطط بطريقة تمكن من اختبار الفروق من حيث محل الإقامة والنوع .

ويتميز البحث بالملامح التالية :

١ — استبار جميع الأزواج والزوجات على أساس اختيار عينة من البيوت وذلك وفق مدى عمرى يتراوح بين عشرين وخمس وأربعين عاماً ووصل مجموع الحالات إلى ٢٧٤٤ زوجة ، ٢٣٧٣ زوجاً .

٢ — تصنيف العينة وفقاً للمجتمع المحلى فلقد أجرى هذا البحث فى ٢٤٠ قرية أقل من ٢٠٠٠ نسمة) ، و ٤٦ بلدة (من ٢٠٠٠ — ١٥٫٠٠٠ (نسمة) ، و٢١ مدينة صغرى (١٥٫٠٠٠ فأكثر) وثلاث مدن كبرى (أنقرة وأزمير واسطنبول) .

٣ ــ اختيار القادة السياسيين (العمد) والقادة الروحيين (الأئمة) من كل قرية وذلك وفقاً لكونهم ملائمين لتطبيق الاستبيان وكان ناتج هذه العينة القيادية ١٦٨ عمدة و ١٣٨ إماماً .

الاتجاهات العامة نحو السكان وتخطيط الأسرة :

بالنظر إلى الفروق من حيث النوع والإقامة أمكن استخلاص النتائج التالية :

١ ــ نسبة كبيرة من المبحوثين من كلا النوعين ومن جميع الأقاليم يرغبون فى الحصول على معلومات حول ضبط النسل ويرغبون فى أن تقدم الحكومة برنامجاً عن ذلك .

٢ ــ نسبة كبيرة من المبحوثين من كلا النوعين ومن جميع الأقاليم يعتقدون أن أربعة أطفال عدد كبير جداً بالنسبة للأسرة المتوسطة فيما عدا القرويين حيث لا ينبغى ــ فى رأيهم ــ ألا يزيد عدد أبنائهم على ثلاثة .

٣ ــ كانت الفروق بين القرويين وغيرهم وبالنسبة لمعظم البنود واضحة وملحوظة فلقد لوحظ أن القرويين أكثر تمسكا بالاتجاهات المحافظة والقيم التقليدية إلا أن الفروق بين سكان البلدان وسكان المدن الصغيرة كانت فروقاً غير دالة وكانت الثلاث مناطق الحضرية غير متميزة فى بنود معينة وبخاصة بالنسبة للإناث .

٤ ــ كانت الفروق بين النوعين ضئيلة بوجه عام ولكن الفروق الملحوظة الاتساق كانت تتمثل فى اتجاه المحافظة لدى الذكور وبالنظر إلى الاتجاهات نحو تنظيم الأسرة كانت الفوارق بين النوعين ملحوظة فى القرى . ويلاحظ الباحث أن هذه الفروق ذات دلالة لأسباب مختلفة وبخاصة لما يتعلق بوضع برامج تخطيطية أو سياسية ثم إنها تكشف عن أساس دافعى لإمكانية تصميم برنامج ولقد لاحظ الباحث أن أغلبية الناس لديهم أطفال أكثر من

العدد المثالى فى نظرهم كما لاحـــظ أيضاً درجة عالية من التردد إزاء استخدام وسائل منع الحمل .

ولا يعتقد الباحث هنا — ووفقاً لنتائجه — أن قضية تنظيم الأسرة تمثل رأيا عامًّا بالنسبة للأتراك وحيث إن الحكومة لم تهتم بوضع هذه القضية موضع الرأى العام كما أن نسبة كبيرة من المبحوثين يعتقدون أنها تمثل رأياً فرديًّا خالصاً إلا أن ذلك دفع الباحث لمحاولة فحص الرأى الكامن . Latent Opinion.

ولأن الباحث يعتقد أن نمط الاتصال الشخصى أو الشفاهى هو النمط الفعال فى المناطق الريفية وأن الكلمة التى تقال فى مواقف مواجهة تلعب دوراً كبيراً فإنه لم يجد مفرًّا من دراسة قادة الرأى الذين يمثلهم العمد والأئمة . والعمدة هو الرئيس الرسمى للقرية وهو عادة ما ينتخب ومن المعروف أنه أقرب إلى الناس من أى شخص آخر ويمكنه الاتصال بهم بسهولة أما الإمام فهو الرئيس الروحى للقرية وعادة ما ينتخب أيضا وغالباً ما يحقق مكانة اجتماعية مرموقة نتيجة لدوره الدينى .

ويفحص الباحث مدى تشابه العمدة والإمام مع بقية السكان فى المجتمع من حيث الخصائص الاجتماعية والديمجرافية ولقد اتضح أن هذه الفئة (العمد والأئمة) يختلفون اختلافاً واضحاً من حيث السن فقط إلا أن ذلك قد يرجع إلى تصميم العينة التى حددت سنًّا معينة لأفرادها .

وقد تبين أن ٦٠ ٪ من العمد يتركزون فى الفئة العمرية من أوائل الثلاثينات حتى التاسعة والأربعين دون أن يكون هناك شخص واحد أقل من ذلك كما لوحظ أن العمد يختلفون اختلافاً طفيفاً من حيث المستوى التعليمى عن باقى الذكور فى القرية . وحيث تبين أن نصفهم تقريباً لم يلتحقوا بمدارس بينما ثلاثة أرباع الأئمة قد تلقوا تعليما مدرسيًّا ولكن هذا التفوق التعليمى لا ينعكس على إدراكهم لموقفهم الاقتصادى الذى يشابه المستوى العام لسكان القرية وإن كان أقل قليلا من مستوى العمدة .

واتضح أن جميع العمد والأئمة يقأون الصف أكثر من غيرهم من أبناء القرية كما أنهم يستمعون إلى الراديو أكثر من غيرهم أيضاً إلا أن المسح قد كشف عن أن الأئمة أقل تردداً على السينما من غيرهم ويرجع الباحث ذلك إلى أسباب دينية .

وبعد ذلك يحاول الباحث أن يختار بعض البنود التى حددها لتعكس السمة التقليدية العامة General Tradionalism أو Conservation وذلك حول قيمة التعليم واشتغال المرأة والحراك الجغرافى .

ولقد لوحظ أن القادة السياسين للقرية لا يتميزون عن بقية الذكور العاديين بينما يختلف القادة الدينيون اختلافاً طفيفاً ويسوق الباحث نتيجة من مسح التنمية الريفية تصلح هنا مؤدّاها أن « العمد طائفة من نفس الطبقة وهم يتميزون بنفس الخصائص التى تميز المجموع العام للذكور القرويين ولكنهم أكثر نجاحاً بينما يعكس الأئمة عدداً من الخصاص تختلف اختلافاً كبيراً عن المعيار القروى النموذجى » .

النتائج العامة :

بصرف النظر عن الاتجاهات الكامنة التى تميز الأتراك نحو حجم الأسرة وتنظيمها فلقد لوحظ أن ثلثى الأتراك فى المناطق السكنية المختلفة يطلبون معلومات حول هذا الموضوع وبخاصة فى المناطق القروية فهم لا يحتاجون فقط إلى معلومات وإنما إلى مناقشات حول تنظيم الأسرة حتى يتمكن الباحث من تحديد آرائهم واتجاهاتهم نحو هذا الموضوع .

و بالنظر إلى هذا الموقف و بالنظر إلى البناء الاجتماعى للقرية يقول الباحث بأن إمكانية الاقتراب الفيزيقى والاتصال السيكلوجى بالنسبة لقادة القرية إنما يعد فى غاية من الأهمية من حيث هو يحدد دورهم فى عملية التغير .

وبينما حدد الباحث نموذجين قبليين من نماذج القادة الأساسيين وهما العمدة والإمام إلا أنه يوصى بتركيز الاهتمام على القادة السياسيين وهم العمد

وذلك لأسباب متعددة؛ أولا أن العمد سواء كانوا كباراً فى السن أم صغارا أكثر ترحيباً بالنسبة لفكرة تنظيم الأسرة وتخطيطها وأكثر ميلا إلى أن تقدم الحكومة برامج تعليمية حول هذا الموضوع . أما السبب الثانى فهو يتمثل فى أنهم أقوى سلطة أو أكبر سلطة أو أكبر قوة ، وأرفع مكانة اجتماعية وأكثر اتصالا بالقرويين .

ويعتقد الباحث أن نتائجه تتفق مع ما وصل إليه مسح التنمية الريفية حيث وصل إلى أن القادة السياسيين يلعبون دوراً مركزيًّا بين القرية والعالم الخارجى فهم أكثر انفتاحاً على العالم كما أنهم يلعبون دوراً مركزيًّا أيضاً فى بناء الاتصال الداخلى فى القرية فهم أكثر محلية Localite كما أنهم أكثر استجابة للاتجاه العصرى أو التحضرى ويقترح هذا المسح إعادة تعليم هؤلاء القادة السياسيين حتى يتمكنو من لعب دورهم فى التنمية السريعة للمجتمع الريفى .

أما السبب الثالث لتركيز الباحث على القادة السياسيين فإنه يتضمن ما يلى:

١ — العمدة أكثر اتصالا بوسائل الاتصال الجمعى المكتوبة (الصحف) .

٢ — وهو أكثر استماعاً للإرسال الإذاعى .

٣ — كما أنه عادة ما يمتلك جهاز راديو .

ولذلك فمن المتوقع أن يكون على صلة أكبر بفكرة تخطيط الأسرة .

ويعتقد الباحث أنه إذا كانت هناك أقلية تستمع إلى الراديو (من القرويين) فإنهم يظهرون استعداداً للتعاطف مع فكرة تنظيم الأسرة أو تخطيطها إذا ما قارنوا بالمتوسط .

وينتهى الباحث إلى أن هؤلاء القادة السياسيين يتميزون بمجموعة من الخصائص مشابهة لتلك التى تميز المؤثرين الفاعلين فى القرية أو قادة الرأى .

ولكن ماذا عن القادة الدينيين ؟ يعتقد الباحث أن هؤلاء يجب تركهم وإهمالهم جانباً فلقد لاحظ أن نسبة ضخمة منهم يتميزون بالاتجاه المحافظ كما تلقوا تعليمهم فى ظروف محافظة (قبل البرنامج العصرى لأتاتورك).

بل إنه يرى فيهم أكثر عناصر المجتمع محافظة فيما يتعلق بموضوع تنظيم الأسرة وتخطيطها[١] .

ويتضح من هذه الدراسة مدى التركيز والاهتمام اللذان يوجههما الباحث للاتصال الشخصى اعتقاداً منه فى أهميته فيما يتعلق بتقبل برامج التغيير .

١٠

وبينما يربط « ما يرستايكوس » هنا بين الاتصال الشخصى والتغير الاجتماعى المتمثل فى تقبل بعض برامج التغير الموجهة نجد إيفريت روجرز Everett Rogers يربط بين التعرض لوسائل الاتصال الجمعى والتمدن فى خمس قرى تقليدية من قرى كولومبيا فلقد حاول الباحث أن يربط التعرض لوسائل الاتصال الجمعى بعدد من المتغيرات كالتعليم الأولى والتعليم والمكانة الاجتماعية والسن والانفتاح على العالم الخارجى كما حاول أيضاً أن يقيس نتائج ذلك فى ضوء التصور الانفعالى للأحداث والمشاركة فيها والميل إلى التجديد Innovativeness والمعرفة السياسية ، والتحصيل ، والمطامح . Aspirations .

وتتميز هذه الدراسة بالخصائص التالية :

١ — تحليل بيانات جمعت من خمس قرى من قرى كولومبيا ولقد كشفت هذه البيانات تبايناً بين هذه القرى من حيث التعرض لوسائل الاتصال الجمعى والتقليدية النسبية فى المعايير الاجتماعية .

٢ — استخدامها لمقاييس متطورة لقياس التعرض لوسائل الاتصال الجمعى بالإضافة إلى قياس الأشخاص المشاركين فى هذا الاتصال ونتائج هذا التعرض .

---

(١) Mayore Stycos "The Potential Role of Turkish Village Opinion Leader in a Pragram of Family planning" P.O.Q. Vol, XXIX (Spring 1965) pp. 120-131.

أما الفروض الأساسية التى وجهت الدراسة فكانت على النحو التالى :

١ — الفرض الأول يستقيه الباحث من (شرام) ويتمثل فى القضية التى مؤداها أنه « فى المجتمع الشفاهى التقليدى نجد أن وسائل الاتصال واسعة المدى غير كافية ولذلك فإن العمل على تحضير مجتمع ما يتطلب إشاعة وسائل الاتصال الجمعى كما يعتمد أيضاً على ما ذكره « مكنيلى » McNelly من أن أغلب مضمون الاتصالات الجمعية سواء كان مضمونا إعلاميًّا أو تعليميًّا أو دعائيًّا إنما يكون فى اتجاه التحضر والعصرية . ويماثل الباحث — فى هذا الصدد التحضر أو العصرية بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية وهى العملية التى بمقتضاها ترتفع الدخول الفردية وتتقدم التكنولوجيا وتتطور ، أما مقاييس العصرية التى يتخذها الباحث فتتمثل فى التصور الانفعالى للأحداث الخارجية والأشخاص الخارجين وتمثل أدوارهم Empathy والميل إلى التجديد وحجم المعلومات السياسية ودافعية التحصيل أو الإنجاز والمطامح والتطلعات التعليمية والمهنية .

٢ — الفرض الثانى : هناك بعض الخصائص التى تحدد جزئيًّا — مدى تعرض الفرد لوسائل الاتصال الجمعى كمعرفة القراءة والكتابة والمكانة الاجتماعية والسن والانفتاح على العالم . ولقد أقام الباحث فرضه هذا وهو معتمد اعتماداً كبيراً على أعمال ليرنر Lerner وديتشمان Deutschmann وهو يصور العملية كما يلى :

الخصائص	العملية	النتائج
١ — معرفة القراءة والكتابة		١ — تصور الأحداث والأشخاص
٢ — التعليم		٢ — التجديد فى أعمال الزراعة والمنزل .
٣ — المكانة الاجتماعية —	الاتصال الجمعى —	٣ — دافعية التحصيل
٤ — السن		٤ — المعرفة السياسية
٥ — الانفتاح على العالم		٥ — المطامح التعليمية ، والمهنية

ولقد جمعت بيانات هذه الدراسة عن طريق الاستبار الشخصى من جميع العاملين فى المزارع فى القرى الكولومبية الخمس فى الفترة بين عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ .

النتائج :

من الخمس خصائص التى درست تبين أن الانفتاح على العالم الخارجى Cosmopoliteness كما قاسه الباحث بعدد الزيارات التى يقوم بها القروى للمراكز الحضرية — والمعرفة بالقراءة والكتابة ، خاصيتان مرتبطتان بالتعرض لوسائل الاتصال الجمعى .

ومع أن سنوات التعليم والمكانة الاجتماعية كانتا مرتبطتان — إيجابياً — وباتساق مع التعرض لوسائل الاتصال الجمعى فى المجتمعات الخمسة المدروسة إلا أن السن كان مرتبطا ارتباطاً سالباً — وباستمرار .

كذلك وجد الباحث أن التغيرات اللاحقة مثل التصور الانفعالى وتمثل الأحداث والأشخاص والميل إلى التجديد فى الشئون الزراعية والمنزلية والمعلومات السياسية والمطامح التعليمية للأبناء — وجد هذه المتغيرات مرتبطة ارتباطاً عالياً وموجباً بالتعرض لوسائل الاتصال الجمعى كما وجد أن دافعية التحصيل والمطامح المهنية لمستقبل الأبناء مرتبطة ارتباطاً موجباً بالتعرض للاتصال الجمعى إلا أن هذا الارتباط غير دال إحصائياً وذلك فى القرى الخمس التى درست .

ومن ثم فإن الباحث يرى أن التعرض لوسائل الاتصال الجمعى يقود إلى بعض النتائج التى تتجه دائماً نحو التحضر أو العصرية كما وجد أن الخصائص والنتائج المرتبطة بالتعرض لوسائل الاتصال الجمعى متشابهة بوجه عام فى المجتمعات المحلية التى درسها سواء منها التقليدية أو العصرية ولذلك

فإن الفروق التى تظهر بين هذه المجتمعات المدروسة لا تعكس تمييزاً متسقاً بين نموذجين من المجتمعات[١] .

وتتميز هذه الدراسة بأنها تحاول ربط التحضر بالاتصال الجمعى كأحد عوامله فى مجتمعات تقليدية ، فبينما نجد أن هناك وفرة فى البحوث التى حاولت أن تقدم هذا الربط فى مجتمعات متقدمة نجد ندرة فى تلك التى حاولت هذه المحاولة فى مجتمعات متخلفة .

---

(١) Everett M. Rogers "Mass Media Exposure and Modernization Among Colombian Peasants" P.O.Q. (Spring 1995-66) pp. 614-625,

مناقشة عامة للبحوث الواردة فى هذا الفصل

من الملاحظ أننا عرضنا دراسات هذا الفصل بشيء من التفصيل وذلك لأهمية هذه الدراسات بالنسبة لموضوع بحثنا . فمن الواضح أن هذه الدراسات قد أجريت فى مجتمعات قروية تقليدية من جهة كما أنها اتخذت من الاتصال وأنماطه وعملياته ونتائجها مدخلا لها فى هذه الدراسة ومن الممكن أن نعيد تصنيف هذه الدراسات إلى عدة نماذج على النحو التالى :

١ — النموذج الأول ، والذى تمثله دراسة « ليرنر » وتقريره عما جرى فى قرية بلجات التركية من تغيرات عميقة فى فترة زمنية وجيزة ، وهنا نجد ليرنر يربط بين هذه التغيرات الاجتماعية والثقافية العميقة وبين التغير الإيكولوجى المتمثل فى تسهيل الاتصال الفيزيقى بين القرية والمدينة المجاورة وما يترتب على ذلك من أن القرية أصبحت متصلة اتصالا وثيقاً بهذا المركز الحضارى ، باختصار يمثل هذا النموذ طبيعة العلاقة بين الاتصال والانتقال ووسائله وبين التغير الاجتماعى والثقافى .

٢ — أما النموذج الثانى فهو المتمثل فى الدراسات التى أوضحت العلاقة بين أنماط الاتصال المختلفة وبين التغير الاجتماعى الذى يتمثل فى انفتاح القرية على عالمها الخارجى واتصالها بالأحداث التى تجرى فيه بمعنى آخر يوضح هذا النموذج العلاقة بين الاتصال والتكامل الاجتماعى والسياسى فى مجتمعات تقليدية أما الدراسات التى عرضناها فى نطاق هذا النموذج فهى دراسات جوردون هيراباياش ، وفتح الله الخطيب ، وإبراهيم أبو لغد وادموند برونر .

٣ — وهناك نموذج ثالث تمثله دراسة « رايان » عن الاتصالات الأولية ، والثانوية فى قرية سيلانية ويشير هذا النموذج إلى أنماط الاتصال المختلفة

باعتبارها مظهراً ودلالة على المحافظة أو التغير الاجتماعى وحيث توضح هذه الدراسة أن هناك تفاوتاً بين الأجيال فى المشاركة الاتصالية فبينما يتميز الكبار المحافظون بالمشاركة المرتفعة فى الاتصالات الأولية نجد الصغار يشاركون مشاركة فعالة ومرتفعة فى الاتصالات الجمعية .

٤ — والنموذج الرابع والأخير والذى عرضنا دراسات ممثلة له فى هذا الفصل هو الذى يربط بين أنماط الاتصال المختلفة والتغير الاجتماعى أو التحضر الذى يتمثل فى تقبل البرامج التجديدية أو الأفكار الجديدة فى مجتمعات تقليدية من جهة، وربط هذه المجتمعات التقليدية بعالمها الخارجى من جهة أخرى والدراسات التى تمثل هذا النموذج فى دراسة « روجرز » عن الاتصال الجمعى والتحضر فى قرى كولومبية وتقرير أصغر فتحى عن دور الاتصالات الشخصية فى تقبل بعض البرامج التغيرية ودراسة « مايرستايكوس » عن دور الاتصالات الأولية أو الشخصية المتمثلة فى قيادة الرأى فى تقبل برنامج عن تنظيم الأسرة .

ومن الملاحظ أننا حاولنا بقدر المستطاع أن نميز هذه الدراسات فى نماذج إلا أننا فى عملنا هذا نغفل العلاقات الوثيقة بين هذه النماذج كما تعكسها الدراسات نفسها فمن الملاحظ أن كل دراسة من هذه الدراسات تناولت مفهوم التغير الاجتماعى إلا أنها تناولته من زاوية خاصة، ركزت عليها أو عنيت بها .

ولكن ما هى النتائج العامة التى يمكن أن نخرج بها من هذه الدراسات التى اهتمت بدراسة الاتصال بوصفه دلالة ومظهراً للتغير الاجتماعى وبوصفه أداة من أدوات هذا التغير ؟

فى إجابتنا عن هذا السؤال نستطيع أن نستشف من واقع هذه الدراسات وغيرها نتائج متفقاً عليها إلى حد كبير على النحو التالى :

١ — تلعب الاتصالات الجمعية دوراً هاماً فى ربط المجتمعات القروية التقليدية بعالمها الخارجى .

٢ — الاتصالات الجمعية أداة أساسية فى تحقيق التكامل الاجتماعى بين

القرية ، والنطاق الاجتماعى الأكبر بمعنى أن القروى من خلال مشاركته فى الاتصالات الجمعية قد أصبح يستشعر ما يدور فى المجتمع من قضايا .

٣ ــ تلعب الاتصالات الجمعية دوراً هاماً فى تحقيق التكامل السياسى بين المجتمعات القروية التقليدية وعالمها الخارجى .

٤ ــ تدعم الاتصالات الجمعية مكانة قادة الرأى فى المجتمعات التقليدية على اعتبار أن المشاركة فى هذه الاتصالات من أهم ما يميز قائد الرأى فى المجتمعات القروية عن غيره .

٥ ــ لا يمكن إغفال أهمية الاتصال الفيزيقى أو الإيكولوجى من حيث كونه يسهل الانتقال ويوطد الصلة بين القرية والمراكز الحضرية المجاورة .

٦ ــ يمكن تطبيق مفهوم مجرى الاتصال ذى المرحلتين أو الخطوتين على المجتمعات التقليدية ، كما أمكن تطبيقه على المجتمعات المتقدمة .

٧ ــ يلعب الاتصال الشخصى الدور الحاسم فى مجال التغيرات التى تطرأ على الاتجاهات والآراء والممارسات وما إلى ذلك بينما يقتصر دور الاتصال الجمعى على خلق الوعى بهذه القضايا الجديدة التى يثور حولها النقاش والجدل .

٨ ــ إن العلاقة بين الاتصال والتغير ليست علاقة بسيطة ومباشرة ولكنها مرتبطة بموقف معين وحيث يكون من غير المعقول أن نتوقع أن تمارس الاتصالات تأثيراً مباشراً فهناك عوامل عديدة تتدخل ؛ أهمها الجماعات المرجعية المتمثلة فى جماعات الأقارب ، والجيران ، والنسق الاجتماعى ومعاييره ، بالإضافة إلى بعض الخصائص الشخصية والديمجرافية والاجتماعية التى تحدد القابلية للتغير ، سواء كان هذا التغير متمثلا فى الإقلاع عن عادات قديمة أو التخلص من آراء عتيقة أو تقبل ممارسات جديدة أو برامج أو أفكار .

وسوف ننتقى فى الباب القادم بعض النتائج العامة وذات الدلالة التى توصلت إليها الدراسات التى عرضنا لها فى هذين البابين لنطور منها فروضاً نحاول اختبارها ، فى الدراسة الميدانية .

الباب الثالث

خطة الدراسة الميدانية ونتائجها

الفصل العاشر

خطة الدراسة واجراءاتها

أهداف الدراسة الحقلية

نستطيع أن نقيم هدفين رئيسيين تسعى الدراسة إلى إنجازهما ، كما يمكن أيضاً أن نضع هذين الهدفين فى سؤالين كبيرين على النحو التالى :

١ — ما هى طبيعة الاتصال فى المجتمع موضوع الدراسة ، وما هى العوامل والمتغيرات التى ترتبط بهذه العملية ؟

٢ — ما هى آثار الاتصالات المختلفة فى هذا المجتمع ؟

ونعنى هنا — وعلى المستوى الإجرائى — بالاتصال مصادر المعلومات التى تحيط القرويين علماً بالأفكار الجديدة والأخبار والمعلومات المختلفة التى تربطهم بما وراء مجتمعهم المحدود . كما نعنى بالآثار مايترتب على سماعهم لهذه المعلومات والأفكار الجديدة من نتائج تتمثل فى التقبل أو الرفض ، أو تحقيق نوع من التكامل الاجتماعى والسياسى أو انفتاح هذا المجتمع على ما يدور خارجه من أحداث ، فكأن التعريف الإجرائى الذى نستخدمه هنا لا تختلف عن عبارة لازويل الشهيرة التى يصف بها عملية الاتصال بمن يقول لمن ؟ وماذا تقول ؟ وبأى وسيلة ؟ وبأى تأثير ؟ فكأننا هنا نستهدف فحص ودراسة المصادر ، وطبيعتها وما إذا كانت مصادر شخصية أو جمعية ثم وسيلة إيصال هذه المعلومات إلى المتقبلين الذين هم هنا القرويين ثم ما يترتب على ذلك من نتائج وآثار .

ويمكن أن نفصل الأهداف الكبرى للدراسة إلى أهداف فرعية على النحو التالى :

أولا : طبيعة الاتصال فى المجتمع — موضوع الدراسة ، والمتغيرات التى ترتبط به :

١ ــ التعرف على طبيعة أنماط الاتصال المختلفة التى يستخدمها القرويون وما إذا كانت أنماطاً جمعية فى الغالب أم أنماطاً شخصية .

٢ ــ التعرف على الأهمية النسبية لكل من أنماط الاتصال المختلفة فى القرية .

٢ ــ فحص العلاقة بين متغيرات مختلفة (كالسن ، والمستوى التعليمى ، والمكانة الاجتماعية الاقتصادية والمشاركة الاجتماعية والمهن) وبين المشاركة الاتصالية أو السلوك الاتصالى للقروى .

٤ ــ هل تختلف الاتصالات باختلاف مثل هذه المتغيرات الاجتماعية ، بالإضافة إلى اختلاف موضوعات الاتصالات ــ أيضاً ــ من موقف لآخر ؟ بمعنى آخر هل تختلف الموضوعات الاجتماعية عن الموضوعات السياسية فى مصادر المعلومات الخاصة بها أو هل هناك مايمكن أن نطلق عليه موصلات للأخبار ، والأفكار الاجتماعية ، تختلف عن موصلات الأخبار والأفكار السياسية ؟ بأسلوب أكثر إجرائية هل مصادر المعلومات التى يحصل القروى منها على معلومات خاصة بتنظيم الأسرة بوصفها قضية اجتماعية هى نفسها المصادر التى يحصل منها على معلومات خاصة بالمرقف من إسرائيل بوصفه موقفاً سياسياً ؟ أم أن هناك اختلافاً وتفاوتاً بين هذه المصادر يرجع إلى الاختلاف والتفاوت بين طبيعة الموضوعين الاجتماعى ، والسياسى ؟ وما علاقة ذلك بالسن ، والمستوى التعليمى والمستوى الاجتماعى الاقتصادى ، والمشاركة الاجتماعية والمهنة .

٥ ــ ما هى طبيعة العلاقة بين مختلف المصادر الاتصالية ؟

٦ ــ هل يمكن تطبيق مفهوم مجرى الاتصال ذى الخطوتين الذى طوره كاتز ولازارسفلد وجماعتهما على عملية الاتصال فى القرية ، وهل يمكن بالتالى أن نشير إلى دور محدد يلعبه قادة للرأى فى القرية. يتصلون بالمصادر الأصلية للمعلومات ، والأخبار ثم ينقلونها إلى بقية القرويين ؟ وإن كان ذلك صحيحاً وموجوداً فى مجتمع القرية فما هى خصائص هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بترحيل الأخبار .

ولهذا الهدف أهمية كبرى فى نطاق هذه الدراسة فقد طُوِّر هذا المفهوم أساساً من خلال دراسات أجريت فى مجتمعات محلية متقدمة فى العالم الغربى بوجه خاص ولذلك فإن اختبار مثل هذا الاصطلاح — الذى يشير إلى عملية اتصالية متميزة — فى مجتمع قروى تقليدى إنما يقف كهدف متميز فى حد ذاته إلا أن هذا الهدف ليس جديداً كل الجدة فقد سعى إليه أيضاً أبو لغد فى دراسته التى أشرنا إليها آنفا ، ووجد أنه ينطبق على القرية المصرية أيضاً إلا أن براهينه على ذلك لم تكن كافية .

ثانياً : آثار الاتصالات المختلفة على مجتمع القرية :

ويعد استكشاف هذا الهدف الكبير محوراً أساسياً من محاور هذه الدراسة لأنه يسعى إلى ربط الاتصال بالتأثير فى مجالات قد تقف بمثابة دلالة على التغير الاجتماعى الذى يتجه نحو التحضر ، والذى فصلنا ما نقصده به — هنا — فى فصل سابق بعنوان « التغير الاجتماعى المقصود » ولذلك فإننا سوف نتبع فى استكشافنا لهذا الهدف خطة محددة مبنية على تحليلنا للتغير الاجتماعى الذى نقصده . على النحو التالى :

١ — تأثير عام فى مجال المعلومات .

٢ — تأثير فى مجال الاتجاهات والأفعال .

٣ — تأثير فى مجال التكامل الاجتماعى .

٤ — تأثير فى مجال التكامل السياسى .

إلا أن التأثير العام فى مجال المعلومات قد يرتبط بشكل أو بآخر بالتأثير فى مجال الاتجاهات والأفكار ، كما يرتبط أيضاً بالتأثير فى مجال التكامل الاجتماعى والثقافى ، والتكامل السياسى . ولذلك فإننا سوف نفصل الأهداف التى نسعى إلى استكشافها — فى هذا النطاق — فيما يتعلق بالاتجاهات والأفعال والتكامل الاجتماعى ، والتكامل السياسى .

(أ) من حيث التكامل الاجتماعى :

وهنا تستهدف الدراسة فحص الدور الذى تلعبه الاتصالات المختلفة فى هذا المجال . ولا نعنى هنا بالتكامل الاجتماعى التكامل داخل النسق الاجتماعى للقرية وإنما نعنى به ربط القرية ببعض القضايا الاجتماعية التى تدور داخل المجتمع القومى ، فهو إذن تكامل اجتماعى سياسى وليس تكاملا اجتماعياً صرفاً . ولقد اخترنا بعض القضايا التى تشير إلى مثل هذا التكامل أو المتابعة لنقيس حجم معلومات القروى منها ، ومصادر هذه المعلومات ، والطريقة التى وصلت بها إليه ، وتتمثل هذه القضايا فى بعض المشروعات التى تقوم بها الدولة لتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية . كالسد العالى والوادى الجديد بالإضافة إلى تنظيم الأسرة ، والادخار وبعض الأفكار الزراعية الجديدة ، كالتأمين على الماشية ، والتلقيح الصناعى لها ؛ ويمكن وضع هذا الهدف فى صورة أسئلة على النحو التالى :

١ ــ ما هى طبيعة المعلومات التى لدى القروى عن مثل هذه القضايا ؟

٢ ــ ما هى طريقة وصول مثل هذه المعلومات إلى القروى ؟ هل وصلت إليه عن طريق اتصالات جمعية ؟ أم شخصية ؟ أم مشتركة ؟

٣ ــ هل ثمة تحريف طرأ على مثل هذه المعلومات ؟ وما هى أسباب مثل هذا التحريف ؟

(ب) من حيث التكامل السياسى :

نعنى بالتكامل السياسى ارتباط مجتمع القرية بالأحداث السياسية التى تجرى خارجها سواء على مستوى المجتمع القومى أو على المستوى العالمى ، وهنا تستهدف الدراسة قياس حجم المعلومات المتعلقة بموضوعات سياسية قومية وعالمية . ولقد اخترنا قضية الاشتراكية . والموقف من إسرائيل ، والموقف من الكتل العالمية كالاتحاد السوفييتى . والولايات المتحدة ومتابعة آخر الأخبار

ويمكن أن نضع أهدافنا — فى هذا النطاق — فى صورة أسئلة على النحو التالى :

١ — ما هى طبيعة المعلومات التى لدى القروى عن مثل هذه المعلومات السياسية ؟ وما هى مصادر هذه المعلومات ؟

٢ — ما هى طبيعة العوامل التى تساهم فى تشكيل الرأى والاتجاه السياسيين لدى القروى ، وما هو دور الاتصالات فى هذا المجال .

٣ — ما هى خصائص الأشخاص الذين لا يبدون أى رأى ، أو موقف سياسى ؟ وما هى طبيعة نشاطهم الاتصالى ، بالإضافة إلى خصائصهم الشخصية ؟

٤ — هل ثمة تحريف فى مضمون الاتصالات السياسية ؟ وما هى مصادر هذا التحريف إن وجد ؟

٥ — إلى أى مدى تصل متابعة القرويين للأحداث القومية والعالمية ؟ وما هى وسيلتهم إلى هذه المتابعة ؟

(ح) من حيث الاتجاهات والأفعال :

من هذه الزاوية ، تستهدف الدراسة التعرف على الدور الذى يلعبه أنماط الاتصال المختلفة فى تغير بعض الاتجاهات ، أو تعديلها ؛ وكذلك الدور الذى تلعبه أنماط الاتصال المختلفة هذه فى دفع الأفراد إلى القيام بأعمال معينة ، أو تبنى نشاط معين ولقد ميزنا — إجرائيا . فى هذه الدراسة بين نوعين من الاتجاهات والأفعال على النحو التالى :

١ — اتجاهات ، وأفعال اجتماعية . وتتمثل فى الاتجاهات نحو تنظيم الأسرة الذى يعد وليداً لتقاليد وعادات وقيم عميقة ومن ثم فإننا نعده اتجاها عميقاً يتأثر بعديد من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية ، كما تتمثل أيضاً فى الاتجاه نحو الادخار الذى تحدده العوامل الاجتماعية والنفسية ، والثقافية ولكنه

ليس على شدة أو عمق الاتجاه نحو تنظيم الأسرة وقد قمنا باختيار هذين الاتجاهين بالذات باعتبارهما يمثلان موضوعات ملحة تعمل فى خدمة التنمية الاجتماعية والتغير الاجتماعى . معنى ذلك أن فحص صلة الاتصالات بتغير مثل هذه الاتجاهات لا يخدم ــ فقط غرضاً علميا بحتا مؤداه استكشاف طبيعة هذه العلاقة ، وإنما هو يخدم أيضاً غرض عمليا وتطبيقيا باعتباره يوضح كيفية تغيير مثل هــذه الاتجاهات نحــو الوجهة المرغوبة .

٢ ــ اتجاهات وأفعال بسيطة وذات طبيعة زراعية ، كالتأمين على الماشية ، والتلقيح الصناعى لها ، وهى تعد مهارات زراعية محسنة تستهدف تنمية الحالة الاجتماعية للقروى وهنا تستهدف الدراسة فحص الدور الذى تلعبه الاتصالات فى تقبل وانتشار مثل هذه المهارات الزراعية المحسنة أو الأفكار الزراعية الجديدة ، وتعد الدراسة ــ فى هدفها هذا فقط ــ امتداداً لتراث بحوث الانتشار والتى أجريت فى نطاق علم الاجتماع الريفى إلا أن ذلك لا يعنى أن هذا الهدف لا يتميز بقيمة كبيرة طالما أنه يتعرض لفاعلية الاتصال وتأثيره فى اتجاهات يمكن أن نطلق عليها اتجاهات بسيطة . فإن قيمة هذا الهدف تتضح من ندرة مثل هذا النوع من البحوث فى مجتمعنا من ناحية وإلى أن مثل هذه الاتجاهات التى قد تكون بسيطة من حيث محتوى تركيبها إنما هى وليدة أيضاً لتراث اجتماعى عريض بمتضمناته القيمية المختلفة .

وهنا نستطيع أن نضع أهدافنا فى صورة أسئلة على النحو التالى

١ ــ أى الأنماط الاتصالية أكثر تأثيراً فى مجال التغيرات ، والتعديلات التى تطرأ على مثل هذه الاتجاهات هل هى الاتصالات الجمعية ، أم الشخصية أم المشتركة .

٢ ــ هل يرتبط التجديد فى مثل هذه الإتجاهات بالانفتاح على الاتصالات فقط أم أن هناك مجموعة أخرى من المتغيرات المرتبطة بهذه التجديدات ؟

نستطيع أن نضع سؤالا أكثر إجرائية على النحو التالى : هل الشخص الذى يتمتع باتجاه موجب نحو تنظيم الأسرة ، أو الإدخار أو التأمين على الماشة أو التلقيح الصناعى شخص يمارس نشاطات اتصالية فقط ، أم أنه بالإضافة إلى ذلك يتميز بمميزات نفسية واقتصادية واجتماعية وثقافية أخرى ؟ كالسن ، والمستوى التعليمى ، والمستوى الاقتصادى ، والمشاركة الاجتماعية وغير ذلك ؟

من هذا العرض المفصل لأهداف الدراسة تتضح لنا أبعادها الرئيسية والتى تتلخص فى أنها توجه اهتمامها لدراسة الإتصال فى القرية بوصفه عملية تتخذ أنماطاً مختلفة ، وأشكالا متعددة ، كما توجه الاهتمام أيضاً ، وعلى نفس الدرجة إلى الاتصال بوصفه عملية تلقى بآثارها على المستوى الفردى والجماعى والمجتمعى .

الفروض

الفروض التى نضعها هنا هى بمثابة إجابات احتمالية أو تخمينية للتساؤلات التى أثيرت سلفا وطالما أننا قد وضعنا هذه الأسئلة السالفة تحت هدفين رئيسيين فإننا نستطيع أن نضع الفروض أيضاً فى نطاق هذين الهدفين بحيث يصبح لكل هدف وما أثاره من تساؤلات فروضه الخاصة به . وقد أعاننا استعراضنا للتراث السابق فى هذا الميدان أيما أعانه فى وضع هذه الفروض ، فهى ليست وليدة للتخمين أو الظن بقدر ما هى وليدة لجهد نظرى وتجريبى .

أولا : فروض خاصة بعملية الاتصال ، وأنماطها وطبيعتها :

١ ــ هناك علاقة بين المتغيرات الاجتماعية ، والتعامل مع الاتصالات المختلفة والمقصود بالمتغيرات الاجتماعية هنـــا السن والمستوى التعليمى والمكانة الاقتصادية والاجتماعية والمشاركة الاجتماعية والمهنة ، بحيث إن مصادر المعلومات (الاتصالات) تختلف باختلاف هذه المتغيرات الاجتماعية أو بعضها .

٢ ــ تختلف الإتصالات ، أو مصادر المعلومات باختلاف مثل هذه المتغيرات الاجتماعية بالإضافة إلى اختلاف موضوعات هذه الإتصالات من موقف إلى آخر ، بمعنى آخر ، تختلف الموضوعات الاجتماعية عن الموضوعات السياسية فى مصادر المعلومات الخاصة بها بحيث يمكن القول أن هناك موصلات للأفكار والأخبار الاجتماعية ، تختلف عن موصلات الأفكار والأخبار السياسية .

٣ ــ ينطبق مفهوم كاتزولازرسلفد عن « مجرى الاتصال ذو المرحلتين » على هذه العملية فى القرية المصرية ، وبالتالى يمكن إبراز دور قائد الرأى أو حارس البوابة فيها . كما يمكن تمييزه بخصائص معينة .

ثانياً : فروض خاصة بآثار عملية الاتصال :

١ ــ فى القرية المصرية تلعب الاتصالات الجمعية دوراً مركزيا فى تحقيق التكامل الاجتماعى والسياسى .

٢ ــ تلعب ممارسة المناشط الاتصالية دوراً هاما فى تحديد الموقف والرأى السياسيين للقروى بالإضافة إلى المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى تمكنه من ممارسة هذه المناشط .

٣ ــ لا يقود الاتصال الجمعى إلى تبنى عمل أو نشاط جديد كتنظيم الأسرة أو الادخار أو التأمين على الماشية أو ممارسة التلقيح الصناعى لها ، وإنما هو يخلق وعياً بوجود هذا العمل ، أو النشاط حيث يبادر بعض الأشخاص ــ أولا ــ بتبنى هذا النشاط ثم يتبعهم الآخرون أى أن الحاجة تظهر إلى قائد يضرب المثل ، يحترم الجميع رأيه ويقدرونه .

٤ ــ مهما كان وقع أنماط الاتصال المختلفة على الناس فى القرية المصرية ، فإنها لن تحدث تغييرات فى الاتجاهات والآراء والأفعال ، وهى بمعزل عن غيرها من المتغيرات الهامة كالسن والمستوى التعليمى والمكانة الاجتماعية الاقتصادية والمشاركة الاجتماعية والولاءات الجماعية والدينية ، بمعنى أن الناس

يختلفون فى التأثر بأنماط الاتصال المختلفة ، وفقاً لسنهم ، ومستوى تعليمهم ، ومكانتهم الاقتصادية الاجتماعية وحجم مشاركتهم الاجتماعية ونطاقها . أى أننا لا نستطيع فى النهاية أن نربط بين الميل نحو التحضر كما يتبدى فى ممارسة المواقف التغيرية المختلفة (تنظيم النسل والادخار ، والتأمين على الماشية والتلقيح الصناعى) ومن الاتصالات فقط وإنما نستطيع أن نوضح أثر الاتصالات بالإضافة إلى المتغيرات السابق ذكرها .

منهج الدراسة وإجراءاتها

بينما نستطيع أن نطلق على اتجاه هذا البحث أنه اتجاه إمبيرقى Epirical فإننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن ندعى أنه يصطنع المنهج التجريبى Experimental الكلاسيكى الذى يسعى إلى التحكم سلفا فى المتغيرات والظروف والشروط . إلا أن ذلك لا يعنى أن المنهج الذى استخدمناه يتفوق على التجريب بل على العكس من ذلك تماما وحيث إننا لم نلجأ إلى ذلك إلا لإدراكنا لصعوبة التجريب فى ميدان الاتصال بالنسبة لباحث مفرد بالقياس إلى الإمكانيات المادية المتاحة . فلو قلبنا النظر فيما استعرضنا من بحوث سابقة وبخاصة فى مجال تأثير الاتصالات على تعديل الإتجاهات وتغيرها وعلى الاقتناع بوجه عام لوجدنا أن أغلب هذه البحوث قد اصطنعت التجريب الذى يكاد يكون تجريباً معمليا بحتا ، وكان النوع القبلى — البعدى من التجريب هو النوع السائد ، بمعنى أن الاتجاهات كانت تقاس قبل بث المضمون الإتصالى ، ثم بث هذا المضمون ، ويعاد القياس مرة أخرى للتعرف على مدى ما أحدثه هذا المضمون من تعديلات أو تغيرات مع التحكم التجريبى فى غير هذا المضمون من المتغيرات ، كما أن هناك عدداً من البحوث الأخرى التى استخدمت مجموعات ضابطة لتحقيق الغرض نفسه . إلا أن ما سهل مهمة التجريب على أولئك الباحثين الذين استخدموه هو أن مجال دراستهم كان غالباً

مجموعات صغيرة من طلبة المدارس أو الكليات أو الجامعات بالإضافة إلى الإمكانيات المادية الأخرى المتاحة لهم .

ومع ذلك فإن مثل هذه التجارب لا تسلم من النقد شأنها شأن أى بحوث أخرى تجرى فى ظروف مصطنعة قد يستشعرها المبحوثون أنفسهم تختلف اختلافاً كبيراً عن المجرى العادى للحياة الاجتماعية .

كما أن بعض البحوث قد استغلت ظرفاً طبيعيا كحدوث حادثة هامة ، أو بث برنامج إذاعى معين وأخذت تتبع عملية انتقال هذا الحدث ، أو انتشار الأخبار المتعلقة به ونذكر من ذلك على سبيل المثال دراسة « أبو لغد » التى تتبع فيها مدى انتشار نبأ وفاة الملك محمد الخامس فى القرى المصرية التى درسها على اعتبار أن الطريق التى يأخذها هذا الخبر فى انتشاره هى نفس الطريق التى تتخذها غيره من الموضوعات والأخبار الهامة ، وكذلك تلك الدراسة التى أجريت لتتبع آثار برنامج إذاعى فى الولايات المتحدة بعنوان « حرب العوالم » War of Worlds أثار ذعراً كبيراً بين أرجاء البلاد إلا أن هذه الدراسات التى يمكن أن نطلق عليها تتبعية تتطلب إمكانيات مادية ضخمة قد تصل إلى حد أن يثير الباحث نفسه البرنامج أو يقترحه على مقدمه أو أن يكون لديه خطة معدة سلفاً وأجهزة مدبرة لمتابعة مثل هذه الآثار والأخبار[١] .

إلا أن ما يؤخذ على مثل هذه البحوث هو أنها كانت تهتم ببعض الحوادث البسيطة وتتبع انتشارها علماً بأن هذه الحوادث كانت ذات طابع معين مما لايمكن من الحزم بأن أى مضامين اتصالية أخرى سوف تتخذ نفس الطريق بالإضافة إلى أنها لم تكن تبذل أى جهد فى الربط بين أسلوب هذا الانتشار وبين المتغيرات الأخرى ذات الصبغة النفسية أو الاجتماعية باستثناء بحث « أبو لغد » ، وفيرلنج ترولداهل Verling Troldahl[٢] .

---

(١) كمثال على هذا الإعداد المسبق ، انظر أبولغد ، المصدر السابق .

(٢) انظر أبو لغد ، المصدر السابق ، وكذلك « ترولداهل » المصدر السابق أيضاً .

ولما كان الهدف من هذا البحث هو التعرف على أنماط الاتصال وتأثيرها فى مجال التغير الاجتماعى بوجه عام فإنه يملى منهجاً لامفر منه قريب إلى حد ما من المنهج الاستطلاعى أو الاستكشافى وقريب بدرجة أكبر من المنهج التحليلى الذى يفيد فائدة كبيرة من التحليلات الإحصائية فى مختلف أشكالها من تباينات أو اتفاقات أو ارتباطات بقصد تشخيص الظاهرة وتحليلها ، فكأننا إذن نستطيع أن نقول إن منهج الدراسة بوجه عام هو المنهج الوصفى التشخيصى الذى يعتمد اعتماداً كبيراً على التحليلات الكمية ، ولكنه لايقف عند مجرد الوصف بل ينزع نحو المقارنات بين مجموعات مختلفة على أساس متغيرات رئيسية وهو عند هذه النقطة بالذات يقترب من المنهج التجريبى بمفهومه التقليدى ، وسوف تتضح هذه النقطة حينما نناقش ما يلى ذلك من إجراءات كالاستبيان والعينة وخطة التحليل الإحصائى ولكن يهمنا أن نشير إلى نقطة هامة مرتبطة بهذا الموضوع وتثير جدلا حول إمكانية تصنيف المناهج فى البحوث النفسية والاجتماعية بوجه عام ، وأعتقد أن تصنيف البحوث الاجتماعية وفقاً لمناهجها إنما يصبح محاولة فى غاية الصعوبة لأن الباحث فى هذا المجال الحديث نسبياً إنما يتحايل على موضوعه بمختلف الحيل ، ويصطنع مختلف الأساليب ، والمناهج التى تمكنه من تحقيق الأهداف التى يسعى إليها بحثه ، ولذلك فإن نجاح البحث لايقاس إلا بتحقيق الهدف النهائى منه طالما أن الباحث قد اتخذ إجراءات مضبوطة فى إنجاز هذه الأهداف .

الاستبيان :

يطلق اصطلاح الاستبيان ، أو استمارة الاستبار على تلك الصحيفة التى تتضمن عدة أسئلة يتم توجيهها إلى المبحوث فى موقف مواجهة ، فكأن الاستبيان يتضمن عنصرين رئيسيين ، أولهما أنه يتضمن أسئلة ، وثانيهما أنه يتم فى عملية استبار Interview . وقد استخدمت أغلب دراسات الاتصال التى أجريت فى مجتمعات محلية طبيعية أسلوب الاستبيانات أو الاستمارات

ونذكر على سبيل المثال كاتزولا زارسفلد فى دراستهما عن التأثير الشخصى وروبرت ميرتون فى دراسته عن « أنماط التأثير » ، ولويس كامل مليكة فى دراسته عن الاتصال فى قرية عربية وغيرهم ممن ورد عرض لبحوثهم آنفاً وذلك على اعتبار أن أهداف بحوثهم كانت متعددة والمجتمعات التى اتخذوها مجالا لدراستهم مجتمعات طبيعية يصعب إزاءها الضبط والتحكم التجريبيين ، فكان السؤال هو أداتهم الرئيسية يستكشف أولا ثم تقام وفقاً لما يستكشفه التصنيفات والارتباطات المختلفة .

وقد أملت طبيعة هذا البحث استخدام أسلوب الاستبيانات التى تطبق فى موقف استبارى . وحتى ينجح الاستبيان فى إنجاز ماهو مؤمل فيه فإنه ينبغى أن تكون أسئلته ترجمة دقيقة لأهداف البحث ، بالإضافة إلى أنه طالما أن السؤال هو أداتنا الرئيسية فينبغى أن نتخذ كافة الاحتياطات التى تجعلنا نطمئن إلى أن مثل هذا السؤال قد قاس فعلا ما أعد لقياسه وليس شيئاً غيره ولن يتوفر ذلك بالطبع إلا باستخدام الوسائل الفنية التى تمكن من الاطمئنان إلى الصدق والثبات .

ونظراً لأهمية الاستبيان كأداة رئيسية من أدوات جمع بيانات هذا البحث — بالإضافة إلى الملاحظة وأقوال الأخباريين — فقد وجدنا من الأهمية بمكان أن يمر بناء هذا الاستبيان بعدة مراحل تؤهله فعلا لأن يصبح أداة موثوقاً بها ولقد جاءت هذه المراحل على النحو التالى :

١ — استعراض التراث ومسحه على المستوى العالمى ، والمحلى .

٢ — الدراسة الاستطلاعية .

٣ — تكوين صورة أولية لصحيفة الاستبيان .

٤ — اختبار هذا الاستبيان الأولى .

٥ — الاستبيان فى صورته النهائية .

٦ — ضمانات الثبات والصدق .

١ — استعراض التراث :

وهى مرحلة لازمة وضرورية بالنسبة لكل بحث مهما كانت طبيعته وهى تستهدف عدة أهداف أهمها التعرف على مناهج تلك البحوث التى أجريت فى الميدان بالإضافة إلى نتائجها ، وحيث إن مثل هذا العرض يفيد أيما فائدة فى اصطناع المنهج الملائم وتطويره ومن ناحية أخرى تقف نتائج مثل هذه الدراسات بمثابة فروض قد تكون بحاجة إلى اختبار وتحقيق Verification وحينما قمنا باستعراض بحوث الاتصال على المستوى العالمى ظهرت وفيرة كما يبدو من العرض السابق لأهمها وأغلبها ، أما حينما تم هذا الاستعراض على المستوى القومى فلم تكن هذه البحوث على هذا المستوى من الوفرة بل هى تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة فقد أجرى فى مصر بالتحديد أربع دراسات من هذا النوع إحداها متضمنة فى دراسة أخرى وهى دراسة الدكتور لويس كامل مليكة عن الجماعات والقيادات فى قرية عربية أما الدراسات الأخرى فقد قام بإجرائها أبو لغد ، وجوردون هيراباياش وفتح الله الخطيب ، وقد سبقت الإشارة لها وأفدنا فعلا من هذا العرض على المستوى العالمى والقومى من ثلاث زوايا رئيسية نصنفها على النحو التالى :

١ — المناهج المستخدمة .

٢ — الاستبيان وبناؤه .

٣ — النتائج .

فقد ساعدتنا المناهج المستخدمة على تطوير منهجنا الخاص ، كما أفادتنا النتائج فى عملية وضع الفروض وصياغتها بينما كانت صحائف استبيان هذه الدراسات مرشداً لنا فى بناء صحيفة الاستبيان الخاصة بهذا البحث وعلى الأخص بعض الأسئلة التى ضمنها الدكتور لويس كامل مليكة فى صحيفته المذيلة فى كتابه المنشور عن الجماعات والقيادات فى قرية عربية ، وتلك الصحيفة التى ذيل بها ليرنر مؤلفه المنشور بعنوان تحول المجتمع التقليدى

أما دراسة « أبو لغد » وكاتزولا — The Passing of Traditional Society زارسفلد، وغيرهما فقد أثارت أمامنا إمكانية إجراء تحليلات إحصائية متعددة[١].

من هنا يتضح أن مسح التراث لا يخدم بناء الاستبيان فقط وإنما هو يسبغ خدماته على مختلف مراحل البحث ولقد أفدنا من هذه الناحية فعلا بأن تكشف الطريق أمامنا عما هو جدير بالدراسة فعلا ، وعن الموضوعات التى تستحق أن تضمن فى صحيفة استبيان هذا البحث .

٢ — الدراسة الاستطلاعية الأولية :

يتبين مما سبق وفرة بحوث الاتصال فى المجتمعات المتقدمة بعامة وندرتها فى المجتمعات التى تسير فى طريق النمو ، وفى مجتمعنا بخاصة ، وهنا لا نستطيع أن نعتمد اعتماداً تاماً على النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسات فى الخارج لأنها أجريت فى مجال قد يختلف تماماً عن مجالنا الاجتماعى ومن هنا تبرز أهمية الاستطلاع الميدانى غير المقنن للظاهرة فى مجتمعات مشابهة ولقد قمنا بهذا الاستطلاع الميدانى وفى الذهن تلك الموضوعات التى أثارها ذلك التراث فى قريتين مصريتين ، إحداهما ينتمى إلى محافظة المنوفية ، والثانية تنتمى إلى محافظة الجيزة ، وقد استمرت هذه الزيارات الاستطلاعية لفترة تتجاوز الأسبوعين تمت فيها استبارات حرة طليقة مع القرويين . ولقد أدت هذه الزيارات الاستطلاعية وظيفتين أساسيتين لهذا البحث على النحو التالى :

١ — اكتساب الخبرة المباشرة من الميدان والتعامل معه والتدريب على هذا التعامل .

٢ — تحسس الصعوبات الموجودة .

أما الوظيفة الأولى التى حققتها هذه الزيارة فهى التى أعانت على بناء الاستبيان بطريقة مباشرة بل حددت طبيعة أسئلته ، أى متى يكون السؤال

---

(١) انظر الفصل الأخير من الباب الثانى ، وكذلك كاتزولا زارسفلد ، التأثير الشخصى، المصدر السابق دانيل ليرنر ، تحول المجتمع التقليدى المصدر السابق — الاستبيان .

مقفولا ، أو إقتراعياً ومتى ينبغى أن نترك الحرية للمبحوث لأن يجيب إجابة تلقائية منطلقة ، بالإضافة إلى أنها قد أكسبتنا معرفة بالوحدات التى يجب أن تضمن فى صحيفة الاستبيان وتلك التى يجب أن تتحاشاها هذه الصحيفة ، فى الوقت الذى خدمت فيه الوظيفة الثانية من زاوية وضع خطة مرنة للبحث قابلة للتعديل وفقاً لحجم الصعوبات المحتملة ومداها .

٣ — الصورة الأولية لصحيفة الاستبيان :

بعد إنجاز المراحل السابقة قمنا ببناء الصيغة الأولية للإستبيان ، معتمدين فى ذلك على الخبرة المكتبية ، والخبرة الميدانية المباشرة وصحائف استبيان البحوث السابقة ، ولذلك خرجت هذه الصورة الأولية غير مختلفة — اختلافاً كبيراً عن الصورة النهائية للإستبيان ، اللهم إلا حذف عدد محدود من الأسئلة التى أوضح اختبار هذه الصحيفة عدم جدواها ، وتقنين بعض الأسئلة الأخرى وتفتيت إجاباتها بعد أن كانت مفتوحة .

٤ — الاختبار الأولى :

أجرى هذا الاختبار على ثلاثين شخصاً من أهالى قرية المنصورة مركز إمبابة للتأكد من عدة جوانب أهمها ما يلى :

١ — ضمان أن تكون الأسئلة مفهومة وواضحة .

٢ — ضمان ألا تحتمل الأسئلة أكثر من معنى .

إضافة ما يمكن إضافته ، وتظهر الحاجة إليه .

ولقد أجريت تعديلات طفيفة على الاستبيان حيث خرج — أخيراً فى شكله النهائى كما سيرد فيما بعد .

٥ — الاستبيان فى صورته النهائية :

خرجت صحيفة الاستبيان — فى صورتها النهائية وهى تضم تسعاً وسبعين سؤالا عاماً ومتعمقاً بالإضافة إلى عشرة أسئلة تدور حول البيانات المميزة

وكانت الصحيفة هذه مقسمة إلى عدة بنود رئيسية على النحو التالى :

أولا : بند الموضوعات الجديدة والاتجاهات نحوها ومصدر المعرفة بها ومضمون هذه المعرفة ويضم هذا البند الجوانب الفرعية التالية :

(ا) موضوع تنظيم الأسرة :

١ — مصادر السماع عن هذا الموضوع وطبيعتها ، وما إذا كانت مصادر جمعية كالصحف والإذاعة والتليفزيون والسينما؟ ، أم مصادر شخصية ، كأفراد محددين ، أو غير محددين ، أو أفراد يحتلون وظائف متصلة بهذا الموضوع — من الناحيه التنفيذية كطبيب الوحـدة الصحية أو الأخصائى الإجتماعى أو غيرهما .

٢ — مضمون هذا الموضوع وهدفه كما يدركها القروى ومدى صحة هذا المضمون وذلك الهدف ، أو مدى بعدهما عن الصواب .

٣ — الطريقة التى استجاب بها القروى لسماعه عن موضوع تنظيم الأسرة ، وما إذا كان القروى قد استجاب استجابة موجبة ، أو سالبة . أو بمعنى آخر ما إذا كان قد اقتنع بمثل هذا الموضوع أم لا ، وإذا كان يبدى اقتناعاً به ، فهل حاول تجربته فعلا ؟ وما هى الوسائل التى استخدمها ؟ وما مصدر معرفته بهذه الوسائل؟ هل هى مصادر جمعية ، أم شخصية وإذا كانت المصادر شخصية فما هى خصائصها وعند هذه النقطة يهدف هذا التعمق التعرف على خصائص أولئك الأشخاص الذين ينطبق عليهم اصطلاح قادة الرأى ، أو حراس البوابات أو ناقلوا الأفكار والأخبار من حيث مهنتهم ، ومدى اتصالهم بأنماط الاتصال المختلفة ، وصلتهم بالشخص المستقبل والأسس التى تنبنى عليها الصلة هذه سواء كانت أسس قرابة ، أم جيرة أو غير ذلك أما إذا كانت الاستجابة سالبة و بالتالى لم يحاول صاحبها تجربة الموضوع فقد صمم سؤال يحاول التعرف على أبعاد هذه الاستجابة السالبة وأسبابها التى قد تكون راجعة

إلى عوامل أخرى غير متصلة بالاقتناع ، كالعقم مثلا أو كبر السن أو غير ذلك .

٤ — أسئلة تعمقية ضابطة خاصة بموضوع تنظيم الأسرة . والقيم التى تدور حوله .

وفى هذا البند حاولنا أن نتعرف على الرأى الحقيقى للفرد ، فى هذا الموضوع عن طريق تصوره لموقف أشخاص مقربين لديه ، وذلك من خلال طلب رأيه فى عدد الأبناء المناسب ، الذى ينصح ابنه مثلا — إذا ما تزوج — بإنجابه ، ورأيه فى حجم الإنجاب المعقول وزمن الإنجاب المعقول أيضاً ، وما إذا كان يرى الإنجاب ضرورياً فور الزواج ، أم يرى أن الانتظار لفترات معينة أجدى وأنفع كما حاولنا فى هذا البند أيضاً أن نتعرف على رأى القروى فى السن المناسبة لزواج كل من الفتى والفتاة على اعتبار ما يشيع من أن انتشار الزواج المبكر مبعثه قيم معينة تسيطر على المجتمع المصرى بوجه عام — ولقد كان الهدف من هذا البند يتمثل فى جانبين أولهما أن جماع آراء القروى فى هذه المجالات إنما يعطينا فكرة واضحة عن درجة اقتناعه بالموضوع . كما أن هذه الآراء تعطينا فرصة سانحة للمقارنة بين رأى القروى وفعله الذى يتمثل فى إقدامه على ممارسة تنظيم الأسرة ، أو إحجامه عنها .

٥ — التعرف على بعض القيم السائدة والتى قد تلقى ظلالها على مسألة مثل الاقتناع أو عدم الاقتناع بموضوع تنظيم الأسرة باعتباره يمثل اتجاهاً عميقاً إلى حد ما لما قد يرتبط به من قيم اقتصادية ، أو اجتماعية ، أو دينية .

(ب) موضوع الادخار :

١ — المعرفة بالموضوع والسماع به .

٢ — مصادر السماع عن هذا الموضوع جمعية كانت أو شخصية ، وخصائص الأشخاص الذين يلعبون دوراً فى شبكة أو بناء الاتصال .

٣ — مدى وعى القرويين بموضوع الإدخار وتعرفهم على أهدافه ، وإدراك أهمية هذه الأهداف .

٤ — مدى اتساع الفرصة أمام القروى للتوفير من دخله .

٥ — الأوجه التى يفضل القروى استثمار مدخراته فيها ، وما إذا كانت أوجهاً تقليدية كشراء أرض ، أو ماشية ، أو مشروعات أخرى ، أم كانت أوجهاً حديثة تهتم بها حملة التوعية بالادخار ، أو مكاتب البريد .

(حـ) موضوع التلقيح الصناعى للماشية :

١ — المعرفة بالموضوع والسماع به .

٢ — مصادر المعرفة بهذا الموضوع جمعية كانت أم شخصية ، متخصصة كمجلات ونشرات وزارة الزراعة أو المشرف الزراعى ، أم عامة وخصائص الأشخاص الذين يلعبون دوراً فى شبكة الاتصال الخاصة بموضوع زراعى بحت كهذا .

٣ — مدى وعى القرويين بهذا الموضوع ومضمونه ، وأهدافه .

٤ — تجربة القروى لممارسة التلقيح الصناعى لماشيته . أو عدم إقباله على ذلك وأسباب عدم الإقبال هذا ؟ وصلة ذلك باقتناعه ، أو عدم اقتناعه بالموضوع أو تفهمه أو عدم تفهمه لمضمونه ، وأهدافه .

(د) موضوع التأمين على الماشية :

١ — المعرفة به .

٢ — مصادر السماع عنه ، وخصائص هذه المصادر شخصية كانت أو جمعية ، متخصصة أو عامة .

٣ — مدى وعى القرويين بهذا الموضوع ومدى إدراكهم لأهدافه .

٤ — ممارستهم لهذا الموضوع . أو عدم إقبالهم على ممارسته وأسباب ذلك

مما قد يكون له صلة بالاقتناع ، أو عدم الاقتناع ، أو الفهم ، أو عدم الفهم أو غير ذلك .

ثانياً : بند التكامل الاجتماعى — كما حدد آنفاً — ودور الاتصالات المختلفة فى تحقيق هذا التكامل . ولقد اتخذت بعض الأسئلة كمقياس لقياس هذا التكامل وهى تهدف فى مجملها التعرف على مدى استيعاب القروى لعدد من الموضوعات ، والمشروعات الجديدة التى تدور وتتبخر فى المجتمع القومى وتمثل هذه المقاييس فى الأسئلة التى تدور حول ما يلى :

١ — الإلمام بموضوع تنظيم الأسرة وأهدافه .

٢ — الإلمام بموضوع الإدخار وأهدافه .

٣ — الإحاطة بموضوع التلقيح الصناعى للماشية .

٤ — الإحاطة بموضوع التأمين على الماشية .

وذلك بالإضافة إلى أسئلة مستقلة أخرى تدور حول ما يلى :

١ — المعرفة بالسد العالى ومصادر هذه المعرفة ومضمونها لدى القروى . وذلك باعتباره من أضخم مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتدور حوله الكثير من نشاط الاتصال الجمعى بوجه خاص .

٢ — المعرفة بمشروع الوادى الجديد وخصائص مصادر هذه المعرفة ، ومدى تفهم هذا المشروع وأهدافه .

ثالثاً : بند التكامل السياسى :

ويهدف هذا البند إلى التعرف على دور الاتصالات المختلفة فى ربط القرية بالأحداث السياسية التى تدور على المستوى القومى أو المستوى العالمى كما يقاس هذا الربط والتكامل بالأسئلة التى تدور حول ما يلى :

١ ــ تصور القروى عن « الاشتراكية » .

٢ ــ مصادر تشكيل هذا التصور عنده وخصائص هذه المصادر .

٣ ــ تصور القروى للموقف من إسرائيل وتصوره لأسباب هذا الموقف ومصادر تشكيل هذا التصور لديه وخصائص هذه المصادر .

٤ ــ موقف القروى نفسه من الكتل العالمية ، والمبررات التى يسوقها لتبرير موقفه ، ومدى اتساق موقفه هذا مع الواقع السياسى المتضمن فى الاتصال الجمعى بشكل خاص .

٥ ــ مدى متابعة القروى للأحداث ذات الطابع السياسى ، والاجتماعى ومدى استيعابه لهذه الأحداث والأخبار ، ومصادر هذا الاستيعاب .

رابعاً : بند النشاط الاتصالى ، ويدور هذا البند حول تعرض القرويين للإتصالات المختلفة كما يتمثل ذلك فيما يلى :

١ ــ قراءة الصحف ، أو الاستماع إلى قراءتها ، وحجم هذه القراءة .

٢ ــ الصحف المفضلة .

٣ ــ قراءة المجلات ، وحجم هذة القراءة ، والمجلات المفضلة .

٤ ــ الموضوعات الصحية التى يفضلها القروى .

٥ ــ أسباب عدم الإقدام على قراءة الصحف ، والمجلات .

٦ ــ الأشخاص الذين يقرأون ــ عادة ــ الصحف ، والمجلات لغيرهم ممن لا يجيدون القراءة ، والكتابة .

٧ ــ أماكن الاستماع إلى قراءة الصحف من آخرين .

٨ ــ الاستماع إلى الراديو ، وحجم هذا الاستماع .

٩ ــ مكان الاستماع إلى الراديو .

١٠ ــ البرامج الإذاعية المفضلة .

١١ ــ الإذاعات الخارجية التى يستمع إليها القرويون ، إن كان مثل هذا النشاط موجوداً كمؤشر للإنفتاح على العالم Cosmopoliteness

١٢ ــ أسباب الأحجام عن الاستماع إلى الراديو .

١٣ ــ التردد على السينما ، وحجم هذا التردد .

١٤ ــ مشاهدة عروض السينما الإرشادية الحكومية .

١٥ ــ مدى استيعاب القرويين للأفلام الإرشادية التى تعرض عليهم .

١٦ ــ مشاهدة التليفزيون بالبندر .

١٧ ــ التردد على المركز أو البندر وحجم هذا التردد وأسبابه والوسيلة الانتقالية التى يستخدمها القرويون عادة .

١٨ ــ التردد على القاهرة أو الإسكندرية وحجم هذا التردد وأسبابه .

١٩ ــ وجود أقارب بالقاهرة .

٢٠ ــ الاتصالات المتبادلة بين القروى وأقاربه الموجودين بالقاهرة أو الإسكندرية .

٢١ ــ تصور القروى للفروق بين الشخص الذى يتردد باستمرار على القاهرة والمدن الكبرى والشخص الذى لا يتردد إطلاقاً .

٢٢ ــ تصور القروى للفروق بين الشخص الذى يستمع إلى الراديو ويشاهد التليفزيون والسينما ويقرأ الصحف والشخص الذى لا يمارس هذه الأوجه من النشاط .

٢٣ ــ وجود أبناء للقروى بالمراحل التعليمية المختلفة لما قد يلعبونه من دور فى نقل الأفكار ، والأخبار .

٢٤ ــ وجود أبناء يشغلون مراكز وظيفية معينة ، لما قد يلعبونه من دور اتصالى ، وتأثيرى يتميز بطابع خاص .

خامساً : البيانات العامة ، أو المميزة :

وتدور الأسئلة المتضمنة فى هذا القسم حول السن ، والحالة التعليمية ، والحالة المدنية ، والمشاركة الاجتماعية التى تتمثل فى عضوية الجماعات المختلفة ، والمهنة ، والدخل ، وانطباع الباحث عن المكانة الاقتصادية الاجتماعية للمبحوث ، وانطباعات عامة تدور حول إمكان الاعتماد على صدق إجابات المبحوث .

٦ ــ المحكات التى استخدمت لضمان الثبات والصدق :

طالما أن السؤال هو الوسيلة الرئيسية هنا ــ لجميع البيانات المتعلقة بالظاهرة فلا بد من اتخاذ الاحتياطات الكفيلة بأن تجعلنا نطمئن إلى أن هذا السؤال يقيس فعلا ما صمم لقياسه من ناحية ، كما تجعلنا نطمئن أيضاً إلى أن المبحوث يقدم إجابات تعبر فعلا عن واقعه النفسى والاجتماعى ، وهناك من الإجراءات ما يمكن بها قياس الثبات كما أن هناك من الإجراءات ما يمكن بها قياس الصدق أيضاً فالإجراءات التى يمكن قياس الثبات بها تتفاوت ما بين إعادة تطبيق الاستبيان بعد فترة زمنية محدودة Re-Test والتقسيم النصفى له Split-half Method إلى وضع عدد من الأسئلة الضابطة Checking questions ، كما تتمثل إجراءات الصدق فى وضع مثل هذه الأسئلة الضابطة أيضاً ، أو ملاحظة الاتساق الداخلى للاستبيان أو الاعتماد على محك خارجى .

ومن الملاحظ أن ثبات الاستبيان قد يلقى كثيراً من الضوء على صدقه والعكس صحيح إلا أن ذلك لا يعنى أن الثبات والصدق مسميان لمفهوم واحد ، وفى بحثنا هذا اتخذنا عدداً من الإجراءات التى تضمن درجة لا بأس بها من الثبات والصدق تتلخص فى إجراءين رئيسيين على النحو التالى :

١ ــ ملاحظة الاتساق الداخلى للاستبيان والتناقض أو عدم التناقض بين إجابات أسئلة معينة .

٢ – الاعتماد على محك خارجى فى صورة إخباريين Informants من أهل القرية .

وقد تم تطبيق هذين الإجراءين بدقة متناهية ، وحيث استبعدت كل صحيفة استبيان تحقق ذلك الاتساق الداخلى أولم تحصل على موافقة الإخباريين من حيث اطمئنانهم للاجابات وصدقها بالإضافة إلى الملاحظات التى كان يدونها الباحث – أثناء عملية الاستبار – من تردد المبحوث وتحفظه وصراحته ووفقاً لهذه الأسس التى استخدمت للاطمئنان إلى الثبات والصدق ثم استبعاد ٥٧ صحيفة استبيان لم تحقق الاطمئنان الكافى وفقاً للشروط الموضوعة وذلك من مجموع الاستبيانات التى طبقت والتى كان عددها قبل الاستبعاد ٢١٠ استبيان وحيث أصبحت ١٥٣ استباناً فقط تحقق الشروط الموضوعة آنفاً ولقد أقدمنا على هذه الخطوة إيماناً منا بنوعية الإجابات ومدى إمكان الاعتماد عليها بصرف النظر عن حجم هذه الإجابات .

الإستبار الميدانى :

تم إجراء الإستبار الميدانى بالقرية المختارة والتى سنتحدث عنها فيما بعد خلال شهر أغسطس سنة ١٩٦٧ * .

---

* نذكر بالتقدير للأستاذ أحمد كمال الشافعى معيد علم الاجتماع بجامعة عين شمس حسن استضافته لنا خلال فترة جمع البيانات ، كما نشكر له أيضاً مساهمته الفعالة فيها وكذلك نذكر بالتقدير والعرفان الأساتذة السيد محمد الحسينى ، ومحمد على محمد ، وعلى الجلبى الباحثين بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية مشاركتهم الفعالة فى هذه العملية .

مجال الدراسة ، الجغرافى والبشرى

وقع الإختيار على إحدى قرى محافظة الغربية لتكون مجالا لهذه الدراسة ، وتتبع هذه القرية إداريا مركز كفر الزيات وتقع على بعد حوالى عشرة كيلومترات فى الجنوب الشرقى من هذا المركز ، كما تقع فى منتصف الطريق تقريبا بين القاهرة ، والإسكندرية إلا أنها لاتحتل موقعها مباشرة بجوار هذا الطريق الزراعى وإنما يربطها بهذا الطريق طريق ضيق ، وغير ممهد ويمتد حوالى ستة كيلومترات وتبعد هذه القرية عن مدينة طنطا بحوالى عشرين كيلومتراً فى الاتجاه ، الشمالى الشرقى ، وتعتمد القرية على الزراعة كحرفة أساسية حيث يعمل أغلب السكان بها إلا هناك عدداً ناميا من الحرف والمهن الموجودة فى القرية كما يعكس ذلك تعداد ١٩٦٠ وحيث نجد أن عدد المشتغلين بالمهن الزراعية والمهن المشابهة لها يصل إلى ١٠٧٥ من الذكور وسبع من الإناث أى ١٠٧٢ مشتغلا بالزراعة وذلك من مجموع السكان القادرين على العمل ، والبالغ عددهم ٢٩٥٣ نسمة بينما صنفت المهن الأخرى تحت فئات المهن الفنية والعلمية ، والمديرون ، والمشتغلون بأعمال كتابية ، والمشتغلون بأعمال البيع ، والمشتغلون بأعمـــال النقل والمواصلات ، وأصحاب الحرف والصناع والعمال المشتغلون فى عملية الإنتاج أو الفعلة أو العتالون الذين لم يصنفوا فى مكان آخر ، والمشتغلون بالخدمات الرياضية ، والترفيه ومن إليهم ، ومشتغلون غير مصنفين حسب المهن ، ولقد وصل عدد هؤلاء حسب نفس التعداد إلى ٢١٢ من الذكور ، ٢٢ من الإناث وهى نسبة كبيرة لها دلالتها من حيث هى انعكاس للتغير الاجتماعى وما يصاحبه من تقسيم للعمل ، وتمايز المهن ، بينما وصل عدد الذين لامهنة لهم إلى ١٢١ من الذكور ، ١٥١٥ من الإناث .

أما جملة عدد السكان فقد وصلت وفقا للتعداد نفسه إلى ٤٩٠٠

نسمة يتوزعون وفقا لمختلف الأعمار منهم ٤٨٥٠ من المسلمين ، ٥٠ من المسيحيين .

ومن الناحية التعليمية نلاحظ أن عدد الأميين من النوعين بالنسبة للأفراد الذين تصل أعمارهم إلى عشر سنوات فأكثر يصل إلى ٢٦١٥ من مجموع هؤلاء الذى يبلغ عددهم ٣٥٩٩ أى أن نسبتهم المئوية تصل إلى ٧٢,٩٪ وهى تكاد تقترب من النسبة المئوية للأميين فى قرى متعددة ، بينما يتوزع الباقون تحت فئات يقرأ فقط وهى تضم ثمانية من الذكور ، وواحدة من الإناث ويقرأ ويكتب ، وتضم ٥٨٦ من الذكور ، ١٩٩ من الإناث ، ومؤهل أقل من المتوسط وتضم ٥٦ من الذكور ، ١٣ من الإناث ، ومؤهل متوسط وتضم ٨٧ من الذكور ، ٧ من الإناث ومؤهل فوق المتوسط ، وأقل من الجامعى وتضم ٣ من الذكور فقط . أما فئة المؤهلات الأعلى فإنها تضم ٨ من الذكور فقط والباقين غير مبينين (١٦ شخصاً) .

أما عن الحالة الزواجية فيتضح أن أغلبية سكان هذه القرية متزوجون (١٩٣٨) و٥٦٩ لم يسبق لهم الزواج و٢٣ مطلقاً ، ٣٥٠ أرملا ، ٧ غير مبين (وذلك بالنسبة لمن هم فى سن الزواج) نتهى من هذا العرض إلى أن القرية تضم ٤٩٠٠ من السكان يعمل جلهم بالزراعة إلا أن هناك مهناً أخرى نامية والأسرة هى الوحدة الأساسية والشائعة وهى تضم من الأسر عدداً يصل إلى ١٠١٠ ، ويصل متوسط حجم الأسرة إلى ٤,٩ أعضاء .

ويتبع القرية إداريا أربع عزب يصل تعدادها مجتمعة إلى حوالى ٦٠٠ نسمة تقريبا داخلين فى التعداد العام للقرية ذاتها ، وهى عزب مسماة بأسماء العائلات القاطنة لها . ومن ناحية التحليل الإجتماعى للقرية نستطيع أن نقول إنها تمثل أحد النموذجين الشائعين للقرى العصرية وحيث نجد أن أحد هذين النموذجين يتمثل فى قرى تضم عائلة كبيرة مسيطرة ،

وعدد من المجموعات العائلية الصغيرة[١] بينما يتمثل النموذج الثانى فى قرى تضم عائلات كبرى متقاربة المستوى الاجتماعى والاقتصادى ، وفى النموذج الثانى لاندرك مثل هذه الفوارق الحادة بين مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة وتكون خطوط الإتصالات قائمة بين مثل هذه العائلات ويهمنا أن نذكر هنا أن التعليم يلعب دوراً أساسياً — بما يرتبط به من دخل — فى إلغاء أية فوارق موجودة وإن لم يكن الشخص المتعلم هذا ينتمى إلى أى من العائلات الكبيرة ، فهو يستطيع ، وبحكم تعليمه أن يقيم علاقات تصل إلى النسب والمصاهرة بين أى من تلك العائلات الكبيرة ، ومن الملاحظ أن التقسيم العائلى لهذه القرية يرتبط إلى حد كبير بالتقسيم الإيكولوجى لها وحيث تلاحظ أن كل عائلة تمثل إلى الإقامة والاستقرار فى منطقة معينة من مناطق القرية فعادة ما يكون القريب جاراً . وما يرتبط أيضاً بوجود عائلات كثيرة متكافئة أن المراكز الإدارية التقليدية متداولة إلى حد كبير بين هذه العائلات (كالعمودية ومشيخة البلد) كما أن المراكز القيادية السياسية الحديثة موزعة أيضاً توزيعاً متكافئاً إلى حد كبير ، ويلقى كل ذلك بآثاره التى تتمثل فى تخفيف حدة الصراعات الموجودة بالقرية وذات الطابع العائلى وحيث نجد أن هناك — غالباً — صلات نسب ومصاهرة بين معظم العائلات الموجودة فى القرية .

أما عن المستوى الإقتصادى العام فإنه متقارب أيضاً بين العائلات وليس هناك تفاوت ضخم فى حجم الملكية فالملكية الزراعية متقاربة ، ولاتتجاوز فى أعلى حجم لها ثلاثين فداناً . إلا أن هناك أوجه نشاط أخرى تدر أرباحاً معينة على القرويين تتمثل غالبا فى أبراج الحمام ، وخلايا النحل بالإضافة إلى المهن الجديدة التى ارتبطت بإدخال نوع

---

(١) انظر محمود عودة ، « القيادة فى قرية مصرية » رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير . المصدر السابق .

من الخدمات الحكومية فى مجالات متعددة باعتبار هذه المهن تحقق مورداً اقتصادياً .

وتنم الملاحظة عن ارتفاع نسبى فى المستوى التعليمى وحيث يذكر القرويون عدداً لا بأس به من أبناء القرية الذين تلقوا تعليماً جامعياً ويحتلون مراكز وظيفية بالمدن المختلفة كطنطا ، وكفر الزيات ، والقاهرة ، والإسكندرية وهم يعتزون أيضا بأن هؤلاء الموظفين لم يقطعوا صلاتهم بالقرية فهم ما يزالون يترددون عليها ويقيمون بها لفترات معينة فى الإجازات وغيرها من المناسبات . ومما يرتبط بالنشاط الإقتصادى أيضا أن القرية تعقد سوقاً أسبوعية للقرى الصغيرة المجاورة بالإضافة إلى العزب وهى سوق محدودة يقتصر التعامل فيها على المواد الغذائية الاستهلاكية بوجه عام .

وهناك عدد من مؤسسات الخدمات الموجودة بالقرية يتمثل فيما يلى :

١ ــ مدرسة ابتدائية تعمل على فترتين صباحية ومسائية .

٢ ــ وحدة اجتماعية ملحق بها ناد رياضى اجتماعى .

٣ ــ وحدة صحية .

٤ ــ مكتب تليفون وتلغراف يعمل لمدة ستة عشر ساعة .

٥ ــ مكتب بريد .

٦ ــ جمعية تعاونية زراعية .

ومن المعروف أن مثل هذه المؤسسات ــ بما لديها من طاقم وظيفى ــ وباعتبارها وحدات مستحدثة ومدخلة فى البناء الاجتماعى للقرية إنما تمثل عوامل من عوامل التغير الاجتماعى ، أو من المحتمل أن تقف كأحد هذه العوامل وسوف نختبر دورها هذا إحصائيا فى المواقف المحددة لذلك لأن هذه النقطة بالذات كثيراً ما أثارت الجدل والنقاش وحيث إنه بينما يرجع جون إمبرى التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى قرية سويا مورا اليابانية

إلى مثل هذه التغيرات الموجهة وغيرها[١] نجد أن عاطف غيث يؤكد أن التغيرات التى طرأت على قرية القيطون التى درسها إنما مبعثها عوامل داخلية بحتة بينما يقتصر دور هذه التغيرات الموجهة على الإسراع والتعجيل Acceleration[٢] .

ويبقى فى النهاية تساؤل هام يدور حول أسباب اختيار هذه القرية بالذات. وحسماً لهذا التساؤل نقول بوضوح إن الاختيار تم على أسس إجرائية فى المحل الأول وتراعى مثل هذه الأسس الإجرائية إمكانية الإتصال بمجتمع القرية هذا ووجود مكان يسمح بالإقامة ووجود تسهيلات معينة للاتصال بالقرويين وتوافر الإخباريين اللازمين لمثل هذه الدراسة بالإضافة إلى أن الدراسة تستهدف تشخيص أنماط الاتصال وفاعليتها فى قرية مصرية. وبالتالى فإن نتائجها محدودة بالإطار العام لأهدافها وبالتالى فإن تعدد مثل هذه الدراسات فى قرى مختلفة تتميز بخصائص مختلفة إنما يزيد من قيمة النتائج الحالية للدراسة بالإضافة إلى أننا نستطيع إن نقرل أن الحياة القروية المصرية متشابهة إلى حد كبير.

العينة وإجراءاتها ، وخصائصها

تم اختيار عينة الدراسة من « أرباب الأسر » التى يبلغ عددها ١٠١٠ أسرة تقريبا على أساس عشوائى * من واقع كشوف الانتخابات بعد استبعاد الأفراد الذين لايعدون أرباب أسر وحيث تم ذلك بواسطة عدد من الإخباريين الذين يعرفون القرية جيداً ، ولقد تم اختيار نسبة ٢٠ ٪ من أرباب الأسر بالإضافة إلى ثمانية على سبيل الإحتياط فكان الناتج ٢١٠ رب أسرة يمثلون عينة الدراسة ، تم استبعاد سبع وخمسين منهم فيما بعد باعتبارهم

(١) انظر جون امبرى ، المصدر السابق .

(٢) انظر محمد عاطف غيث ، المصدر السابق .

* وذلك على أبعاد منتظمة وفق تسلسل الأسماء فى هذه الكشوف .

لم يحققوا المحكات الموضوعة للثبات والصدق . أى أن أفراد العينة وصلوا فى النهاية إلى ١٥٣ شخصا بنسبة ١٥ ٪ تقريبا وهى نسبة لا بأس بتمثيلها للمجموع .

إلا أن مسألة الإتصال بأفراد العينة فى المجتمع القروى مسألة فى غاية من الصعوبة ولذلك فقد حددنا كشفاً بعدد من البدائل كنا نلجأ إليه فى أضيق الحدود — وحينما كان يتعذر تماما الحصول على أحد أفراد العينة الأساسية .

خصائص العينة :

فى حديثنا عن خصائص عينة هذا البحث سوف نهتم بالأبعاد التالية :

١ — من حيث السن .

٢ — من حيث الحالة التعليمية .

٣ — من حيث المشاركة الإجتماعية التى تتمثل فى عضوية الجماعات المختلفة .

٤ — من حيث المهنة .

٥ — من حيث الدخل السنوى مقدراً بالجنيه .

١ — من حيث السن :

من أهم ما يميز هذه العينة أنها تميل إلى الفئات العمرية الكبيرة وحيث نلاحظ أن ١,٣١ ٪ من أفرادها أقل من عشرين عاماً و ١١,٧٦٪ من ٢٠ إلى أقل من ثلاثين عاماً ، ٢٩,٤١ ٪ من ثلاثين إلى أقل من أربعين عاماً ، ٢٩,٤١٪ من أربعين إلى أقل من خمسين عاماً ، ١٩,٦١ ٪ من خمسين إلى أقل من ستين عاماً ، ٨,٥٠٪ من ٦٠ عاما فأكثر . ومما يدعم هذا الإستنتاج أن متوسط العمر بين أفراد هذه العينة يصل إلى ٤٢,٩٧

ويعكس ذلك المتوسط المرتفع فى العمر ماسبق أن ذكرناه من أن العينة كانت مقصورة على أرباب الأسر ، وبالتالى فإنه لايعنى أى تحيز فى اتجاه عمر معين ، ولذلك فإن هذا التوزيع العمرى المتجه نحو الفئات الكبيرة ينبغى أن يوضع موضع الاعتبار عند تقدير نتائج البحث .

٢ – من حيث المستوى التعليمى :

كان حوالى ٥٠ر٩٨٪ من أفراد العينة من الأميين و٩,٨٠ ٪ من الملمين بالقراءة والكتابة إلماماً ضعيفاً و٣٣,٣٣ ٪ ممن يجيدون القراءة والكتابة ، ٦٥ر ٪ ، ممن أتموا الدراسة الإبتدائية ويقعون فى فئة « إعدادى وما فى مستواه » و٤,٥٨ ٪ ثانوى وما فى مستواه و ٦٥ر٪ حاصلون على شهادات عالية ويكاد هذا التوزيع يقترب من توزيع المستوى التعليمى فى مجتمع القرية بعامة وبخاصة إذا ما قارناه بما ورد فى تعداد ١٩٦٠ والذى ذكر آنفاً ومن الواضح أيضاً أن التناقص فى نسبة الأميين بين أفراد العينة قد يرجع إلى فترة الثمان سنوات التى تفصل بين التعداد ، وإجراء البحث الحالى . وبالنسبة للأفراد الحاصلين على شهادات متوسطة وعالية فقد ضمنوا هذه العينة لأنهم يقيمون – فعلا – إقامة دائمة فى القرية .

٣ – المشاركة الإجتماعية كما تعكسها عضوية الجماعات المختلفة :

توضح البيانات المرتبطة بأفراد العينة فى هذا المجال أن ٢٢,٨٨ ٪ من أفراد العينة لاينتمون إلى أى جماعة بينما ٧,١٩ منهم مساهمون بالجمعية التعاونية فقط و١٨,٩٥٪ أعضاء عاملون بالاتحاد الاشتراكى فقط و٥,٨٨ ٪ يشغلون عضويات أخرى كنقابة العمال الزراعيين أو غيرها فى الوقت الذى نجد فيه ٣٥,٩٥٪من أفراد العينة أعضاء مساهمون بالجمعية التعاونية وأعضاء عاملون بالاتحاد الاشتراكى العربى بينما يتوزع الباقون على أكثر من عضويتين ، ومن الملاحظ أن كثيراً من الجماعات التى تتيح الفرصة للإنضمام

إليها تتميز بالطابع الإجبارى أو الإلزامى أى أنها ليست جماعات طوعية أو اختيارية إلى حد كبير ، فالمزارع مثلا لابد أن ينضم إلى الجمعية التعاونية حتى يتسنى له الحصول على مستلزمات زراعية ، وقد يأخذ أيضا الانضمام إلى الإتحاد الاشتراكى مثل هذا الشكل إلى حد ما ، ولذلك فإن محك عضوية الجماعات هنا لا يمثل تماما حجم المشاركة الاجتماعية ومن هنا فإننا نعامل مثل هذا المحك بالكثير من التحفظ ونضع فى اعتبارنا أهمية وضع النتائج المترتبة عليه فى إطار هذه الحدود المتاحة .

٤ — المهنة :

تضم العينة ٢٣,٥٣٪ من المزارعين الملاك و٦,٥٤ ٪ من المزارعين المستأجرين و١٢,٤٢ ٪ من المزارعين الملاك والمستأجرين و٢٨,١٠ ٪ من العمال الزراعيين و٢,٦١ ٪ من المزارعين المالكين الذين يمتهنون مهنا إضافية بينما تتوزع النسب الباقية بين الحرفيين والتجار والمهن الأخرى أى أن ما يقرب من ٧٣ ٪ من أفراد العينة يشتغلون بالمهن الزراعية البحتة ، فإذا أضفنا لهم بعض المهن المساعدة للزراعة لتبين لنا أن هذه العينة ممثلة إلى حد كبير لمجتمع القرية الذى تغلب عليه الزراعة كمهنة رئيسية .

٥ — توزيع أفراد العينة وفقا للدخل :

حسب الدخل على أساس تقديرى بين الباحث والمبحوث ، فمن المعروف أن تقييم الدخل الثابت عملية صعبة وبخاصة فى المجتمع القروى ، ومن المرجح أن العينة من حيث الدخل ممثلة إلى حد كبير لمجموع أرباب الأسر الموجودين بالقرية ، وتضم العينة ٤٣,١٤ ٪ ممن يقل دخلهم عن خمسين جنيهاً سنويا ، وهم فى الغالب من فئة العمال الزراعيين ، كما تضم أيضا ٢٧,٤٥٪ ممن تصل دخولهم السنوية إلى خمسين جنيهاً ، وتقل عن مائة جنيه و١٠,٤٥٪ تصل دخولهم إلى مائة جنيه وتقل عن مائة وخمسين جنيها ،

٧,٨٤٪ ممن تصل دخولهم إلى ١٥٠ وتقل عن مائتين من الجنيهات بينما تصل دخول الباقين إلى أكثر من ذلك ولكن بنسب طفيفة جداً .

وإذا حاولنا أن نعطى فكرة واضحة عن دخول أفراد هذه العينة عن طريق استخراج المتوسط الحسابى لوجدناه يصل إلى ٩٤,٦١ سنويا وقد يرى البعض أنه متوسط مرتفع نسبيا وبخاصة إذا ما قورن بمتوسط الدخل بالجمهورية ولكن هذا الزعم — إذا ما وجد — يكون خاطئا لأنه ينبنى على أساس خاطئ فمن المعروف أن متوسط الدخل الفردى بالجمهورية يحسب على جميع الأفراد سواء أرباب أسر يعولون أم معولين أما هذا المتوسط فهو محسوب على أرباب الأسر فقط وحينما نقول أرباب أسر فمعنى ذلك أنهم بالقطع يعولون أحداً غيرهم .

الفصل الحادي عشر

الإتصال والمتغيرات المرتبطة به

تمهيد

يعد هذا القسم الذى يمكن أن نطلق عليه السلوك الاتصالى Communication Behavior فى القرية موضوع الدراسة محاولة تستهدف هدفين رئيسيين يتمثل الهدف الأول فى إعطاء صورة واضحة عن الاتصالات فى القرية وبخاصة الاتصالات الجمعية التى تعنى المشاركة فى المضامين التى تبث عن طريق الإذاعة والصحف والسينما من ناحية، والاتصالات بالمناطق الحضرية المجاورة أو البعيدة من ناحية أخرى لأن مثل هذه الاتصالات ليست مجرد انتقالات فيزيقية خالية من المعنى وإنما هى عملية مشاركة مع العالم الخارجى للقرية تبعثها دوافع الرغبة والتطلع إلى التعرف على عوالم جديدة تختلف عن عالم القرية كما أنه يترتب عليها الكثير من الآثار . أما فيما يتعلق بالهدف الثانى فإنه هدف أبعد من مجرد الوصف أو المسح وهو يسعى أساساً إلى اتخاذ السلوك الاتصالى الجمعى بمثابة مقياس يقيس الأنفتاح على العالم Cosmopoliteness الذى يتضمن فى كل بعد من أبعاده الرغبة فى التغيير والتجديد .

وسوف لا نكتفى هنا بمجرد إعطاء صورة عن السلوك الاتصالى سريعة وعابرة وإنما سوف نحاول قدر المستطاع إعطاء صورة بانورامية تعكس جميع الأبعاد والمتغيرات التى قد ترتبط بممارسة سلوك اتصالى ما ، أو الإحجام عن ممارسة سلوك اتصالى آخر ، وذلك كالسن والمستوى التعليمى والمشاركة الاجتماعية فى مجتمع القرية والمكانة الاقتصادية الاجتماعية والمهن . وسوف تحقق هذه العملية — فى تقديرنا — هدفين أو هى سوف تلعب دورين ، فهى سوف تعيننا على وضع تشخيص دقيق للاتصال فى القرية من ناحية وسوف تمكننا من التصنيف والتمييز من ناحية أخرى . وبالتالى فإنها سوف تلقى الكثير من الضوء على عملية التحول

الاجتماعى من التقليد إلى العصرية والتجديد .

ومما يطمئننا إلى صحة هذا الاتجاه أو الأسلوب أن هناك عدداً من الباحثين الذين إستخدموا أساليب قريبة الشبه منه فحينما حاول دانيل ليرنر أن يقدم تقريراً عن اندثار المجتمع التقليدى وتحوله فى الشرق الأوسط فنجده يصنف الناس إلى ثلاثة أقسام على النحو التالى :

١ — متمدين Modern وهو شخص تتحدد عصريته بعدة متغيرات مثل المستوى التعليمى وعلمانية التفكير والمستوى الاقتصادى المرتفع والاتصال بوسائل الاتصال الجمعى .

٢ — تحولى Transitional وهو يتميز بشخصية حراكية Mobile كما أنه يتطلع إلى التغير ويرغب فيه ولكنه لا يملك إمكانياته فهو أمى مثلا إلا أنه يتعرض لوسائل الاتصال الجمعى التى يتمكن من التعامل معها بحكم أميته كما أنه يستمع إلى الإذاعات الخارجية . إن بقال قرية بلجات التركية التى سبق أن أشرنا لها هو خير مثال لمثل هذا الشخص .

٣ — تقليدى Traditional وهو شخص يفكر بأسلوب تقليدى غير متعلم ويتميز بمستوى اقتصادى منخفض علاوة على أنه منغلق على نفسه ومجتمعه المحدود . أى أن « ليرنر » يتخذ من الاتصالات الجمعية والمشاركة فيها مضافا إليها الخصائص الشخصية الأخرى — يتخذ منها دليلا للتغير ومؤشراً إليه[١] .

كما نجد « إيفريت روجرز » — أيضاً — فى دراسته لخمس من قرى كولومبيا ومدى تعرض القرويين للاتصال الجمعى فيها يحاول أن يربط التعرض للاتصال الجمعى بعدد من المتغيرات كالمستوى التعليمى والمكانة الاجتماعية والسن والانفتاح على العالم الذى قاسه بعدد الزيارات التى يقوم بها القروى للمراكز الحضرية[٢] .

---

(١) Lerner. The Passing of Traditional Society, Op. cit pp. 86. 85.

(٢) E.M. Rogers "Mass Media Exposure and Modernization Among Colombian Peasants" op. cit.

ولقد استخدم نفس الأسلوب أيضاً إبراهيم أبو لغد فى دراسته وحيث ربط أيضاً الانغماس فى السلوك الاتصالى الجمعى بعدد من المتغيرات الاجتماعية والخصائص الشخصية[١] .

باختصار يهدف هذا القسم إلى محاولة تطبيق مفهوم السلوك الاتصالى على مجرى الأفكار والأخبار فى قرية مصرية . وسوف ينقسم هذا الفصل إلى الأقسام التالية :

١ — الاستماع إلى الراديو بوصفه سلوكا اتصاليًا .

٢ — قراءة الصحف وما يرتبط بها من متغيرات .

٣ — التردد على السينما وما يرتبط بهذا التردد من متغيرات .

٤ — التردد على المراكز الحضرية القريبة والمتغيرات المرتبطة بهذا التردد .

٥ — التردد على المراكز الحضرية البعيدة وما يرتبط بهذا التردد من خصائص .

٦ — العلاقة بين أوجه النشاط الاتصالى المختلفة .

أولا — الاستماع إلى الراديو

أصبحت وسائل الاتصال الجمعى بعامة تلعب دوراً هامًّا فى المجتمع المصرى ، يتضح ذلك من التعامل المتزايد مع هذه الوسائل بينما يزداد دور الراديو بصفة أساسية فى المجتمع على اعتبار أنه وسيلة لا تتطلب كفايات خاصة لدى المتعامل معها كالقراءة والكتابة وعلى اعتبار أن نسبة الأمية فى المجتمع المصرى ما زالت مرتفعة إلى حد كبير ومن الملاحظ أن أجهزة الراديو أصبحت تنتشر الآن انتشاراً واسعاً كنتيجة مباشرة لرخص أسعارها

(١) Abu-Lughod, "Mass Media and Egyption Village Life" op. cit.

وسهولة الحصول عليها من مصادر متعددة . وكما ينطبق ذلك على مجتمع المدينة فإنه ينطبق على المجتمع القروى أيضاً فقد لاحظ إبراهيم أبو لغد أن هناك ١٣٥ جهاز راديو فى القرى الست التى درسها عام ١٩٦١ والتى كان تعدادها حينئذ أربعة عشر ألفاً من السكان أى أن هناك جهاز راديو لكل ١٠٣ شخص ذكور وأناس وأطفال[١] إلا أن عدد الأجهزة لا يقيس حجم الاستماع الإذاعى وبخاصة فى المناطق الريفية يمثل نشاطا جماعيا أى أن إرسال الراديو لا يقتصر على صاحبه وأسرته فقط وإنما هو ينتشر لكى يعم جيرانه وأصدقاءه وأقاربه .

وقد لوحظ قبل بحث « أبو لغد » بعشر سنوات تقريبا وفى دراسة قام بها مكتب البحوث التطبيقية بجامعة كولومبيا ، وأعد منها تقرير نشر فى مجلة علم الاجتماع الريفى باسم « أدموند برونر » وبعنوان السلوك الاتصالى الريفى والاتجاهات فى الشرق الأوسط ، لوحظ أن الاستماع إلى الإذاعة يمثل نشاطا اجتماعيا فى المناطق القروية فعدد المستمعين إلى الإذاعة مرتفع إلى حد كبير فى هذه المناطق وبخاصة فى مصر[٢] إلا أن الحال لا يسير على هذا المنوال فى مجتمعات قروية أخرى ففى دراسة أجريت فى قرية سيلانية فى نفس الفترة — تقريباً — التى أجريت فيها دراسة كولومبيا فى الشرق الأوسط ، وجد الباحث أن هناك أربعة أجهزة راديو فقط وأن المشاركة فى الاتصالات الجمعية تمثل مشاركة ثانوية يؤديها بعض صغار السن غير المرتبطين بالمجتمع التقليدى بينما ينغمس الكبار فى مشاركة أولية دينية وقرابية[٣] وفى نفس الفترة تقريباً قام مايرستايكوس بدراسة للاتصالات فى قرية يونانية أدهشه أن يجد جهاز راديو وحيداً كائناً بحانة للقرية ويتحكم فى إرساله عامل هذه الحانة[٤] .

---

(١) Abu-Lughod, op-cit,

(٢) Edmund Brunner, op.cit.

(٣) B. Ryan, "Primary and Secondary Communications . .op.cit.

(٤) M. Stycos "Patterns of Communication in a Rural Greec Village", op.cit.

وإذا ما رجعنا بعد هذه المقدمة السريعة إلى نشاط الاستماع إلى الراديو فى قرية مصرية أثناء فترة الدراسة التى استغرقت فترة من عام ١٩٦٧ لوجدنا أن أغلبية أفراد العينية يستمعون إليه بانتظام أو أحيانا وأن قلة قليلة هى التى لا تمارس مثل هذا النشاط فلقد ذكر ٦٢,٧٥ ٪ من أفراد العينية أنهم منتظمون فى الاستماع إلى الراديو وأن هذا الاستماع أصبح بمثابة نشاط اجتماعى يومى ملموس بينما ذكر ٣١,٣٧ ٪ من هذه العينة أنهم يستمعون أحياناً إلى الراديو . وكان الذين لا يستمعون إلى البرامج الإذاعية يمثلون ٥,٨٨ ٪ فقط من العينة .

وليس من المستغرب أن تصل نسبة جمهور الراديو فى قرية مصرية إلى هذه الدرجة وبخاصة إذا ما رجعنا إلى دراسة إبراهيم أبو لغد والتى كشفت عن أن جمهور الراديو فى القرية المصرية جمهور عريض وواسع ومنتشر[١] وهو يفسر هذه الظاهرة بأن الاعتماد على الاستماع الإذاعى إنما يمثل سلوكاً اتصالياً سلبياً إلى حد كبير حيث لا يبحث الشخص هنا عن المضامين ولا يسعى إليها ولا يبذل جهداً يذكر فى الوصول إليها وإنما تأتى المضامين الاتصالية إليه فى عقر داره وما عليه إلا أن يدير مثل هذا الجهاز .

وقد توصل « ادموند برونر » فى تقريره السابق الذكر أن هناك حوالى الربع لا يتابعون الإذاعات وذلك فى المناطق القروية وذلك فى الخمسينات حيث توصل إلى أن عدد المستمعين — فى أقطار الشرق الأوسط — فى مناطقه الحضرية والقروية يفوق عدد المستمعين فى أقطار أكثر رخاء وتقدماً . فهناك حوالى الثلث من المستمعين لا يملكون أجهزة راديو مما يؤكد أن الإرسال الإذاعى ليس وقفاً على صاحب الجهاز فقط وإنما يمتد لجماعاته الأولية كذلك .

إلا أننا لا نستطيع أن نقدم تفسيراً مقبولا لهذا الغزو الإذاعى للريف المصرى إلا إذا وضعنا عدداً من المتغيرات والأبعاد الاجتماعية والنفسية — بالإضافة إلى التطورات التى طرأت على المجتمع المصرى بعامة — موضع الاعتبار

(١) انظر أبو لغد ، المصدر السابق .

والنظر الفاحص . إننا نتفق مع « أبو لغد » فى أن التعامل مع الإرسال الإذاعى يمثل سلوكا سلبيًّا . ولكننا لا نتفق معه فى مضمون هذا السلوك السلبى وأبعاده فتفسيره قد يوحى بأن هناك نوعاً من التكاسل يطبع القروى بطابع عدم الجرى وراء الأخبار والمضامين الاتصالية بوجه عام ولكن مرد هذا السلوك الاتصالى فى اعتبارنا هو أن الراديو أو الإرسال الإذاعى يعد من أحد المناشط الاتصالية التى لا تتطلب خصائص معينة لمستقبليها كمعرفة القراءة والكتابة مثلا كما أنه يجمع بين ميزات الاتصال الجمعى وميزات الاتصال للطبقى Class-Communication فى آن واحد فهو حقًّا يبث إرساله إلى ملايين عريضة ولكنه — فى نفس الوقت — يضمن هذا البث برامج وأركان طبقية فهو يخصص قسما للعمال وآخر للفلاحين وثالث للمثقفين وهكذا . بل إن هناك قنوات إرسالية بأكملها خاصة بطبقات وفئات اجتماعية معينة .

وحينما نوجه سؤالا مؤداه لماذا تستمع هذه النسبة الكبيرة إلى الراديو إذا ما قورن بغيره من وسائل الاتصال الجمعى فإن الحاجة تظهر إلى التحدث عن الخصائص الفريدة التى يتميز بها الراديو عن غيره من الوسائل ولقد حاول أحد الباحثين[1] أن يفسر تفرد الراديو هذا فى ضوء الوظائف السيكلوجية والاجتماعية التى يحققها ويشبعها ومن أهم إسهاماته فى هذا المجال قوله بأن بعض وسائل الاتصال الجمعى — وأهمها الراديو قد تشخصن Personalized فالمستمع قد ينظر إلى الراديو كرفيق ومن ثم فهو يضفى عليه صفة الشخص . وصفة التشخصن هذه قد تقع على الراديو أكثر مما تقع على غيره من وسائل الاتصال الجمعى فهو يقول « إن الحقيقة التى مؤداها أن الراديو ما يزال منافساً قويا للتلفزيون توحى بأن لكل منهما وظائف مختلفة » فهناك بعض الوظائف الواضحة التى يقدمها الراديو لمستمعيه ؛ فمن الواضح أنه يسلى الناس ويرفه عنهم ويمدهم بالمعلومات بوصفه وسيلة إعلامية ويقدم إطاراً مناسباً من الضوضاء والتشويش يسمح للناس أن ينجزوا

(١) See H. Mendelsohn "Listening To Radio" op. cit.

أعمالهم على صوته وموسيقاه وبرامجه ، ولكن هذا الباحث لا يكتفى بوصف ما هو معروف بل إنه يحاول الكشف عما هو غير معروف وكامن من الوظائف والإشباعات ، فمن خلال تحليل كيفى لبحث أجراه على مستمعى محطة إذاعية أمريكية توصل إلى أن أغلب المستمعين الذين كانوا موضوعاً للاستبارات يعتبرون أن الراديو يلعب دوراً هاما فى حياتهم اليومية هذا الدور الشامل الهام إنما هو نوع من « الوجود الهام المتعدد المزايا والجوانب » فهو يستطيع أن يثير وأن يهبط ويريح ومن الممكن أن يكون رفيقاً عزيزاً كما أنه يمكن التخلص من ضوضائه بسهولة ويستطيع أن يعرض الأحداث الكبرى التى تجرى فى العالم الخارجى كما يستطيع فى الوقت نفسه أن يعلن حالة الطقس المرتقبة » .

وبالإضافة إلى قدرة الراديو هذه على نشر الأخبار فإنه يحقق أيضاً وظائف مزاجية للمستمع ، فإن أهم ما يتميز به يكمن فى قابليته للتعديل بحيث يكون ملائماً لمزاج المستمع أو إطاره السيكلوجى فى وقت معين وحيث أن وجود محطات عديدة يجعل من السهولة بمكان أن يدير المستمع مؤشره لكى يتلقى ما يوافقه ويلائمه مزاجيا وسيكلوجيًّا ، كما أن الراديو يعد عنصراً مهما من العناصر التى يتركز حولها التفاعل الاجتماعى فبرامجه قد يلتف حولها مجموعات من الناس يناقشونها أو حتى يستمعون إليها وينفعلون بها معاً فكأن الراديو يحقق إذن وظيفة اجتماعية أيضاً بالإضافة إلى ما يحققه من وظائف إخبارية ومزاجية وسيكلوجية . ومما وسع من جمهور الراديو فى المجتمع بعامة وفى المجتمع القروى بصفة خاصة بالإضافة إلى ما سبق حصره من وظائف وخصائص فريدة أنه أصبح — من حيث هو جهاز ، فى متناول أيدى الكثيرين وبخاصة بعد الانتشار الواسع لأجهزة « الترانزستور » الذى نلاحظ مرافقته للقروى فى منزله وفى حقله ومن ملاحظة ذلك بالفعل فى القرية موضوع الدراسة نجد أن « مندلسون » قد حالفه الصواب حينما قرر أن الراديو يؤدى وظيفة الرفقة باعتباره قابلا للتشخصن .

ومن المتوقع – وبناء على هذا الانتشار الواسع للاستماع الإذاعى فى القرية موضوع الدراسة ، أن يكون دور الراديو فيها دوراً هاماً كما أنه من المتوقع أيضاً أن يساهم فى إعادة صياغة أو إعادة تشكيل طاقم القيم والاتجاهات المشتركة بواسطة أشخاص (الذين يقومون على البث والإرسال الإذاعى) بعيدين جداً عن المجتمع المستقبل وقد يتفوق دوره – فى هذا الصدد – وفى وقت ما على دور الجيران والأقارب ومن ثم فإن مفاهيم سيسيولوجية كالقرابة والجيرة وما تعكسها من مضامين تأثيرية إنما تفقد آنئذ الكثير من مضامينها وتصبح حينئذ بحاجة إلى تعديل[1] .

ونعود لنثير تساؤلا آخر مؤداه أين يمارس القرويون فى المجتمع موضوع الدراسة استماعهم الإذاعى ؟ على اعتبار أنه تساؤل هام يكشف عما قد يصاحب هذا الاستماع من نشاط جماعى وعلاقات جماعية كما يكشف أيضاً عن مدى انتشار ملكية أجهزة الراديو نفسها بين أسر العينة فى هذه القرية وهو سؤال يحتمل إحدى إجابتين غالبتين فإما أن تكون أجهزة الراديو محدودة والجمهور عريض مما يترتب عليه أنهم يستمعون دائماً فى جماعات صداقة أو قرابة أو جيرة أو فى مكان عام كمحال البقالة أو المقهى : وإما أن تكون ملكية هذه الأجهزة منتشرة وعريضة أيضاً مما يترتب عليه أن يكون طابع الاستماع فردياً أو أسرياً محدوداً . وليس يخاف أن كلاً من هاتين الإجابتين المحتملتين يرتبط بها شكلا فريداً من التفاعل فبينما يترتب على الأولى تفاعل جماعى خارج نطاق الأسرة والقرابة فإن التفاعل الذى يترتب على الثانية أسرى محدود النطاق .

وتجيب بياناتنا – واقعياً – على هذا التساؤل المثار بأن ٦٨,٠٦٪ من أفراد العينة يملكون جهازاً يستمعون إلى إرساله فى منازلهم و ٢٥,٦٩٪ يستمعون إلى الإرسال الإذاعى لدى أصدقاء أو جيران أو أقارب وتستمع النسب الباقية فى أماكن أخرى كمحال البقالة أو غيره أو أكثر من مكان .

---

(١) See. L. Dexter and D. White, op. cit.

وقد لاحظ « أدموند برونز » — من خلال تحليلاته — أن ثلث عدد المستمعين فى أقطار الشرق الأوسط لا يملكون أجهزة راديو وذلك فى المناطق الحضرية بينما تصل هذه النسبة إلى ٥٠٪ فى المناطق القروية ومن الواضح أن نتائج دراستنا تتشابه مع نتائج « برونر » فى هذا الصدد وبخاصة إذا وضعنا عنصر الزمان الذى يفصل بين الدراسة الحالية ودراسة برونر والذى يمتد أكثر من خمسة عشر عاماً — موضع الاعتبار حيث إن هذه الفترة كفيلة بأن تخفض نسبة من لا يملكون راديو من المستمعين أكثر من ذلك .

إلا أن « برونر » يورد أن التعليقات قد أوضحت بجلاء أن المقهى فى المناطق القروية يمثل مركزاً اجتماعياً Social Centre ذا أهمية كبيرة . ويستطرد « برونر » إلى أنه كان من الواضح — أيضاً — أن هذه الوظيفة الاجتماعية للمقهى والتى غالباً ما تكون عامة فى الريف لا تصل إلى نفس الدرجة فى المدينة حيث يسودها المناخ التجارى . وحيث لا ترجد مثل هذه الدرجة الضخمة من المناقشات والتعليقات .

ويؤخذ على ما وصل إليه « برونر » أنه يضخم ويبالغ إلى حد كبير فى دور المقهى فى الريف كمركز اجتماعى . فالمقاهى بصفة عامة ظاهرة غير منتشرة فى الريف المصرى التقليدى لأنها لا تتسق مع البناء الاجتماعى للمناطق الريفية والتى تلعب فيها « الدور » و « والدواوير » و « والمنادر » و « والمصاطب » الدور الحقيقى باعتبارها مراكز تجمع . ويبدو أن حديث « برونر » فى هذا المجال متناقض تماماً . فى المجتمع المصرى بوجه خاص تعتبر المقاهى من الظواهر المرتبطة بالمناطق الحضرية أو الآخذة فى التحضر لأنها تتسق فعلا مع المناخ التجارى للمدينة والذى أشار إليه « برونر » باعتباره من العوامل التى تفقد المقهى وظيفتها فى الحضر . والنتيجة التى توصل إليها « برونر » فى هذا الصدد إما أن تكون نتاجاً لخطأ فى المنهج أو عدم دقة فى البيانات أو تسرع فى الحكم والتحليل . وهى مسألة يدركها كل متصل — عن وعى — بالمجتمع المصرى بعامة ، والمجتمع القروى بخاصة . ولم تحظ المقهى فى بياناتنا بنصيب يذكر

بوصفها مكان للاستماع فلا توجد فى الواقع مقهى تتمتع بخصائص المقهى فى هذه القرية وإنما هى مكان محدود جداً ولا يلعب دوراً هاماً كمكان للتجمع .

نستطيع أن نقول إن نشاط الاستماع إلى الراديو هو نشاط أولى مطبوع بنفس الطابع الأولى للعلاقات الاجتماعية بالقرية وحيث يستمع القروى غالباً إلى الراديو فى منزله وثانياً لدى أصدقائه وأقربائه وجيرانه بينما يستمع نفر قليل يمثلون ٢,٠٨٪ لدى البقال و ٢,٠٨٪ فى أماكن أخرى والباقون فى أكثر من مكان . ولقد بالغ أيضاً أبو لغد فى محاولته لفهم الدور الهام الذى يلعبه الراديو فى اتصال جماعة التجار فى القرى التى درسها حيث وجد أنه من الضرورى أن يستجلى دكان تاجر القرية وهو دكان صغير للبقالة بسيط فى تكوينه إلا أن أهم ما يميزه وجود جهاز الراديو الذى يلعب دوراً هاماً ليس بالنسبة للبقال فقط وإنما بالنسبة لغيره من التجار ، بالإضافة إلى أنه يمثل خدمة معينة تقدم للزبائن وهنا نجد أن دكان التاجر مركز لتناقل الأخبار وتبادل التسلية والترثرات .

ولكن هل وصل الاستماع الإذاعى بالقرى إلى القفز فوق الحواجز المحلية إن صح إطلاق مثل هذا التعبير ؟ نقول بصيغة أخرى هل يقتصر النشاط الاستماعى على الإذاعات المحلية أم يتعدى ذلك ليصبح نشاطا مرتبطاً بالإذاعات الخارجية التى تبث إرسالها بالعربية أيضاً ؟

من واقع البيانات التى لدينا نتبين أن النسبة الغالبة من أفراد العينة لا تستمع إلى إذاعات خارجية وهى تقدر بـ ٨١,٩٤٪ من مجموع أفراد العينة بينما يستمع ستة أشخاص بنسبة ٤,١٧٪ إلى إذاعة لندن واثنان بواقع ١,٣٩٪ إلى إذاعة موسكو ومثلهم إلى إذاعة صوت أمريكا وعشرة بنسبة ٦,٩٤٪ إلى إذاعات عربية وحوالى ٤,١٧٪ يستمعون إلى أكثر من إذاعة خارجية .

ونسبة المستمعين إلى إذاعات خارجية منخفضة عموماً وقد يرجع هذا الانخفاض إلى عدة أبعاد أو عوامل أولها وجود عدة إذاعات محلية متباينة

يستطيع القروى أن ينتقى بينها ما يوافقه ، وثانيها أن تكون عملية الاستماع عملية شاقة من حيث وضوح الإرسال أو عدم وضوحه وثالثها أن هذه النسبة المنخفضة قد تكون نتاجاً لنوع من التحرج فى الإجابة الصريحة على مثل هذا السؤال وبخاصة أنه وجه فى ظرف قد يكون غير موات . إلا أن « برونر » قد وصل إلى نتيجة مشابهة حينما ذكر أنه بينما كان أكثر من نصف المستمعين فى المناطق الحضرية يتابعون إذاعة خارجية واحدة كل شهر على الأقل فإن الأمر كان مختلفاً فى المناطق القروية حيث لاحظ أن غالبية من يستمعون إلى إذاعات خارجية يتابعون الإذاعة البريطانية حوالى ٨٦٪ منهم بينما يتابع ربع هؤلاء المستمعين الإذاعة الأمريكية ويتابع الثمن الإذاعة الروسية .

وفى نهاية تحليلنا للاستماع الإذاعى يهمنا أن نشير إلى البرامج الإذاعية التى يفضلها القرويون وفق ترتيب اختياراتهم وهنا يلفت نظرنا أن الأخبار — وحدها — قد حققت أكبر حجم من الاختيارات إذ وصلت نسبة الذين يفضلونها دون غيرها ٧,٦٤٪ من المستمعين بينما وصلت نسبة الذين يفضلونها مضافاً إليها « القرآن الكريم والأغانى ٢٤,٣١٪ ونسبة من يفضلونها والقرآن الكريم فقط ٢٢.٢٢٪ بالإضافة إلى أنها قد ظهرت بوصفها قاسما مشتركا بين أغلب الإختيارات الأخرى والتى اتجهت إلى اختيار أكثر من برنامج . ولكن النتيجة الملفتة للنظر هو أن البرامج الريفية والموجهة أساساً للقرويين ظهرت على أنها لا تلقى منهم اهتماماً يذكر . ويمكن أن يفسر ذلك بأن هذه البرامج الخاصة لم تحقق النجاح الكافى فى التعامل مع جمهورها الخاص ويمكن إرجاع هذا الفشل إلى أنها لم تفهم جمهورها هذا فهماً كافيا وبالتالى لم تتم عملية الاتصال بنجاح كما يمكن أن نفسر ذلك أيضاً بنظرة القروى إلى ذاته باعتباره ضمن الجمهور العام للإذاعة .

وتعكس هذه النسبة العالية درجة اهتمام القرويين بالأخبار وما يجرى

فى العالم من أحداث وقد وجد « برونر » أن الأخبار تحتل أيضاً المرتبة الأولى فى البرامج المفضلة كما لاحظ أن مرتبة الأخبار كبرنامج مفضل أكثر ارتفاعاً — إلى حد ما — فى المناطق القروية إذا ما قورنت بالمدن . وذلك ينطبق على مرتفعى التعليم كما ينطبق أيضاً على منخفضى التعليم كما لاحظ أيضاً أن القرويين يفضلون الاستماع إلى القرآن الكريم بالإضافة إلى الأخبار .

وطالما ظهر أن الاستماع إلى الراديو يعد نشاطا اجتماعياً عاما وشائعا فإن ذلك يعنى أنه منتشر بين مختلف الطبقات والمستويات التعليمية وغير ذلك من التصنيفات الاجتماعية ولذلك وجدنا أنه ليس ثمة جدوى أو منطق لإيجاد ارتباطات بين الاستماع إلى الراديو وغيره من المتغيرات .

ويمكن تلخيص أهم النتائج الخاصة بهذا الموضوع فيما يلى :

١ — نشاط الاستماع الإذاعى مطبوع بنفس الطابع الأولى للعلاقات الاجتماعية بالقرية وحيث يستمع القروى إلى الراديو — غالباً — فى منزله ثم لدى أصدقائه وأقربائه وجيرانه .

٢ — تحتل الأخبار بشقيها الداخلى والخارجى المرتبة الأولى من الاهتمام وتتفق هذه النتيجة مع ما اكتشفه « برونر » .

٣ — الاستماع إلى الراديو نشاط اجتماعى عام وشائع ويعنى ذلك أنه منتشر بين مختلف الطبقات والمستويات التعليمية وغير ذلك من التصنيفات الاجتماعية .

٤ — من المتوقع وبناء على هذا الانتشار الواسع للاستماع الإذاعى فى القرية موضوع الدراسة أن يكون دور الراديو فيها دوراً هاما كما أنه من المتوقع أيضاً أن يساهم فى تشكيل أو إعادة صياغة طاقم من القيم والاتجاهات المشتركة .

ثانياً : الصحف

وجه السؤال الخاص بقراءة الصحف إلى الذين يعرفون القراءة والكتابة من أفراد العينة والذين بلغ عددهم خمسة وسبعين شخصاً من مجموع أفراد العينة البالغ عددهم مائة وثلاثة وخمسين شخصا وقد تبين أن ٢٤ ٪ من هؤلاء الذين يقرأون ويكتبون يقرأون الصحف بانتظام بينما ٤٢٫٦٧٪ منهم ، يقرأونها أحيانا ومتى يتيسر لهم الحصول عليها و٣٣٫٣٣ ٪ لا يقرأون الصحف . ومن الواضح أن نسبة قراء الصحف منخفضة بوجه عام وبخاصة إذا قورنت بنشاط الاستماع إلى الراديو وتعكس هذه النسبة ظروفاً معينة مرتبطة بها كعدم انتظام وصول الصحف إلى القرية أو عدم توفر ثمنها أو هذين السببين مجتمعين أو أسباب أخرى . وقد لاحظنا أن ورود الصحف إلى القرية عملية غير منتظمة وهى ترد فى شكلين : إما عن طريق عدد محدود جداً من المشتركين أو عن طريق من يذهبون إلى المركز أو المناطق الحضرية المجاورة . إلا أن نشاط قراءة الصحف لا يرتبط بقدر الصحف الواردة إلى القرية بمعنى آخر إن عدد الصحف القليل الذى يدخل إلى القرية لا يعكس جمهور الصحف الحقيقى فيها حيث نجد أن مشترى الصحيفة ليس هو قارئها الوحيد بل إنها تستعار وتدور بين عدد آخر من القراء الذين هم فى الغالب أقارب أو جيرانا ولكن هذه العملية تتم بين مستويات تعليمية واقتصادية متشابهة إلى حد كبير .

ويمكن تفسير هذه النسبة المنخفضة لقراء الصحف بأنها نتائج لجهد يومى على القروى أن يبذله للحصول على الصحيفة بالإضافة إلى مقابل مادى عليه أن يدفعه يومياً .

وتتفق هذه النتيجة مع ما وصل إليه « أبو لغد » من أن جمهور الصحف فى القرية هو فى الغالب جمهور خارجى عنها ويتمثل فى عدد من الموظفين الحكوميين الذين يقيمون فى القرية بحكم عملهم[١] إلا أنها تختلف تماما مع ما تكشف (لبرونر) من أن جمهور الصحافة لا يقل عن الجمهور الإذاعى إلى حد كبير[٢] كما أن تفسير أبو لغد لهذه الظاهرة بأن القروى يلجأ إلى المصادر السلبية التى لا تكلفه عناء ما كالإذاعة والاتصال الشفاهى تفسير مقبول إلى حد ما .

أى أننا نستطيع أن نقول — ونحن مطمئنون — إن الدور المنوط بالصحافة فى الريف دور ما يزال ضئيلا إلى حد كبير إذا ما قورن بدور الراديو .

حقًّا أن نسبة من ذكروا أنهم يقرأون أحياناً مرتفعة إلى حد ما ولكن (أحياناً) هنا تختلف عن (أحيانا) فى حالة الراديو على اعتبار أن جهاز الراديو موجود فى مكانه وفى متناول القروى متى سمحت ظروفه بالاستماع وذلك ليس الحال فيما يتعلق بالصحف حيث تتوقف (أحياناً) كلية على مدى توفر الصحيفة نفسها وظروف الحصول عليها .

ولكن هل يتوقف جمهور الصحف فى القرية على الذين يعرفون القراءة والكتابة فقط ؟ بمعنى آخر هل تنتشر بالقرية ظاهرة الاستماع إلى قراءة الصحف من الغير ؟ حينما وجه هذا السؤال إلى الأميين تبين أن نسبة ضئيلة جدًّا منهم هى التى تمارس مثل هذا النشاط حيث بلغت نسبة المنتظمين فى هذه الممارسة ٦ر٤١٪ وهى تمثل خمسة أشخاص من ثمانية وسبعين أميًّا تضمهم

---

(١) See Abu-Lughod, op. cit.

(٢) وجد برونر أن الفرق فى قراءة الصحف بين الحضر والريف ليس شاسعا وحيث أنه يوجد فى مقابل كل ستة من الحضريين مستمعى الراديو — ممن لا يتمتعون بمستوى تعليمى مرتفع خمسة من الريفيين فى نفس الظروف و يمارسون «نفس الخبرة (أى قراءة الصحف أو الاستماع إليها) انظر « برونر » المصدر السابق .

العينة بينما ذكر ١٢٫٨٢٪ أنهم يستمعون متى واتتهم الفرصة وذكر ٧٧٫٨٠٪ أنهم لا يستمعون إطلاقاً إلى قراءة الصحف من الغير .

وتعنى هذه النتيجة أن جمهور الصحف فى القرية متمثل — بالفعل — فى أولئك الذين يعرفون القراءة والكتابة. وأن الاستماع إلى القراءة من الغير ظاهرة غير ملحوظة فى هذه القرية . وتعكس هذه النتيجة بعداً هاما من أبعاد العلاقات الاجتماعية السائدة والتفاعل الاجتماعى الموجود . فهى توضح بجلاء أن ظاهرة جلوس شخص يتمتع بمستوى تعليمى معين مع شخص أمى لكى يقرأ عليه الصحيفة ، ظاهرة محدودة جداً وهى تعنى بالتالى أن المستوى التعليمى قد يكون محدداً هاماً من محددات التفاعل الاجتماعى بحيث نستطيع أن نقول إن كل شخص يميل إلى تكوين علاقات اجتماعية مع من يشابهونه فى المستوى التعليمى أو الاجتماعى أو الاقتصادى. وهى نتيجة كثيراً ما دعمها التراث السوسيولوجى فى مختلف المجالات كما أنها تعكس خطورة تطبيقية مؤداها أن دور المتعلمين فى القرية قد يكون محدوداً جداً فى مجرى التأثير والتغيير بوجه عام ، وهذا ما أوضحه بجلاء محمد عاطف غيث فى دراسته للقيطون[١] كما أوضحت أيضاً دراسة أخرى أن المتعلمين فى القرية يمثلون جماعة قد تكون شبه منعزلة سسيومتريا — فى كثير من الأحيان[٢] .

وإذا كان الحال كذلك فى القرية المصرية فإنه ليس كذلك فى القرية اللبنانية وحيث كشفت إحدى الدراسات عن أن الشباب المتعلم والصغير السن فى قرى لبنان قد أخذ يسلب دور قيادة الرأى من كبار السن الذين طالما اضطلعوا بأعباء هذا الدور ، وذلك بحكم نشاطهم فى نقل الأخبار إلى القرية بالإضافة إلى تفسير هذه الأخبار كذلك[٣] .

ويقل الاهتمام — إلى حد كبير — فيما يتصل بقراءة المجلات وحيث

---

(١) محمد عاطف غيث ، المصدر السابق

(٢) انظر ، محمود عوده ، القيادة فى قرية مصرية ، المصدر السابق .

(٣) See, Lerner, op-cit pp. 185-084.

تنخفض نسبة المداومين على هذه القراءة انخفاضاً كبيراً وحيث يداوم شخص واحد فقط من غير الأميين على هذه القراءة بنسبة ١ر٣٣٪ من مجموع هؤلاء بينما تصل نسبة غير المنتظمين فى القراءة إلى ٢٨ ٪ فى الوقت الذى تصل فيه نسبة من لا يمارسون هذا النشاط إطلاقاً إلى أكثر من ٧٠ ٪ وقد نرجع تلك النسبة المنخفضة إلى صعوبة الحصول على هـذه المجلات وارتفاع أثمانها نسبياً عن الصحف مما يجعلها مصدراً إخبارياً غير ملموس بالنسبة للقروى .

وحينما طلب من قراء الصحف أن يرتبوها وفق أفضليتها بالنسبة لهم حصلت صحيفة « الأخبار » على المرتبة الأولى (٣٢ر٦٥٪) تليها الأهرام (٢٦ر٥٣٪) فجمهورية (٢٢ر٤٥٪) . فالأهرام والأخبار ١٢ر٢٤/ وكانت هناك نسبة ٤ر٠٨ ٪ لا تفرق بين الصحف الثلاث . ٢ر٠٤ يفضلون الأهرام والجمهورية وتعكس هذه النتائج أن قراءة الصحف فى القرية ليست عملية انتقائية إلى حد كبير وإنما يقرأ القروى ما يتيسر له من الصحف كما تعكس أيضاً العملية التبادلية التى تتم بها القراءة وهى عملية ملحوظة حيث يتم بواسطتها تبادل الصحف المشتراة بين المشترين .

ولكن ماذا عن الموضوعات الصحفية التى يفضلها القراء من القرويين ؟ تتسق الإجابات عن هذا السؤال إلى حد كبير مع الإجابة الخاصة بالبرامج الإذاعية المفضلة فيما يتعلق بارتفاع الأخبار إلى المرتبة الأولى من الموضوعات المفضلة . فقد ذكر ٤٦٪ من القراء . الأخبار المتعلقة بالشئون الخارجية والشئون الداخلية على السواء بينما نالت الأخبار الخارجية وحدها ٨ ٪ والأخبار الداخلية وحدها ٢ ٪ من الإختيارات . فى الوقت الذى توزعت فيه باقى الاختيارات على موضوعات أخرى أو أكثر من موضوع واحد . ويلفت النظر فى هذه النتيجة جانبان . أولهما الاهتمام الواسع بالأخبار الذى يعكس بالتالى رغبة فى الانفتاح على العالم وترقب أحداثه أما الجانب الثانى فهو يتمثل فى ذلك القدر الضئيل الذى تحتله الصحافة كمصدر من مصادر نقل المعلومات والأخبار الخاصة بالزراعة .

أما عن الجانب الأول أى الاهتمام السياسى الواسع فهو ليس بجديد فقد عرضه « برونر » فى دراسته وحيث يذكر أن « ثلثى الفلاحين قد أعطوا أولوية للأخبار المحلية التى تتضمن تقارير ونشرات القطن وسوقه * وذكر النصف أنهم يفضلون الأخبار الخارجية . ولم يذكر أحد مقالات المحررين كما لاحظ أيضاً أن « هذا الاهتمام المتزايد بالأخبار قد اتضح سواء بين المستمعين إلى الراديو أو المتتبعين للصحف » وهو يرجع أن ذلك « نذير بصحوة الشرق الأوسط »(١) .

وقد سجل جوردون ديرابایاش وفتح الله الخطيب من واقع دراستهما عن الاتصال والوعى السياسى فى قرى مصر أنه « بالنظر إلى العلاقات الوثيقة بين الشئون القومية والشئون المحلية نجد أن القرويين يهتمون بالشئون القومية كما يهتمون بالشئون المحلية أيضاً إلا أن الدراسة قد كشفت ضعفاً فى الاهتمام بالقضايا العالمية(٢) .

معنى ذلك أن اهتمام قروى هذه الدراسة بالأخبار وتلقيها سواء عن طريق الإذاعة أو الصحف ليس وليداً لظروف خاصة « كالحرب الأخيرة مثلا » وإنما هو ظاهرة واضحة ومسجلة فى ظروف مختلفة ومتعاقبة ويعكس رغبة فعلية فى التعرف على أحوال العالم . واهتمام القروى بالأخبار ظاهرة منطقية ومتسقة مع واقع الأحداث . فمن المعروف أن الأخبار والتعليقات السياسية أصبحت تحتل حديثاً جل مضمون الاتصالات الجمعية . بالإضافة إلى أن قضايا العالم أصبحت متشابكة تؤثر بشكل أو بآخر فى بعضها البعض . فقضية العلاقة بين القوى الكبرى لا يمكن فصلها عن قضية الحرب فى فيتنام أو قضية الشرق الأوسط بمعنى آخر لقد أصبحت القضايا السياسية العالمية مرتبطة إلى حد

* يلاحظ أن هذه البيانات جمعت فى مطلع الخمسينات

(١) أنظر « برونر » المصدر السابق .

(٢) Hirabayashi & El Khatib "Communication and Political Awareness in The Villages, of Egypt" op. cit.

كبير بالقضايا المحلـــية بحيث أن اهتمام القروى بالقضايا المحلية كالعدوان الإسرائيلى مثلا يدفعه بطريقة لا مفر منها إلى الاهتمام بالقضايا العالمية .

أما فيما يتعلق بالجانب الثانى والذى مؤداه أن الصحافة وسيلة اتصالية ضعيفة فيما يتعلق بنقل الأخبار الخاصة بالزراعة هو يشير بمعنى أصح إلى أن القروى لا يعتمد على الصحافة باعتبارها مصدراً لمثل هذه الأخبار ويوحى بأن محاولة الهيئات القائمة على الإرشـــاد الزراعى لاستخدام الصحف وسيلة لها إنما هى محاولات ساذجة تفتقر إلى المعرفة بمضمون جمهورها وخصائصه .

هذا ولا يختلف الذين يستمعون إلى قراءة الصحف عن أولئك الذين يقرأونها بأنفسهم من حيث تفضيلهم للمواد الأخبارية وحيث حصلت على ١٣٫٣٣٪ من الاختيارات بمفردها إلا أن ما يلفت النظر هنا أن المستمع لا يحدد أى موضوع باعتباره موضوعاً مفضلا فهو يستمع — بصفة عامة — إلى ما يقرأ له ، أى أن القارئ هو الذى يملى الموضوعات على المستمع .

وتعكس البيانات الخاصة بقراءة الصحف ضعفاً شائعاً فى الاهتمام بهذا النشاط الاتصالى ، مما يجعلنا نرجح أن دور الصحف فى المجتمع القروى المصرى دور محدود وبالتالى فإنها تؤدى وظائف محدودة ويبدو أن مرد ذلك قد يرجع إلى افتقار المجتمع القروى المصرى إلى الصحافة المحلية التى تعكس أفكاره وقيمه فحينما نضع هذه النتيجة فى إطار حضارى مقارن نلاحظ أن الصحافة المحلية تلعب دوراً هاماً فى المبادرة بتقديم الأفكار وتنفيذ المشروعات المحلية فى المجتمعات المحلية الأمريكية وغيرها[١] .

وقد لوحظ فى دراسة بعنوان الاتصال الشفاهى فى الاتحاد السوفييتى

(١) أنظر على سبيل المثال

Alex S. Edelstion and B. Schulz "The Leadership Role of the Weakly News Paper as seen By Community Leaders; A Sociological Perspective" in People Society and Mass communication, op cit pp. 221-265.

أجريت على المهاجرين السوفييت المنتشرين فى أوربا وأمريكا ممن غادروا الاتحاد السوفييتى قبل انتهاء الحرب . ومن ثم فإن عدداً كبيراً من الاستبارات يعكس الخبرة قبل الحرب إلا أن العينة هنا متحيزة أصلا باعتبارها مكونة أساساً من الساخطين على النظام — لوحظ أن القرويين أقل اعتماداً على الصحف باعتبارها مصدراً منظماً للأخبار وذلك إذا ما قورنوا بغيرهم من مختلف الفئات الاجتماعية . وتتسق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه الدراسة الحالية[١] .

ومن خلال هذا الحديث عن قراءة الصحف يتكشف لنا أن جمهور الصحف فى القرية جمهور محدود النطاق وليس عريضاً وشاملا كجمهور الراديو . ولقد ترتب على اتساع جمهور الراديو الذى شمل تقريباً معظم أفراد العينة أننا لم نحاول فحص خصائص هذا الجمهور إلا أن الحاجة تظهر الآن إلى فحص خصائص جمهور الصحف طالما أنه جمهور محدود . ويمكن أن نضع هنا عدة قضايا قد تقودنا إلى تحليل لخصائص جمهور الصحف فى القرية على النحو التالى :

١ — الخصائص العمرية .

٢ — الخصائص الطبقية .

٣ — من حيث المشاركة الاجتماعية .

٤ — الخصائص المهنية .

أولا : الخصائص العمرية :

لتحديد هذه الخصائص قمنا بتقسيم أفراد العينة إلى ثلاث فئات عمرية ، تضم الأولى الذين تقل أعمارهم عن ثلاثين عاماً . وتضم الثانية الذين تقل أعمارهم عن خمسين عاماً . بينما تضم الثالثة الذين تزيد أعمارهم على ذلك حيث وزعت

(١) R. Barner & D. Gleicher "Word-of Mouth Communication in The Soviet Union" in op. cit. pp. 116-437

هذه الفئات على قراءة الصحف أو قيس انتشار قراءة الصحف بين هذه الفئات حيث كان هناك الذين يقرأون ، بانتظام ، ثم أولئك الذين لا يقرأون أحياناً ثم أولئك الذين لا يقرأون . ومن المعروف أن التقسيم هذا تم بالنسبة للذين يعرفون القراءة والكتابة فقط من أفراد العينة والذين وصل عددهم إلى ٧٥ شخصاً فى جدول مستقل . بينما وزع الأميون وفقاً لمتغيرات الاستماع وعلاقتها أيضاً بالسن ولقد تم اختبار دلالة الفروق * .

ومن واقع الجدول الإحصائى الذى يعرض انتشار القراءة بين الفئات العمرية المختلفة يتبين ما يلى :

١ — **من حيث القراءة بانتظام :** لا تعكس البيانات فروقاً جوهرية بين الفئات العمرية الثلاث . حيث وصلت النسبة الحرجة للفروق بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية إلى ٨و وهى تكاد لا تختلف عن ذلك كثيراً بين الأولى والثالثة . أو الثانية والثالثة . إلا أن هناك فروقاً إذا ما وضعنا النسب المئوية — فقط — موضع الاعتبار وحيث تعكس النسب المئوية هذه أن المجموعة الثالثة . (٥٠ عاما

---

* حسبت دلالة الفروق عن طريق النسبة الحرجة وهى تساوى

$$\frac{أ - ب}{\sqrt{\frac{أ\,(١٠٠ - أ)}{ن\,١} + \frac{ب\,(١٠٠ - ب)}{ن\,٢}}}$$

حيث أ تمثل النسبة الأولى

ب تمثل النسبة الثانية

ن ١ تمثل العينة الأولى

ن ٢ تمثل العينة الثانية

ولقد قيست الفروق هنا بين ثلاث مجموعات على النحو التالى

دلالة الفروق بين ١ ، ٢ (الفئة الأولى والفئة الثانية)

دلالة الفروق بين ١ ، ٣ (الفئة الأولى والفئة الثالثة)

دلالة الفروق بين ٢ ، ٣ (الفئة الثانية والثالثة)

فأكثر) هى أكثر المجموعات انتظاماً فى هذه القراءة ٢٦ر٩٢ ٪ تليها فئة العمر المتوسطة (٣٠ — ٥٠) وحيث تصل النسبة المئوية للمنتظمين فى القراءة بينها إلى ٢٤ر٣٩ ٪ بينما تصل نسبة المنتظمين فى القراءة بين الفئة الأولى وهى أصغر الفئات عمراً إلى ١٢ر٥٠ ٪ نستطيع أن نقول هنا إنه — بوضع النسب المئوية فقط موضع الاعتبار — نلاحظ أن هناك فروقاً بين الفئات العمرية الثلاث فيما يتعلق بالانتظام فى قراءة الصحف وحيث يتضح أن فئة الأعمار الكبيرة هى أكثر الفئات انتظاما فى قراءة الصحف . إلا أن مراعاة النسب المئوية فقط لا توضح الفروق . الجوهرية ولذلك فإن استخدام مقياس لجوهرية الفروق قد كشف عن أن هذه الفروق ليست فروقاً جوهرية وحيث إن النسب المئوية وحدها لا تشير إلى مثل هذه الفروق الجوهرية كنتيجة لإهمالها مسائل هامة مثل حجم العينة والخطأ المعيارى . فمن الملاحظ هنا مثلا أن حجم عينة الشباب صغير جداً وحيث يمثلها ثمانية أفراد فقط وهو تمثيل غير حقيقى لمجموع الشباب فى القرية . ولا يعنى ذلك أن العينة الكلية متحيزة بقدر ما يعنى أنها اختيرت وفقاً لشروط خاصة (أرباب الأسر) ولذلك فإنها مالت إلى التضخم فى الفئات الكبيرة .

٢ — من حيث القراءة أحيانا :

لا تعكس البيانات فروقا جوهرية بين فئة الأعمار الصغيرة وغيرها من الفئات بينما تعكس فرقا جوهريا بين الفئة الثانية والفئة الثالثة (ن.ح = ٢ر١) بحيث نستطيع أن نقول أن نسبة غير المنتظمين فى قراءة الصحف ترتفع أيضا بين الأعمار الكبيرة فى هذه العينة ويمثل هذا التفرق تفوقا جوهرياً بمقارنتها بفئة العمر الأقل (٣٠ — ٥٠) إلا أنها تقترب من الفئة الصغيرة السن . والفئة المتوسطة هنا هى أقل الفئات من حيث « القراءة أحيانا » أما إذا اكتفينا بالنسب المئوية فقط وصرفنا النظر عن جوهرية الفروق أو عدم جوهريتها ، لوجدنا أن ٥٧ر٦٩ ٪ من فئة الأعمار الكبيرة يقرأون الصحف أحيانا فى مقابل

٣١٫٧١ ٪ من فئـــة الأعمار المتوسطة و ٥٠٫٠٠ ٪ من فئة الأعمار الصغيرة .

نستطيع أن نقول إن الكبار يتفوقون على غيرهم تفوقاً جوهريا من حيث « القراءة أحيانا » .

٣ ــ « لا يقرأ » :

لا تختلف الفئة الأولى عن الثانية . كما أنها لا تختلف الفئة الثالثة اختلافا جوهريا ، إلا أن الفئة الثالثة هى أقل الفئات جميعا وفقا لعدم القراءة وهى تختلف اختلافا جوهريا عن الثانية .

والنتائج القائمة على أساس اختبارات الدلالة والتى يمكن الاعتماد عليها بالتالى يمكن وضعها فيما يلى :

١ ــ لا توجد فروق جوهرية بين فئات العمر الثلاث من حيث الانتظام فى قراءة الصحف .

٢ ــ الفئة الثالثة ، وهى التى تبلغ أعمار أفرادها خمسين عاماً فأكثر هى أكثر الفئات بوجه عاما من حيث عدم الانتظام فى قراءة الصحف « أو القراءة أحياناً » والفرق بينها وبين الفئة الثانية ــ على وجه الخصوص ــ فرق جوهرى بينما الفرق بينها وبين الفئـــة الأولى فرق غير جوهرى .

٣ ــ يترتب على ذلك ووفقاً للبيانات التى يعكسها الجدول رقم (٢٢) المتوفرة لدينا أن الفئة العمرية الثالثة تضم نسبة قليلة من الذين لا يقرأون الصحف إطلاقاً وهى نسبة تختلف اختلافا جوهرياً عن تلك التى تتضمنها الفئة الثانية إلا أنها لا تختلف اختلافا جوهريا عن النسبة التى تتضمنها الفئة الأولى .

٤ ــ ليست هناك فروق جوهرية بين فئة العمر الأولى وغيرها من الفئات وفقا لجميع متغيرات القراءة ويرجع ذلك ــ بالطبع إلى قلة عدد

الأفراد الذين يمثلون هذه الفئة العمرية ، وحيث وصل هذا العدد إلى ثمانية أفرادفقط ، وبالتالى فإن الفروق الجوهرية تنحصر بين المجموعة الثانية والثالثة .

وإذ استبعدنا الفئة العمرية الأولى — على اعتبار صغر حجمها — لاستطعنا أن نقول إن جمهور الصحف — فى القرية — يتميز بشيوع الأعمار الكبيرة أو هو جمهور كبير السن وبخاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا أن نمط القراءة الشائع فى القرية هو (القراءة أحياناً) .

ونحن هنا لا نستطيع أن نزعم أن مثل هذه النتيجة كانت متوقعة بل كنا نتوقع عكسها تماما — بمعنى آخر كان من المتوقع أن يكون جمهور الصحف فى القرية من صغار السن أو الشباب وحيث لوحظ فى عدد من الدراسات التى أجريت فى مجتمعات تقليدية مشابهة أن الشباب هم أكثر ميلا إلى المشاركة فى الاتصالات الثانية كالراديو والصحف والسينما وغير ذلك إذا ما قورنوا بالكهول أو الشيوخ[1] .

ويمكن إرجاع هذه النتيجة غير المتوقعة إلى أن العينة — عموما — كانت تمثل الأعمار الكبيرة حيث إنها كانت مقصورة على أرباب الأسر مما جعل الفئات العمرية الصغيرة غير ممثلة تمثيلا صادقاً .

وحينما نفحص خصيصة السن بين جمهور المستمعين لقراءة الصحف فى القرية ، نلاحظ أنه ليست ثمة فروق تذكر بين الفئات العمرية المختلفة كما نجد أيضاً أنه من غير الحقيقى تماما أن تدعى بأن هناك جمهوراً مستمعاً لهذه القراءة وحيث إن عددهم ضئيل جداً بحيث نستطيع أن ننتهى إلى ما يلى :

مع أن عدد الذين يستمعون إلى قراءة الصحف من آخرين — فى مجتمع الدراسة عدد محدود جداً إلا أنه يتوزع بنسب متساوية تقريباً بين الفئات العمرية المختلفة .

---

(١) See. B. Ryan, "Primary and Secondary Contacts in a Cylon Village Community" op cit.

ثانياً – خصائص جمهور الصحف من حيث المكانة الإقتصادية الإجتماعية

حددت المكانة الإقتصادية الإجتماعية – هنا تحديداً إجرائياً يقيسها بالدخل السنوى مباشرة وذلك على أساس افتراض إجرائى مؤداه أن الدخل هو خير مؤشر على المكانة الإقتصادية الإجتماعية وبناء على ذلك صنفت العينة إلى ثلاث فئات كل فئة تنتمى إلى مكانة إقتصادية إجتماعية وفقاً لدخلها على النحو التالى :

١ – الفئة الأولى وهى تضم الأفراد الذين يقل دخلهم السنوى عن مائة جنيه ولقد اعتبرت هذه الفئة منتمية إلى مكانة إقتصادية إجتماعية **منخفضة**

٢ – الفئة الثانية وهى تضم الأفراد الذين يصل دخلهم السنوى إلى مائة جنيه ويقل عن مائتين ولقد أعتبرت هذه الفئة منتمية إلى مكانة إقتصادية إجتماعية **متوسطة** .

٣ – الفئة الثالثة وهى تضم الأفراد الذين يصل دخلهم السنوى إلى مائتين من الجنيهات ويزيد على ذلك ولقد اعتبرت هذه الفئة منتمية إلى مكانة إقتصاديه إجتماعية **مرتفعة** .

وقد تم هذا التصنيف وفقاً لقراءة الصحف بما تتضمنها من متغيرات ثلاثة (بانتظام – أحياناً – لا) وقيست جوهرية الفروق بين الفئات الثلاث بالنظر إلى هذه المتغيرات بواسطة النسبة الحرجة والتى أوردنا معادلتها آنفاً. ووفقاً لهذا التصنيف خرجت النتائج على النحو التالى :

١ – فيما يتعلق بالإنتظام فى قراءة الصحف :

يتضح من البيانات المتعلقة بهذا المتغير أن أعلى نسبة من المنتظمين تنتمى إلى فئة المكانة الإقتصادية الإجتماعية المرتفعة ٦٢.٥٠٪ تليها فئة المكانة المتوسطة ٢٢,٧٣٪ بينما كانت أقل نسبة من المنتظمين تنتمى إلى المكانة الإقتصادية الإجتماعية المنخفضة ٨,١١٪ وقد تبين أن هذه الفروق جوهرية

* حسب الدخل بطريقة تقديرية بين الباحث والمبحوث أثناء عملية الاستبار .

بين الفئات الثلاث تقريباً فلقد بلغت النسبة الحرجة بين الفئة الأولى والثانية ١,٧ وبين الفئة الأولى والثالثة ٤,٢ وبين الفئة الثانية والثالثة ٢,٧ مما نستطيع معه أن نقول إن معظم جمهور قراء الصحف ينتمى إلى المكانة الإقتصادية الإجتماعية المرتفعة أى أن هناك علاقة واضحة بين الإنتظام فى قراءة الصحف والمكانة الإقتصادية الإجتماعية .

٢ — فيما يتصل بعدم الإنتظام فى القراءة (أحيانا) .

لا تعكس البيانات فى الجدول المشار إليه فروقاً ذات دلالة بين الفئات الثلاث فيما يتصل بنمط القراءة غير المنتظم. إلا أن الفروق تكاد تكون دالة أو عند مستوى منخفض من الدلالة بين الفئة الأولى والثانية وبين الفئة الثانية والثالثة وحيث تلاحظ أن الفئة الثانية قد حققت أعلى نسبة من غير المنتظمين فى القراءة ٥٩,٠٩٪ فى مقابل ٣٧,٨٤٪ من أفراد الفئة الأولى و٣١,٢٥ من أفراد الفئة الثالثة إلا أن النسبة المنخفضة التى حققتها الفئة الثالثة فى هذا المجال تفسر بالنسبة المرتفعة التى حققتها نفس الفئة فى مجال الإنتظام فى قراءة الصحف وحيث حققت فى هذا المجال أعلى نسبة . بينما لا يمكن تفسير النسبة المنخفضة التى حققتها الفئة الأولى بذلك بل يمكن تفسيرها هنا بالعكس تماماً وحيث إن معظم أفراد هذه الفئة المنخفضة المكانة لا يقرأون الصحف إطلاقا (٥٤,٠٥٪) ويمكننا أن نخرج من هذه البيانات بما يلى :

١ — الإنتظام فى قراءة الصحف نمط يمارسها — غالباً — أولئك الذين يتمعون بمكانة إقتصادية إجتماعية مرتفعة وهم يختلفون فى ذلك عن متوسطى المكانة ومنخفضى المكانة اختلافاً جوهرياً .

٢ — « القراءة أحياناً » نمط يمارسه غالباً أولئك الذين ينتمون إلى مكانة إقتصادية إجتماعية متوسطة وهم يختلفون عن الفئتين الأخريين إختلافاً يكاد يكون دالا فى هذا المجال .

٣ ــ ترتبط «عدم قراءة الصحف» بالمكانة الإقتصادية الإجتماعية المنخفضة وحيث يمثل الذين لا يقرأون الصحف النسبة العظمى بين أفراد هذه الفئة :

نستطيع أن نضع نتائجنا ــ فى هذا الصدد ــ بطريقة أخرى على النحو التالى :

١ ــ يتميز جمهور الصحف المنتظم فى القرية موضوع الدراسة بالإنتماء إلى المكانة الإقتصادية الإجتماعية المرتفعة نسبياً .

٢ ــ يتميز الجمهور غير المنتظم بالإنتماء إلى المكانة الإقتصادية الإجتماعية المتوسطة .

٣ ــ أما أولئك الذين ينتمون إلى المكانة الدنيا فهم لا يمثلون قطاعاً ذا بال من قطاعات جمهور الصحف فى القرية سواء كان هذا الجمهور منتظماً فى قراءة الصحف أم غير منتظم .

وتبدو هذه النتائج متسقة إلى حد كبير مع توقعاتنا كما أنها تبدو متسقة أيضاً مع طبيعة الصحف والتعامل معها بوصفها نشاطاً إتصالياً يتطلب نوعاً من الإيجابية على حد قول أبو لغد فى دراسته كما يتطلب أيضاً نوعاً من الإمكانيات المادية التى يبذلها القارئ ــ طوعاً ــ فى سبيل هذا النشاط بالإضافة إلى أنها تتطلب أيضاً إمكانيات فنية معينة كمعرفة القراءة والكتابة على الأقل . وبالإضافة إلى ذلك فإنها **تتسق مع الإتجاه العام لنتائج الدراسات** فى هذا المجال [١] .

وحينما نأتى إلى فحص خاصية المكانة الإقتصادية الإجتماعية لأولئك الذين يستمعون إلى قراءة الصحف من آخرين فإننا نلحظ أن تصنيف الأميين وفقاً للمكانة الإقتصادية الإجتماعية يعكس متغيراً آخر مرتبط بهذه المكانة ويتضح هذا المتغير من خلو الفئة الثالثة وهى التى تتمتع بمكانة مرتفعة من الأميين تماماً ولذلك لا نجد لها من يمثلها بين هؤلاء الأميين . وتعكس تلك البيانات بوضعها الحالى ارتباط المستوى التعلمى بالمستوى

(١) See. Abu Lughod, op. cit.

الإقتصادى الإجتماعى وتصبح المقارنة قائمة فقط بين مجموعتين من الأميين تنتمى إحداها إلى المكانة المنخفضة بينما تنتمى الثانية إلى المكانة المتوسطة. وتعكس البيانات — بوجه عام — أن أولئك الذين يستمعون إلى قراءة الصحف من آخرين ينتمون — فى الغالب — إلى المكانة الإقتصادية الإجتماعية المرتفعة ، ودرجة انتمائهم هذه فى علاقتها بدرجة انتظامهم فى الإستماع أو عدم انتظامهم فيه تختلف اختلافاً جوهرياً عن قرنائهم الذين ينتمون إلى المكانة المنخفضة ، وحيث نلاحظ أن ٦٦.٦٧٪ من الأميين الذين ينتمون إلى المكانة المتوسطة يستمعون إلى قراءة الصحف من آخرين بانتظام أو أحياناً فى مقابل ١٥.٤٠٪ فقط من أولئك الذين ينتمون إلى المكانة المنخفضة والفرق بين النسبتين فرق جوهرى و بالتالى فان الفرق بين نسبة الذين لايستمعون إطلاقاً إلى قراءة الصحف من المجموعتين فرق جوهرى كذلك . بحيث نستطيع أن نقول إن جمهور المستمعين لقراءة الصحف سواء المنتظمين أو غير المنتظمين يتميز بأنه ينتمى إلى مكانة إقتصادية إجتماعية تفوق تلك التى ينتمى إليها من لا يمارسون مثل هذا النشاط .

وتقودنا هذه النتيجة إلى أن جمهور الصحف فى القرية — قراء ومستمعين — يميل إلى الإرتفاع من حيث المكانة الإقتصادية الإجتماعية بالقياس إلى أولئك الذين لا يقرأون الصحف ولا يستمعون إلى قراءتها كما أن هناك اتجاهاً إرتباطياً موجباً بين المكانة الإقتصادية الإجتماعية والمستوى التعليمى . بحيث نستطيع أن نفسرشيوع قراءة الصحف فى فئة معينة بالمكانة الإقتصادية الاجتماعية المرتفعة مضافاً إليها المستوى التعليمى المرتفع أيضاً بالقياس إلى الفئات التى لا تمارس مثل هذا النشاط .

ثالثاً : خصائص جمهور الصحف من حيث المشاركة الاجتماعية :

عرفت المشاركة الاجتماعية — هنا — تعريفاً إجرائياً يشير إلى عضوية الجماعات المختلفة والجماعات التى اهتم بها التعريف تتمثل فى التنظيمات

الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الموجودة بالقرية كالجمعية التعاونية الزراعية والاتحاد الاشتراكى والجماعة القيادية ومنظمة الشباب الاشتراكى ونقابة العمال الزراعيين وغير ذلك . ولقد لوحظ أن أغلبية القرويين ينتمون إلى واحدة أو أكثر من هذه الجماعات وذلك لأنها لا تعد جماعات طوعية أو اختيارية بالمعنى المعروف وحيث إن عدداً منها قد يتميز بطابع الإلزام كالجمعية التعاونية مثلا . وبعد هذا التعريف الإجرائى قمنا بتصنيف العينة إلى فئتين على النحو التالى :

١ — فئة غير المشاركين إجتماعياً وتضم أولئك الذين لا ينتمون إلى أى من الجماعات أو التنظيمات العاملة فى القرية .

٢ — فئة المشاركين وتضم كل من يشترك بالمساهمة أو الإدارة فى جمعية أو تنظيم من هذه التنظيمات أو أكثر .

ولقد أعد هذا التصنيف وفقاً لقراءة الصحف بحيث يسمح بفحص العلاقة بين قراءة الصحف والمشاركة الإجتماعية . ومن المتوقع هنا أن يكون قراء الصحف أو المستمعين إلى قراءتها أكثر مشاركة اجتماعية من غير القراء وغير المستمعين .

وبفحص البيانات الواردة بهذا الشأن يتبين أنه وإن كانت نسبة قراء الصحف مرتفعة بين الفئة المشاركة إجتماعياً سواء من يقرأون بانتظام أو أحياناً عن مثيلتها بين غير المشاركين إجتماعياً إلا أن الفروق بين النسبتين ليست فروقاً جوهرية . فالذين يقرأون الصحف بانتظام أو أحياناً بين غير المشاركين يصلون إلى نسبة ٥٠,٠٠ ٪ فى مقابل ٦٩,٨٤ ٪ من المشاركين إجتماعياً .

وفيما يتعلق بالبيانات الخاصة بالمستمعين إلى قراءة الصحف نجدها لا تعكس أيضاً فروقاً جوهرية بين الذين يستمعون بانتظام أو أحياناً وبين الذين لا يستمعون من حيث المشاركة الإجتماعية وحيث تصل نسبة الذين

لا يستمعون إلى قراءة الصحف من آخرين إلى ٨٢,٦١٪ فى مقابل ٨٠,٠٠٪ من فئة المشاركين إجتماعياً والفرق ليس جوهرياً .

ونستطيع أن ننتهى من ذلك إلى أن جمهور الصحف يميل — ظاهرياً — إلى الارتفاع من حيث المشاركة الاجتماعية إلا أن هذا الارتفاع غير جوهرى. أى أن مفهوم المشاركة الاجتماعية — بالتعريف الإجرائى الذى وضع له هنا — قد فشل فى التمييز بين قراء الصحف والمستمعين إلى قراءتها وبين غيرهم ممن لا يقومون بمثل هذا النشاط . ولذلك فإن النتيجة المستخلصة من البيانات المتعلقة بهذا الموضوع تأتى غير مطابقة لما توقعناه آنفاً من أن قراء الصحف والمستمعين إليها أكثر مشاركة اجتماعية من غيرهم أو أن نسبة قراء الصحف والمستمعين إلى قراءتها ترتفع ارتفاعاً جوهرياً بين المشاركين إجتماعياً إذا ما قورنوا بغير المشاركين .

ويمكننا تفسير عدم وجود فروق جوهرية بين نسب الذين يقرأون الصحف ويستمعون إليها بين فئتى غير المشاركين والمشاركين فى ضوء قصور التعريف الإجرائى الذى وضع للمشاركة الاجتماعية من ناحية وفى ضوء طابع الإلزام الذى قد يميز عدداً من التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية الموجودة بالقرية بحيث نستطيع أن نقول إن عضوية الجماعات الموجودة بالقرية لا تعتبر دليلا صادقاً على حقيقة المشاركة الاجتماعية وهى لهذا السبب قد فشلت فى التمييز بين جمهور الصحف وغيره .

رابعاً : من حيث المهنة :

نستهدف — هنا — فحص العلاقة بين قراءة الصحف أو الاستماع إليها وبين المهن ولقد أقمنا تصنيفاً للمهن بين أفراد العينة يقسمهم إلى فئتين . تنتمى الأولى إلى المهن الزراعية وتضم الملاك والمستأجرين والعمال الزراعيين بينما تنتمى الثانية إلى المهن غير الزراعية وتضم الحرفيين والمهنيين والتجار والعمال غير الزراعيين بالإضافة إلى من يمتهن مهنة أخرى بجوار الزراعة .

وتعكس البيانات المتصلة بذلك أن نسبة المنتظمين فى قراءة الصحف بين فئة المهن غير الزراعية تفوق مثيلتها بين المهن الزراعية والفرق بينهما فرق جوهرى إلا أنه ليست هناك فروقاً جوهرية بين نسبتى من يقرأون الصحف أحياناً من فئة المهن غير الزراعية والمهن الزراعية بينما تفوق نسبة من لا يقرأون الصحف بين فئة المهن الزراعية مثيلتها بين فئة المهن غير الزراعية والفرق بين النسبتين يكاد يكون جوهريا ويمكن وضع النتائج على النحو التالى:

١ — يميل المنتظمون فى قراءة الصحف إلى الانتماء إلى المهن غير الزراعية.

٢ — يتساوى — تقريبا — الجمهور غير المنتظم أو الذى يقرأ أحيانا — يتساوى فى التوزيع بين المهن الزراعية والمهن غير الزراعية .

٣ — يميل الذين لا يقرأون الصحف الى الانتماء إلى المهن الزراعية .

وتتفق هذه النتيجة مع ما انتهى إليه أبو لغد من أن جمهور الصحف فى القرى التى درسها لا ينتمى الى المهن الزراعية — غالبا —[1] .

ويمكن أن نفسر هذه النتيجة فى ضوء طبيعة المهن الزراعية. وحيث تتطلب نوعاً من الارتباط بالأرض وبالتالى بالنسق الاجتماعى التقليدى للقرية. ولا تترك فرصة واسعة للتطلع إلى العالم الخارجى كما أنها قد لا تتيح الفرصة الكافية للانتقال والسفر خارج القرية. مثل تلك الفرصة التى تتيحها المهن غير الزراعية والتى قد تتطلب سفراً وتردداً على المراكز الحضرية المجاورة وبالتالى تتيح فرصة الحصول على الصحف . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المهن الزراعية تضم عدداً كبيراً من العمال الزراعيين الذين ينتمون — فى الغالب — إلى مكانة اقتصادية اجتماعية منخفضة لا تمكنهم من التعامل مع الصحف كما أنها قد لا تمكنهم من قراءتها نتيجة للمستوى التعليمى المنخفض الذى تكشف ارتباطه بالمكانة الاقتصادية المنخفضة . أى أن المهنة هنا قد تضم بعدين فى غاية من الأهمية يتمثل أحدهما فى ارتباط المهنة بالمكانة الاقتصادية الاجتماعية وارتباطها

(١) See. Abu-Lughod, op. cit.

أيضا بالمستوى التعليمى. بالإضافة إلى ما تتيحه المهنة من فرص للاستقرار أو التنقل. وحيث نلاحظ أن الكثير ممن صنفوا بوصفهم غير زراعيين إنما هم أكثر اتصالا بالعالم الخارجى للقرية بحكم مهنهم كتجار أو عمال بالبندر أو المركز أو مدرسين من أهل القرية ومقيمين بها أو غير ذلك من المهن.

إلا أن البيانات الخاصة بالاستماع إلى قراءة الصحف لا تعكس مثل هذه الفوارق المهنية بين المستمعين وغير المستمعين ، إلا أن نسبة الذين يستمعون الى قراءة الصحف من فئة المهن غير الزراعية أكبر من نسبة المستمعين الذين يمتهنون مهنا زراعية وحيث نجد أن نسبة الأميين الذين يستمعون إلى قراءة الصحف ويمتهنون مهنا غير زراعية تصل إلى ٢٨,٥٧٪ فى مقابل ١٩ ١٧٪ والفرق بين النسبتين ليس فرقا جوهريا .

نستطيع أن ننتهى إلى أن نسبة قراء الصحف مرتفعة بين المهن غير الزراعية وهذا الارتفاع يمثل ارتفاعا جوهريا ولا يمكن تفسير ذلك إلا فى ضوء طبيعة كل من المهن الزراعية وغير الزراعية وما يرتبط بكل منها من أبعاد اقتصادية وتعليمية وإمكانية الاتصال بعالم القرية الخارجى . معنى ذلك أن أغلبية جمهور الصحف فى القرية تنتمى إلى طائفة غير الزراعيين وهى نتيجة تتسق ولاتتفق تماما مع ما وصل إليه أبو لغد .

نخلص من فحص خصائص جمهور الصحف وفقا لمتغيرات متعددة كالسن والمكانة الاقتصادية الاجتماعية والمشاركة الاجتماعية والمهنة إلى ما يلى :

١ — يتوزع جمهور الصحف — عموما — بين مختلف الأعمار وإن كان هناك ميل غير دال إحصائيًا إلى أن تكون الأعمار الكبيرة أكثر قراءة للصحف .

٢ — تنتمى أغلبية جمهور الصحف إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية المرتفعة بما تتضمنه من مستوى تعليمى مرتفع كذلك .

٣ — يتوزع جمهور الصحف بين المشاركين اجتماعيًا وغير المشاركين

مع ميل أن يكون المشاركون أكثر قراءة إلا أن هذا الميل طفيف وغير جوهرى .

٤ – ينتمى معظم جمهور الصحف فى القرية إلى المهن غير الزراعية وحيث تشير هذه المهن إلى مكانة اقتصادية اجتماعية معينة كما تشير أيضاً إلى مستوى تعليمى معين بالإضافة إلى الفرص التى تتيحها للانتقال إلى العالم الخارجى للقرية .

ثالثاً : التردد على السينما

مما سجلته الدراسات المختلفة أن السينما تعد من أقل وسائل الاتصال الجمعى وصولا للقرويين على أساس أن القرى — فى معظمها — محرومة من وجود دور السينما بها أو حتى بقربها مما يتيح للقرويين فرصة المشاهدة دون بذل الكثير من الجهود . ولقد لاحظ ذلك برونر فى تقريره الذى عرض فيه لبيانات جمعت فى أوائل الخمسينات[1]. والحال ليس كذلك فى قرى مصر فقط وإنما هو يكاد ينطبق على غيرها من المجتمعات التقليدية والنامية .

وحينما وجه سؤال لأفراد العينة يدور حول ترددهم على السينما وحجم هذا التردد ، تبين أن نسبة ضئيلة هى التى تمارس هذا النشاط وهى تمثل ٢٧,٤٥٪ تقريبا من مجموع أفراد العينة أى ٤٢ فرداً من ١٥٣ ، وحينما قيس حجم هذا التردد لوحظ أن نسبة لا تكاد تذكر تتردد أسبوعيًّا «٢,٣٨٪ من الذين يترددون على السينما أو شخص واحد من الاثنين وأربعين شخصاً. بينما يتردد تسعة أشخاص بنسبة ٢١,٤٣ من المترددين شهريا والغالبية العظمى من المترددين « ٧٦,١٩٪ تختلف إلى السينما فى المناسبات .

وتدعم هذه النتيجة ما ذهبنا إليه آنفاً من أن السينما أقل الاتصالات الجمعية تعاملا مع القرويين . وأن هذا التعامل الضئيل لا يمكن إرجاعه فقط إلى عدم وجود دور سينما قريبة منهم. فالبعد المكانى قد يتغلب عليه عن طريق المقدرة الاقتصادية أو الرغبة فى التعرف على العالم الخارجى أو غير ذلك . ولقد حاولنا استكشاف بعض العوامل والأسباب التى تحد من التردد على السينما من وجهة نظر القرويين فكان ترتيب هذه العوامل — كما ذكرها القرويون — على النحو التالى :

---

(١) See Brunner, op. cit,

١ ــ البعد المكانى لدور السينما .

٢ ــ عدم توافر الإمكانيات الاقتصادية التى تمكن من هذا التردد .

٣ ــ أسباب أخرى كعدم وجود وقت فراغ .

٤ ــ عدم جدوى السينما وعدم جديتها « السينما كلام فارغ » فى نظر القروى ، كما أن هناك عددا من الإجابات بين أكثر من سبب واحد على النحو التالى :

١ ــ البعد المكانى وعدم وجود الامكانيات .

٢ ــ البعد المكانى بالإضافة إلى أسباب أخرى .

٣ ــ الأسباب الأربعة الأولى مجتمعة .

٤ ــ عدم حدية السينما وجدواها بالاضافة الى أسباب أخرى .

٥ ــ عدم جدية السينما وجدواها بالإضافة إلى البعد المكانى .

ويبدو أن هذه الأسباب تعكس نوعا من الصد المنطقى أو المقاومة المنطقية لمثل هذا النشاط على اعتبار أن هذا النشاط الاتصالى غير ممكن بالنسبة لعدد ضخم من القرويين[١] .

وقد لاحظ « برايس رايان » أن مشاهدة العروض السينمائية أمر شائع ــ بين الأبناء فقط ــ بينما هو غير شائع بين الآباء . فى القرية السيلانية التى درسها بالرغم من قرب إحدى دور السينما من هذه القرية بينما أشار أيضاً إلى أن « هناك قلة من القرويين فقراء لدرجة لاتمكنهم من مشاهدة العروض السينمائية[٢] .

وتثير النتيجة التى وصل إليها « رايان » هذه مناقشة مؤداها أنه فى القرية السيلانية هذه كانت هناك دار قريبة للسينما ومع ذلك لم يقبل عليها إلا الشباب ، مما قد يوحى بوجود علاقة ما بين السن والتردد على

See. R. La Piere, Social Change pp. 174-212

See, B. Ryan, op. cit.

السينما ، ومما قد يوحى أيضاً أن البعد المكانى — وحده — ليس عاملا حاسماً فيما يتعلق بالإحجام عن هذا التردد . ومما يدعم هذا الاتجاه الخاص بالتشكك فى البعد المكانى للسينما كعامل حاسم فى الإحجام عنها أنه فى الوقت الذى تكون السينما فى متناول القروى وفى الوقت الذى تذهب فيه إلى عقر داره ولا يتطلب الأمر بالتالى بذل جهد ونشاط مادى لمشاهدتها نجد أن ٢٣,٥٣٪ من أفراد العينة لم يشاهدوا عروض السينما الإرشادية التى تتردد على القرية فى فترات متعاقبة و ٩,١٥٪ لم يكن لديهم أى علم بوصولها إلى القرية بينما ١٦,٩٩٪ شاهدوها ولكنهم لا يتذكرون العروض التى قدمتها .

وجرياً وراء تفسير أبعد وأكثر دقة لظاهرة التردد على السينما وظاهرة الإحجام عن هذا التردد أقمنا عدداً من العلاقات على النحو التالى :

١ — التردد على السينما والسن .

٢ — التردد على السينما والمكانة الاقتصادية الاجتماعية .

٣ — التردد على السينما والمكانة التعليمية .

٤ — التردد على السينما والمشاركة الاجتماعية .

٥ — التردد على السينما والمهن .

وتستهدف هذه العلاقات الإجابة عن عدد من التساؤلات التى نضعها كما يلى :

١ — بين أى الفئات العمرية تنتشر ظاهرة التردد على السينما ؟

٢ — بين أى المستويات الإقتصادية تنتشر هذه الظاهرة ؟

٣ — بين أى المستويات التعليمية تنتشر ؟

٤ — هل المشاركون اجتماعيًا أكثر تردداً على السينما من غير المشاركين؟

٥ — بين أى المهن تنتشر هذه الظاهرة ؟

ومن ثم فإن هذه التساؤلات تستكشف ضمناً – أيضاً – خصائص أولئك الذين يحجمون عن التردد على السينما ومشاهدة عروضها .

أولا : التردد على السينما والسن :

تكشف البيانات المتعلقة بهذا المتغير أن ظاهرة التردد على السينما تنتشر بين الفئات العمرية الثلاث وأن الفروق بين نسب انتشارها فى هذه الفئات الثلاث فروق غير دالة وهى على التوالى ٢٠٪ بين الأفراد الذين تقل أعمارهم عن ثلاثين عاما و ٣٢,٢٢ ٪ بين الأفراد الذين تقل أعمارهم عن ٥٠ عاما و ٢٠,٩٣ ٪ بين الأفراد الذين تزيد أعمارهم على ذلك ونلاحظ أن هناك تفوقاً فى نسبة المترددين بين الفئة العمرية الوسطى الا أن هذا التفوق غير جوهرى .

ومن الملاحظ أن هذه النتيجة لاتتفق مع ما وصل إليه « رايان » فى دراسته . وحيث لاحظ أن مشاهدة العروض السينمائية إنما هى نشاط اتصالى ثانوى يمارسه الشباب من الأبناء الذين تخلصوا إلى حد كبير من ولاءاتهم القرابية وبالتالى أصبحوا غير مهتمين بالأنماط الأولية من المشاركة[1] .

وتعكس هذه النتيجة التى توصلت إليها بياناتنا ميل العينة بوجه عام الى الأعمار الكبيرة لكونها مقصورة على أرباب الأسر مما يجعل السن هنا عامل غير دقيق من عوامل التمييز بين الذين يترددون على السينما وبين الذين يحجمون عن هذا النشاط وذلك لاعتبارات خاصة بالعينة المختارة .

ثانياً : التردد على السينما والمكانة الاقتصادية الاجتماعية :

توضح البيانات أن نسبة المترددين على السينما ترتفع ارتفاعا كبيراً بين الذين ينتمون إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية المرتفعة وتقل تدريجيًا بين الذين ينتمون إلى المكانة المتوسطة وتقل إلى حد كبير بين الذين ينتمون إلى المكانة المنخفضة وهى على التوالى ٧٦,٤٧ ٪ و ٤٢,٨٦٪ و ١٥,٧٤٪ والفروق بين هذه النسب فروق جوهرية وليست راجعة للصدفة مما يشير

(١) See. Rayan, op. cit.

إلى أن هناك ارتباطاً جوهرياً بين التردد على السينما والمكانة الاقتصادية الاجتماعية وهى نتيجة متوقعة طالما أن مثل هذا التردد بحاجة إلى إمكانيات مادية تدعمه وتقويه فهو لايتم نتيجة لمقابل مادى فقط وإنما هو يتطلب جهداً وإمكانات أخرى يمكنان من الانتقال إلى المراكز الحضرية التى تتوفر بها دور السينما . ولقد أشار « برايس رايان » فى دراسته السالفة الذكر إلى مثل هذه العلاقة بين التردد على السينما والمكانة الاقتصادية الاجتماعية .

ثالثاً : التردد على السينما والمكانة التعليمية :

بتقسيم أفراد العينة إلى مجموعتين أو فئتين تنتمى إحداها إلى المكانة التعليمية المنخفضة وهى تضم الأميين والملمين بينما تنتمى الثانية إلى المكانة التعليمية المرتفعة التى تضم الذين يجيدون القراءة والكتابة بالإضافة إلى الذين يتمتعون بمستويات تعليمية أعلى وبفحص نسبة المترددين على السينما من الفئتين يتضح أن نسبة من يترددون على السينما بين أصحاب المكانة التعليمية المرتفعة تفوق مثيلتها بين أصحاب المكانة المنخفضة وهى على التوالى ٤٨,٣٣٪ و ١٣,٩٨٪ ، والفرق بين النسبتين كما قيس عن طريق النسبة الحرجة فرق دال وجوهرى مما يشير إلى أن هناك علاقة بين المستوى التعليمى أو المكانة التعليمية وبين التردد على السينما وحيث يشيع هذا النشاط بين أولئك الذين يتمتعون بمكانة تعليمية مرتفعة ، ومن الواضح أن هذه النتيجة متوقعة وحيث إن المستوى التعليمى قد يثير نوعاً من الإيجابية نحو الانفتاح على العالم ونوعا من الوعى بجدوى العروض السينمائية وبالتالى فانه قد يساهم فى دفع صاحبه الى ممارسة مثل هذا النشاط الاتصالى الإيجابى .

رابعاً : التردد على السينما والمشاركة الاجتماعية :

مع أن مفهوم المشاركة الاجتماعية كما حددناه — سالفاً — تحديداً إجرائياً ، قد فشل فى التمييز بين معتادى قراءة الصحف وغيرهم إلا أنه قد

نجح هنا فى التمييز بين جمهور السينما وغيره وحيث نلاحظ أن نسبة من يترددون على السينما ترتفع ارتفاعاً ملحوظاً بين « المشاركين اجتماعيا » إذا ما قورنوا بغير المشاركين فهى تصل بين المشاركين إلى ٣١،٣٦٪ بينما تصل بين غير المشاركين إلى ١٤،٢٩٪ وحينما اختبرت دلالة الفرق بين هاتين النسبتين أو جوهريته لوحظ أنه فرق دال إحصائياً .

ومن المنطق أن نتوقع اتساق هذه العلاقة بين التردد على السينما والمشاركة الاجتماعية وحيث إن كلاً من النشاطين يتطلب نوعاً من الإيجابية والتفتح . فمن الملاحظ أن المشاركة الاجتماعية فى التنظيمات الموجودة بالقرية قد تتيح الفرص أمام الاتصال بأناس على صلة بمجتمع القرية الخارجى كما أنها قد تتيح الفرصة بطريقة مباشرة للاتصال بهذا المجتمع الخارجى . للقرية فقد يتطلب الأمر من الشخص المشارك فى الاتحاد الاشتراكى مثلا أن يتردد على المركز أو البندر بحسب موقعه من التنظيم . وبالتالى يسهل عليه القيام بأوجه نشاط اتصالية معينة كالاختلاف إلى السينما .

خامساً : **التردد على السينما والمهن :**

تشير البيانات التى تفحص التردد على السينما بين أصحاب المهن الزراعية وأصحاب المهن غير الزراعية . إلى أن نسبة من يترددون على السينما من أصحاب المهن الزراعية تقل إلى حد كبير عن مثيلتها بين أصحاب المهن غير الزراعية ، فهى تصل بين أصحاب المهن الزراعية إلى ٢١،٣٠٪ فى مقابل ٤٢،٢٢٪ بين أصحاب المهن غير الزراعية . وباختبار الدلالة الاحصائية للفرق بين هاتين النسبتين اتضح أنه فرق دال وجوهرى وليس راجعاً إلى الصدفة ، مما يشير إلى أن الاختلاف إلى السينما إنما هو نشاط يمارس غالبا بين أصحاب المهن غير الزراعية . ويمكن تفسير هذه النتيجة فى ضوء الإمكانيات الانتقالية التى تتيحها المهن غير الزراعية لأصحابها ، وبالتالى الفرص المتزايدة التى تتيحها هذه المهن للاتصال بالمراكز الحضرية المجاورة والتى تتوفر بها دور

السينما وهى إمكانيات وفرص نادراً ماتتيحها المهن الزراعية .

وتشير نتائج عدد من البحوث السابقة إلى أن المهن الزراعية والمرتبطة بها إنما تميل إلى تدعيم الاتجاه التقليدى لدى محترفيها من حيث هى تتطلب درجة عالية من الارتباط بالمجتمع التقليدى ،علاوة على ما سبق ذكره من الأبعاد الاقتصادية والتعليمية المتضمنة فى المهنة وحيث تضم المهن الزراعية عدداً كبيراً نسبيًّا من العمال الزراعيين الذين ينتمون بالتالى إلى مكانة اقتصادية اجتماعية منخفضة وإلى مكانة تعليمية منخفضة أيضاً، فكأن المهنة لا تمثل بعداً واحداً فقط وإنما هى تتضمن عدة أبعاد أخرى قد تكون سابقة لها أو لاحقة عليها .

وتكاد تتسق هذه النتيجة مع ما وصل إليه « أبو لغد » فى دراسته من أن أوجه النشاط الاتصالية الإيجابية والتى قصد بها الصحف ، والتى تستطيع أن نضيف إليها السينما إنما تشيع بين أصحاب المهن غير الزراعية .

ننتهى من هذا الفحص للتردد على السينما والمتغيرات المرتبطة به إلى ما يلى :

١ — مشاهدة العروض السينمائية نشاط اتصالى محدود النطاق بين القرويين الذين تمثلهم عينة الدراسة .

٢ — يمثل عدم توفر دور السينما القريبة بالإضافة إلى عدم وجود إمكانيات مادية عقبة فى طريق القيام بمثل هذا النشاط الاتصالى .

٣ — ليست هناك فروق جوهرية بين نسب المترددين على السينما من الفئات العمرية المختلفة، وقد يرجع ذلك إلى ميل العينة إلى التركيز فى الأعمار الكبيرة بحكم طبيعة اختيارها ممثلة لأرباب الأسر .

٤ — ترتفع نسبة المترددين على السينما بين أصحاب المكانات الاقتصادية الاجتماعية المرتفعة .

٥ — تزداد نسبة المترددين على السينما بين أصحاب المكانات التعليمية المرتفعة.

٦ ــ ترتفع نسبة المترددين على السينما بين أولئك المشاركين اجتماعيًا إذا ما قورنوا بغير المشاركين .

٧ ــ التردد على السينما نشاط يمارسه ــ غالبا ــ أولئك الذين ينتمون إلى المهن غير الزراعية .

رابعاً ــ التردد على المركز أو البندر

التردد على المركز نشاط يمارسه معظم القرويين تقريباً . وهو يشير إلى أن نسق القرية لم يعد مكتفياً بذاته وإنما هو أصبح مفتوحا على أنساق اجتماعية أكبر منه وأكثر اتساعا . ولقد أشار إلى ذلك محمد عاطف غيث فى دراسته[1] ويرجع « غيث » أن « العلاقات المحدودة الخارجية والعلاقة الداخلية المتبادلة للبدنات والعائلات لم تمتد فجأة وإنما لوحظ أنه منذ عام ١٩١٤ بدأت تمتد شيئاً فشيئاً حتى أصبحت ظاهرة تماماً للملاحظة ابتداء من عام ١٩٣٩ نظرا لتغير اتجاه الحياة الاقتصادية من المحلية إلى السوق وخاصة بعد إنشاء الأسواق وبعد إنشاء بنك التسليف الزراعى فى المدينة أخذ القرويون يكونون علاقات متعددة مع هذه الأسواق الأمر الذى جعل الإنتاج الزارعى والحيوانى كله تقريباً إنتاج سوق فالقمح والشعير والفول يباع ما يفيض منه عن حاجة الأسرة فى السوق » وذلك فى رأى الباحث أول مظهر من مظاهر امتداد العلاقات الخارجية بصورة واضحة مع القرى المجاورة[2] » و « يلاحظ أن السوق شأنه فى ذلك شأن « منظمات المجتمع الريفى ومعداته يؤدى أكثر من وظيفة واحدة فهو ليس مكاناً للبيع والشراء بل مكان للاجتماع والترفيه أيضاً[3] ».

أما عن نتائج انفتاح المجتمع القروى على السوق الكائن بالمركز أو البندر فإنها تتمثل فى مسائل مثل « أنه خفف من شعور العزلة والانتماء القوى للقرية الواحدة كما أنه اطلع القروى على أنواع أخرى من الإنتاج يمكن أن

---

(١) أنظر محمد عاطف غيث ، القرية المتغيرة ، المصدر السابق .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٢ ، ٦٣

(٣) حامد عمار ، العمل الميدانى فى الريف ، نقلا عن المصدر السابق

يستفيد منها اقتصاديا ووجد فى السوق أدوات وحاجيات جديدة يمكنه أن يستخدمها الأمر الذى أدى فى نهاية الأمر إلى زيادة المطالب المادية للقروى واستمع إلى روايات وقصص وأخبار جديدة عملت على توسيع أفاقه وزاد إحساسه بالمدينة والحكومة وعرف لأول مرة تقلبات الأسعار والمساومة وبدأت حالته العقلية العامة State of Mind تتخذ اتجاها تجاريًّا . وفى السرق كون علاقات اقتصادية قد تضيق أو تتسع بل أدت أيضاً إلى علاقات مصاهرة فى كثير من الحالات[١] » .

هذا عن علاقة القروى بالقرى المجاورة أما إذا انتقلنا « من دوائرة العلاقات المحلية الداخلية والخارجية والتى تدور فى نطاق القرى القريبة والقرى المجاورة إلى دائرة أوسع وهى العلاقات بالمدينة والحكومة . نجد أن هناك تغيرات ملموسة وكقاعدة تدور العلاقات فى ثلاث دوائر تضيق كلما اتجهت إلى الانتشار الخارجى . ولهذا فإن كثافة العلاقات مع المدينة والحكومة التى تمثل الدائرة الثالثة أعلى فى كثافتها من الدائرتين الأخريين . فالقروى الآن يحس إحساساً واضحاً بالمدينة وسكانها ويعرف معنى القانون وحدوده ومدى إلزامه وأخذ يتصل الآن مباشرة بأجهزة الحكومة المختلفة كالشرطة والقضاء والجيش والصحة والتعليم[٢] » .

« ويلاحظ أن هذه العلاقات تتناسب تناسباً طرديًّا مع ازدياد التنظيم الحكومى الذى ينصب على الدولة بصفة عامة وعلى المجتمعات القروية بصفة خاصة فابتداء من عام ١٩٣٠ إبان الأزمة الاقتصادية العالمية ومابعدها زاد اعتماد القرويين على الحكومة وزادت الحكومة من التدخل فى شئون القرية عن طريق القوانين المتتابعة . وبلغ تدخل الدولة أقصاه ابتداء من الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ عندما فرضت تحديد مساحات الأرض التى تزرع بالحبوب والقطن »[٣] .

---

(١) محمد عاطف غيث ، المصدر نفسة ص ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٤ — ٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥ .

« كل هذا حدث جنباً إلى جنب مع التغيرات الداخلية بسبب الحالة الاقتصادية . مما جعل عدداً كبيراً من القرويين على صلة وعلاقات مؤقتة أو دائمة مع المدينة ومع الحكومة ، وكلما زادت هذه العلاقات زاد اعتماد القروى على الخارج أكثر من اعتماده على جاره أو جيرانه والتراث القديم وهذا أدى بجانب التغيرات فى الثقافة المادية إلى اتساع آفاق القروى وأخذت دائرة معلوماته تتسع وأخذت المسائل الوطنية وسياسة الحكومة تهمه مباشرة لأنه وجد بالتجربة أنها تؤثر عليه فى المدى القصير أو الطويل، فى حياته الاقتصادية أو فى حاجاته المتزايدة أو فى قيمه المتغيرة »[١] .

ويتضح من الاتجاه العام لتحليل محمد عاطف غيث ، أنه يميل إلى إدراك اتصال القرويين بالمراكز الحضرية باعتباره نتيجة لتغيرات اقتصادية داخلية لم تعد البدنة معها قادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتى من ناحية، وباعتباره دافعاً معجلا للتغير الاجتماعى فى القرية. أو بمعنى آخر ينظر إلى هذا الاتصال بالمراكز الحضرية بوصفه مظهراً لتغير اجتماعى داخلى وبوصفه عاملا دافعاً ومعجلا لهذا التغير من ناحية أخرى . كما يتضح من الاتجاه العام للتحليل أيضاً أن الاتصال بالمراكز الحضرية الذى يتضح فى حجم التردد عليها عامل هام من العوامل التى تساهم فى تشكيل اتجاه التغير الاجتماعى فى المجتمع القروى .

ومن الملاحظ من خلال تحليل التراث العلمى فى هذا المجال أن جميع الباحثين قد اهتموا بالاتصال بالمجتمعات الحضرية فيما وراء مجتمع القرية أو المجتمع المحلى بوجه عام وحيث يتخذ « ميرتون » من هذا الاتصال الخارجى مقياساً للتمييز بين المحلية والانفتاح على العالم[٢]، كما نجد « روجرز » أيضاً يحدد الانفتاح على العالم جزئياً بالاتصال بوسائل الاتصال الجمعى وجزئيا بالانتقال والتردد على المراكز الحضرية[٣].

---

(١) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢) See. Merton "Patterns of Influence" op. cit.

(٣) See, E. Rogers "Mass Media Exposure and Modernization among Colombian Peasants" op. cit.

كما أنه لا يفوتنا هنا أن تعيد الإشارة إلى ما يسجله ليرنر ومساعدوه من انقلاب للحياة الاجتماعية فى تلك القرية التركية المتخلفة « بلجات » حينما ربطت بالعاصمة أنقرة[١] .

ولكل هذه الأسباب وإدراكاً لأهمية الاتصال بالمناطق الحضرية وما تتركه من انطباع عام على الحياة الاجتماعية فى القرية يتدخل تدخلا حثيثا فى توجيه التغير الاجتماعى فيها — حاولنا أن ندرس التردد على المراكز الحضرية المجاورة كما حاولنا أيضاً أن ندرس التردد على المراكز الحضرية الكبرى وحجم هذا التردد وما يرتبط به من أبعاد .

وقد لوحظ فيما يتعلق بالتردد على « المركز أو البندر » من خلال ما تعكسه البيانات بهذا الخصوص أن هذا التردد يمثل نشاطاً عاماً لدى القرويين فمعظم أفراد العينة باستثناءات ضئيلة جداً — يمارسون هذا النشاط بوجه عام إلا أنهم يختلفون فى حجمه فمنهم من يمارسه يومياً ٤,٨٥ ٪ ومنهم من يمارسه أسبوعياً ٢٣,٥٣ ٪ منهم من يمارسه شهريا ٢٦,١٤ ويمارسه الباقون فى المناسبات ٤٣,٧٩ ٪ وتوضح البيانات أيضاً أن نسبة ضئيلة تصل إلى ١,٩ ٪ من أفراد العينة هى التى لا تمارس مثل هذا النشاط .

وتعكس هذه البيانات بجلاء اطراد اعتماد القروى على المركز وتزايد هذا الاعتماد فهى توضح أن أغلبية القرويين أصبحوا غير مكتفين ذاتياً أو بمعنى آخر أصبح النسق الاجتماعى التقليدى غير كاف لإشباع الحاجات القروية المتزايدة وهى نتيجة تتفق وتتسق مع ما وصل إليه محمد عاطف غيث فى دراسة لقرية أخرى .

ولكن هذا الاتصال المتزايد بالمراكز الحضرية ليس مظهراً لتغير اجتماعى داخلى مؤداه قصور النسق الاجتماعى التقليدى فقط وإنما هو أيضاً عامل من العوامل الحاسمة التى توسع آفاق القروى وتفتحه على العالم الخارجى وبذلك يصدق هنا كل ما ذكر من نتائج للاتصال بالمراكز الحضرية .

ومن خلال هذه المناقشة تتضح أمامنا عدة أسئلة تمثل أهدافا نسعى

---

(١) See Lerner, op. cit.

إلى فهمها ويمكن وضع هذه الأسئلة على النحو التالى :

١ — ما هى طبيعة العلاقة بين حجم التردد والسن ؟

٢ — هل هناك علاقة بين حجم التردد والمكانة الاقتصادية الاجتماعية ؟

٣ — هل هناك علاقة بين حجم التردد والمكانة التعليمية ؟

٤ — هل هناك علاقة بين حجم التردد والمشاركة الاجتماعية ؟

٥ — هل هناك علاقة بين حجم التردد والمهن ؟

وللإجابة عن كل من الأسئلة هذه وضعنا خطة إحصائية نختبر عن طريقها هذه العلاقة على النحو التالى :

أولا : حجم التردد والسن :

قمنا هنا بفحص حجم التردد فى الفئات العمرية الثلاث التى صنفناها آنفاً كل كمجموعة مستقلة ولوحظ من البيانات المتعلقة بهذا الموضوع أن النسبة التى لا تتردد إطلاقاً على المركز أو البندر تقع فى الفئة العمرية الوسطى (٣٠ — ٥٠) وهى بحكم قلتها لا تعكس فروقاً جوهرية وحيث لوحظ أيضاً أن النسب التى تتردد يومياً تقع فى الفئة العمرية الوسطى والكبرى وهى نسب ضئيلة. ولذلك فإن احتمال وقوعها هنا قد يكون راجعاً إلى الصدفة البحتة وفيما يتصل بالمترددين أسبوعيا لوحظ أن النسبة الكبرى تقع فى الفئة العمرية الصغرى وهى تفوق نسبتى المترددين أسبوعيًّا والواقعين فى الفئتين العمريتين الكبرى والوسطى .

إلا أن هذا التفوق دال وجوهرى فيما يتعلق بالفرق بين نسبة المترددين أسبوعيًّا فى الفئة الصغرى والفئة الوسطى إلا أنه غير دال وغير جوهرى فيما يتعلق بالفرق بين نسبة المترددين فى الفئة العمرية الصغرى والفئة العمرية الكبر وهى على التوالى :

٤٠ ٪ من المجموعة العمرية الصغرى تتردد أسبوعيًّا فى مقابل ١٨,٨٩٪ من المجموعة الوسطى و ٢٥,٥٨ ٪ من المجموعة العمرية الكبرى .

أما فيما يتعلق بالتردد الشهرى فالنسب متقاربة ولا تعكس فروقاً جوهرية وفيما يتعلق بالتردد الذى يحدث فى المناسبات فالنسب أيضاً متقاربة وإن كانت المجموعات العمرية الوسطى والكبرى أكثر ممارسة لهذا النشاط فى المناسبات النسب المئوية للمترددين فى المناسبات على النحو التالى :

٣٠ ٪ من المجموعة العمرية الصغرى .

٤٦.٦٧ ٪ من المجموعة العمرية الوسطى .

٤٤.١٩ ٪ من المجموعة العمرية الكبرى .

ويمكننا أن نستخلص من هذه البيانات أن توزيع حجم التردد على المركز أو البندر وإن كان متقارباً بوجه عام بين الفئات العمرية المختلفة إلا أن الفئة الشابة أو الصغيرة السن تميل إلى أن تكون أكثر انتظاما فى هذا التردد إما قورنت غيرها من الفئات . وهى نتيجة منطقية ومتوقعة ومنسقة مع التفسير العام للموقف فإذا كان الكبار قد أصبحوا يدركون النسق الاجتماعى التقليدى بوصفه قاصراً عن إشباع بعض الحاجات المتزايدة لديهم مع أنهم قد استغرقوا فترة طويلة من حياتهم داخل هذا النسق فإننا نتوقع أن يكون الشباب أكثر إدراكا لقصور هذا النسق التقليدى على اعتبار أن الشباب يتميز بوجود قدر كبير من الحاجات المتزايدة إذ ما قورن بالكبار مما يخلق نمواً مناسبا من حجم الاتصال بالمراكز الحضرية التى قد يكون لهؤلاء الشباب فيها علاقات أكثر كثافة مرتبطة بمصالح أكثر إلحاحا .

ثانياً — التردد على المركز أو البندر والمكانة الاقتصادية الاجتماعية :

تعكس البيانات المتعلقة بالمكانة الاقتصادية الاجتماعية فى علاقتها بالتردد عدة نتائج هامة منها مثلا أن أولئك الذين لا يترددون إطلاقا على المركز أو البندر ينتمون إلى المكانة المنخفضة جميعا بالإضافة إلى أن نسبة الذين يترددون يوميا بين أصحاب المكانة المرتفعة تفوق مثيلاتها بين أصحاب المكانة المنخفضة والمتوسطة وحيث نجد أنه بينما يتردد ١٧.٦٥ ٪ من أصحاب المكانة

المرتفعة يوميا على المركز فإن ٣,٥٧ ٪ فقط من أصحاب المكانة المتوسطة و ٢.٧٨ ٪ من أصحاب المكانة المنخفضة يقومون بنفس النشاط يومياً والفرق الظاهرى بين النسب فرق واضح إلا أن الاختبار الإحصائى للدلالة قد وضح أنه فرق غير جوهرى (١) .

أما من حيث التردد أسبوعيا فإن البيانات تعكس أن أصحاب المكانة الاقتصادية المرتفعة هم أكثر ممارسة لهذا النشاط الأسبوعى يليهم أصحاب المكانة الاقتصادية فأصحاب المكانة الاقتصادية المنخفضة وإذا كان الفرق بين التردد الأسبوعى لأصحاب المكانة الاقتصادية المرتفعة وأصحاب المكانة المنخفضة فرق دال وجوهرى فإنالفرق بين أصحاب المكانة المرتفعة . وأصحاب المكانة المتوسطة من حيث التردد الأسبوعى فرق غير جوهرى بينما الفرق بين التردد الأسبوعى لأصحاب المكانة المتوسطة وأصحاب المكانة المنخفضة فرق دال وجوهرى كذلك .

ومن حيث التردد الشهرى نلاحظ أن أصحاب المكانة المتوسطة أكثر ممارسة لهذا النشاط الشهرى والفرق بينهم وبين أصحاب المكانة المرتفعة جوهرى ودال يليهم أصحاب المكانة المنخفضة إلا أن الفرق بين أصحاب المكانة المتوسطة وأصحاب المكانة المنخفضة غير جوهرى ، مما يمكن من الانتهاء إلى أنه فيما يتعلق بالتردد الأسبوعى يحتل أصحاب المكانة المرتفعة المكانة الأولى يليهم أصحاب المكانة المتوسطة فأصحاب المكانة المنخفضة ، أما فيما يتصل بالتردد الشهرى فإن أصحاب المكانة المتوسطة يحتلون المرتبطة الأولى يليهم أصحاب المكانة المنخفضة ، فأصحاب المكانة المرتفعة .

أما فيما يتصل بالتردد « فى المناسبات فلن نجد الوضع مقلوباً وحيث يظهر أصحاب المكانة المنخفضة بوصفهم أكثر ممارسة لهذا النشاط فهم يتفوقون تفوقاً دالا إحصائياً على المجموعتين الشاغلتين للمكانة الاقتصادية

---

(١) ن . ح بين ١ ، ٣ = ٦ ر١ وبين ٢ ، ٣ = ٤ ر١

المتوسطة والمرتفعة إلا أن الفرق بين نسبة من يمارسون ذلك النشاط « المناسبي » وبين أصحاب المكانة المتوسطة والمرتفعة فرق غير جوهرى ونحن حينئذ نستطيع أن ننتهى إلى ما يلى :

١ — يتفوق أصحاب المكانة الاقتصادية الاجتماعية فى التردد الأسبوعى وحيث إن نسبة كبيرة منهم تمارس هذا النشاط .

٢ — يتفوق أصحاب المكانة الاقتصادية الاجتماعية المتوسطة فى التردد الشهرى وحيث تمارس نسبة كبيرة منهم هذا النشاط .

٣ — يتفوق أصحاب المكانة الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة فى التردد على المركز أو البندر فى المناسبات .

وتبدو هذه النتائج متسقة مع ما كان متوقعاً . وحيث إن التردد على المراكز الحضرية يتطلب نوعاً من الإمكانيات من جهة كما أنه يتضمن نوعا من المصالح الاقتصادية المرتبطة من جهة أخرى .

ثالثا — التردد على المراكز أو البندر والمكانة التعليمية

توضح البيانات أن نسبة من يترددون على المركز يوميا مرتفعة بين أصحاب المكانة التعليمية المرتفعة إذا قورنوا بأصحاب المكانة التعليمية المنخفضة وإن كان الفرق بين النسبتين فرقاً غير جوهرى [١] . كما أن نسبة المترددين أسبوعيًّا بين أصحاب المكانة المرتفعة تفوق مثيلتها بين أصحاب المكانة المنخفضة . والفرق بين النسبتين فرق جوهرى أما عن التردد الشهرى فالنسبتان متقاربتان . بينما نجد أن أصحاب المكانة التعليمية المنخفضة يتفوقون فى ترددهم فى المناسبات عن أصحاب المكانة المرتفعة . والفرق بين نسبة المترددين فى المناسبات بين أصحاب المكانتين فرق جوهرى .

أى أننا نستطيع أن نخرج بالنتائج التالية :

١ — مرتفعو التعليم — بوجه عام — أكثر ترددا على المراكز الحضرية القريبة من حيث حجم التردد اليومى .

---

(١) ن ح = د ر ١

٢ – نسبة من يترددون أسبوعيا أكثر ارتفاعاً بين أصحاب المكانة التعليمية المرتفعة إذا ما قورنوا بأصحاب المكانة المنخفضة .

٣ – تكتفى نسبة كبيرة من أصحاب المكانة التعليمية المنخفضة بالتردد على المركز أو البندر فى المناسبات وتفوق هذه النسبة بالطبع مثيلتها بين أصحاب المكانة التعليمية المرتفعة .

٤ – تتساوى النسبتان تقريبا فيما يتعلق بالتردد الشهرى .

وتوحى هذه النتائج بأنه وإن كان التردد على المركز أو البندر نشاطاً شائعاً بين القرويين موضع الدراسة إلا أن الأرفع تعليماً من هؤلاء القرويين يحققون أكبر حجم من التردد على المركز أو البندر . أى أن هناك ارتباطاً بين المستوى التعليمى وحجم التردد على المركز أو البندر .

رابعا – التردد على المركز أو البندر والمشاركة الاجتماعية :

من خلال فحص المعطيات المتعلقة بذلك نستطيع أن نقول إن نسب التردد تتوزع توزعا متكافئا بين المشاركين اجتماعيا وغير المشاركين اجتماعيا . مما يعضد ما ذهبنا إليه آنفا من أن المشاركة الاجتماعية كما عرفت إجرائيا وكما تمارس فى القرية لا يمكن الاعتماد عليها بوصفها عاملا من عوامل التصنيف أو بوصفها متغيراً اجتماعياً وذلك لطابعها الإلزامى ولبعدها – نسبيا – عن الطواعية ، أو الإلتحاق الاختيارى . وذلك يدفعنا إلى التفكير وإعادة النظر فى مفهوم المشاركة الاجتماعية وإمكانية تطبيقة على إنتماء القروى إلى الجماعات والتنظيمات الموجودة فى القرية . ولكن ليس معنى ذلك أنه لابد أن ينجح مقياس المشاركة الاجتماعية فى التمييز بين المترددين وغير المترددين . فمن المحتمل جداً وكما كشفت البيانات ألا يكون هناك ثمة ارتباط بين المشاركة الاجتماعية داخل القرية والاتصال بالمراكز الحضرية . بمعنى آخر إن عدم وجود فروق بين المترددين على المراكز الحضرية القريبة من حيث المشاركة الاجتماعية راجع إلى واحد من عاملين على النحو التالى :

١ — عدم وجود ارتباط حقيقى بين المشاركة الاجتماعية داخل نسق القرية وبين الاتصال بالمركز أو البندر وهى نتجة محتملة .

٢ — فشل مفهوم المشاركة الاجتماعية كما عرف واستخدم . فى التمييز والتصنيف كنتيجة إلى أننا لا يمكننا أن نطبق تمام التطبيق مثل هذا المفهوم على ما يدور داخل القرية انتماءات تنظيمية .

إلا أن البيانات المتعلقة بهذا الصدد لا تمكن إلا من القول بأنه ليس ثمة علاقة بين التردد على المركز أو البندر وحجم هذا التردد وبين المشاركة الاجتماعية كما يشار إليها بعضوية الجماعات المختلفة العاملة فى القرية .

خامسا : التردد على المركز والمهن :

يتضح لأول وهلة من البيانات المتصلة بالمهن . أن حجم التردد على المركز أو البندر يرتفع بين أصحاب المهن غير الزراعية . فمن الملاحظ أن نسبة من يترددون يوميا مرتفعة بين أصحاب المهن غير الزراعية إذا ما قورنت بمثيلتها بين أصحاب المهن الزراعية والفرق بين النسبتين فرق جوهرى ودال . وإذا ميزنا بين نسبة من يترددون أسبوعيا وشهريا بين أصحاب المهن الزراعية وغير الزاعية لوجدنا أن هذه النسبة بين أصحاب المهن غير الزراعية تتفوق على مثيلتها بين أصحاب المهن الزواعية .

أما فيما يتعلق بالتردد فى المناسبات فإننا نجد أن التردد فى المناسبات هذا نشاط يقوم به غالباً أصحاب المهن الزراعية ونسبة من يقومون بهذا النشاط بينهم تفوق مثيلتها بين أصحاب المهن غير الزراعية . والفرق بين هاتين النسبتين فرق جوهرى ودال . مما يمكن من القول بما يلى :

١ — نسبة من يترددرن على المركز يوميا بين أصحاب المهن غير الزراعية تفوق مثيلتها بين أصحاب المهن الزراعية والفرق بين النسبتين جوهرى .

٢ — نسبة من يترددون أسبوعيًّا وشهريًّا بين أصحاب المهن غير

الزراعية تفوق مثيلتها بين أصحاب المهن الزراعية .

٣ — وبالتالى فإن نسبة من يترددون فى المناسبات مرتفعة بين أصحاب المهن الزراعية إذا ما قورنوا بأصحاب المهن غير الزراعية والفرق بين النسبتين فرق دال إحصائياً .

وتبدو هذه النتيجة متسقة مع طبيعة المهن الزراعية وغير الزراعية فالمهن الزراعية وما يرتبط بها من عمل و إنتاج إنما هى مهن « مناسبات » أساسا . ترتبط بتسويق محصول موسم معين . أو فى إنفاق عائد هذا المحصول فى الأسواق أو الموالد أو غير ذلك من المناسبات . أى أن هذه المهن الزراعية لا تتيح الفرصة أمام صاحبها للمغادرة اليومية أو حتى الأسبوعية للقرية . بعكس الحال فيما يتصل بالمهن غير الزراعية . والتى قد تتطلب ممارستها الاتصال اليومى أو الأسبوعى بالمراكز الحضرية المجاورة كمهنة البقال أو الجزار أو التجار عموما أو عمال الخدمات أو المدرسين المقيمين أو غير ذلك من المهن .

فالنتيجة التى قدمتها البيانات هنا إذن نتيجة متوقعة ومتسقة مع طبيعة المهن الزراعية وغير الزراعية .

نستطيع أن ننتهى من الحديث التحليلى عن التردد على المركز أو البندر والمتغيرات الاجتماعية المرتبطة به إلى عدة نتائج عامة نوجزها فيما يلى :

١ — نسبة التردد على المركز أو البندر أكبر حجماً بين الأعمار الشابة .

٢ — التردد على المركز أو البندر أكبر حجما بين أصحاب المكانة الاقتصادية الاجتماعية المرتفعة إذا ما قورنوا بغيرهم من أصحاب المكانات الأدنى .

٣ — التردد على المركز أو البندر أكبر حجما بين أصحاب المكانة التعليمية المرتفعة .

٤ — لم تعكس البيانات علاقة واضحة بين المشاركة الاجتماعية و بين التردد على المركز أو البندر فنسب التردد متكافئة بين المشاركين اجتماعيا و بين غير المشاركين .

٥ ــ التردد على المركز أو البندر أكبر حجما بين أصحاب المهن غير الزراعية إذا ما قورنوا بأصحاب المهن الزراعية .

أى أننا نستطيع أن ننتهى من هذا البحث وفى حدود عينته ، إلى أن الشخص الذى يتردد على المركز أو البندر بدرجة كبيرة يوميًّا أو أسبوعيًّا أو شهريا . غالبا ما يكون شخصا شابا ينتمى الى مكانة اقتصادية اجتماعية مرتفعة وإلى مكانة تعليمية مرتفعة وأنه ينتمى فى الغالب إلى المهن غير الزراعية . أما ذلك الذى يتردد على المركز أو البندر فى المناسبات فإنه غالبا ما يميل إلى الفئات العمرية الكبيرة وغالبا ما ينتمى إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة كما أنه ينتمى ــ غالبا أيضا ــ إلى المكانة التعليمية المنخفضة وهو شخص غالبا ما ينتمى إلى المهن الزراعية .

خامساً ــ التردد على القاهرة والمدن الكبرى بوجه عام

من حديثنا السابق اتضحت أهمية الاتصال بالمراكز الحضرية القريبة باعتبارها مظهراً للتغير الاجتماعى من جهة وأحد العوامل المعجلة به من جهة أخرى . وكيف يرتبط هذا الاتصال بالانتقال من الاكتفاء الذاتى للمجتمع القروى إلى الأعتماد المتزايد على اقتصاديات السوق . وكيف يرتبط هذا الاتصال بالمراكز الحضرية المجاورة بعدد من المتغيرات الديموجرافية . والاجتماعية .

وإذا كان للاتصال بالمراكز الحضرية المجاورة مثل هذه الأهمية فى انفتاح النسق الاجتماعى للمجتمع القروى على العالم الخارجى للقرية فإننا نتوقع أن يكون للاتصال بالمراكز الحضرية الكبرى أو بالمدن العاصمة تأثير كبير أيضاً ونتائج واضحة . ومن المعروف بوجه عام أن القرويين الآن أصبحوا يتصلون اتصالا متفاوتا بمثل هذه المدن العاصمية نتيجة لعدة عوامل مختلفة كارتباطهم بتعليم أولادهم فى الجامعات والمعاهد العليا ، أو وجود أقارب مهاجرين إلى مثل هذه المدن التى غالبا ما تكون مراكز جذب كبرى باعتبارها مدنا

صناعية . ولم يترك الاتصال بالمراكز الحضارية بوجه عام — انطباعه وآثاره على البناء العائلى للقرية فقط . وإنما تمتد آثاره أيضا إلى الجوانب الاقتصادية والثقافية بجانبيها المادى وغير المادى . ولذلك فإن فحص مسألة التردد على القاهرة والمدن الكبرى والمتغيرات الاجتماعية المرتبطة بها وصلات القرى بها عموما إنما يمثل هنا هدفا من أهداف هذه الدراسة .

وتوضح البيانات التى فى متناول أيدينا أن نسبة لا بأس بها من العينة المستخدمة فى هذا الدراسة تتردد على القاهرة وهى تصل إلى حوالى ٥٤ ٪ من مجموع أفراد العينة إلا أن نسبة ضئيلة جداً هى التى تتردد على القاهرة والمدن الكبرى أسبوعياً أو شهرياً وتصل هذه النسبة إلى أكثر من ٣ ٪ بقليل من مجموع أفراد عينة الدراسة . والنسبة الغالبة وهى تمثل ٥٠ ٪ تقريباً من مجموع العينة . تتردد فى المناسبات .

وتعكس تلك النسبة دلالات هامة مؤداها أن القرى أصبح الآن يتردد على المراكز الحضرية الكبرى وأن المراكز الحضرية القريبة أصبحت غير كافية — بالتالى — لإشباع حاجاته وقضاء مصالحه المتزايدة . وتمثل هذه النتيجة مظهراً من مظاهر التغير الاجتماعى الذى ترك انطباعه على القرية بحيث أصبحت بالإضافة إلى ما يحيط بها من مراكز حضرية مجاورة غير كافية فى نظر القرى . ولا يمكن الإدعاء بأن اتصال القرى بالمراكز الحضرية الكبرى البعيدة اتصال قديم فهو اتصال حديث إلى حد كبير . ووليد للتغير الذى طرأ على المجتمع المصرى بوجه عام . فالقرى يتردد على هذه المراكز الحضارية الكبرى لزيارة الأقارب المقيمين بها أساساً . وهم عادة يمثلون الأبناء الذين يتلقون التعليم فى هذه المدن الكبرى أو الأقارب الذين جذبتهم المناطق الصناعية فهجروا موطنهم الأصلى ومهنهم الأصلية والتحقوا بمهن أخرى فى هذه المدن . وهناك نسبة محدودة تتردد على هذه المدن الكبرى لزيارة الأضرحة ومشاهدة موالد الأولياء والاشتراك فيها . أما النسبة الضخمة من المترددين فإنها تنتهز فرصة وجودها فى هذه المدن الكبرى لقضاء مصالح متعددة ومتشابكة مما يمكننا من أن نقرر بأن

الاعتماد الخارجي للقروى والذى لاحظه عاطف غيث يمتد من الداخل إلى القروى المجاورة ثم إلى السوق ثم أصبح يمتد الآن أيضاً إلى المدن الكبرى . ولا يمكن بحال من الأحوال أن نغفل آثار هذا التردد فى أفق القروى وفى حالته العقلية العامة ، فهو حينما ينتقل إلى مثل هذه المدن إنما يعايش مجتمعات مختلفة بدرجات متفاوتة عن مجتمعه المحلى وقد يتأثر ببعض الجوانب التى يعايشها أو يشاهدها .

إلا أنه ليس من الضرورى أن يتم اتصال مباشر بين القروى وهذه المدن الكبرى . فقد تنتقل إليه بعض السمات المتصلة بهذه المدن وهو قابع فى قريته التى يحملها إليه قريب يعمل بهذه المدن ويقيم بها حينما يأتى لزيارته بالقرية . ولذلك فلقد لاحظنا أنه من الأهمية بمكان أن نفحص مدى وجود أقارب للقروى يقيمون بالقاهرة أو المدن الكبرى ، وحجم الصلات القائمة بين القروى وبين أقاربه هؤلاء إن وجدوا .

وتوضح البيانات المتصلة بذلك أن النسبة الغالبة من أفراد العينة لديهم أقارب يقيمون بالقاهرة أو الإسكندرية أو غيرها من المدن الكبرى ونسبة ضئيلة فقط تصل إلى ٢٩٫٤١٪ ليس لديهم أقارب من هذا النوع كما أن البيانات توضح أن الصلات بين القروى وأقاربه المقيمين فى مثل هذه المدن صلات قائمة فى الغالب وغير مقطوعة فهناك أكثر من ٣٧٪ من أفراد العينة يتبادلون الزيارة مع أقاربهم المقيمين بالمدن الكبرى ، ١٣٫٠٧٪ من جملة العينة يذهبون إلى محال إقامة أقاربهم بقصد الزيارة بينما ذكر ١٦٫٣٤٪ أن أقاربهم هم الذين يحضرون لزيارتهم بالقرية .

وسواء كانت هذه الزيارات متبادلة ، أو من طرف واحد ، فإننا لا نستطيع أن نقلل من آثارها فبالإضافة إلى أن الاتصال بالمدينة من العوامل الهامة التى تؤثر فى مجرى التغير الاجتماعى فى المجتمعات القروية فإن أولئك المهاجرين إلى المراكز الحضرية الكبرى إنما يلعبون دوراً هاماً فى التأثير على مجرى هذا التغير فى المجتمع القروى ، وبخاصة إذا عرفنا أن المهاجرين بقصد

العمل من غير المتعلمين . إنما يكونون أكثر ارتباطاً بنسقهم الاجتماعى القديم من أولئك الذين يحصلون على تعليم مرتفع يمكنهم شغل دور واحتلال مكانة معينة فى النسق الاجتماعى الجديد الذين انتقلوا إليه . وبالتالى يكونون أقل ارتباطاً بنسقهم القديم أى مجتمع القرية .

ولكن هل يرتبط التردد على المراكز الحضرية الكبرى كالقاهرة أو غيرها من المدن الكبرى بمتغيرات اجتماعية واقتصادية معينة ؟ هذا هو ما سوف نحاول الإجابة عنه فيما يلى :

أولا — التردد على القاهرة أو المدن الكبرى والسن :

يبدو من خلال البيانات ، أن نسب التردد على القاهرة والمدن الكبرى موزعة بطريقة متكافئة تقريباً بين مختلف الفئات العمرية بدون أية فروق جوهرية ، إلا أن أولئك الذين يترددون أسبوعياً أو شهرياً ينتمون إلى الفئتين العمريتين الوسطى والكبرى وإن كانت نسبتهم ضئيلة . فالصفة الغالبة على التردد على القاهرة والمدن الكبرى تتمثل فى أن هذا النشاط عادة ما يمارس فى المناسبات ، فهو ليس بالتالى نشاطاً منتظماً مما يمكن من القول أن العلاقة بين السن وبين هذا التردد علاقة مختلطة وغير واضحة .

ثانياً — التردد والمكانة الاقتصادية الإجتماعية :

توضح البيانات هنا ، أن هناك علاقة واضحة بين التردد على المدن الكبرى وبين المكانة الاقتصادية الاجتماعية وحيث إن النسبة العظمى ممن لا يترددون على مثل هذه المدن تنتمى إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة ، وحيث نلاحظ أن ٥٧٫٤١٪ من أصحاب المكانة المنخفضة لا يترددن على القاهرة أو المدن الكبرى فى مقابل ٢٥٪ من أصحاب المكانة الاجتماعية المتوسطة و٥٫٨٨٪ بين أصحاب المكانة المرتفعة والفرق بين هذه النسب فرق جوهرى بوجه عام . كما نلاحظ أيضاً أن نسبة من يترددون فى المناسبات من أصحاب المكانة المنخفضة تصل إلى ٤١٫٦٧٪ فى مقابل

٤٣ر٧١٪ من أصحاب المكانة المتوسطة و ٤٧ر٧٦٪ من أصحاب المكانة المرتفعة. والفرق بين النسبة الأولى وبين الثانية والثالثة فرق جوهرى ودال مما يمكننا من الانتهاء إلى أن هناك علاقة واضحة بين التردد على المدن الكبرى والمكانة الاقتصادية الاجتماعية .

ثالثاً — التردد والمكانة التعليمية :

ونلاحظ فى هذا الصدد أن نسبة الذين يترددون على القاهرة والمدن الكبرى مرتفعة جداً بين الذين ينتمون إلى المكانة التعليمية المرتفعة إذا ما قورنت بمثيلتها بين أصحاب المكانة التعليمية المنخفضة. والفرق بين النسبتين فرق جوهرى ودال بل هو على مستوى مرتفع جداً من الدلالة وحيث نلاحظ أن ٥٢ر٦٤٪ من أصحاب المكانة التعليمية المنخفضة لا يترددون على المدن الكبرى فى مقابل ١٧ر١٦٪ فقط ممن ينتمون إلى المكانة التعليمية المرتفعة. والفرق جوهرى بين النسبتين . مما يمكن من الانتهاء إلى أن جمهور المترددين على المدن الكبرى يميل إلى أن يكون — فى معظمه — من المنتمين إلى المكانة التعليمية المرتفعة .

رابعاً — التردد والمشاركة الإجتماعية :

تميل نسبة المترددين على القاهرة إلى الارتفاع بين المشاركين اجتماعياً إذا ما قورنوا بغير المشاركين. فهى بين المجموعة الأولى أكثر من ٥٧٪ بينما هى بين المجموعة الثانية تصل إلى أكثر من ٤٢٪ بقليل إلا أن الفرق بين النسبتين ليس على مستوى كبير من الدلالة (ن . ح = ١ر٧) وتوحى هذه النتيجة بأن هناك علاقة ما بين المشاركة الاجتماعية والتردد على المدن الكبرى إلا أن هذه العلاقة غير واضحة أو غير حادة، مما يدعم أيضاً ما ذهبنا إليه فيما سبق من أن مفهوم المشاركة الاجتماعية وأساليبها الممارسة فى مجتمع القرية بحاجة إلى تعديل . وحيث أنه لا يقيس فعلا الانتماء الاختيارى أو التلقائى للجماعات أو التنظيمات العاملة فى مجتمع القرية .

خامساً – التردد والمهن :

وإن كانت البيانات المتصلة بالمهن تعكس ميلا لغير الزراعيين لأن يكونوا أكثر تردداً على القاهرة والمدن الكبرى . إلا أن هذا الميل غير قوى . وحيث نلاحظ أن نسبة من لا يترددون على القاهرة والمدن الكبرى تصل إلى نسبة ٣٥٫٥٦٪ فى مقابل ٥٠٪ بين أصحاب المهن الزراعية ، وهناك فرق ظاهر بين هاتين النسبتين إلا أنه فرق غير جوهرى أو هو لم يصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية المطلوب (ن . ج = ١٫٧٥) .

ونستطيع أن ننتهى إلى أن خصائص الذين يترددون على القاهرة والمدن الكبرى تميل إلى الاتساق مع خصائص أولئك الذين يترددون على المراكز الحضرية القريبة . بحيث نستطيع أن نقول إن الشخص الذى يتردد على القاهرة يغلب أن يكون منتمياً إلى مكانة اقتصادية اجتماعية مرتفعة ومكانة تعليمية مرتفعة أيضاً كما يغلب أيضاً أن يكون منتمياً إلى طائفة المهن غير الزراعية .

العلاقة بين أوجه النشاط الاتصالى المختلفة :

نستهدف فى هذا التحليل الكشف عن العلاقات التى قد تكون قائمة بين ممارسة أوجه النشاط الاتصالى المختلفة ، ويمكن تفصيل أهدافنا هنا على النحو التالى :

١ – هل هناك علاقة بين الاستماع إلى الراديو والتردد على السينما ؟

٢ – هل هناك علاقة بين الاستماع إلى الراديو والتردد على المركز ؟

٣ – هل هناك علاقة بين الاستماع إلى الراديو والتردد على القاهرة والمدن الكبرى ؟

٤ – ما طبيعة العلاقة بين قراءة الصحف والاستماع إلى الراديو ؟

٥ – ما طبيعة العلاقة بين قراءة الصحف والتردد على السينما ؟

٦ – هل هناك علاقة بين قراءة الصحف والتردد على المركز ؟

٧ — هل هناك علاقة بين قراءة الصحف والتردد على القاهرة والمدن الكبرى ؟

٨ — ما هى العلاقة بين التردد على المركز أو البندر والتردد على السينما ؟

٩ — ما هى العلاقة بين التردد على السينما والتردد على القاهرة أو المدن الكبرى ؟

ومع أن التحليل السابق للبيانات قد أوضح أن ثمة علاقات بين ممارسة أوجه النشاط الاتصالى المختلفة ، إلا أننا نريد هنا صورة واضحة لهذه العلاقات ، وفى سبيل تحقيق هذه الأهداف قمنا بإعداد جداول ارتباطية تسمح بالكشف عن هذه العلاقات ولقد وجدنا أن معامل فاى هو الوسيلة المناسبة لتقدير العلاقات الموجودة[1] .

١ — العلاقة بين الاستماع إلى الراديو وأوجه النشاط الاتصالى الأخرى :

مع أن البيانات توضح أن جميع الأشخاص الذين يترددون على السينما يستمعون إلى الراديو بانتظام أو أحياناً . وأن جميع الذين لا يستمعون إلى الراديو لا يترددون على السينما ، إلا أن ذلك لا يعنى أن جميع الذين يستمعون إلى الراديو أو حتى أغلبهم يترددون على السينما . وحيث نلاحظ أنه من بين مائة وأربع وأربعين يستمعون إلى الراديو ، يذهب اثنان وأربعون إلى السينما ولذلك فإن معامل الارتباط فاى = ٢٣, .

وتوضح هذه النتيجة أن الاستماع إلى الراديو أصبح نشاط شائعاً بحيث لم يعد يصلح أساساً للتصنيف ، أو الارتباط ، فالمستمعون إلى الراديو يمثلون معظم أفراد العينة تقريباً .

أما عن الارتباط بين الاستماع إلى الراديو والتردد على المركز أو البندر فلقد وجد أن معامل ارتباط فاى = ٠,٢٦ ، ويتضح من البيانات المتعلقة

---

(١) ويحسب بالمعادله التالية = $\frac{أ د - ب حـ}{\sqrt{هـ ى هـَ ىَ}}$ انظر السيد محمد خيرى المصدر السابق ص ٢١٢

بهذا الموضوع أن كلاً من النشاطين يمثل نشاطاً شائعاً أو عامياً . ويتضح شيوع ظاهرة الاستماع إلى الراديو وعدم صلاحية اتخاذه وحدة للتصنيف والتمييز . وبخاصة إذا عرفنا أن البيانات توضح أن قيمة فاى = ٠,١٩ فيما يتعلق بالعلاقة بين الاستماع إلى الراديو والتردد على القاهرة أو المدن الكبرى .

ننتهى من ذلك إلى أن الارتباط ضئيل بين الاستماع إلى الراديو وغيره من أوجه النشاط الاتصالى الأخرى . ذلك لأن معظم أفراد العينة يستمعون إلى الراديو ، ومن ثم فإن الاستماع يمثل ظاهرة عامة حيث إنه لا يقتصر على فئة بعينها .

٢ ــ العلاقة بين قراءة الصحف وأوجه النشاط الاتصالى الأخرى :

توضح البيانات المتصلة بالعلاقة بين قراءة الصحف ، والاستماع إلى الراديو أن جميع الذين يعرفون القراءة والكتابة والذين تضمنتهم هذه البيانات وعددهم خمسة وسبعون شخصاً يستمعون إلى الراديو سواء منهم من يقرأون الصحف أو من لا يقرأونها مما يوحى بعدم وجود علاقة . إلا أن معامل الارتباط (فاى) بين قراءة الصحف والتردد على السينما مرتفع نسبياً وحيث يصل إلى ٠,٣٧ وحيث نلاحظ أن نسبة كبيرة ممن يقرأون الصحف يترددون على السينما . مما يوحى بوجود علاقة وإن كانت غير كافية الوضوح بين قراءة الصحف والتردد على السينما .

وفى الوقت الذى تعكس فيه البيانات علاقة سالبة بين قراءة الصحف والتردد على المركز (فاى = ــ ٠,١٠) وإن كانت ضعيفة جداً ، وحيث نلاحظ أن جميع أفراد العينة تقريباً يترددون على المركز سواء منهم قراء الصحف أم غيرهم ــ فى الوقت نفسه نلاحظ ارتباطاً مرتفعاً نسبياً بين قراءة الصحف والتردد على القاهرة أو المدن الكبرى وحيث تصل قيمة « فاى » إلى ٠,٤١ وحيث نلاحظ أن أغلبية قراء الصحف يترددون على القاهرة وهم يتفوقون فى ذلك عن غيرهم .

٣ ــ العلاقة بين التردد على السينما، والتردد على المركز، والقاهرة أو المدن الكبرى:

بينما وجد أن الارتباط بين التردد على السينما والتردد على المركز ضعيف (فاى = ٠,٠٩) مما يوحى بأن المركز الحضرى المجاور ليس هو المكان الذى يشاهد فيه القروى العروض السينمائية ، كما يوحى أيضاً بأن التردد على المركز نشاط عام وشائع يشترك فيه الذين يختلفون إلى السينما وغيرهم ، فإننا نلاحظ أن الارتباط بين الاختلاف إلى السينما والتردد على القاهرة أو المدن الكبرى ارتباط مرتفع نسبياً وحيث تصل قيمة « فاى » إلى ٠,٣٩ ومما يدعم القول بأن نشاط التردد على المركز لا يميز فئة بعينها وإنما هو نشاط شائع وأن الارتباط بين التردد على المركز والتردد على القاهرة والمدن الكبرى ارتباط ضعيف « فاى = ٠,١٥ » .

نستطيع أن نخلص من هذا العرض إلى ما يلى :

١ ــ الاستماع إلى الراديو نشاط شائع ، وهو لا يرتبط بغيره من أوجه النشاط الاتصالى الأخرى .

٢ ــ التردد على المركز أو البندر القريب نشاط شائع أيضاً لايرتبط بغيره من أوجه النشاط الاتصالى الأخرى .

٣ ــ هناك علاقة محدودة بين قراءة الصحف والتردد على السينما مما يوحى بأن قراء الصحف يميلون أكثر من غيرهم إلى التردد على السينما .

٤ ــ هناك علاقة بين قراءة الصحف والتردد على القاهرة ، مما يوحى بأن قراء الصحف يتفوقون على غيرهم من حيث التردد على القاهرة والمدن الكبرى .

٥ ــ هناك علاقة بين الاختلاف إلى السينما والتردد على القاهرة مما يمكن من القول بأن جمهور السينما فى القرية أكثر تردداً على القاهرة والمدن الكبرى من غيره وربما كانت هذه المدن الكبرى هى المكان المناسب لمشاهدة العروض السينمائية .

فكان التشابك والتداخل — هنا — ليس قائماً بين جمهور الراديو وغيره من جماهير الاتصالات المختلفة كما أنه ليس قائماً بين جمهور المراكز الحضرية القريبة وغيره من الجماهير . ومن المرجح أن ذلك نتاج للاتساع والنمو المستمر لجمهور الراديو فى القرية . بالإضافة إلى الاعتماد المتزايد على المراكز الحضرية المجاورة من قبل القرويين ؛ أما التشابك والتداخل الموجود حالياً فيلاحظ بين جمهور الصحف والسينما والقاهرة والمدن الكبرى .

وتعكس هذه النتيجة تغيراً وتحولا عما سجله « إدموند برونر » فى تقريره المشار إليه آنفاً . وحيث لاحظ أن من يستمعون إلى الراديو يقرأون الصحف أيضاً بالإضافة إلى أنهم يترددون على السينما[1] .

ننتهى من حديثنا عن السلوك الاتصالى فى القرية موضوع الدراسة أن ممارسة مثل هذا السلوك الذى حددناه فى عدة أوجه من النشاط ترتبط بعدد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية بدرجات تتفاوت فى شدتها بحيث يمكن القول بما يلى :

(ا) هناك أوجه نشاط اتصالية تمارس على نطاق واسع ولا ترتبط كثيراً بالتباين أو الاختلاف فى المكانة الاقتصادية الاجتماعية أو المكانة التعليمية أو المشاركة الاجتماعية . أو المهن . أو السن ، أو غير ذلك . ومن هذه الأوجه الاستماع إلى الراديو والتردد على المراكز الحضرية القريبة .

(ب) هناك أوجه أخرى ما زالت تصلح للقيام بمهمة التمييز بين نوعين من الأشخاص ، أحدهما محلى مستغرق فى شئون مجتمعه وغير مكترث نسبياً بما يدور حوله . والآخر منفتح على العالم ، لا يهتم فقط بما يدور داخل نطاق مجتمعه المحلى وإنما هو يستشرف ما وراء هذا المجتمع . وتتمثل هذه الأوجه فى قراءة الصحف والتردد على السينما والتردد على القاهرة أو المدن الكبرى . ومن المهم أن نشير إلى أن هذه المناشط الاتصالية ترتبط بعدد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على النحو التالى :

(١) See. E. Brunner, op. cit.

١ – يميل ممارسوها إلى الانتماء إلى فئات عمرية شابة بوجه عام .

٢ – يميـــل ممارسوها إلى الانتماء – غالباً – إلى مكانة اقتصادية اجتماعية مرتفعة .

٣ – يميل ممارسوها إلى الانتماء – بوجه عام – إلى مكانة تعليمية مرتفعة .

٤ – يميل ممارسوها إلى الانتماء إلى طائفة المشاركين اجتماعياً ، وإن كان هذا الميل غير واضح تماماً .

٥ – يميل ممارسوها إلى الانتماء إلى المهن غير الزراعية بدرجة أكبر ممن لا يمارسون مثل هذه المناشط .

فكأن هذه النتائج تميل – بوجه عام – إلى تدعيم ما ذهب إليه ليرنر فى تنصيفه السابق الذكر للناس فى الشرق الأوسط ، إلى عصريين وتحوليين وتقليديين على أساس إبعاد المكانة الاقتصادية والتعليم وعلمانية التفكير والمشاركة فى الاتصالات الجمعية . وهى توضح بجلاء أن الأسس التصنيفية التى وضعها « ليونر » إنما هى أسس صادقة إلى حد كبير . أى أننا نستطيع أن نعتمد على مقاييس مثل المكانة الاقتصادية ، والتعليم ، أو المشاركة فى الاتصالات الجمعية ، بوصفها مقاييس تصنيفية إلا أنه ينبغى أن نميز بين نوعين من المشاركة فى الاتصالات الجمعية على النحو التالى :

١ – مشاركة سلبية لا تتضمن بذل أى جهد فى سبيلها .

٢ – مشاركة إيجابية تتضمن بذل الجهود .

وبينما تتمثل الأولى فى الاستماع إلى الراديو – إلى حد كبير – ، فإن الثانية تتمثل فى قراءة الصحف والاتصال بالمراكز الحضرية الكبرى ، ولذلك فإن المشاركة الإيجابية تصبح أكثر دقة كدليل تصنيفى يميز بين تحولى وتقليدى ، أو بين محلى ومنفتح على العالم .

الفصل الثاني عشر

أنماط الإتصال . ومضمون الرسائل في علاقتها بعدد من المتغيرات الإجتماعية

بعد أن قدمنا صورة واضحة عن الاتصال فى القرية، بوصفها سلوكاً يتضمن المشاركة فى المضامين التى تبث عن طريق الإذاعة ، والصحف ، والسينما ، وباعتباره اتصالا بالمناطق الحضرية المجاورة أو البعيدة من ناحية أخرى . وبعد أن حللنا هذه المشاركة الاتصالية فى علاقاتها بالمتغيرات الاجتماعية المختلفة ، يهمنا الآن أن نعطى صورة للاتصال فى القرية لا بوصفه سلوكاً أو نشاطاً يمارسه القرويون . وإنما بوصفه عملية دينامية تتضمن نقل عدد من الرسائل إلى هؤلاء القرويين ، ولذلك فإن تحليلنا فى هذا القسم لن يتخذ وسيلة الاتصال نقطة انطلاق . وإنما هو سوف يتخذ مضمون الرسالة message نقطة لهذا الانطلاق . وسوف يرتكز تحليلنا هنا على رسالتين إحداهما ذات طابع اجتماعى ، والأخرى ذات طابع سياسى . بحيث تصبح مهمتنا هنا فحص الطريق الذى اتخذته هذه الرسائل حتى وصلت من المصدر إلى الوجهة المقصودة كل ذلك فى ضوء عدد من المتغيرات الاجتماعية ، ويمكن أن نحدد الأهداف بصورة واضحة على النحو التالى :

١ — إلى أى حد نجحت الاتصالات المختلفة فى نقل رسالتين على جانب من الأهمية كموضوع تنظيم الأسرة ، والموقف من إسرائيل إلى جمهور القرويين .

٢ — أى الاتصالات أكثر فعالية فى نقل مثل هذه الرسائل .

٣ — هل يحصل القرويون على معلوماتهم من مصادر متشابهة . أم أن المصادر التى يحصلون منها على المعلومات تختلف باختلاف أعمارهم ومكانتهم الاقتصادية الاجتماعية ، ومستواهم التعليمى ودرجة مشاركتهم الاجتماعية ومهنهم .

٤ — هل الاتصالات الأكثر فعالية ذات الطابع الاجتماعى — كقضية

تنظيم الأسرة — هى نفسها الأكثر فعالية فى نقل الرسائل ذات الطابع السياسى كالموقف من إسرائيل ؟

ووصولا إلى تحقيق هذه الأهداف :

١ — تم اختيار موضوع تنظيم الأسرة باعتباره ذا طابع اجتماعى ، وموضوع الموقف من إسرائيل باعتباره ذا طابع سياسى .

٢ — جمع بيانات إحصائية تسمح بما يلى :

١ — إظهار الذين سمعوا بالموضوع ويعرفونه فى مقابل أولئك الذين ليس لديهم علم بالموضوع .

٢ — عرض المصادر المختلفة التى تعرف القروى — عن طريقها — على هذه الموضوعات .

٣ — توزيع أولئك الذين سمعوا بهذه الموضوعات والذين لم يسمعوا بها وفقا للمتغيرات الاجتماعية المختلفة . كالسن . والمكانة الاقتصادية الاجتماعية ، والمكانة التعليمية . والمشاركة الاجتماعية ، والمهن .

٤ — إظهار العلاقة بين مصادر المعلومات المستخدمة فى معرفة هذه الموضوعات وبين السن ، والمكانة الاقتصادية الاجتماعية ، والمكانة التعليمية والمشاركة الاجتماعية ، والمهن .

أولا : موضوع تنظيم الأسرة :

١ — السماع بالموضوع : توضح البيانات أن الغالبية العظمى من أفراد العينة قد سمعت بموضوع تنظيم الأسرة مما يمكن من القول بأن هذا الموضوع أصبح شائعاً ومتداولا كما يمكن القول أيضاً بأن هناك آراء مختلفة تدور بشأنه وهى آراء سابقة على تكوين رأى عام واضح بخصوصه فى القرية وحيث نلاحظ أن ٩,٨ ٪ فقط من أفراد العينة لم تسمع بمثل هذا الموضوع .

٢ — مصادر السماع عنه والسن :

بتصنيف أفراد العينة إلى ثلاث فئات عمرية — كما سبق أن ذكرنا —

وفحص المصادر المختلفة التى تلقت معلوماتها عن طريقها، يتضح أن الإذاعة تحتل المرتبة الأولى بوصفها مصدراً للمعلومات المتصلة بهذا الموضوع بين الفئات العمرية الثلاث . إلا أن النسبة فى حد ذاتها ليست مرتفعة وحيث نلاحظ أن ٢٥ ٪ من فئة الأعمار الصغيرة قد سمعت بالموضوع عن طريق الإذاعة فى مقابل ٢٢,٢٢ ٪ من فئة السن الوسطى و ٢٠,٩٣ ٪ من الفئة الكبيرة السن ، ومن الواضح أن هذه النسب متقاربة ولا تعكس فروقاً ذات دلالة .

وتوضح البيانات أيضاً أن ٢٠ ٪ من الفئة العمرية الصغيرة قد سمعت بالموضوع عن طريق طبيب الوحدة الصحية ، فى مقابل ١٤,٤٤٪ من الفئة العمرية الوسطى و ١٣,٩٥ ٪ من الفئة العمرية الكبيرة . وأن الفروق بين النسب المئوية هنا غير جوهرية عموماً . إلا أن ذلك يؤكد الدور الذى يقوم به طاقم مؤسسات الخدمات فى شبكة الاتصالات فى القرية .

أما الأشخاص بوصفهم مصدراً من مصادر المعلومات فإنهم يمثلون مصدراً مشتركاً أيضاً بالنسبة لمختلف الفئات العمرية فلقد ذكر ١٥ ٪ من الفئة الأولى أنهم سمعوا عن الموضوع من أشخاص ، فى مقابل ١٠ ٪ من الفئة الثانية و ١١,٦٣ ٪ من الفئة العمرية الثالثة ومما يؤكد أن الاتصالات الشخصية من المصادر الهامة التى يعتمد عليها القرويون بمختلف أعمارهم ، أن الفروق بين نسب من ذكروها من الفئات العمرية الثلاث فروق غير جوهرية . إلا أنه حينما نأتى لفحص بناء الاتصال الشخصى فيما يتصل بهذا الموضوع ، بل وفيما يتصل بغيره من الموضوعات نجد أنه بناء غير واضح ، وغير محدد ، أى أن الأشخاص الذين يلعبون دوراً فى نقل المعلومات إلى الآخرين قد يكونون غير واضحين فى ذهن القروى الذى ذكر أنه تلقى معلوماته من مصادر شخصية . ومن الواضح أن لهذه النتيجة دلالتها الهامة فى الوقت الذى نستطيع أن نقول فيه إنه يمكن تطبيق اصطلاح كاتز ولازرسفلد الذى يدور حول الاتصال ذى الخطوتين فإننا لا نستطيع

أن نتعرف بدقة على ذلك الشخص الذى بدأ بالخطوة الثانية فى كثير من المواقف . فحينما نسأل القروى مثلا عن الشخص الذى نقل إليه ما يدور حول تنظيم الأسرة . فإنه عادة ما يجيب بأن « الناس كلها تتكلم » أو « الناس كلها عارفة » إلا أن هؤلاء الأشخاص الذين ينقلون المعلومات إلى غيرهم عادة ما يكونون أصدقاء أو أقارب أو جيراناً .

ولقد لاحظ إبراهيم أبو لغد . أهمية النقل الشخصى للمعلومات فى القرى التى درسها حيث وجد أن ٣٥ ٪ ممن سمعوا بالنبأ الذى اتخذه محوراً لدراسته قد سمعوا به عن طريق جار أو صديق. ولقد أدرك أهمية هذه النقطة من حيث هـ توضح مجرى الاتصال ذا الخطوتين ودوره فى نشر رسائل الاتصال الجمعى فيما وراء جمهورها الأساسى أو الحقيقى[1] .

ومن الدلائل الهامة التى توضحها البيانات هنا أنه لا يوجد شخص من مختلف الفئات العمرية ذكر الصحف كمصدر للمعرفة بهذا الموضوع . إلا أن نسبة محدودة ذكرت الصحف بالإضافة إلى الإذاعة وكان للفئة العمرية الكبيرة الغلبة فى هذا المجال . وحيث نرى أن ١٥٪ من الفئة العمرية الصغيرة قد ذكروا الصحف والإذاعة فى مقابل ٥,٥٦ ٪ من المنتمين إلى الفئة العمرية المتوسطة و ١٨,٦ ٪ من المجموعة العمرية الكبيرة . أما النسب الباقية فهى تتوزع أكثر من مصدر أو أكثر من مصدرين ومن الملاحظ أن طبيب الوحدة يعد مصدراً مشتركاً بينها جميعاً .

أما أولئك الذين لم يسمعوا بموضوع تنظيم الأسرة . فإن البيانات توضح أن الفئة العمرية الكبيرة تضم أكبر نسبة منهم (١٣,٩٥ ٪) فى مقابل ١٠ ٪ من أفراد الفئة العمرية الصغيرة و ٧,٧٨ ٪ من أفراد الفئة العمرية المتوسطة . إلا أن الفروق بين هذه النسب ليست فروقاً جوهرية .

ويمكننا أن نستخلص بوجه عام ما يلى :

١ ــ سمعت الغالبية العظمى من أفراد العينة بموضوع تنظيم الأسرة .

---

(١) See Abu-Lughod, op. cit

٢ – احتلت الإذاعة المرتبة الأولى بين مصادر المعلومات وذلك بين مختلف الفئات العمرية .

٣ – يلعب موظفو مؤسسات الخدمات المتصلة بهذا الموضوع دوراً واضحاً فى التعريف .

٤ – يمكن القول إن هناك نمط اتصال شخصى يلعب دوراً أيضاً فى نقل المعلومات المرتبطة بهذا الموضوع . وإن كان بناء قيادة الرأى غير واضح فى ذهن القروى . وهو يلعب هذا الدور بصورة متقاربة – تقريباً – بين مختلف الفئات العمرية .

٥ – دور الصحف – وحدها – شاحب – ودورها بالإضافة إلى غيرها – ضئيل بين مختلف الفئات العمرية .

٦ – ينتمى الأشخاص الذين لا يعلمون شيئاً عن موضوع تنظيم الأسرة إلى الفئات العمرية المختلفة دون اختلاف أو فروق جوهرية .

أى أننا نستطيع أن ننتهى ، إلى أن البيانات التى فى متناول أيدينا تعكس أن هناك – وفيما يتصل بهذا الموضوع الاجتماعى « تنظيم الأسرة » – مصادر عامة للمعلومات يشترك فيها جميع القرويين على اختلاف أعمارهم . أى أنه ليست هناك ثمة علاقة بين السن وبين استخدام مصدر معين من مصادر المعلومات .

٣ – مصادر السماع عن موضوع تنظيم الأسرة ، والمكانة الاقتصادية الاجتماعية :

توضح البيانات أن أصحاب المكانات الاقتصادية الاجتماعية المتباينة يختلفون فى مصادر المعلومات التى يعتمدون عليها فيما يتعلق بموضوع تنظيم الأسرة . ويبدو هذا الاختلاف جوهرى ودال فى أهم جوانبه . ويمكن تفصيل ذلك فيما يلى :

ذكر ٣٠,١١٪ ممن ينتمون إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة

الإذاعة كمصدر للمعلومات حول موضوع تنظيم الأسرة فى مقابل ١٤,١٩ ٪ ممن ينتمون إلى المكانة المتوسطة و ١١,٧٦ ٪ فقط ممن ينتمون إلى المكانة المرتفعة والفرق بين أصحاب المكانة المنخفضة وقرنائهم المنتمين إلى المكانة المتوسطة والمرتفعة فرق جوهرى ودال . وذلك بالإضافة إلى أن هؤلاء المنخفضى المكانة يعتمدون اعتماداً أكبر — إذا ما قورنوا بقرنائهم — على المصادر الشخصية للمعلومات فلقد ذكر ١٦,١٣ ٪ أنهم علموا بالموضوع عن طريق أشخاص فى مقابل ٧,١٤ ٪ ممن ينتمون إلى المكانة المتوسطة بينما لم يذكر أى شخص ممن ينتمون إلى المكانة المرتفعة المصادر الشخصية بوصفها مصادر للمعلومات.

هذا بينما يتفرق أصحاب المكانة المتوسطة، والمرتفعة، فى الاعتماد على الصحف بجانب الإذاعة كمصادر للمعلومات المتصلة بهذا الموضوع . وحيث نجد أن ٢٩,٤١٪ من المنتمين إلى المكانة الاقتصادية والاجتماعية المرتفعة و ٣٢,١٤٪ ممن ينتمون إلى المكانة المتوسطة قد ذكروا الصحف والإذاعة فى مقابل ٢,١٥ ٪ من المنتمين إلى المكانة المنخفضة والفرق بينهم وبين أصحاب المكانة الوسطى والعليا فرق جوهرى .

هذا بينما تتوزع النسب الباقية على مصادر متعددة ولا تعكس فروقاً واضحة يمكن إرجاعها إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية .

وحينما نبحث عن موضع أولئك الذين لم يسمعوا بموضوع تنظيم الأسرة نجدهم ينتمون جميعاً إلى المكانة المنخفضة .

نستطيع إذن أن نخلص إلى النتائج التالية :

١ — ينتمى جميع الذين لم يعلموا بموضوع تنظيم الأسرة إلى المكانة المنخفضة .

٢ — الذين ينتمون إلى المكانة المنخفضة يعتمدون اعتماداً كبيراً على الراديو كمصدر لمعلوماتهم ، وذلك إذا ما قورنوا بغيرهم .

٣ — الذين ينتمون إلى المكانة المنخفضة يعتمدون اعتماداً كبيراً على المصادر الشخصية للمعلومات إذا ما قورنوا بغيرهم .

٤ — يعتمد مرتفعو المكانة الاقتصادية ومتوسطوها على المصادر المكتوبة (الصحف) أكثر من غيرهم .

لا يعتمد مرتفعوا المكانة الاقتصادية الاجتماعية — إطلاقاً على المصادر الشخصية للمعلومات واعتماد أصحاب المكانة المتوسطة على هذه المصادر اعتماداً محدوداً جداً .

ويتفق هذا الاتجاه العام للنتائج مع ما وصل إليه « ساتدال داسجوبتا » من خلال دراسته للاتصال والتجديد فى قرى هندية كان يستهدف فيها — ضمن ما يستهدف فحص العلاقة بين المكانة الاقتصادية الاجتماعية ، ومصادر المعلومات المستخدمة بخصوص بعض المهارات الزراعية . ولقد وضع الباحث المشار إليه نموذجين لمصادر المعلومات على النحو التالى :

١ — مصادر نظامية . ٢ — مصادر غير نظامية .

ويعرف الباحث المصادر النظامية بأنها تلك المنظمة جماعياً بغرض نقل المعلومات وهى تضم موظفى الإرشاد . والموظفين على مستوى القرية بالإضافة إلى المصادر الجمعية كالصحف والنشرات والراديو . أما المصادر غير النظامية فهى غير المنظمة رسمياً بهدف توصيل المعلومات . ولقد سعى الباحث إلى اختيار المكانة الاقتصادية بالذات . لاعتقاده أن القرويين الذين يحتلون مكانة اقتصادية اجتماعية مرتفعة عادة ما يكونون أرفع تعليما وأرفع طائفة وأوسع ملكية . كما أنهم عادة ما يتميزون بدرجة عالية من المشاركة الاجتماعية ، أى أنه يتخذ المكانة الاقتصادية الاجتماعية بوصفها دليلا على هذه الأبعاد ولقد توصل إلى النتائج التالية :

١ — يستخدم المزارعون الذين ينتمون إلى مكانة اقتصادية اجتماعية مرتفعة مصادر المعلومات النظامية ، أما الذين ينتمون إلى مكانه منخفضة فإنهم يستخدمون المصادر غير النظامية « الشخصية » .

أما أولئك الذين ينتمون إلى مكانة اقتصادية اجتماعية متوسطة فلقد

كان اعتمادهم على مصادر المعلومات المختلفة يمثل موقفاً وسط [١] .

٤ – مصادر المعرفة بموضوع تنظيم الأسرة والمكانة التعليمية :

تشير البيانات إلى أن أولئك الذين لا علم لديهم بموضوع تنظيم الأسرة ينتمون جميعاً – إلى المكانة التعليمية المنخفضة ، وهم يمثلون ١٦,١٣ ٪ من مجموع المنتمين إلى هذه المكانة ، أما من حيث مصادر المعلومات واختلافها وفقاً لاختلاف المكانة التعليمية فإننا نلاحظ أن الإذاعة تمثل مصدراً للمعلومات متكافئاً بالنسبة لأصحاب كل من المكانتين فالفرق فى استخدام الإذاعة كمصدر للمعلومات بين أصحاب المستوى المنخفض . وأصحاب المستوى المرتفع فرق غير جوهرى . إلا أن طبيب الوحدة الصحية يمثل مصدراً أكثر أهمية بالنسبة لذوى المكانة التعليمية المنخفضة إذا ما قورنوا بمن ينتمون إلى المكانة المرتفعة . والفرق بينهما دال وجوهرى كما تعكس البيانات أيضاً أن منخفضى المكانة التعليمية يعتمدون أكثر من قرنائهم على المصادر الشخصية للمعلومات فبينما ذكر ١٥,٠٥ ٪ منهم أنهم عرفوا بالموضوع عن طريق أشخاص نجد أن ٥ ٪ فقط من أصحاب المكانة المرتفعة ذكروا الأشخاص كمصدر لمعلوماتهم والفرق بين النسبتين فرق جوهرى .

وفيما يتعلق بالمصادر المكتوبة المتمثلة فى الصحف نلاحظ أن أيًّا من المجموعتين لم يذكر الصحف – بمفردها – كمصدر للمعلومات حول هذا الموضوع . بينما ذكرت نسبة ٢٣,٣٣٪ ممن ينتمون إلى المكانة التعليمة المرتفعة الصحف والإذاعة معاً فى مقابل ٢,١٥ ٪ من المنتمين إلى المكانة المنخفضة ، والفرق بين النسبتين عالى الدلالة . مما يؤكد أن مرتفعى المستوى التعليمى أكثر اعتماداً على المصادر المكتوبة ممن لا يتمتعون بمثل مستواهم هذا . بالإضافة إلى أن هؤلاء لا يميلون إلى الاعتماد على مصادر متعددة فمن حيث المعلومات نستطيع أن نقول إن مرتفعى المكانة التعليمية متعددو المصادر .

---

(١) See, S. Dasgupta "Communication and Innovation in Indian Villages" op. cit

ننتهى من ذلك إلى الاستنتاجات التالية :

١ – ينتمى أولئك الذين لم يسمعوا بموضوع تنظيم الأسرة إلى المكانة التعليمية المنخفضة .

٢ – ليس هناك فرق جوهرى بين نسب المعتمدين على الإذاعة بين المكانتين بوصفها مصدراً للمعلومات حول هذا الموضوع .

٣ – منخفضو المكانة التعليمية أكثر اعتماداً على الاتصالات الشخصية أو المصادر الشخصية للمعلومات .

٤ – مرتفعو المكانة التعليمية أكثر اعتماداً على المصادر المكتوبة .

٥ – يميل مرتفعو المكانة التعليمية إلى الاعتماد على مصادر متعددة .

٥ – مصادر المعرفة بالموضوع والمشاركة الاجتماعية :

بينما تعكس البيانات تفوقاً ظاهراً لغير المشاركين اجتماعيًا فى الاعتماد على الإذاعة . وطبيب الوحدة إذا ما قورنوا بالمشاركين وحيث تلاحظ أن ٣١,٤٣ ٪ من غير المشاركين قد ذكروا الإذاعة فى مقابل ١٩,٤٩٪ من المشاركين و ٢٠ ٪ من غير المشاركين ذكروا الطبيب فى مقابل ١٣,٥٦٪ من المشاركين . إلا أن الفروق بين هذه النسب فروق غير جوهرية .

وبينما يميل المشاركون اجتماعياً إلى الاعتماد على مصادر مختلفة ومتعددة . إلا أن هذا الميل ليس ميلا جوهرياً أيضاً مما يؤدى إلى القول بأن البيانات المتعلقة بهذا الموضوع لا تعكس اختلافاً جوهرياً فى استخدام مصادر معينة للمعلومات بين المشاركين اجتماعياً . وبين غير المشاركين . مما يدعم – أيضاً – ما ذهبنا إليه آنفاً من خطورة الاعتماد على مثل هذا المفهوم – كما يشير إلى العضويات المختلفة – فى التصنيف والتمييز .

٦ – مصادر المعرفة بالموضوع والمهن :

ينتمى جميع الأفراد الذين لم يسمعوا بموضوع تنظيم الأسرة إلى المهن

الزراعية أما فيما يتصل بمصادر المعرفة عن هذا الموضوع فإننا نلاحظ أن الفئتين المهنيتين ـ قد استخدما المصادر نفسها تقريباً وأن اعتمادهما على هذه المصادر اعتماد متكافئ إلا فيما يتعلق بالصحف مضافة إلى الإذاعة وحيث تلاحظ أن ٣٠٧ ٪ من الذين يمتهنون الزراعة يذكرون الصحف والإذاعة كمصدر للمعلومات حول هذا الموضوع فى مقابل ٢٠ ٪ من أصحاب المهن غير الزراعية. والفرق بين النسبتين فرق جوهرى مما يمكن من الانتهاء إلى ما يلى :

١ ـ جميع الذين لم يسمعوا بموضوع تنظيم الأسرة ينتمون إلى المهن الزراعية وتصل نسبتهم بين هذه المهن إلى ١٣٫٨٩ ٪ .

٢ ـ يميل أصحاب المهن غير الزراعية إلى الاعتماد على المصادر المكتوبة إذا ما قورنوا بأصحاب المهن الزراعية .

٣ ـ يستخدم كل من أصحاب الفئتين المهنيتين باقى المصادر استخداماً متواتراً ومتكافئاً دون فروق جوهرية .

ومن خلال تحليلنا لهذه البيانات الهادفة إلى فحص العلاقة بين مصادر المعلومات حول موضوع اجتماعى محلى ـ وبين عدد المتغيرات الاجتماعية نستطيع أن نضع ما توصلنا إليه من استنتاجات على النحو التالى :

١ ـ ينتمى أولئك الذين لم يعلموا بهذا الموضوع الاجتماعى الهام ـ على قلتهم ـ غالباً ـ إلى :

١ ـ فئات عمرية كبيرة نسبياً إذا ما قورنوا بأولئك الذين يعرفون بالموضوع .

٢ ـ كما ينتمون أيضاً إلى مكانات اقتصادية منخفضة .

٣ ـ بالإضافة إلى انتمائهم إلى مكانة تعليمية منخفضة .

٤ ـ وهم من أصحاب المهن الزراعية أى الشخص غير المتكامل مع ما يدور حول مجتمعه من قضايا اجتماعية هامة ـ كتنظيم الأسرة مثلا ـ هو شخص كبير السن نسبياً ، ومنخفض المكانة التعليمية والمكانة الاقتصادية ، وينتمى إلى المهن الزراعية .

٢ - الذين ينتمون إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة يعتمدون بدرجة أكبر على الاتصالات الشخصية أو هم يستخدمون المصادر الشخصية للمعلومات بطريقة أكثر تواتراً ، بينما يستخدم أولئك الذين ينتمون إلى مكانة اقتصادية اجتماعية منخفضة الاتصالات المكتوبة بطريقة أكثر تواتراً .

٣ — يعتمد أصحاب المكانة التعليمية المنخفضة على الاتصالات الشخصية بينما يعتمد أصحاب المكانة المرتفعة على المصادر المكتوبة .

٤ — يميل أصحاب المهن الزراعية إلى الاعتماد على المصادر الشخصية بينما يميل أصحاب المهن غير الزراعية إلى الاعتماد على المصادر المكتوبة .

ويمكن القول إن الاتصالات المختلفة وبخاصة الإذاعة ، والموظف المختص وهو طبيب الوحدة هنا . قد نجحت فى نقل رسالة هامة كتنظيم الأسرة موضحة بمضمونها وأهدافها ، ويمكن القول أيضاً بأن القرويين لا يحصلون على معلوماتهم بخصوص مثل هذا الموضوع من مصادر متشابهة ولكنهم يختلفون فى استخدام مصادر معينة للمعلومات بطريقة واضحة وفقاً لاختلافهم فى السن والمكانة الاقتصادية الاجتماعية ، والمكانة التعليمية ، والمهن .

ويبقى الآن سؤال هام أثرناه فى بداية هذا القسم مؤداه : هل الاتصالات الأكثر فعالية فى نقل الرسائل ذات الطابع الاجتماعى كموضوع تنظيم الأسرة هى نفسها الأكثر فعالية فى نقل الرسائل ذات الطابع السياسى كالموقف من إسرائيل والمعلومات المتصلة به ؟ ويلحق بهذا السؤال سؤال آخر لا يقل عنه أهمية مؤداه : هل تختلف مصادر المعلومات السياسية للقروى — أيضاً — باختلاف سنه ، ومكانته الاقتصادية الاجتماعية ، ومكانته التعليمية ، ودرجة مشاركته الاجتماعية ومهنته ؟ .

والذى يدفعنا الآن إلى فحص هذه العلاقات فيما يتعلق بموضوع سياسى . بالإضافة إلى فحصها فيما يتصل بموضوع اجتماعى ، هو ميلنا إلى الافتراض

بأن مصادر المعلومات السياسية قد تختلف إلى حد ما عن مصادر المعلومات ذات الطابع الاجتماعى. ومن ثم فإنه ليس من المسلم به أن الاتصالات الناجحة فى المواقف الاجتماعية هى نفسها الاتصالات الناجحة فيما يتصل بالمواقف ذات الطابع السياسى وعلى ذلك فنحن نختلف مع ما ذهب إليه « أبو لغد » من افتراض مبدئى فى دراسته حينما اختار نبأ وفاة « محمد الخامس » ليتعرف من خلال انتشاره على مدى نجاح الاتصالات الجمعية فى نقل الرسائل إلى الجمهور وأى عناصر أو وسائل الاتصال الجمعى أكثر فعالية فى نقل الرسائل ؟ وإلى من ؟ بالإضافة إلى اتخاذه لهذا النبأ أيضاً نقطة للانطلاق إلى التعرف على طبيعة عملية الاتصال التى تحدث فى المجتمع الريفى المصرى . ولقد بنى أبو لغد افتراضه هذا على أساس أنه إذا كان الخبر الذى سينتشر انتشاراً كبيراً فى المناطق الريفية فإن غيره من الأخبار الهامة التى تؤثر فى حياة القرويين المصريين سوف تكون معروفة ومفهومة فهماً جيداً . ومن الواضح هنا أننا نميل إلى رفض هذا الافتراض . حيث إنه يتخذ خبراً سياسياً للدلالة على انتشار أخبار اجتماعية من ناحية كما أنه أيضاً يتخذ خبراً ذا طابع غير محلى لتفسير انتشار أخبار أخرى قد تكون محلية[1] .

ومن استعراض التراث المتصل بهذا الموضوع نعثر على ما يدعم رفضنا لهذا الافتراض وحيث إن الاتصالات المختلفة تختلف فعاليتها من موقف لآخر وفق اختلاف طبيعة هذا الموقف سياسية كانت أو اجتماعية . عالمية . أم محلية . ويميل هذا التراث إلى تقرير أن الاتصال الجمعى أكثر فعالية فيما يتعلق بانتشار أخبـــار الحوادث ذات الطابع السياسى . فلقد أجرى « أتولارسن وريتشارد هيل » دراسة للتعرف على القنوات الاتصالية التى انتشر بها خبر وفاة السناتور « روبرت أ . تافت » الذى أعلن فى الساعة السابعة والنصف من مساء ٣١ يوليو سنة ١٩٥٣ وقد لعب هذا السناتور دوراً ملموساً فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ولقد وجد الباحثان أن الخبر انتشر

---

(١) See, Abu Lughod, op. cit.

انتشاراً واسعاً سواء فى مجتمع الكلية الجامعى السكنى ، أو مجتمع الطبقة العاملة السكنى . ومع أنهما قد لاحظا اختلافاً فى درجة الإعلام Informantion وفقاً للاختلاف فى عدد من المتغيرات الاجتماعية، إلا أنهما لاحظا أن النبأ قد انتشر فى المجتمعين — مجال الدراسة عن طريق وسائل الاتصال الجمعى التى ولدت بدورها أنماطاً مشابهة من الاتصالات الشخصية[١] .

ويلاحظ أن هذه النتيجة التى ترجح أن الدور المسيطر كان للاتصال الجمعى تختلف اختلافاً حاداً مع ما وصل إليه « ميلر » Miller فى الدراسة التى استهدفت التعرف على القنوات التى انتشر عن طريقها خبر وفاة الرئيس الأمريكى الأسبق روزفلت ، وحيث إن هذا النبأ قد انتقل عن طريق الاتصال الشخصى بين طلبة كلية جامعية .

ويتفق « ليو بوجارت » مع « لارسن » وزميله حيث كشفت دراسته التى كانت تستهدف التعرف على انتشار الأخبار المتعلقة بحادثة محلية بحتة وحيث لاحظ أن الاتصال الجمعى المتمثل فى الصحيفة والراديو هو الذى لعب الدور المركزى[٢] .

وتشير هذه الشواهد إلى افتقار افتراض « أبو لغد » للأسس القوية التى ينبنى عليها ، كما نشير أيضاً إلى أن هذا الموضوع ما زال بحاجة إلى دراسة وفحص، ولذلك وضعنا الأسئلة السابقة بوصفها أسئلة هامة وتستهدف أهدافاً نسعى إليها .

١ مصادر المعرفة بالموقف من إسرائيل والسن :

تكشف البيانات عن الراديو باعتباره الوسيلة الاتصالية التى تحتل المكانة الأولى فى نقل المعلومات المتعلقة بموقف سياسى ويتضح ذلك من مقارنة دوره فى نقل هذه المعلومات بدوره فى نقل المعلومات الخاصة بتنظيم الأسرة

---

(١) See, Otto Larsen and R.J. Hill "Mass Media and Interpersonal Communication in the Diffusion of A News Event" op.cit.

(٢) See, L. Bogart "The Spread of News of A Local Event : A Case History" op.cit. See, Abu-Lughod, op.cit.

فبينما كان الراديو المصدر الوحيد لمعرفة ٣٤ شخصاً من أفراد العينة فيما يتعلق بتنظيم الأسرة فإنه يمثل مثل هذا المصدر بالنسبة لـ ٨٩ شخصاً فيما يتعلق بالمعرفة بالموقف من إسرائيل ويتضح من هذه المقارنة السريعة مدى فعالية الراديو باعتباره ناقلا للمعلومات السياسية ودوره فى هذا المجال يتفوق على دوره فى المجالات ذات الطابع الاجتماعى .

وفيما يتعلق باختلاف مصدر المعلومات السياسية وفقاً لاختلاف الفئة العمرية التى ينتمى إليها الشخص نلاحظ أن الاعتماد على الراديو كمصدر أساسى ينتشر بين جميع الفئات العمرية بطريقة تكاد تكون متساوية ، وحيث نجد أن ٧٠٪ من الفئة العمرية الصغيرة قد ذكروا هذا المصدر فى مقابل ٦١,١١٪ من الفئة متوسطة العمر ٤٦,٥١٪ من الفئة العمرية الكبرى والفروق بين هذه النسب ليست فروقاً جوهرية ، وهنا نلاحظ أن الصحف تظهر لأول مرة باعتبارها مصدراً وحيداً للمعلومات السياسية ، وإن كانت نسبة من ذكروها نسبة ضئيلة جداً وتنتمى إلى مرحلة العمر المتوسطة ٤,٤٤٪ ، كما تظهر الكتب لأول مرة باعتبارها مصدراً للمعلومات وإن كانت بنسبة ضئيلة أيضاً وهى تظهر فقط بين الفئة العمرية الصغيرة .

ومن الملاحظات الهامة أن دور « الأشخاص » يتقلص إلى حد كبير باعتبارهم مصدراً للمعلومات السياسية ، بينما دورهم واضح باعتبارهم مصدراً للمعلومات الاجتماعية .

ونجد أيضاً أن نسبة لا بأس بها من جميع الأعمار تعتمد على الإذاعة والصحف معاً وهى نسبة متقاربة وليست بينهما فروق جوهرية وهى تمثل ١٥٪ و ١٦,٦٧٪ و ٢٣,٢٦٪ بالنسبة للفئات العمرية الثلاث على التوالى .

ومن الجدير بالذكر أيضاً تعدد المصادر التى يحصل منها عدد محدود من الأفراد من مختلف الأعمار على معلوماتهم السياسية .

ونستطيع أن ننتهى فيما يتعلق بهذا الموضوع إلى الاستنتاجات التالية :

١ – الراديو هو الوسيلة المسيطرة والبارزة كمصدر للمعلومات السياسية ولا يختلف ذلك الحال بالنسبة لمختلف الأعمار .

٢ – تبرز الصحف لأول مرة – وحدها – كمصدر للمعلومات السياسية وإن كان هذا البروز المستقل محدوداً .

٣ – يحتل الراديو ، والصحف – معاً – المرتبة الثانية بوصفها مصادر للمعلومات السياسية .

٤ – يتقلص دور « الأشخاص » إلى حد كبير كناقلين للأخبار السياسية بينما يلعبون دوراً أكثر بروزاً فيما يتعلق بنقل المعلومات المتعلقة بموضوعات ذات طابع اجتماعى .

٢ – مصادر المعلومات والمكانة الاقتصادية الاجتماعية :

أول ما يلفت نظرنا – هنا – أن جميع الذين لا يعلمون حقيقة الموقف من إسرائيل ينتمون إلى المكانة المنخفضة وهم يمثلون ٦,٤١٪ من المنتمين إلى هذه المكانة . ومما هو جدير بالملاحظة أيضاً أن النسبة الغالبة من أفراد هذه المكانة والتى تصل إلى ٦٨,٥٢٪ يعرفون بالموقف عن طريق الراديو فى مقابل ٤٢,٨٦ من المنتمين إلى المكانة المتوسطة و ١٧,٦٥٪ ممن ينتمون إلى المكانة المرتفعة ، والفرق بين النسب المئوية هذه فرق جوهرى ويمكننا أن نقول وفقاً لذلك إن المنتمين الى المكانة المنخفضة هم أكثر الناس اعتماداً على الراديو كمصدر للمعلومات السياسية ، وإن المنتمين إلى المكانة المرتفعة هم أقل الناس اعتماداً على هذا المصدر بينما يمثل موقف متوسطى المكانة موقفاً وسطاً . ومما يرتبط بذلك أن المنتمين إلى المكانة المنخفضة يمثلون أقل الناس اعتماداً على الراديو والصحف معاً بينما يمثل المنتمون إلى المكانة المرتفعة أكثر الناس اعتماداً على هذين المصدرين مجتمعين فى الوقت الذى يمثل فيه متوسطو المكانة موقفاً وسطاً أيضاً فهناك ٦,٤٨٪ من منخفضى المكانة و ٣٩,٢٩٪ من متوسطى المكانة فى مقابل ٥٨,٨٢٪ من مرتفعى المكانة

يعتمدون على الراديو والصحف معاً ، والفروق بين هذه النسب فروق جوهرية ودالة .

وبينما نلاحظ تقلص دور الاتصال الشخصي هنا – بوجه – عام فإننا نجد أن جميع الذين يعتمدون على « الأشخاص » بوصفهم مصـــادر للمعلومات السياسية ينتمون إلى المكانة المنخفضة . حيث نستطيع أن ننتهى إلى الاستنتاجات التالية :

١ – منخفضو المكانة هم أكثر اعتماداً على الراديو كمصدر للمعلومات السياسية .

٢ – مرتفعو المكانة أكثر اعتماداً على « الراديو والصحف » معاً .

٣ – يقف متوسطو المكانة موقفاً وسطاً بين هاتين الفئتين .

٤ – تضم المكانة المنخفضة جميع الأشخاص الذين ذكروا « الناس » أو المصادر الشخصية بوصفها مصادر للمعلومات السياسية .

٣ – مصادر المعلومات ، والمكانة التعليمية :

بينما يعتمد ٧٢,٠٤٪ من المنتمين إلى المكانة التعليمية المنخفضة على الراديو وحده فإن ٣٦,٦٧٪ فقط من أصحاب المكانة المرتفعة يعتمدون عليه كمصدر للمعلومات السياسية والفرق بين النسبتين فرق جوهرى إلى درجة كبيرة وفى الوقت الذى نلاحظ فيه أن ٣,٢٣٪ فقط من أصحاب المكانة المنخفضة يعتمدون على الراديو والصحف ، نلاحظ أيضاً أن ٤١,٦٧٪ من أصحاب المكانة المرتفعة يعتمدون على هذين المصدرين معاً ، والفرق بين النسبتين مرتفع الدلالة أيضاً .

وبينما نلاحظ أن قلة قليلة فقط من أصحاب المكانة المنخفضة يعتمدون على أكثر من مصدر فإننا نرى نسبة كبيرة نسبياً من أصحاب المكانة المرتفعة يعتمدون على أكثر من مصدر بل أكثر من مصدرين مما يمكن من القول بما يلى :

١ ــ يعتمد أصحاب المكانة التعليمية المنخفضة على الراديو كمصدر للمعلومات السياسية وذلك إذا ما قورنوا بغيرهم .

٢ ــ يعتمد أصحاب المكانة التعليمية المرتفعة على « الراديو والصحف » كمصدر للمعلومات السياسية أكثر من غيرهم .

٣ ــ أصحاب المكانة المنخفضة محدودو المصادر بينما أصحاب المكانة المرتفعة متعددو المصادر .

٤ ــ يميل أصحاب المكانة المنخفضة ــ ميلا طفيفاً ــ إلى الاعتماد على « المصدر الشخصية « أو » الأشخاص » .

٥ ــ ينتمى جميع الذين لا يحيطون علماً بالموقف من إسرائيل إلى المكانة التعليمية المنخفضة .

٤ ــ مصادر المعلومات والمشاركة الاجتماعية :

يتقارب المشاركون وغير المشاركين اجتماعياً فى درجة اعتمادهم على الراديو كمصدر للمعلومات السياسية ، وحيث نلاحظ أن نسبة اعتماد غير المشاركين على هذا المصدر تصل إلى ٦٨,٥٧٪ فى مقابل ٥٥,٨٪ والفوق بين النسبتين غير جوهرى ، كما تتساوى المجموعتان تقريباً فى اعتمادهما على « الأشخاص » باعتبارهم مصادر لهذه المعلومات إلا أن المشاركين اجتماعياً يتفوقون على غير المشاركين فى اعتمادهم على « الراديو والصحف » معاً وحيث تصل النسبة بين المشاركين إلى ٢٢,٠٣٪ فى مقابل ٥,٧١٪ بين غير المشاركين ، ويتوزع الذين « لا يعلمون » بنسب متساوية تقريباً بين المشاركين وغير المشاركين ومما هو ملاحظ ، أن نسبة لا بأس بها من المشاركين يعتمدون على أكثر من مصدرين من مصادر المعلومات ومع أن تأثير المشاركة الاجتماعية غير واضح من حيث التمييز بين استخدام المصادر المختلفة ، إلا أننا نستطيع أن نقول إن المشاركين الاجتماعيين متعددو المصادر إلى حد ما من ناحية ، وهم أكثر اعتماداً على المصادر المكتوبة من ناحية أخرى .

٥ — مصادر المعلومات والمهن :

يتفوق أصحاب المهن الزراعية فى الاعتماد على الراديو إذا ماقورنوا بأصحاب المهن غير الزراعية وحيث ذكر ٦٢,٩٦٪ منهم هذا المصدر فى مقابل ٤٦,٦٧٪ من أصحاب المهن غير الزراعية ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى .

وبينما يميل غير الزراعيين إلى الاعتماد على الصحف والراديو معاً أكثر من غير الزراعيين إلا أن الفرق بينهما فى هذا المجال فرق غير جوهرى ، وينتمى جميع الأشخاص الذين يعتمدون على « الأشخاص » إلى المهن الزراعية وإن كانت نسبتهم محدودة ، ويمكن القول بوجه عام إن غير الزراعيين يستخدمون مصادر أكثر تعدداً إذا ما قورنوا بالزراعيين .

وفيما يتعلق بأولئك الذين « لا يعلمون » فإن أغلبهم ينتمى إلى المهن الزراعية (٦٠٤٨٪) فى مقابل ٢,٢٢٪ من غير الزراعيين إلا أن الفرق بين النسبتين فرق غير جوهرى وكل ذلك يقودنا فى النهاية إلى الاستنتاجات التالية :

١ — الزراعيون أكثر اعتماداً على الراديو كمصدر للمعلومات السياسية .

٢ — يميل غير الزراعيين — بفروق غير جوهرية — إلى الاعتماد أكثر من غيرهم على الصحف والراديو معاً .

٣ — يميل غير الزراعيين أن يكونوا متعددى المصادر وذلك إذا ما قورنوا بأصحاب المهن الزراعية .

٤ — ينتمى جميع الذين يعتمدون على المصادر الشخصية إلى المهن الزراعية .

٥ — ينتمى أغلبية الذين لا يعلمون حقيقة الموقف إلى المهن الزراعية .

ننتهى بوجه عام من خلال النظرة الفاحصة لمصادر المعلومات — فى مواقف مختلفة — سياسية واجتماعية ، فى علاقتها بعدد من المتغيرات الاجتماعية إلى عدة نتائج هامة يمكن وضعها على النحو التالى :

١ – المصادر الجمعية أو الاتصال الجمعى وبخاصة الراديو يلعب دوراً مسيطراً وبارزاً فى نقل المعلومات السياسية . وهو وإن كان يلعب دوراً واضحاً أيضاً فى نقل المعلومات الاجتماعية إلا أنه يتفوق فى دوره كموصل سياسى .

٢ – بينما نجد نسبة لا بأس بها تعتمد على الاتصال الشخصى كمصدر للمعلومات الاجتماعية فإن هذه النسبة تتلاشى فيما يتعلق بالمعلومات السياسية ، مما يمكن من القول أن الاتصال الشخصى يلعب دوراً هامًّا فى نقل المعلومات ذات الطابع الاجتماعى بينما دوره لا يكاد يذكر فى نقل المعلومات ذات الطابع السياسى ، وتختلف هذه النتيجة عما ذهب إليه أبو لغد من بروز دور الاتصال الشخصى فى نقل أخبار حادثة سياسية إلا أنها تتفق مع ما وصل إليه كل من « أوتولارسن » وزميله « وليو بوجارت » .

٣ – فيما يتعلق باختلاف المصادر وفقاً لاختلاف عدد من المتغيرات الاجتماعية فيما يتعلق بموضوع سياسى ، نقول إن النتائج تكاد تتسق مع النتائج التى توصلنا إليها ونحن بصدد الحديث عن الموقف الاجتماعى « تنظيم الأسرة »، أى أننا نستطيع أن ننتهى أيضاً إلى أن الذين لم يعلموا إعلاماً جيداً حول هذا الموضوع السياسى « الموقف من إسرائيل » ينتمون إلى مكانات اقتصادية وتعليمية منخفضة ، كما أنهم غالباً ما ينتمون إلى مهن زراعية كما أن أولئك الذين ينتمون إلى مكانات اقتصادية وتعليمية منخفضة يميلون إلى الاعتماد على الراديو أكثر من غيرهم الذين يميلون بدورهم إلى الاعتماد على المصادر المكتوبة كالصحف بالإضافة إلى الراديو .

ونخلص من ذلك إلى أن طبيعة مصدر المعلومات أو الاتصال تختلف

اختلافاً واضحاً وفقاً لاختلاف عدد من المتغيرات الاجتماعية . بصرف النظر

عن موضوع الرسالة ومضمونها . سواء كان هذ المضمون سياسيًّا أم اجتماعيًّا، إلا أن طبيعة مصدر المعلومات أو الاتصال تختلف أيضاً باختلاف مضمون الرسالة، وحيث لاحظنا آنفاً أن الاتصال الشخصى قد يكون مكافئاً للاتصال الجمعى فى نقل الرسائل ذات المضمون الاجتماعى كتنظيم الأسرة مثلا ، إلا أن دور هذا الاتصال الشخصى قد تلاشى إلى درجة ملحوظة فى نقل الرسائل ذات المضمون السياسى ، وتدحض هذه النتيجة ذلك الافتراض الذى ساقه أبو لغد . معتقداً أن انتشار نبأ ذى طابع سياسى يلقى ضوءاً على طبيعة عملية الاتصال التى ينتشر بواسطتها غيره من الأخبار ذات المضامين المختلفة[1] .

(١) See, Abu Lughod, op-cit.

الفصل الثالث عشر

أنماط الاتصال والتكامل الاجتماعي والسياسي في القرية

نستهدف فى هذا الفصل فحص الدور الذى تلعبه الاتصالات المختلفة فى مجال التكامل الاجتماعى السياسى ، ومعنى التكامل الاجتماعى السياسى هنا مدى إلمام القرويين بالموضوعات ذات الطابع المحلى جداً من ناحية ، وذات الطابع القومى من ناحية أخرى ولكنها متصلة بهم أيضاً ، بالإضافة إلى التعرف على مدى متابعة القروى للأحداث التى تدور من حوله سواء كانت هذه الأحداث ذات طابع قومى أو عالمى . كما نستهدف أيضاً فحص مساهمة الاتصالات المختلفة فى تشكيل الموقف أو الاتجاه السياسى للقروى أن وجد مثل هذا الاتجاه . ونحن ننطلق — هنا — من فرض سقناه آنفاً ومؤداه أن الاتصالات الجمعية تلعب دوراً مركزياً فى تحقيق التكامل الاجتماعى السياسى فى القرية المصرية . ويمكننا أن نحدد — هنا — الموضوعات التى وضعناها موضع الاختبار ونصنفها إلى عدة نماذج على النحو التالى :

١ — موضوعات تهم القرويين بصورة مباشرة ، وهى موجهة أساساً لهم باعتبارها تتضمن مشروعات التنمية الاجتماعية فى المجتمع القروى المصرى ، ويمكن أن نصفها بأنها موضوعات خاصة ، أو « محلية » وذلك مثل التلقيح الصناعى للماشية ، أو التأمين عليها .

٢ — موضوعات تمثل اهتماماً ما على المستوى القومى مثل تنظيم الأسرة* والادخار .

٣ — مشروعات قومية تستهدف التنمية الاقتصادية الاجتماعية بوجه عام وهى مشروعات ذات طابع سياسى واجتماعى . كمشروع السد العالى ، والوادى الجديد .

٤ — قضية سياسية تحتل مكانة بارزة فى اهتمام الاتصالات الجمعية باعتبارها مذهب هذا المجتمع وأسلوبه المختار فى التنمية الاقتصادية

* سوف نعالج موضوع تنظيم الأسرة هنا باعتباره مشيراً إلى التكامل الاجتماعى ولذلك فإننا سوف نهتم بمضمون هذا الموضوع وما يعنيه فى ذهن القروى .

والاجتماعية وهى « قضية الاشتراكية » .

٥ — الموقف من إسرائيل وطبيعته باعتباره موقفاً يمثل قضية مصيرية ، ومدى فهم القروى وإلمامه بأبعاد هذا الموقف .

أما الهدف الرئيسى الثانى فى هذا الفصل فإنه يتمثل فى اتخاذ بعض الدلائل التى تشير إلى التكامل السياسى للقروى ، وفحص بعض المتغيرات التى تساهم فى تشكيل هذا الموقف مضافة إلى الاتصالات المختلفة ولقد قمنا — هنا — باختيار دليلين لهذا التكامل السياسى على النحو التالى :

١ — متابعة آخر الأخبار ، على اعتبار أن الذين يتابعون الأخبار متكاملون سياسياً على خلاف الذين لا يتابعونها .

٢ — الاتجاه السياسى نحو بعض الدول ، على اعتبار أن الذى يتخذ موقفاً سياسياً واضحاً من بعض الدول سواء تشابه هذا الموقف مع سياسة الدولة أو اختلف معها يمثل شخصاً متكاملا سياسياً ، على خلاف الشخص الذى يجيب بإجابات أخرى غير تلك الإجابات المحددة أو الشخص المتردد فى الإجابة أو الذى لا يعرف . هذا بالإضافة إلى أن زيادة تشابه الموقف السياسى للقرويين مع موقف الدولة إنما يمثل نجاحاً — أيضاً — للاتصال الجمعى فى نقل مضامين الرسائل إلى الجمهور .

وفيما يتعلق بالموضوعات التى حددناها بوصفها دليلا لقياس التكامل الاجتماعى السياسى فإننا سوف نهتم أساساً بجانبين ، يتمثل أحدهما فى حجم الذى سمعوا عن الموضوع ومصدر هذا السماع بينما يتمثل الجانب الثانى فى مضمون المعرفة بالموضوع .

ومما هو جدير بالملاحظة أننا أشرنا سابقاً إلى موضوعين من هذه الموضوعات ، إلا أننا فصلنا الحديث عنها بغرض اختبار فرض آخر مؤداه أن الاتصالات المختلفة . تختلف باختلاف مضمون الرسالة بالإضافة إلى اختلافها وفقاً

لعدد من المتغيرات الاجتماعية . ونعنى بهذين الموضوعين . موضوع تنظيم الأسرة، والموقف من إسرائيل . إلا أن إعادة الإشارة إلى هذين الموضوعين هنا — مرة أخرى — إنما هى محددة فقط بمضمون المعرفة أو مدى إلمام القرويين بجوانب هذين الموضوعين المختلفة .

ويهمنا أن نشير قبل أن ندخل فى تفسير النتائج وعرضها — إلى أن التكامل الاجتماعى والسياسى مؤشر هام من مؤشرات التغير الاجتماعى فهو يعنى أن الذين يعيشون فى مجتمع محلى قد تحولوا من استغراقهم التام فى مجتمعهم هذا ، وانغلاقهم على مشكلات هذا المجتمع إلى الانفتاح على العالم الخارجى والاهتمام بمشكلاته ، وإيضاح العلاقة بين الاتصال وبين هذا التكامل الاجتماعى السياسى ، إنما يبرز بطريقة غير مباشرة دور الاتصال فى جانب هام من جوانب التغير الاجتماعى وهو الانتقال من المحلية Localiteness إلى الانفتاح على العالم الخارجى Cosmopolitness

درجة التكامل الاجتماعى السياسى ومستوياته

أولا : المام القرويين بالموضوعات ذات الطابع الخاص أو المحلى :
(التلقيح الصناعى والتأمين على الماشية)

تمثل الماشية جانباً هاماً — إن لم يكن أساسياً — من جوانب ثروة القروى ولذلك فإنه من المتصور أن تلقى المشروعات التى تهدف أساساً إلى الحفاظ على ثروته هذه من ناحية ، ، وتحسينها من ناحية أخرى صدى واهتماماً من جانب القروى . أى أنه من المتوقع أن يكون القروى ملمًّا بجوانبها . وتتخذ الدولة أساليب ، أو موصلات أو اتصالات مختلفة لتوعية القرويين بهذه المشروعات سواء عن طريق الاتصالات الجمعية ، أو تلك القائمة على أساس المواجهة ، وتقاس درجة نجاح هذه الاتصالات فى نقل مضمون هذه المشروعات بدرجة إلمام القروى بهذا المضمون . ونحن لا نهتم هنا بقياس درجة تقبل القروى لهذه المشروعات وتبنيه لها أو رفضه وإحجامه عنها . فسوف نفصل ذلك فى فصل لاحق . وإنما نستهدف أساساً التعرف على مدى إلمامه بها والمصادر التى كونت لديه هذا الإلمام .

١ — التأمين على الماشية :

توضح البيانات أن النسبة الغالبة من أفراد العينة قد سمعت بموضوع التأمين على الماشية وهى نسبة تصل إلى حوالى ٨٥٪ أى أن ١٥٪ فقط لم يسمعوا بهذا الموضوع وهم قد ينتمون فى الغالب إلى مهن غير زراعية ، وربما ليس لهم اهتمام بمثل هذا الموضوع . أما عن مصادر السماع به فنلاحظ أن للمصادر الشخصية أو الاتصالات الشخصية الغلبة والسيطرة إلا أنها اتصالات شخصية غالباً ما تكون ذات طابع رسمى أو متخصص ، فقد ذكر ٥٥.٨١٪ ممن سمعوا بالموضوع أنهم حصلوا على معلوماتهم هذه عن

طريق المشرف الزراعى ، وذكر ٩,٣٪ « الأشخاص » بوصفهم مصادر للمعلومات حول هذا الموضوع ، وذكرت نسبة ضئيلة جداً الاتصالات الجمعية كالصحف والراديو ، بينما ذكرت نسبة ضئيلة أيضاً مجلات ونشرات وزارة الزراعة وتوزعت النسب الباقية على أكثر من مصدر واحد كان المشرف الزراعى يمثل بينها قاسماً مشتركا .

وفيما يتعلق بمضمون المعرفة بالموضوع فى ذهن القروى ، فإن البيانات تفاجئنا بأن نسبة كبيرة ممن سمعوا بهذا الموضوع لا تعرف حقيقة مضمونه وإنما هى تخلطها بأمور أخرى وحيث ذكر ٥٥,٨١٪ من الذين سمعوا به أنه يهدف أساساً إلى توفير الغذاء للماشية وسهولة الحصول على هذا الغذاء من الجمعية التعاونية « علشان نأخذ كسب وعلف المواشى » . وربما كان ذلك واقعياً إلى حد كبير ، وهى تمثل نتيجة من نتائج طبع بعض المشروعات الإنمائية التى ينبغى أن تكون تلقائية ونابعة عن إرادة شخصية أساساً بطابع الإلزام حيث وصلنا من خلال محاولتنا الاستفسار عن هذه الإجابة لدى بعض العاملين بالجمعية التعاونية أن المسئولين عن تنفيذ هذا المشروع قد ربطوا بينه وبين « صرف » « العلف » للماشية وحيث كانت أولوية الصرف تعطى للذى يدفع أقساط هذا التأمين ، مما قاد إلى هذا الربط فى ذهن القروى وجعله ينظر إلى هذا المشروع باعتباره أقساطاً سنوية تدفع للحصول على غذاء لماشيته . هذا فى الوقت الذى أجاب فيه ٧,٧٥٪ ممن سمعوا بالموضوع بأن الهدف من وراثه أن تحصى الدولة عدد الماشية التى فى حوزة القرويين « علشان الحكومة تعرف عدد المواشى » وتعكس هذه الاستجابة التخوف التقليدى « من الحكومة » لدى القروى والذى ما يزال عالقاً بذهنه ، ولقد أجاب حوالى ٣٤٪ ممن سمعوا ، الإجابة الصحيحة حيث ذكر بعضهم « لما تموت المواشى الحكومة تدفع لصاحبها ثمنها » وأجاب البعض الآخر « علشان الطبيب البيطرى يشرف على صحة المواشى » وهى إجابات قريبة من الصحة .

وتعكس هذه البيانات بجلاء أن نسبة قليلة أو محدودة من الذين سمعوا

بمثل هذا الموضوع هى التى تعرف مضمونه الحقيقى بينما لا تعرف نسبة كبيرة هذا المضمون ، مما وضح أنه بينما نجحت الاتصالات المختلفة فى نقل هذا الموضوع إلى القرويين إلا أنها فشلت فى نقله بصورة واضحة بل هى نقلته بصورة غامضة ومشوهة إلى حد كبير ، وربما رجع هذا الإبهام والتشويه إلى بعض الأخطاء التى صاحبت عملية التنفيذ ، وربما يرجع أيضاً فى جانب منه إلى التحريفات التى تدخل على الموضوع أثناء عملية انتقاله من فرد إلى آخر . ومما هو واضح أن التحريف الذى يطرأ على مثل هذه الموضوعات يؤثر إلى حد كبير فى درجة الاقتناع بها وبالتالى يؤثر فى درجة تبنيها ، ويترتب على ذلك أن الشخص الذى يمتنع عن تبنى هذا الموضوع قد لا يكون تقليدياً أو محافظاً بقدر ما يكون لديه من الأسباب المنطقية التى يبرر بها صده كأن يكون لديه مصدر آخر للحصول على غذاء ماشيته مثلا ، وهنا لا بد أن نشير إلى أن دراسة العوامل المصاحبة لتبنى مثل هذه المشروعات الزراعية وتقبلها لا بد أن تسبقها دراسة لمضمون هذه المشروعات فى ذهن القروى . وفى فصل لاحق سوف نتخذ موضوع التأمين على الماشية كموقف تجديدى فى مجال زراعى ونحاول فحص العوامل والمتغيرات المرتبطة بتنفيذه مع وضعنا مدى فهم الموضوع موضع الاعتبار .

٢ — التلقيح الصناعى :

سمع حوالى ٧٨٪ من أفراد العينة بموضوع التلقيح الصناعى ، وكانت مصادرهم فى ذلك مشابهة إلى حد كبير لمصادرهم فيما يتعلق بالسماع عن التأمين على الماشية وحيث نلاحظ الغلبة والسيطرة هنا للمصادر الشخصية وحيث ذكر ١٠و٥٢٪ ممن سمعوا بالموضوع أنهم علموا به عن طريق المشرف الزراعى أو موظفى الجمعية التعاونية ، أو الطبيب البيطرى وذكر ٩٢و ١٠٪ منهم « الأشخاص » باعتبارهم مصادر لهذه المعلومات بينما تقلص دور الاتصال الجمعى إلى حد كبير ، وتوزعت النسب الباقية على أكثر من مصدر

كان الموظفون الرسميون يمثلون بينها قاسماً مشتركاً .

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه لويس كامل مليكة من أن ٧٣٪ من أفراد عينته سمعوا بموضوع التلقيح الصناعى من الموظفين الحكوميين مثل مفتش الزراعة أو الطبيب البيطرى أو فريق مركز تنمية المجتمع فى القرية . وحيث لم تتجاوز نسبة من سمع بالموضوع بواسطة الاتصال الجمعى نسبة ٦٪ من أفراد عينته الذين سمعوا بهذا الموضوع [١] وحينما ناقش لويس كامل مليكة ما يتصل بتنفيذ الفكرة ، أو تنفيذ هذا الموضوع فإنه لاحظ أنه لم يقبل على القيام بهذه العملية سوى فرد واحد فى القرية ويعلق على ذلك بأنه « لايكفى مجرد السماع عن الفكرة أو التعبير عن تأييدها لدفع الفرد إلى العمل . ولن يجدى كثيراً فى مثل هذه الحالة أن نحاول تحديد خصائص القلة التى ذكرت أنها لم تفكر بعد فى الموضوع ، أولم تقطع فيه برأى ، أو أن نحاول تحديد خصائص الكثرة التى أعلنت استعدادها للتنفيذ إذا توفرت الإمكانيات أو إذا تأكدوا من نجاح التجربة ، وذلك لأنه من المتوقع أن يشمل هؤلاء أفراد من كل مستويات السن والتعليم والمستويات الاقتصادية وممن يتفاوتون فى درجة عضويتهم للجماعات أو فى درجة اتصالهم بمصادر المعرفة الخ » .

« ويصعب أن نقطع برأى عن الأسباب الحقيقية لعدم الإقبال الفعلى على التلقيح الصناعى للحيوان من واقع نتائج البحث إلا أن من الأسباب المحتملة عدم إتاحة الفرصة الكافية لاختبار الفكرة إلى الدرجة التى تدفع الأفراد إلى ترجمة الفكرة إلى فعل [٢] .

إلا أنه فات لويس كامل مليكة أثناء عملية فحصه ، ومحاولة تفسيره لعدم إقبال القرويين على تنفيذ الفكرة أن يقيس معلوماتهم حولها فربما كانت هذه المعلومات لاتتسق تماماً مع درجة سماعهم عن الموضوع ، بمعنى أن نسبة كبيرة قد تكون سمعت بالموضوع إلا أن ما وصل إليها وصل بطريقة

---

(١) انظر لويس كامل مليكة « بناء الاتصال فى قرية عربية » المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

مشوشة ولا تعكس طبيعة الموضوع ، إطلاقاً ، ولقد لاحظنا فى بحثنا هنا – أيضاً – عدم الإقبال على تنفيذ الفكرة إلا أننا حينما وجهنا سؤالا عن أسباب هذا الإحجام تبين لنا أن الموضوع فى ذهن القروى يكاد يختلف اختلافاً كبيراً عما هو فى ذهن مخططه ، أو الهيئة التى تعمل على نشره بمعنى أن الموضوع وصل بالفعل إلى عدد كبير من القرويين ، ولكنه وصل مشوشاً بحيث ترك الفرصة سانحة أمام القروى لكى يقدم مبررات « منطقية» وفقاً لمعلوماته – لعدم إقباله على تنفيذ الفكرة ، وحيث لوحظ أن القروى يفهم موضوع التلقيح الصناعى لا بوصفه عملية تستهدف تحسين النسل والسلالة وإنما بوصفه عملية تستهدف « علاج العقم » فلقد ذكر أكثر من ٨٠٪ ممن سمعوا بالفكرة ولم ينفذوها أنهم لم ينفذوها لأن ماشيتهم لا تعانى عقماً فهى « بتعشر طبيعى »

من هذا يتبين أن درجة تبنى القروى للأفكار والممارسات الجديدة إنما تتأثر إلى حد كبير بمضمون الاتصال ومحتواه ، وبالتالى فإن الأمر يتطلب ألا نغفل جانباً رئيسياً من جوانب نظرية الاتصال وهو دراسة مضمون الرسالة والتحريفات التى طرأت على هذا المضمون فى عملية انتقاله من المرسل إلى المستقبل . إلا أن مناقشة مسألة التحريفات هذه عملية صعبة ولا يمكن إرجاعها كلية إلى سوء أو قصور وسائل الاتصال أو فشلها . وإنما هى قد ترجع فى جانب منها إلى قصور لدى المستقبل ذاته كانخفاض مستوى ذكائه أو قلة فهمه أو غير ذلك من العوامل . ومع ذلك فإنه حتى يوضع المستقبل وإمكانياته، قصورها أو عدم قصورها ، فى الاعتبار فإننا يجب أن نضع فى أذهاننا دائماً أنه لا يكفى إعفاء الاتصالات من المسئولية فى هذا التحريف وبخاصة إذا عرفنا أنه من أهم ما يميز الاتصال الناجح أن يخاطب المرسل المستقبل بلغة من الخبرة المشتركة ، أو بلغة يفهمها .

نستطيع أن ننتهى – فيما يتعلق بمدى إلمام القروى بالموضوعات المحلية البحتة والتى تمثل بالنسبة له أهمية خاصة – إلى النتائج التالية :

١ — فيما يتعلق بهذه الموضوعات التى تتميز بهذه الطبيعة يلعب الاتصال الشخصى الدور الأساسى فى إحاطة القروى علماً بها ، وهو اتصال شخصى قائم على أساس رسمى أو وظيفى إلى حد كبير ، بينما يتقلص دور الاتصال الجمعى .

٢ — بينما نلاحظ أن نسبة من سمعوا بمثل هذه الموضوعات مرتفعة فإننا نلاحظ أيضاً أن المعلومات التى سمعها عدد كبير منهم معلومات محرفة . وقد لا تمثل إطلاقاً مضمون مثل هذه الموضوعات الحقيقى .

٣ — يترتب على ذلك أن درجة الإقبال على تنفيذ الأفكار الجديدة هذه ينبغى أن تربط أولا وقبل كل شىء بدرجة المعرفة بالأهداف الحقيقية لهذه الأفكار .

٤ — بينما لعب الاتصال الشخصى « الرسمى أو الوظيفى » الدور الرئيسى فى إعلام القرويين بمثل هذه الموضوعات المحلية ، فإننا نجده قد فشل إلى حد كبير فى نقل المضمون الصحيح إلى هؤلاء القرويين ، مما يوحى بنتيجة تصلح فرضاً يوضع موضع الاختبار مؤداها أن النقل عن طريق الأشخاص ، أو التناقل الشخصى للأفكار يؤدى إلى إدخال تحريفات عديدة على مضامين الرسائل المنقولة .

ثانياً : إلمام القرويين بالموضوعات ذات الطابع الاجتماعى القومى :

١ — تنظيم الأسرة :

توضح البيانات أن الغالبية العظمى من أفراد العينة قد أحاطوا علما بموضوع تنظيم الأسرة ، باعتبارها قضية قومية وحيث وصلت نسبة الذين سمعوا عن هذا الموضوع إلى ٩٠ و ٩٠ ٪ تقريباً ، ولقد احتلت الاتصالات الجمعية المرتبة الأولى كمصادر للمعرفة بهذا الموضوع تليها مباشرة الاتصالات الشخصية الرسمية التى تتمثل فى طبيب الوحدة ، وغير الرسمية التى تتمثل فى « الأشخاص » ،

ودور التمطين الجمعى ، والشخصى متقارب فى هذا المجال .

ومن سؤال الذين سمعوا بموضوع تنظيم الأسرة عن مضمون هذا الموضوع نتبين أنهم جميعاً يستوعبون هذا المضمون ويفهمون أهدافه مما يوضح أن الاتصالات الجمعية قد تضافرت مع الاتصالات الشخصية فى نقل الرسالة المتضمنة لمضمون هذا الموضوع نقلا جيداً وبدون تحريف ويعكس هذا التكامل الذى يكاد يكون تاما الاهتمام الكبير الذى توليه الاتصالات الجمعية له باعتباره قضية حيوية من أجل التنمية ، كما تعكس أيضاً أن هناك رأياً عاماً ناضجاً حوله بصدد التكوين والتشكيل والصياغة .

وعندما حللنا سابقاً وبشىء من التفصيل مصادر السماع بهذا الموضوع واختلافها باختلاف عدد من المتغيرات الاجتماعية اتضح أن أولئك الذين لم يسمعوا بالموضوع ، والذين يمكن أن نطلق عليهم « غير المتكاملين » يميزون بخصائص معينة ، أهمها انتماؤهم إلى مكانة اقتصادية واجتماعية منخفضة ، وإلى مكانة تعليمية منخفضة ، وإلى المهن الزراعية ، وعدم اتصالهم بالاتصالات الجمعية .

أما فيما يتعلق بتقبل المشروع وتنفيذه فقد لوحظ أن نسبة لا بأس بها حاولت هذه المحاولة ، ولذلك فإننا سنورد فيما بعد تحليلا مفصلا لخصائص أولئك الذين حاولوا تنفيذ الفكرة فى مقابل الذين لم يحاولوا تنفيذها .

٢ — الإدخار :

توضح البيانات أن نسبة ضئيلة فقط تصل إلى حوالى ٣٤ و ١٦ ٪ هى التى لم تسمع بهذا الموضوع أى أن النسبة الغالبة سمعت به ونلاحظ أيضاً أن الاتصالات الجمعية تحتل المرتبة الأولى فى نقل مضمون هذا الموضوع إلى القرويين وحيث ذكر ٢٥ و ٣١ ٪ الراديو كمصدر للمعلومات و ٢٨ و ١٣ ٪ الراديو بالإضافة إلى الصحف و ٣٤ و ٢ ٪ الصحف فقط فى مقابل ٥٣ و ١٩ ٪ ذكروا أن (الأشخاص) هم مصدر هذه المعرفة ، أما النسب الباقية فقد

توزعت على أكثر من مصدر تمثل الاتصالات الجمعية — بوجه عام — قاسماً مشتركاً بينها .

وفيما يتعلق بمضمون المعرفة لوحظ أن نسبة كبيرة من الذين سمعوا بالموضوع يحيطون علماً بمضمونه وأهدافه ، وحيث ذكر ٣٥,٢٠٪ أنه عن طريق المدخرات « تعمل الحكومة مشروعات » وقال ١٤,٤٠٪ « مشروع فيه فائدة للحكومة والأهالى » بينما ذكر ١١,٢٠٪ أن « الفلوس تنفع فى حالة الولادة والوفاة » وتدور باقى الإجابات حول هذا المضمون مع وجود نسبة ضئيلة لا تعى تماماً أهداف هذا المشروع كما لم يتمكن ثلاثة أشخاص من تقديم إجابة حول السؤال الذى يدور حول مضمون الادخار .

أما فيما يتعلق بالاستجابة لهذا المشروع فلقد أبدى ٣٨,٥٦٪ من أفراد العينة استعدادهم للادخار فى البنوك أو مكاتب البريد بينما اختار الباقون أوعية استثمارية تقليدية كشراء الماشية ، أو شراء الأرض ، أو مشروعات أخرى ، وذكر البعض الآخر أنهم يفضلون الاحتفاظ بالمدخرات فى المنزل إلا أن أغلبهم تقريباً قرر أنه لا يدخر شيئاً ، ولذلك فإن استجابتهم هذه معلقة بوجود مبالغ يدخرونها .

ومن الملاحظ أن أولئك الذين لم يتجاوبوا مع الموضوع قد يقدمون بعض التبريرات المنطقية لرفضهم هذا على أساس أن تربية الماشية ، أو شراء الأرض تدر عائداً يفوق ماتدره الأوعية الحكومية ، ولذلك فإن مشروع الادخار فى البنوك أو مكاتب البريد قد لا يلائم — فى بعض جوانبه — طبيعة النسق الاقتصادى للمجتمع القروى الذى لا تتوفر فيه العملة السائلة طوال العام ، وإن توافرت فإنه قد توجد بعض الأوجه الاستثمارية التى تحقق عائداً مرتفعاً .

وتوضح هذه البيانات أن الاستجابة المؤيدة للمشروع قد تكون مجرد استجابة اجتماعية أو تأييد لفظى يتفق مع توقعات الباحث، ولكنه غير مصحوب بأى اقتناع عميق بالفكرة ، كما تعكس أيضاً أن السماع عن فكرة معينة لا يصحبه

بالضرورة تنفيذ لهـــذه الفكرة حتى وإن كان الموضوع واضحاً ، أى أن العلاقة بين الاتصال ، والتأثير ليست علاقة بسيطة تمتد من الاتصال ، وبطريقة مباشرة إلى التأثير ، وإنما تحدث العملية برمتها داخل موقف اجتماعى ونفسى يضم عدداً من المتغيرات الوسيطة التى قد تؤدى إلى نجاح الاتصال فى ممارسة تأثيره أو فشله فى هذا المجال ، ويضم هذا الموقف الاجتماعى النفسى عدداً من المتغيرات ، كالقابلية للتغير ، أو الجمود والصلابة ، والذكاء ، والدافعية ، والمستوى الاقتصادى ، والمستوى التعليمى ، والمكانة الاجتماعية ، والمشاركة الاجتماعية ، والقيم وغير ذلك من المتغيرات ، مما يدل على أن الموقف الذى تحدث فيه عملية التأثير موقف بالغ التعقيد .

ونحن نتفق فى هذا المجال مع ما ذهب إليه الدكتور لويس كامل مليكة من أنه « لكى ينجح الاتصال يجب أن يكون الهدف ملائماً ، ذلك أن المعرفة لن تترجم إلى عمل إلا إذا توافر الدافع ، وهو أمر صعب فهمه إلا فى المجال الاجتماعى[1] . ويضيف أنه : « بالنسبة للقروى يشكل تبنى أسلوب جديد غاية ، أو هو وسيلة إلى غايات مختلفة ، مثل الارتفاع بالمستوى الاقتصادى لعائلته بالنسبة لجيرانه ولأصدقائه » ، « ومن العوامل المؤثرة أيضاً درجة التمدن ، ومستوى التعليم ، والعمل فى غير الزراعة والحياة خارج القرية ، هذا فضلا عن العوامل الفردية مثل السن ، والمستوى الصحى ، والقدرات ، وتعاون أفراد العائلة مع القروى . . إلخ » .

وثمة عوامل أخرى يمكن أن يكون لها أثرها فى تحويل القول إلى فعل ومنها درجة وضوح الموقف أو تحديده[2] .

ولفحص ديناميت العلاقة بين الاتصال والتأثير فى مجال تقبل الموضوعات الاجتماعية الجديدة كتنظيم الأسرة أو الادخار سوف نفصل الحديث عن هذه العملية فى فصل لاحق فيما يتعلق بموضوع تنظيم الأسرة حيث لاحظنا أن

---

(١) لويس كامل مليكة ، المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .

البعض أبدى استجابات فعلية نحو الموضوع بأن حاول فعلا أن يمارس وسائل تنظم الأسرة بينما لم يبد أولئك المتجاوبون مع موضوع الادخار سوى استجابة لفظية معلقة بشرط توافر مبالغ فائضة عن الحاجة .

ويمكننا أن نخلص من عرضنا للنتائج المتعلقة بمدى تكامل القرويين مع موضوعات تمثل اهتماماً قومياً كتنظيم الأسرة والادخار إلى النتائج التالية :

١ ــ سمعت الأغلبية الساحقة من القرويين عن هذه الموضوعات .

٢ ــ لعبت الاتصالات الجمعية الدور البارز فى إيصال الرسائل المتعلقة بهذه الموضوعات كما تضافرت الاتصالات الشخصية فى هذه المهمة أيضاً إلا أنها كانت تحتل المرتبة الثانية .

٣ ــ نجحت الاتصالات عامة والاتصالات الجمعية خاصة فى نقل مضامين هذه الموضوعات إلى القرويين وبالتالى فإنها نجحت فى تحقيق التكامل بين القرويين والمجتمع القومى عند هذا المستوى .

٤ ــ ليس من الضرورى أن يصحب السماع عن مثل هذه الموضوعات الجديدة والفهم لمضامينها وأهدافها اقتناع بها وتنفيذ لها ، إذ أن العلاقة بين السماع والمعرفة ، والاقتناع والتنفيذ ، علاقة معقدة تضم الموقف أو المجال الإجتماعى برمته بما فيه الفرد نفسه ، خصائصه وقدراته .

ثالثاً ــ درجة إلمام القرويين بالمشروعات القومية ــ ذات الطابع السياسى ــ التى تستهدف التنمية الاقتصادية الإجتماعية بوجه عام كالسد العالى ، والوادى الجديد :

١ ــ السد العالى :

سمعت الغالبية العظمى من أفراد العينة عن السد العالى ، وحيث لم تتعد النسبة التى لم تسمع بهذا الموضوع ١١,١١٪ من العينة الكلية ، كما يدرك جميع من سمعوا تقريباً أهداف هذا المشروع وفائدته ، وإن عبروا

عنها بأساليب مختلفة . وحيث أجمع ٨١,٤٨٪ ممن سمعوا على أنه مشروع يستهدف « حجز المياه وتوليد الكهرباء وتشغيل المصانع » وأجاب الباقون بإجابات تدور أيضاً حول المضمون الحقيقى له .

أما عن الموصلات التى نقلت مضمون هذه الرسالة فإننا نلاحظ أن الاتصال الجمعى يحتل المرتبة الأولى بينها وحيث ذكر ٤٤,٨٥٪ الإذاعة كمصدر استقوا منه معرفتهم بالإضافة إلا أن ٢٣,٥٢٪ ذكروا الإذاعة بالإضافة إلى الصحف ، وذلك فى مقابل ١٢,٥٠٪ كانت مصادر معلوماتهم هى الاتصالات الشخصية بينما توزعت النسب الباقة على أكثر من مصدر كان الاتصال الجمعى يمثل قاسماً مشتركاً بينها .

وتوحى هذه البيانات بأن الاتصال الجمعى أكثر فعالية فيما يتصل بنقل رسالة ذات طابع سياسى قومى .

٢ — الوادى الجديد :

فيما يتعلق بالسماع ، نلاحظ أن النسبة الغالبة من أفراد العينة قد سمعت بالموضوع ووصلت هذه النسبة إلى أكثر من ٨٩٪ وفيما يتصل بمصادر السماع عن الموضوع نلاحظ أن الاتصال الجمعى المتمثل فى الإذاعة ، والإذاعة والصحف يحتل المرتبة الأولى أيضا إلا أن دور الاتصال الشخصى هنا يتضح أكثر ويلى دور الاتصال الجمعى مباشرة وحيث ذكر ٣٠,٠٧٪ ممن سمعوا بالموضوع « الأشخاص » بوصفهم مصادر للمعلومات حوله .

أما فيما يتعلق بمضمون المعرفة فإننا لاحظنا أن هناك خلطاً فى ذهن القروى بين الوادى الجديد وبين مديرية التحرير ، وحيث ذكر عدد من القرويين أنهم ذهبوا بأنفسهم إلى الوادى الجديد ، وكانوا يقصدون بذلك مديرية التحرير ، وينطبق هذا الخلط على أغلب من ذكر « الأشخاص » كمصادر للمعلومات حول هذا المشروع . مما يدعم ما ذهبنا إليه آنفاً من أن الاتصال الشخصى فى القرية موضوع الدراسة يسمح بحدوث عدد من التحريفات على المضمون .

ومما يلفت النظر هنا أن « ناقل الفكرة » أو « حارس البوابة » الرئيسى الذى مرت عن طريقه هذه المعلومات هو « مقاول أنفار » القرية والذى يتعهد بتشغيل عدد كبير من عمالها الزراعيين فى مديرية التحرير ، وسوف نتحدث عن خصائص الاتصال الشخصى فى القرية فيما بعد حيث نشير إلى اختلاف خصائص « حراس البوابات » أو « ناقلى المعلومات » باختلاف الموضوعات التى تنقل معلومات حولها .

رابعاً — إلمام القرويين بالموضوعات ذات الطابع السياسى البحت :

١ — الموقف الإسرائيلى :

أجريت هذه الدراسة ، والموقف من إسرائيل يمثل الإهتمام الرئيسى للاتصال الجمعى ، ولذلك فإن قياس معلومات القرويين حول هذا الموقف تمثل قياساً لمدى نجاح الاتصالات الجمعية فى ربط القرى بالأحداث السياسية الكبرى التى تدور فى مجتمعه وتمسه بطريقة مباشرة ، ولقد لوحظ أن الأغلبية الساحقه من أفراد العينة قد سمعت بمعلومات حول هذا الموقف مهما كان مضمون هذه المعلومات ، كما يلاحظ أيضاً أن الاتصال الجمعى المتمثل فى الراديو والصحف قد لعب الدور المسيطر والرئيسى فى نقل هذه المعلومات وتوصيلها بينما تقلص دور الاتصال الشخصى إلى حد كبير وحيث نجد أن ٢,٦١٪ تقريباً من أفراد العينة قد حصلوا معلوماتهم عن طريق الاتصال الشخصى ، وهنا لا يقتصر الاتصال الجمعى على الإذاعة والصحف فقط ، وإنما يمتد ليشمل مصادر أخرى متعددة كالكتب وما إليها .

وتدعم هذه النتيجة ما ذكرناه من أن للاتصال الجمعى الدور الحاسم فى نقل المعلومات ذات الطابع السياسى وربما يمكن تفسيرها بأن المعلومات المعروفة متساوية تقريباً بين القرويين فيما يتصل بالمجالات السياسية ولذلك فإن دور الاتصال الشخصى يتقلص بالإضافة إلى إعتماد القرويين على الراديو الذى تبدى فى فصل سابق . وبعكس هذا الاعتماد ما مؤداه أن

القروى يفضل متابعة الأحداث السياسية من مصادرها الأولية — والراديو وفقاً لذلك — هو أكفأ الاتصالات الجمعية متابعة ونقلا لما يدور مباشرة وبخاصة إذا ما استرجعنا أن نشرات الأخبار والبرامج الإخبارية عموماً هى المسائل المفضلة لدى القروى وهى تحتل المرتبة الأولى فى تفضيله .

وتوضح البيانات — من حيث مضمون المعرفة — بالموقف — أن الاتصال الجمعى قد نقل مضموناً سليما غير محرف إلى عدد كبير من القرويين ، وحيث ذكرت نسبة ٤٤,١٤٪ ممن تلقوا معلومات ما حول هذا الموقف أن إسرائيل تحتل جزءاً من أرض الوطن وأشارت نسبة ٢٤,٨٣٪ إلى قضية فلسطين باعتباها سبباً حاسماً من أسباب موقفنا من إسرائيل ودارت باقى الإجابات حول هذه المضامين فيما عدا ١٢,٤١٪ ذكروا أننا نضاد إسرائيل لأنها « دوله يهودية » وهى نسبة ضئيلة جداً بالنسبة لمجتمع قروى يقدس القيم الدينية . ومن المتوقع أن يكون تعصبه السياسى قائماً على أساس دينى وهو يصبح فى هذه الحالة تعصبا غير منطقى ، مما يعكس أن الغالبية العظمى تفهم حقيقة الموقف فى إطار أسبابه الحقيقية ، دون أى نوع من التعصب غير المنطقى ، ومؤدى هذه النتيجة إلى أن القرويين متكاماون — تماماً — مع مجتمعهم القومى فيما يتصل بالمواقف السياسية التى يتخذها ويعد هذا التكامل دايلا على إهتمامات القرويين السياسية الواسعة .

وتعكس البيانات أن النسبة المحدودة التى لا تحيط علماً بالموقف تنتمى إلى مكانات تعليمية واقتصادية منخفضة ، كما تحقق درجة منخفضة من المشاركة الإجتماعية وتنتمى غالباً إلى المهن الزراعية ، ولكن باعتبارها نسبة ضئيلة جداً فإننا لا نستطيع أن نتخذ مثل هذه المحكات لتصنيفها ، وحيث إن الفوارق بينها وبين غيرها لن تكون جوهرية .

٢ — الاشتراكية :

تعرف نسبة كبيرة من أفراد العينة تصل إلى أكثر من ٨١٪ إصطلاح

الاشتراكية كمفهوم متداول. ولقد سمعوا عن الاشتراكية من مصادر متعددة أهمها على الإطلاق الاتصال الجمعى حيث ذكر ٣٧,٩١٪ من أفراد العينة الراديو بوصفه المصدر الإعلامى بالنسبة لهم كما ذكر ١٤,٣٨٪ الراديو والصحف معا ، وتقلص هنا أيضاً دور الاتصال الشخصى ، كما ظهرت مصادر جديدة كالكتب وإن كان ظهورها غير بارز بينما توزعت النسب الباقية على مصادر متعددة يمثل الاتصال الجمعى بينها قاسما مشتركاً أيضاً ، وتدعم هذه البيانات النتيجة التى مؤداها أن الاتصال الجمعى يلعب الدور الحاسم فى نقل المعلومات ذات الطابع السياسى ، كما تدعم أيضاً ذلك التفسير الذى سقناه آنفاً والذى يدور حول تقارب مستوى المعلومات بين القرويين فيما يتعلق بهذه المجالات مما لا يترك فرصة للاتصال الشخصى فى أن يلعب دوراً بارزاً بالإضافة إلى الاهتمام السياسى الواسع لدى القروى والدور الذى لعبه « الراديو » فى توسيع هذا الاهتمام وتعميقه .

وفيما يتعلق بمضمون المعرفة بالإشتراكية كما هو موجود فى ذهن القروى، نلاحظ أن نسبة كبيرة من أفراد العينة تقدم إجابات تدور فى جوانب مختلفة منها حول بعض المعانى والأفكار المرتبطة بالإشتراكية . فنلاحظ مثلا أن ٣٣٫٧٨٪ ممن أحاطوا علماً بالموضوع يذكرون أن الإشتراكية « تعاون » كما يذكر ١٦٫٢٠٪ منهم أنها « مساواة وعدل » ويربط ١٦٫١٣٪ بين الإشتراكية و «الاتحاد» وتتوزع الإجابات الباقية حول معانى مختلفة كالحرية والديموقراطية .

ولكن ينبغى أن نشير إلى أن هناك عدداً من القرويين لم يقدموا إجابات مقبولة حول مضمون الإشتراكية . وحيث خلط بعضهم مثلا بين الإشتراكية وبين الاشتراك الذى يدفع لعضوية الاتحاد الاشتراكى وخلط البعض الآخر بين الاشتراكية و « بطاقات التموين » إلا أن أغلبيتهم قد قدموا إجابات تتضمن معان ترتبط فعلا بالإشتراكية أو تدور حولها .

نستطيع أن ننتهى فى هذا النطاق أن الاتصالات الجمعية قد نجحت

فى نقل هذه الرسالة إلى المجتمع القروى دون تحريف كبير وربما كانت مثل هذه التحريفات مرتبطة بأولئك الذين أحاطوا علماً بالموضوع عن طريق الاتصالات الشخصية .

وإذا ما حاولنا — الآن — أن نعقد مقارنة بين مستويات التكامل الإجتماعى السياسى المختلفة ومصادر هذا التكامل، نستطيع أن نخرج بالنتائج التالية :

١ — يلعب الاتصال الشخصى ذو الطابع الوظيفى الدور الأساسى فى إحاطة القرويين علماً بالموضوعات ذات الطابع المحلى البحت ، كالتلقيح الصناعى ، أو التأمين على الماشية فى الوقت الذى يتقلص فيه دور الاتصال الجمعى . ألا أن الاتصال الشخصى هذا لم ينجح فى نقل مضمون الرسالة صحيحاً . بل نلاحظ أن هناك كثيراً من التحريفات التى طرأت على هذا المضمون وبالتالى فإن المواقف الجديدة هذه أصبحت غير واضحة أو محددة فى ذهن القروى . مما يدفع إلى القول بأن الاتصال الشخصى يترك المجال مفتوحاً أمام عوامل « التحريف » .

٢ — فى الموضوعات الإجتماعية والمشروعات ذات الطابع القومى كتنظيم الأسرة والإدخار والسد العالى والوادى الجديد نلاحظ بوجه عام أن الاتصالات بوجه عام، والاتصالات الجمعية بوجه خاص قد نجحت فى نقل مضامينها دون تحريف كبير إلى جمهور القرويين وبالتالى حققت درجة لا بأس بها من التكامل عند هذا المستوى . ويجب أن نشير إلى أن الاتصالات الجمعية تحتل فى مثل هذه الموضوعات المرتبة الأولى تليها الاتصالات الشخصية .

٣ — فيما يتصل بالموضوعات ذات الطابع السياسى البحت كالموقف من إسرائيل والاشتراكية نلاحظ أن دور الاتصال الجمعى فى إحاطة القرويين علماً بها هو الدور البارز والمسيطر ، وحيث نلاحظ تقلصا ضخماً بالنسبة للاتصال الشخصى ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الاتصالات الجمعية قد نجحت نجاحاً مطلقاً فى نقل مضامين هذه الموضوعات إلى المجتمع القروى

دون تحريف كبير ، بل إنهانجحت نجاحاً يكاد يكون تامًّا فيما يتعلق بالموقف من إسرائيل وطبيعته .

٤ — يترتب على ذلك أن الدور المتزايد الذى يلعبه الاتصال الجمعى فى تحقيق التكامل الاجتماعى السياسى يصحبه بالضرورة تقلص متزايد للنمط الشخصى من الاتصال فى هذا المجال .

والنتيجة التى ينبغى أن تثير مناقشة هنا هى تلك التى تدور حول الدرجة العالية من التكامل التى حققها القروى مع الأمور ذات الطابع القومى والسياسى سواء من حيث علمه بها أو معرفته بمضمونها ، بينما نجده لا يحقق مثل هذه الدرجة العالية فيما يتصل بمسائل محلية بحتة تهمه مباشرة فى نطاق مجتمعه المحلى .

وتتفق هذه النتيجة مع ما وصل إليه « جوردون هيراباياش وفتح الله الخطيب ، فى دراستهما وحيث استبان لهما أن القرويين يهتمون بالشئون القومية كما يهتمون أيضاً بالشئون ذات الطابع المحلى . ومن الدلائل التغيرية الهامة التى توصلت إليها الدراسة أن القروى لم يعد مستغرقاً تماماً فى شئون قريته فقط وإنما أصبح يشارك بدرجة واضحة فى المسائل القومية التى أصبحت تؤثر إلى حد كبير فى مجتمعه المحدود ، ويعتقد الباحثان — وهما مصيبان إلى حد كبير — أن هذا الإتجاه وليد للتغطية التى يقوم بها الاتصال الجمعى فيما يتعلق بالمسائل القومية فهى مصدر مباشر أو أساسى للمعلومات ثم إنها تثير بالتالى مناقشات وجدل حول الأخبار ، أى أنها تثير القنوات الشخصية للاتصال وتقدم لها فرصة سانحة للعمل[1] .

وقبل أن ننتقل إلى قياس دلائل المشاركة السياسية أو التكامل السياسى ينبغى أن نشير بسرعة إلى بعض الخصائص التى تميز أولئك الذين ينقلون المعلومات لغيرهم فى المواقف المختلفة بقدر المستطاع ، أو بمعنى آخر أولئك الذين يلعبون دور حراس البوابات « أو ناقلوا الأخبار » فى بناء الاتصال فى القرية .

---

(١) See "G. Hirabayashi & F. El Khatib"Communication and Political Awareness in The Village of Egypt" op. cit.

نمط الاتصال الشخصى فى القرية وخصائصه :

مما أوضحته الأسئلة التعمقية التى كانت تستهدف التعرف على الأشخاص الذين يلعبون دور « حراسة البوابة "Gate Keeping" أو نقل الأخبار أو ما يمكن أن يطلق عليه « قيادة الرأى "Opinion Leadership" إنه من الصعوبة بمكان أن نتعرف على مثل هؤلاء الأشخاص وبخاصة أولئك الذين يلعبون دوراً فى مجال الموضوعات التى أثارت وما تزال تثير كثيراً من الجدل والمناقشة كتنظيم الأسرة ، أو الإدخار ، ولكن ما أمكن تحقيقه فى هذا المجال يمكن وضعه على النحو التالى :

١ — قادة الرأى فى المجالات المحلية البحتة كالتلقيح الصناعى للحيوان أو التأمين على الماشية هم أولئك العاملون الرسميون والمرتبطة أعمالهم بهذه المجالات .

٢ — فى بعض المجالات الأخرى الأعلى مستوى كتنظيم الأسرة أو الإدخار نجد أيضاً أن دور العاملين الرسمين دور بارز كطبيب الوحدة الصحية والمشرف على مكتب البريد مما يوضح أن هذه المؤسسات العاملة فى القرية يمكن أن تلعب دوراً تغييرياً واضحاً .

٣ — فى مجال المشروعات ذات الطابع القومى كانت المصادر الشخصية للمعلومات تتمثل فى بعض من شاهدوا مثل هذه المشروعات كشرطى بالسد العالى أو « مقاول أنفار » .

إلا أن عدم وضوح دور من يلعبون دوراً من أهل القرية فى الاتصال الشخصى ، يشير إلى تغلغل الاتصال الجمعى كما يشير أيضاً إلى أن مثل هذه المسائل أصبحت معروفة لدى قطاع كبير من المجتمع يعكس ذلك ما يقوله القرويون غالباً رداً على استفسار حول الشخص الذى أعطاه فكرة عن موضوع أن « الناس كلها بتتكلم » أو « البلد كلها عارفة »، وكما توضح هذه النتائج ذلك فإنها تعكس أيضاً نوعاً من الخصائص الطبقية التى تميز نمط الاتصال الشخصى فى القرية موضوع الدراسة . فطالما كان هناك عدم وضوح بناء متميز للاتصال الشخصى يضم أفراداً بارزين فإن ذلك يدل على أن الناس

فيما بينهم يتناقلون الأخبار كجيران أو أقارب أو أصدقاء ، ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نجزم بوجود « قيادة متميزة للرأى » فى القرية موضوع الدراسة. ويعضد ذلك أيضاً ما لوحظ من تشكل الجماعات فى القرية على أساس من التقارب الكبير فى المستوى الاقتصادى والتعليمى ، مما يطبع الاتصال الشخصى فى القرية بطابع طبقى أى أنه يندر أن نجد شخصاً من مستوى تعليمى أو اقتصادى مرتفع يجلس مع شخص ينتمى إلى مستويات منخفضة لينقل إليه خبراً أو فكرة أو معلومات ، ولذلك ينبغى أن نكون فى غاية الحذر ونحن بصدد تطبيق مفهوم كاتز ولازار سفلد عن « مجرى الاتصال ذو الخطوتين » على ما يدور فى القرية المصرية كما أنه فيما يتعلق بطبيعة الاتصال الشخصى فى القرية المصرية ، وما يميزه من خصائص طبقية ، ينبغى أن نميز بين دورين ، دور نقل الخبر أو الفكرة ودور التأثير ، وبالتالى فإن مفهوم « قائد الرأى "Opinion Leader" كما عرفه كاتز ولازارسفلد يرز غيرهم لا ينطبق تمام الانطباق على القرية موضوع الدراسة ، وما ينطبق إذن هو مفهوم أقرب إلى اصطلاح ناقل الخبر أو « حامله » .

ومن المهم أن نشير إلى أن تزايد الإهتمام بالإتصالات الجمعية سوف يقضى إلى حد كبير على دور ناقل الخبر هذا ، ويتضح ذلك بجلاء فى مجالات السياسة التى تزايد فيها دور الاتصال الجمعى .

ويبقى الأن سؤال هام تنتهى — بالإجابة عنه — مهمتنا فى هذا الفصل التى تسعى إلى فحص الاتصالات والتكامل الإجتماعى والسياسى . ويمكن وضع هذا السؤال على النحو التالى :

ما هى الخصائص المميزة للقرويين الذين يحققون درجة عالية من التكامل الإجتماعى السياسى فى مقابل أولئك الذين لم يحققوا مثل هذه الدرجة ؟

ونلفت النظر هنا إلى مسألة هامة مؤداها أننا اتخذنا مقياسين للتكامل الإجتماعى السياسى يمكن وضعهما على النحو التالى :

١ ــ متابعة آخر الأخبار وحيث يصنف الذين يتابعون آخر الأخبار باعتبارهم أشخاصاً حققوا درجة عالية من هذا التكامل وأولئك الذين لا يتابعون آخر الأخبار باعتبارهم لا يحققون درجة عالية من التكامل وذلك بالنظر إلى الإجابة عن سؤال مؤداه « أيه آخر أخبار سمعتها ؟ » .

٢ ــ اتخاذ موقف سياسى واضح رداً على سؤال مؤداه « لو قامت حرب بين أمريكا وروسيا تتمنى أى دولة فيهما تنتصر ؟ » على اعتبار أن الشخص الذى يتخذ موقفاً متعاطفاً مع روسيا يمثل أعلى درجات التكامل بالنظر إلى موقف الاتحاد السوفيتى من القضايا القومية ، بينما يعد الشخص الذى يتعاطف مع الولايات المتحدة متكاملا بدرجة أقل وحيث إنه اتخذ موقفاً سياسياً واضحاً أيضاً ، أما أولئك الذين أجابوا بإجابات أخرى ، أو الذين لم يحددوا موقفاً لهم فيعدون محققين لأقل درجات التكامل .

٣ ــ عقد مقارنة بين المتكاملين وغير المتكاملين وفقاً لعدد من المتغيرات الإجتماعية كالسن ، والمكانة الاقتصادية الإجتماعية ، والمكانة التعليمية ، ودرجة المشاركة الإجتماعية ، والمهن .

ومن المتوقع أننا ــ وفقاً لهذا التصنيف ــ سوف نتمكن من التوصل إلى الخصائص المختلفة التى تميز المتكاملين اجتماعياً وسياسياً بالإضافة إلى مشاركتهم فى الاتصال الجمعى .

أولا : متابعة آخر الأخبار :

توضح البيانات أن ٥٥ر٥٦٪ من أفراد العينة قد ذكروا أنهم يتابعون آخر الأخبار ولقد ذكرت النسبة الغالبة من هؤلاء المتابعين ، الاتصال الجمعى وبخاصة الراديو باعتباره وسيلتهم إلى هذه المتابعة ، وحيث نلاحظ أن ٦٨ر٢٤ ٪ ممن يتابعون قد تلقوا آخر الأخبار بواسطة الراديو ، ١٢ر١٤٪ منهم تلقوها عن طريق الراديو والصحف معا ، بينما ذكر ٧٦ر١١ ٪ أنهم

تلقوا آخر الأخبار عن طريق « الأشخاص » أو الاتصال الشخصى وتوزعت النسب الباقية بين أكثر من مصدر .

وفيما يتصل بمضمون هذه الأخبار التى تلقوها، نلاحظ أن النسب الغالبة من المتابعين قد ذكرت « أخبار انعقاد مؤتمر القمة العربى » وهى تقدر بـ ٢٣ر٥٣٪ بينما ذكر ٢٣ر٥٣٪ أخباراً متصلة باحتلال إسرائيل للأراضى العربية و ١٥ر٢٩٪ كانو مهتمين بالإتفاق على حل « مشكلة اليمن » ، الذى تم فى مؤتمر القمة الذى عقد بالخرطوم وذكرت النسب الباقية أخباراً مختلفة منها ما هو محلى ومنها ما يتميز بطابع عالمى كتدمير ثلاث عشرة طائرة فى فيتنام ، أو سقوط طائرة أمريكية فى الجزائر وما إلى ذلك . مما يوضح أن إتخاذ متابعة آخر الأخبار كمقياس للتكامل الإجتماعى السياسى إجراء سليم وهو يعكس فعلا درجة التكامل ، والآن نتجه إلى تحليل خصائص الذين يتابعون الأخبار ، أو بمعنى آخر خصائص الذين حققوا درجة عالية من التكامل الإجتماعى والسياسى .

١ — متابعة آخر الأخبار والسن :

توضح البيانات أن الذين يتابعون الأخبار يميلون إلى الفئة العمرية الكبيرة ولكن دون فروق جوهرية اللهم إلا بين الفئة العمرية الثانية والثالثة ، إلا أن ذلك من المحتمل أن يكون راجعاً إلى الميل العام للعينة نحو الأعمار الكبيرة باعتبارها تضم أرباب الأسر .

٢ — المتابعة والمكانة الاقتصادية الاجتماعية :

تشير البيانات إلى أن أصحاب المكانة الاقتصادية الإجتماعية المتوسطة والمرتفعة، أكثر متابعة للأخبار إذا ما قورنوا بأصحاب المكانة المنخفضة وحيث نلاحظ أن ٤٦ر٣٠٪ فقط من أصحاب المكانة المنخفضة فى مقابل ٨٢ر١٤٪ من أصحاب المكانة المتوسطة و ٧٦ر٤٧٪ من أصحاب المكانة المرتفعة يتابعون الأخبار والفرق بين نسب الفئة المنخفضة والفئتين الأخريين فرق جوهرى مما

يشير إلى أن الذين يتابعون الأخبار ينتمون فى الغلب إلى المكانتين الاقتصاديتين المتوسطة والمرتفعة ، وأن الذين لا يتابعون ينتمون فى الغالب إلى المكانة المنخفضة .

٣ ــ المتابعة والمكانة التعليمية :

ينتمى أغلبية الذين يتابعون الأحداث إلى المكانة التعليمية المرتفعة وحيث نلاحظ أن ٣٨٫٧١٪ فقط من أصحاب المكانة المنخفضة يتابعون آخر الأخبار فى مقابل ٨٣٫٣٣٪ من أصحاب المكانة التعليمية المرتفعة، والفرق بين النسبتين فرق دال وجوهرى إلى حد كبير .

٤ ــ المتابعة والمشاركة الاجتماعية :

لا تعكس البيانات فروقاً ذات دلالة بين الذين يتابعون والذين لا يتابعون من حيث درجة المشاركة الاجتماعية وإن كانت نسبة المتابعين بين المشاركين إجتماعياً أعلى منها بين غير المشاركين فهى ٥٨٫٤٧٪ من المشاركين فى مقابل ٤٨٫٥٧/ بين غير المشاركين إلا أن الفرق بين النسبتين غير جوهرى .

٥ ــ المتابعة والمهن :

تضم المهن غير الزراعية أعلى نسبة من الذين يتابعون آخر الأخبار، وتصل هذه النسبة بين أصحاب هذه المهن إلى ٧١٫١١٪ فى مقابل ٥٪ من أصحاب المهن الزراعية ، والفرق بين النسبتين جوهرى ، وتشير هذه البيانات إلى أن أصحاب المهن غير الزراعية يحققون درجة أعلى من المتابعة ، وبالتالى من التكامل الإجتماعى السياسى إذا ما قورنوا بأصحاب المهن الزراعية .

وتشير هذه البيانات بوجه عام إلى ما يلى :

١ ــ يميل الذين يحققون درجة عالية من التكامل الإجتماعى السياسى وفقاً لمقياس متابعة آخر الأخبار إلى الإنتماء إلى مكانة إقتصادية وإجتماعية أكثر ارتفاعاً إذا ما قورنوا بغيرهم

٢ – يميل الذين يحققون درجة عالية من التكامل إلى الانتماء إلى مكانة تعليمية أكثر ارتفاعاً إذا ما قورنوا بمن لم يحققوا مثل هذه الدرجة .

٣ – يميل التكامل الاجتماعى السياسى إلى الارتباط بدرجة المشاركة الاجتماعية وإن كان هذا الارتباط ضئيلا .

٤ – ينتمى أغلب الذين يحققون درجة عالية من التكامل إلى المهن غير الزراعية بينما ينتمى أولئك الذين لم يحققوا مثل هذه الدرجة إلى المهن الزراعية .

وحتى نطمئن إلى صدق هذه النتائج سوف نناقش أيضاً المقياس الثانى الذى اتخذ كدلالة على التكامل الاجتماعى والسياسى لنلاحظ مدى اتساق هذه النتائج فى المقياس الجديد، ونعنى بهذا المقياس اتخاذ موقف سياسى واضح صريح .

ثانياً – اتخاذ موقف سياسى واضح ، أو وضوح الاتجاه السياسى :

أبدت النسبة الغالبة من أفراد العينة تعاطفاً مع الاتحاد السوفيتى (٧٠٫٥٩٪) بينما تعاطفت نسبة ضئيلة جداً مع الولايات المتحدة الأمريكية (٣٫٢٧٪) فى مقابل ٢٣٫٥٣٪ لم يحددوا موقفاً واضحاً وإنما أعطوا استجابات أخرى و ٢٫٦١٪ لم يكن لهم رأى معين .

ولقد أعطى المؤيدون للاتحاد السوفيتى تبريرات منطقية وواقعية لتعاطفهم هذا، فلقد ذكر ٩٣٫٥٢٪ منهم أن « روسيا تساعد العرب وتؤيدهم » وذكرت النسب الأخرى أسباباً تدور حول المعانى التالية : « لأن بها مسلمين » أو « لأن أمريكا تساعد إسرائيل » وهكذا .

ومن بين الأشخاص الخمسة الذين تعاطفوا مع الولايات المتحدة الأمريكية ذكر شخصان أن « أمريكا تساعدنا » وذكر شخصان آخران أن « أمريكا دولة عربية » بينما ذكر الخامس أن « روسيا شيوعية » .

ومن هنا نلاحظ باستثناء ضئيل جداً، أن اتخاذ مرقف سياسى واضح يصلح كمقياس للتكامل الاجتماعى السياسى باعتباره يشير إلى الفهم المتعاطف لما يجرى على المسرح الدولى وله صلة بالشئون القومية . ووفقاً لهذا المقياس سوف نتجه إلى خصائص الذين يحققون درجة عالية من التكامل الاجتماعى والسياسى لنرى مدى إتساق النتائج المستخلصة — باستخدام — هذا المقياس — مع النتائج المستخلصة من استخدام المقياس السابق حتى نطمئن إلى صحة النتائج .

١ — الاتجاه السياسى والسن :

لا توضح البيانات علاقة واضحة بين درجة وضوح الاتجاه السياسى أى درجة التكامل وبين السن ، وهى تشير أيضاً إلى الميل العامل للعينة — فى مجموعها — إلى الأعمار المرتفعة . ونلاحظ هنا اتساقاً بين هذه النتيجة وبين مثيلتها المتعلقة بالمتابعة والسن .

٢ — الاتجاه السياسى والمكانة الاقتصادية الاجتماعية :

بينما تضم المكانة الاقتصادية المنخفضة نسبة تصل إلى أكثر من ٣٢٪ ممن لا رأى محدد لهم ، فإن المكانة الاقتصادية الاجتماعية المتوسطة تضم نسبة ١٤٫٢٩٪ من أفرادها فى مقابل ٥٫٨٨٪ بين أصحاب المكانة المرتفعة ، والفروق بين النسبة فى المكانة الاقتصادية المنخفضة وبين مثيلتها فى المكانة المتوسطة والمرتفعة فروق جوهرية مما يشير إلى أن أصحاب الاتجاه السياسى الواضح يميلون — فى الغالب — إلى الانتماء إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية المرتفعة إذا ما قورنوا بأصحاب المكانة المنخفضة ومما هو جدير بالملاحظة أن ثلاثة أشخاص من خمسة أبدوا تعاطفاً مع أمريكا ، ينتمون إلى المكانة المرتفعة .

ومن الواضح أن هذه النتيجة متسقة مع مثيلتها فى المقياس السابق

٣ – الاتجاه السياسى والمكانة التعليمية :

تشير البيانات إلى أن هناك علاقة واضحة، بين وجود اتجاه سياسى واضح، وبين المكانة التعليمية وحيث نلاحظ أن أكثر من ٣٢٪ من الذين ينتمون إلى المكانة التعليمية المنخفضة لا اتجاه سياسى واضح لديهم فى مقابل ١٠٪ فقط ممن ينتمون إلى المكانة التعليمية المرتفعة ، والفرق بين النسبتين جوهرى . ومن الملاحظ أن هذه النتيجة أيضاً تتسق مع مثيلتها فى المقياس السابق .

٤ – الاتجاه السياسى والمشاركة الاجتماعية :

توضح البيانات أن أكثر من ٤٢٪ من غير المشاركين ليس لهم موقف سياسى واضح ومحدد فى مقابل ٢١٪ تقريباً من المشاركين ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى مما يشير إلى أن الذين يحققون درجة مرتفعة من التكامل الاجتماعى السياسى يحققون درجة مرتفعة أيضاً من المشاركة الاجتماعية، ومن الملاحظ أن هذه النتيجة تتسق مع مثيلتها فى المقياس السابق إلا أنها لم تكن على هذا المستوى من الدلالة والوضوح .

الاتجاه السياسى والمهن :

تتوزع نسب غير المتكاملين – كما يصنفهم هذا المقياس – بالتساوى تقريباً بين المهن الزراعية والمهن غير الزراعية . وتختلف هذه النتيجة عن مثيلتها فى المقياس السابق وحيث كان المقياس السابق هذا يعكس اختلافاً جوهرياً بين المتكاملين وغير المتكاملين من حيث المهن . وحيث كانت النسبة الغالبة من غير المتكاملين كما صنفهم ذلك المقياس تنتمى إلى المهن الزراعية .

ومن خلال استعراض ما توصلنا إليه من خصائص عن طريق المقاييس المستخدمة لقياس درجة التكامل السياسى والاجتماعى نلاحظ أن هناك درجة عالية من الاتفاق والاتساق بين المقياسين على النحو التالى :

١ — يوضح المقياسان أن الذين يحققون درجة عالية من التكامل الاجتماعى السياسى يميلون إلى الانتماء إلى مكانة اقتصادية اجتماعية أكثر ارتفاعاً .

٢ — يميل هؤلاء أيضاً إلى الانتماء إلى مكانة تعليمية أكثر ارتفاعاً .

٣ — كما يميلون أيضاً إلى تحقيق درجة عالية من المشاركة الاجتماعية .

٤ — تختلف النتائج فيما يتعلق بالمهن .

٥ — لم يعكس المقياسان فروقاً من حيث التوزيع العمرى، وربما رجع ذلك إلى ميل العينة المستخدمة نحو الأعمار الكبيرة .

ومن ثم فإن ما نستطيع الانتهاء إليه ونحن معتمدون على صدقة اعتماداً كبيراً أن هناك علاقة واضحة بين درجة التكامل الاجتماعى السياسى وبين المستوى الاقتصادى ، والمستوى التعليمى ، والمشاركة الاجتماعية .

وتتفق هذه النتيجة، فى أحد جوانبها مع ما توصل إليه « جوردون هيراباياشى » وفتح الله الخطيب من أن هناك ارتباطاً بين ما أسمياه المشاركة السياسية ، والمستوى التعليمى[١] . كما تتفق أيضاً مع ما قرره لويس كامل مليكة من أن « فرصة السماع عن الموضوعات الجديدة تزداد بصغر سن القروى وبازدياد اتصاله بالمركز الاجتماعى وبالمرشد الزراعى ، وبازدياد قراءته للصحف أو الاستماع لقراءتها ، وبازدياد استماعه للاذاعة ، أو امتلاكه لراديو ، وبازدياد عدد الجمعيات المحلية التى ينضم لعضويتها ، وبارتفاع مستواه الاقتصادى وبزيادة تواتر سفره خارج القرية[٢] .

إلا أننا لا نعنى بذلك ، أن هناك علاقة سببية بين هذه المتغيرات التى سقناها وبين درجة التكامل الاجتماعى السياسى ، إلا أن توافر مثل هذه المتغيرات كالمكانة الاقتصادية المرتفعة ، والمستوى التعليمى المرتفع ، والدرجة العالية من المشاركة الاجتماعية يقدم الفرص السانحة للقروى فيما يتصل بالمشاركة

---

(١) See Hirabayashi & El Khatib, op. cit.

(٢) انظر لويس كامل مليكة ، المصدر السابق .

السياسية ، ومما يوضح ذلك بجلاء أننا فى فصل سابق لاحظنا وجود علاقة قوية وواضحة بين هذه المتغيرات وبين التعامل مع وسائل الاتصال الجمعى بحيث نستطيع أن نقول إن الشخص الذى يتميز بمستوى اقتصادى ، وتعليمى مرتفع سوف تكون لديه المقدرة على الاتصال بالاتصالات الجمعية المختلفة ، مما يترتب عليه بالتالى ارتفاع درجة تكامله مع ما يدور حوله من أحداث اجتماعية وسياسية .

الفصل الرابع عشر

الإتصال والتجديد

١ – فى مجالى الاتجاهات « الاتجاه نحو تنظيم الأسرة »

٢ – فى مجـــال المشروعات الزراعية الجديدة وتبنيها وتنفيـــذها « التأمين على الماشية »

تعرض الفصل السابق إلى الدور الذى يلعبه الاتصال بأنماطه المختلفة فى تحقيق التكامل الاجتماعى السياسى بين مجتمع القرية ، والمجتمع الخارجى وحيث اعتبرنا أن التكامل هذا دليل هام وأساسى من دلائل التغير الاجتماعى على اعتبار أنه يعنى انتقال المجتمع المحلى من مجتمع مغلق محبوك العلاقات إلى مجتمع مفتوح على ما يدور حوله من أحداث . أما فى هذا الفصل فإننا بصدد فحص دور الاتصال فى مجال آخر . وهو مجال التجديد فى الاتجاهات والأفعال وهو مجال غير منفصل تماماً عما دار حوله الفصل السابق.

ومما يجدر الإشارة إليه فى هذا الفصل ، أننا لا نتصور علاقة بسيطة محدودة تربط بين الاتصال والتجديد فى مجال مفرغ أو فى مواقف مبسطة، لأننا إذا تصورنا ذلك فإننا نكون أقرب إلى النظريات الصحفية الساذجة عن تأثير الاتصال ، والبحوث التقليدية التى تركز الضوء حول حركة الرسالة بين المرسل والمستقبل ، وحول استجابة المستقبل لهذه الرسالة باعتبارها أحد المثيرات كما تركز الضوء أيضاً على الجهود التى يبذلها المرسل لتتبع مضمون الرسالة وتتبع المستقبلين باعتبارهم جمهوراً أو جمعاً لا تقوم بينهم صلات معينة بحيث إن هذه البحوث التقليدية تعد تنقيحاً مفصلا لعبارة أرسطو الشهيرة فى كتابه الخطابة ، والتى مؤداها أنه « طالما أن الخطابة قد وجدت لتؤثر فى اتخاذ القرارات فإن على الخطيب ألا يحاول فقط توضيح برهان حديثه ، وتقديمه فى صورة قابلة للتصديق ، وإنما عليه أيضاً أن يجعل شخصيته الذاتية تبدو على حق ، أو تبدوا منطقية وأن يضع مستمعيه — الذين لهم أن يقرروا فى الوضع العقلى ، والمنطق الصائب » [1] .

أما البحوث الحديثة — وهى التى فى جملتها توجه هذه الدراسة — والتى أجريت أخيراً عن تأثيرات الاتصالات فأوضحت أنه ليست هناك

---

(١) انظر ما سبق .

علاقة مباشرة وبسيطة بين الاتصال والتأثير ، وتتمثل قيمة البحوث الحديثة فى إثارتها لقضايا هامة حول طبيعة هذه العلاقة ، كما أوضحت الحاجة إلى تعديل المعالجة التقليدية التى كانت تركز الضوء كلية على الفعل البسيط لعملية الاتصال من المرسل إلى المستقبل . وتنبه البحوث الحديثة هذه إلى وضع العمليات التى تحدث فى مجال التفاعل الاجتماعى والذى يعد المرسل والمستقبل أجزاء من مكوناته تنبه — إلى وضع هذه العمليات موضع الاعتبار .

ولقد أوضح « لازارسفلد » و « ميرتون » أن « الدعاية لن تحدث الاستجابة المتوقعة إذا لم تتطابق ، أو تتوافق مع الحاجات السيكلوجية للجمهور[١] » .

كما يشير « برنارد بيرلسون » أيضاً إلى أن الدعاية لا تتخذ طريقاً مباشراً من المصدر إلى المستقبل لأن الحاجات الأولية للمستقبل متضمنة أيضاً فى الموقف[٢]، أى أن حاجات المستقبلين ودوافعهم وإدراكهم ينبغى أن توضع موضع الاعتبار . ومن خلال تطور علم النفس الاجتماعى وديناميات الجماعة أمكن إثراء نظرية الاتصال والتأثير بمفاهيم كالموقف والجماعة المرجعية . وتركز نظرية الجماعة المرجعية هذه على العمليات التى « ينتمى الناس من خلالها إلى جماعات ويرجعون بسلوكهم إلى هذه الجماعات[٣] فالجماعة لا تقدم معياراً للسلوك فقط وإنما هى — أبعد من ذلك — تعلم الفرد قيمها الخاصة وتصوغ قيم الفرد وفقاً لمعتقدات الجمعية ومنذ بدأ استخدام هذه النظرية ، وتطبيقها فى مجال الاتصال وجد أنه من المفيد تصنيف الأفراد وفقاً لانتمائهم إلى فئات اقتصادية ، وتعليمية وعضوياتهم فى الجماعات المختلفة وأعمارهم داخل المجتمع الكبير ، على اعتبار أن الفرد لا يتأثر بمضمون الاتصال وهو بمعزل عن مثل هذه المتغيرات .

---

(١) Merton, Social Theory and Social Structure p. 519,

(٢) Berelson "Communication and Public Opinion" op. cit

(٣) Merton and Kitt "Contributions to the Theory of Reference Group Behavior" op. cit.

والأهم من ذلك أن استخدام نظرية الجماعة المرجعية قد مهد الطريق أمام اكتشاف البناء الاجتماعى الذى يكمن وراء التباين الكبير فى استيعاب الأفراد واستجاباتهم لرسائل الاتصال ، فغالباً ما يقرر الفرد أن يشترى شيئاً أو يدلى بصوته لصالح مرشح معين ، أو يشاهد برامج تليفزيونية أو يتبنى مهارة زراعية جديدة ، أو ينفذ مشروعاً ما وهو متأثر بأناس يثق بهم بالإضافة إلى أن إدراكه واستيعابه ، واقتناعه تشكل جزءاً من نمط تفاعلات مع أعضاء الجماعة .

وبتركيز الضوء على وضع المستقبل فى إطار ذلك النمط أضاءت نظرية الجماعة المرجعية الطريق لتطوير نظرة سسيولوجية أكثر رحابة ، كما أوضحت تبعاً لذلك أن العلاقة بين الاتصال والتأثير ليست على هذه الدرجة من البساطة . مما يمكن من القول أن النظرية السسيولوجية للتأثير قد أوضحت بجلاء أن الناس يتأثرون بمضمون الاتصال ويقتنعون به بالنظر إلى الجماعات المختلفة التى ينتمون إليها سواء كانت هذه الجماعات تصنيفية كجماعات العمر والمكانة الاقتصادية الاجتماعية والمكانة التعليمية ، والعضويات الرسمية ، والجماعات المهنية . أو كانت جماعات أولية تلقائية بالإضافة إلى عدد من المتغيرات السيكلوجية الهامة كالذكاء والدافعية والتحصيل ، والمرونة ، والصلابة وغير ذلك .

ونحن فى هذه الدراسة التى تتعلق بدور الاتصال فى تعديل بعض الاتجاهات كتنظيم الأسرة ، وفى تبنى بعض التجديدات كمشروع التأمين على الماشية ، إنما نسير ونحن مسلحون بهذه النظرية السسيواوجية الرحبة بمعنى أننا نرجح أن الاتصال ومضمونه ما هو إلا عنصر واحد من مكونات موقف اجتماعى معقد يضم جوانب سيكلوجية واجتماعية واقتصادية مختلفة ووفقاً لذلك فإننا نفترض بادئ ذى بدء أن الناس يختلفون فى تأثرهم بمضمون الاتصال وفقاً لاختلافهم فى انتماءاتهم الجماعية المختلفة كالعمر والمكانة

الاقتصادية الاجتماعية والمكانة التعليمية والمشاركة الاجتماعية والمهن وغير ذلك أى أن الاتصال لا يقود فوراً وبطريقة مباشرة إلى تبنى تجديدات معينة واستخدامها وإنما هو يمارس دوره بالتضافر مع تلك العوامل السابقة .

وانطلاقاً من هذه النظرية السسيولوجية نسير فى هذا الفصل نحو تحليل مفصل لديناميات عملية التأثير فى مجالين مختلفين إلى حد ما يتمثل الأول فى مجال تجديد اجتماعى كمشروع تنظيم الأسرة يتطلب تقبله وتنفيذه نوعاً من التعديل والتغيير فى الاتجاهات القديمة المرتبطة به أما الثانى فيتمثل فى تجديد زراعى بسيط وهو مشروع التأمين على الماشية وسوف نتحدث عن كل من هذين المجالين بالتفصيل إلا أننا ينبغى أن نشير فى البداية إلى الافتراض الذى مؤداه أن المجددين وغير المجددين فى هذين المجالين لا يختلفون فقط من حيث استقبالهم لرسائل الاتصال ، ودرجة انفتاحهم على العالم ، وإنما هم يختلفون أيضاً وفقاً للمتغيرات التالية : —

١ — السن

٢ — المكانة الاقتصادية الاجتماعية .

٣ — المستوى التعليمى ، أو المكانة التعليمية .

٤ — المشاركة الاجتماعية .

٥ — المهن .

بالإضافة إلى أنهم قد يختلفون أيضاً من ناحية عدد من المتغيرات السيكلوجية الهامة كالذكاء ، والتحصيل ، والدافعية ، وجمود الشخصية أو مرونتها . إلا أننا سوف نكتفى بتحليل المتغيرات الاجتماعية على أن تظل المتغيرات السيكلوجية ماثلة كقضية جديرة بالبحث والدراسة متى توافرت الإمكانيات لذلك .

وينبغى أن نشير أيضاً إلى أننا لم نقم بصياغة الافتراض السابق الذكر مرتكزين على النظرية السسيولوجية فقط وإنما صغناه ونحن مدعومون بتراث

ضخم من نتائج البحوث التى أجريت فى مجال انتشار التجديدات وتبنيها ويشير هذا التراث بوجه عام إلى ما يلى : —

١ — من حيث السن :

يميل المجددون أو مستقبلو المشروعات الجديدة ومنفذوها إلى أن يكونوا أصغر سنًّا من غير المجددين . وحيث تبين معظم الدراسات أن الأعمار الصغيرة مرتبطة بالميل إلى التجديد إلا أن عدداً محدوداً من هذه الدراسات لم يجد هذا الارتباط دالا أو جوهريًّا بينما ترصل عدد محدود جدًّا إلى ارتباط التجديد بالأعمار الكبيرة أى أن البرهان العام يوضح ارتباط التجديد بالأعمار الصغيرة .

٢ — من حيث المكانة الاجتماعية :

تنتهى معظم البحوث أيضاً إلى أن المجددين أرفع مكانة اجتماعية من غير المجددين ولكن يجب أن نلاحظ أن العلاقة الموجبة بين المكانة الاجتماعية ، وبين الميل إلى التجديد قد تعتمد — فى بعض الأحيان — على العنصر الجديد نفسه .

٣ — المكانة التعليمية :

وتربط بعض البحوث، الميل إلى التجديد بالتعليم كأحد أبعاد المكانة الاجتماعية ولقد وجدت جميع الدراسات التى عرضت سابقاً — تقريباً — أن الميل إلى التجديد مرتبط بالمستوى التعليمى .

٤ — المكانة الاقتصادية :

انتهت معظم البحوث إلى أن المجددين أكثر ارتفاعاً فيما يتعلق بالمستوى الاقتصادى إذا ما قورنوا بغير المجددين ، ولكن يجب أن يكون من الملاحظ أنه بينما يرتبط الميل إلى التجديد بالعوامل الاقتصادية ارتباطاً عالياً إلا أنه لوحظ أن بعض من ينتمون إلى مكانات اقتصادية مرتفعة لا يميلون إلى التجديد .

٥ ــ القدرة العقلية :

توصلت كثير من البحوث إلى أن الميل إلى التجديد يرتبط بالقدرة العقلية المرتفعة، بالقياس إلى أعضاء المجتمع الآخرين حيث لوحظت بعض العلاقات بين الميل إلى التجديد ونسب الذكاء والقدرة على التعامل مع المجردات ، كما تشير بعض الدراسات أيضاً إلى أن المجددين يسجلون درجات أقل على مقياس للجمود أو التصلب .

٦ ــ من حيث السلوك الاتصالى :

لوحظ بوجه عام أن المجددين أكثر انفتاحا على العالم ، وأكثر اتصالا بأنماط الاتصال المختلفة ، أى أنهم غالباً ما يحصلون على المعلومات من مصادرها الأولية أوهم يستخدمون مصادر المعلومات وثيقة الصلة بالمصادر الأصلية للأفكار الجديدة، بالإضافة إلى أنهم متعددو المصادر أى يحصلون على المعلومات من مصادر مختلفة ، وهنا تلعب الاتصالات الجمعية والرسمية بوجه عام الدور الرئيسى فى مرحلة المعرفة بالموضوع أو الوعى بالتجديد أما الاتصالات الشخصية فتلعب الدور الرئيسى فى مرحلة تقييم المشروعات الجديدة وتبنيها وتنفيذها .

إلا أنه يجب أن نضع فى الاعتبار أن هذه النتائج ربما كانت ذات طبيعة خاصة نظراً للاعتبارين التاليين : ــ

١ ــ أجريت أغلب الدراسات التى توصلت إلى هذه النتائج فى مجال تبنى التجديدات الزراعية كالأساليب الزراعية الحديثة ، أو التقاوى المنتقاة ، أو المشروعات الجديدة للتنمية الحيوانية التى يقوم بتخطيطها والدعاية لها مؤسسات الإرشاد الزراعى المختلفة ، وهى بالتالى لم تتعرض إلا فى جانب يسير جداً ومحدود لتقبل التجديدات ذات الطابع غير الزراعى .

٢ ــ إنها أجريت فى مجتمعات محلية غير تقليدية، أو تتميز بمواصفات خاصة كالمزارع فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أو القرى الأوربية ،

إلا أن هناك عدداً منها قد أجرى بالفعل فى مجتمعات تقليدية كالقرى الهندية ، أو مجتمعات أمريكا اللاتينية التقليدية .

ونظراً لهذين الاعتبارين كان من الضرورى أن تختبر مثل هذه النتائج فى مجتمع قروى تقليدى من ناحية، وأن تشمل مجالات تجديد زراعية وغير زراعية من ناحية أخرى ، ومن هنا فإننا ننتهى إلى أن هذا الفصل يسعى إلى اختبار النظرية السسيولوجية للاتصال والتأثير فى مجال اجتماعى هو تنظيم الأسرة ، ومجال زراعى هو التأمين على الماشية فى قرية مصرية .

أولا : المجال الاجتماعى : الاتجاه نحو تنظيم الأسرة

الاتجاه نحو تنظيم الأسرة اتجاه مركب يضم بين جوانبه تراثاً اجتماعيا عريض ومتراكم من القيم الاجتماعية ، والاقتصادية والدينية التى تسيطر على المجتمع القروى ، ومن هنا فإنه يختلف اختلافا كبيراً عن فعل بسيط أو ممارسة محدودة كالتأمين على الماشية ، أو التلقيح الصناعى . ويترتب على ذلك أن الأمر يتطلب استكشاف طريق دراسته قبل السير فيه بواسطة التعرف على بعض الجوانب والقيم والآراء المرتبطة بمثل هذا الاتجاه .

لقد سمعت النسبة الغالبة من أفراد العينة بموضوع تنظيم الأسرة ونجحت الاتصالات المختلفة فى نقل هذا المضمون واضحاً وغير محرف إلى القرويين ولكن عددا محدودا — فقط ممن سمعوا بالموضوع هم الذين حاولوا تنفيذه أو تجربته وحيث أجاب ثمانية وأربعون من أفراد العينة البالغ عددها مائة وثلاثة وخمسون شخصا من أرباب الأسر رداً على سؤال مؤداه « يا ترى حاولت انته والست بتاعتك أنكم تقللوا الخلفة » بالإيجاب وتبدوا النسبة مرتفعة إلى حد ما إلا أننا ينبغى أن نضعها فى حدود السؤال الذى تساءل عن « المحاولة » والمحاولة قد لا تعنى « الاستمرار » وبعد ذلك قمنا بتصنيف

الذين حاولوا فى مقابل الذين لم يحاولوا . واتخذنا المجموعة التى حاولت ممارسة هذا المشروع الجديد بوصفها مجموعة تمثل موقفاً تجريبيا بينما تمثل المجموعة التى لم تحاول موقفاً ضابطاً على اعتبار أن المجموعة الأولى تضم المجددين بينما تضم المجموعة الثانية المحافظين .

ثم قمنا بعقد مقارنة بين المجموعتين من الزاويتين التى تضعهما النظرية السسيولوجية فى الاتصال موضع الاعتبار ونعنى بهما ما يلى : —

١ — المتغيرات الاجتماعية المتضمنة فى الموقف كالسن ، والدخل ، والمستوى التعليمى والمشاركة الاجتماعية ، والمهن .

٢ — السلوك الاتصالى ، أو درجة التعرض للاتصالات المختلفة ، أو درجة الانفتاح على العالم .

ونظراً لأن ممارسة تنظيم الأسرة تمثل تجديداً فى مجال اجتماعى معقد، فإنه يعنى أيضاً نوعا من التعديل أو التغيير الذى طرأ على اتجاه قديم ولذلك فإننا سوف نبدأ بعملية استكشاف للأبعاد القيمية التى قد تكون متضمنة فى هذا الاتجاه ، ولقد حاولنا الاستدلال على بعض هذه الأبعاد القيمية عن طريق دراسة لرأى القروى فى محددات المكانة الاجتماعية فى القرية ، ومحكات « الانبساط فى المعيشة ، والرأى فى السن المناسبة لزواج كل من الفتى والفتاة ، والسن المناسبة للانجاب ، وعدد الأبناء المناسب ، كل ذلك بطريقة مقارنة بين مجموعة الموقف التجريبى « المجددين » ومجموعة الموقف الضابط « غير المجددين » .

ونعتقد أنه بهذه الطريقة سوف نصل إلى فهم واضح للأبعاد الحقيقية التى تشكل موقف الاته ال وديناميات التأثير فى اتجاه اجتماعى مركب .

أولا — المقارنة بين المجموعتين وفقاً لبعض الأبعاد القيمية :

١ — نظرة كل من المجموعتين إلى محددات المكانة الاجتماعية فى القرية :

يكاد يجمع أفراد كل من المجموعتين التى مارست تنظيم الأسرة والتى لم تمارس على قيم بعينها باعتبارها تشكل المكانة الاجتماعية للقروى فى

مجتمعه وحيث يذكر « التقوى والتدين » ٢٥ر٨١٪ من أفراد المجموعة التجريبية فى مقابل ٩٠ر٨١٪ من أفراد المجموعة الضابطة . ومن الواضح أنه ليس هناك فروق تذكر من هذه الزاوية ، وتتوزع باقى النسب دون فروق جوهرية على محددات أخرى مثل « المال » و « الوظيفة » و « الأبناء» ثم أكثر من محدد ، إلا أن الشخصين اللذين ذكرا « الأبناء » ينتميان إلى المجموعة الضابطة مما يوضح أنه لا فرق يذكر بين أفراد المجموعتين من حيث نظرتهما إلى محددات المكانة الاجتماعية فى القرية بالإضافة إلى أن هذه البيانات تشير إلى سيطرة المحددات الدينية والأخلاقية للمكانة .

٢ — نظرة كل من المجموعتين إلى محكات « الانبساط فى المعيشة » :

نلاحظ أيضاً من البيانات المتعلقة بذلك أنه ليس هناك فروق جوهرية بين المتغيرات التى ذكرها أفراد كل من المجموعتين وحيث نلاحظ أن « الصحة » تحتل المرتبة الأولى بين المجموعتين ، وحيث نلاحظ أيضاً أن أى من أفراد المجموعتين لم يذكر « الأولاد » كمحك مستقل « للانبساط » فى المعيشة ، وتوزعت النسب الباقية على أكثر من محك . ومما هو جدير بالملاحظة أن محك « المال والصحة والأولاد » يلقى تأييداً أكبر من أفراد المجموعة الضابطة ولكن دون فروق جوهرية بينما يلقى محك « المال والصحة» تأييداً أكبر من أفراد المجموعة التجريبية دون فروق جوهرية أيضاً . مما يشير إلى أنه ليست هناك اختلافات حادة أو جوهرية بين المجددين وغير المجددين من زاوية نظرتهم إلى « محكات الانبساط فى المعيشة » .

٣ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً لعمق العاطفة ، أو القيم الدينية :

من الصعوبة بمكان قياس عمق العاطفة الدينية باعتبارها مسألة ذاتية بحتة يصعب الاستدلال عليها بمظاهر السلوك الخارجى ، إلا أننا اتخذنا من أداء فريضة الصلاة مقياساً إجرائياً بحتاً قد يشير إلى عمق هذه العاطفة ، وحينما تم عقد مقارنة بين المجموعتين وفقاً لهذا المقياس كانت النتيجة غير متوقعة تماماً ، وحيث إنه من الشائع أن تنظيم الأسرة قد لا يتفق فى

بعض جوانبه مع الدين ، ولذلك كان المتوقع أن تحقق المجموعة التجريبية درجة أقل من الولاء الدينى إذا ما قورنت بالمجموعة الضابطة ، إلا أن البيانات تشير إلى عكس ذلك تماماً ، وبفروق جوهرية ، وحيث نلاحظ أن ٨٣ر٩٥٪ من المجموعة التجريبية يمارسون الصلاة دائماً فى مقابل ٣٩ر٧٢٪ من أفراد المجموعة الضابطة ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى كما أن ١٧ر٤٪ من أفراد المجموعة التجريبية يمارسون الصلاة أحياناً فى مقابل ٩٥ر٢٠٪ والفرق جوهرى أيضاً، بينما ينتمى أولئك الذين لا يؤدون الصلاة جميعاً — وعددهم ستة أشخاص إلى المجموعة الضابطة وهم يمثلون ٧١ر٥٪ من أفرادها .

ويمكن أن نرجع هذه النتيجة إلى عاملين على النحو التالى :

١ — احتمال فشل هذا المقياس فيما يتصل بالدلالة على عمق العاطفة الدينية .

٢ — احتمال نجاح مضامين الاتصالات المختلفة فى إبراز الحقيقة التى مؤداها أن الدين فى جوهره — لا يقف عائقاً أمام التخطيط الاقتصادى للأسرة .

وإزاء ذلك يصعب الحسم برأى معين .

٤ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للرأى فى السن المناسبة لزواج الإناث :

توضح البيانات أن آراء المجموعة التجريبية تميل عموماً إلى الموافقة على السن المتأخرة نسبياً إذا ما قورنت بآراء المجموعة الضابطة التى تميل إلى الموافقة على الزواج فى سن صغيرة نسبياً . وحيث توضح هذه البيانات أن ٥٢ر٤٧٪ من أفراد المجموعة التجريبية تميل إلى أن يكون من الفتاة أكثر من ثمانية عشر عاماً فى مقابل ٦٢ر٢٧٪ من أفراد المجموعة الضابطة ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى ، وحيث نلاحظ أيضاً أن ٢٥ر٦٪ فقط من أفراد المجموعة التجريبية يميلون إلى تأييد زواج الفتاة فى عمر

أقل من ستة عشر عاماً فى مقابل ١٤ر١٧٪ من أفراد المجموعة الضابطة والفرق بين النسبتين يكاد يكون جوهرياً مما يشير بوجه عام إلى وجود درجة لا بأس بها فى الاتساق بين الرأى ، والفعل ، وبالتالى فإنه من الممكن أن يتخذ الرأى — بتحفظ — للاشارة إلى الإتجاه الحقيقى .

٥ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للرأى فى السن المناسبة لزواج الذكور :

تشير البيانات إلى أن هناك ميلا — أيضاً — بين أفراد المجموعة التجريبية إلى الموافقة على الأعمار المتأخرة نسبياً إذا ما قورنت بالمجموعة الضابطة ، يتسق مع ما يتعلق بالسن المناسبة لزواج الإناث ويعكس ذلك أن ٨ر٣٣٪ من أفراد المجموعة التجريبية يوافقون على زواج الفتى فيما بين ٢٠ — ٢٢ عاماً فى مقابل ٩٥ر٢٠٪ من أفراد المجموعة الضابطة ، والفرق بين النسبتين يكاد يكون جوهريا ، وهو يشير بالتالى إلى أن الذين يشكلون المجموعة الضابطة يؤيدون — فى الغالب — إتمام الزواج فى سن صغيرة ، وباعتبارهم يحاولون ممارسة تنظيم النسل فإن ذلك يعكس أيضاً درجة من الاتساق بين الرأى والفعل .

٦ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للرأى فى الوقت المناسب للانجاب بعد الزواج :

توضح البيانات أن النسبة الغالبة من أفراد المجموعة الضابطة يفضلون الشروع فى الإنجاب فور الزواج ، وحيث تصل هذه النسبة إلى ٤٨ر٧٠٪ منهم فى مقابل ٨٣ر٢٠٪ من أفراد المجموعة التجريبية والفرق بين النسبتين فرق جوهرى ، وتظهر البيانات — عموماً — أن أفراد المجموعة التجريبية يميلون إلى التأجيل فى الإنجاب إذا ما قورنوا بأفراد المجموعة الضابطة ، والفروق بينهم دالة وجوهرية فى جميع المتغيرات الواردة مما يشير أيضاً إلى الاتساق الموجود بين الرأى والفعل من ناحية ، ويشير إلى صدق الاستجابات من ناحية أخرى ويطمئن على أن هذه الاستجابات كانت استجابات حقيقية ، وليست اجتماعية المقصود بها أن تتفق مع توقعات الباحث ، أو سياسة الدولة .

٧ ــ المقارنة بين المجموعتين وفقاً لآرائهم فى عدد الأبناء المناسب :

تشير البيانات إلى أنه ليست هناك فوارق جوهرية بين المجموعتين ــ تقريباً ــ فيما يتصل بالعدد المناسب من الأبناء ، إلا أنه بينما ذكرت نسبة ٣٨ر١٢٪ من أفراد المجموعة الضابطة استجابة « اللى يجيبه ربنا » نجد أن أيًّا من أفراد المجموعة التجريبية لم يذكر مثل هذه الاستجابة والفرق هنا فرق جوهرى مما يشير إلى أنه بينما ليست هناك فوارق حادة فى هذا الصدد إلا أنه يسود بعض أفراد المجموعة الضابطة نزعة اتكالية غير موجودة بين أفراد المجموعة الضابطة . إلا أنه ينبغى أن نشير إلى أنها نزعة طفيفة جداً ، وكان من المتوقع أن تكون أكبر حجماً من ذلك مما يشير إلى بعض التغيرات التى طرأت نتيجة لتحول مثل هذا المجتمع التقليدى بواسطة زيادة انفتاحه على العالم الخارجى الذى يبتدئ من المشاركة فى الاتصالات المختلفة .

ثانياً : المقارنة بين المجموعتين وفقاً لعدد من المتغيرات الاجتماعية :

١ ــ المقارنة بين المجموعتين وفقاً للسن :

يبلغ متوسط عمر أفراد المجموعة التجريبية ٦ر٤٠ عاماً بانحراف معيارى قدره ٦ر٧ بينما يصل متوسط عمر أفراد المجموعة الضابطة إلى ٠٤ر٤٤ عاماً بانحراف معيارى قدره ٠٠ر١٣ .

وعند فحص الفرق بين المتوسطين بواسطة اختبار «ت» T. Test كانت قيمة ت = ٧ر١ وبالكشف عن هذه القيمة فى جدول « ت » عند درجة حرية أكثر من ١٥٠ تبين أنها غير دالة عند نسبة احتمال ٠٥ر أو ٠١ر إلا أنها ذالة عند نسبة احتمال ١٠ر مما يدعونا إلى التحفظ فى القول بأن المجموعة التجريبية أصغر عمراً من المجموعة الضابطة إلا أن هذه الفروق غير الدالة ربما تعود إلى أن الأعمار بين أفراد العينة الكلية يميل إلى الكبر [١] .

(١) $ت = \frac{م_1 - م_2}{\sqrt{\left(\frac{ن_1 ع_1^2 + ن_2 ع_2^2}{ن_1 + ن_2 - 2}\right)\left(\frac{1}{ن_1} + \frac{1}{ن_2}\right)}}$

انظر السيد محمد خيرى ، المصدر السابق ص ٣٥٧ .

٢ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للدخل:

يبلغ متوسط دخل أفراد المجموعة التجريبية ٥ر١٣٤ جنيهاً بانحراف معيارى قدره «١٣٠» بينما يبلغ متوسط دخل المجموعة الضابطة ٤٢ر٧٦ جنيهاً بانحراف معيارى قدره ٨٥ ، وباستخدام اختبار « ت » لقياس دلالة الفروق بين المتوسطين تبين أن قيمة « ت » تصل إلى ٣ر٣ وبالكشف عن هذه القيمة فى جدول « ت » عند درجة حرية أكثر من « ١٥٠ » تبين أنها دالة عند نسبة احتمال ٠١ر مما يشير إلى أن هناك فروقاً حادة فى الدخل بين كل من المجموعتين ، ويشير بالتالى إلى أن أفراد المجموعة التجريبية « المجددون » يرتفعون ارتفاعاً دالا وجوهريا من حيث المستوى الاقتصادى إذا ما قورنوا بأفراد المجموعة الضابطة .

ومما هو جدير بالملاحظة أن للمستوى الاقتصادى أو البعد الاقتصادى للمجال الاجتماعى تأثيراً ضخماً وحاسماً فى غيره من الأبعاد فهو قد يشير إلى المكانة الإجتماعية كما يشير أيضاً إلى المكانة التعليمية ، أى أن المستوى الاقتصادى بتعبير آخر يحدد الكثير من المتغيرات الاجتماعية الأخرى .

٣ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للمستوى التعليمى :

تشير البيانات إلى اختلاف حاد وجوهرى بين المجموعتين من حيث المستوى التعليمى ، وحيث نلاحظ ارتفاعاً ملموساً فى جانب المجموعة التجريبية مقابلا بانخفاض ملموس فى جانب المجموعة الضابطة ، فنسبة الأميين بين أفراد المجموعة التجريبية لا تتعدى ١٦ر٢٩٪ يقابلها ٩٥ر٦٠٪ من بين أفراد المجموعة الضابطة والفرق بين النسبتين فرق جوهرى . وتصل نسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة بين أفراد المجموعة التجريبية إلى ٠٨ر٥٢٪ فى مقابل ٧٦ر٢٤٪ من أفراد المجموعة الضابطة والفرق بين النسبتين فرق جوهرى أيضاً ، وبينما نلاحظ أن هناك حوالى ٨٪ من أفراد المجموعة التجريبية حاصلون على شهادات تعليمية نلاحظ أيضاً أنه يقابلهم أقل من

٥٪ من أفراد المجموعة الضابطة دون فروق جوهرية . مما يشير إلى أن أفراد المجموعة التجريبية أكثر ارتفاعاً — من حيث المستوى التعليمى — إذا ما قورنوا بأفراد المجمرعة الضابطة ، وهو ارتفاع حقيقى وليس راجعاً للصدفة .

٤ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً لدرجة المشاركة الاجتماعية :

نلاحظ من البيانات المتعلقة بهذا الموضوع أن المجموعة التجريبية بوجه عام تحقق درجة أعلى من المشاركة الاجتماعية إذا ما قورنت بالمجموعة الضابطة فهى تضم ١٢,٥ ٪ من أفرادها من غير المشاركين اجتماعيا أو الذين لاينتمون لأى جماعة فى مقابل ٢٧,٦١ ٪ من أفراد المجموعة الضابطة والفرق بين النسبتين يكاد يكون دالا (ن . ج = ١,٨) كما تحقق المجموعة التجريبية أيضاً درجة عالية من المشاركة فى جماعتين وهما الجمعية التعاونية الزراعية والاتحاد الاشتراكى ، وحيث نلاحظ أن ٥٠,٠٠٪ من أعضائها مشتركون فى هاتين الجماعتين فى مقابل ٢٩,٥٢٪ من المجموعة الضابطة ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى مما يشير إلى أن المجددين فى مجال تنظيم الأسرة أعلى من حيث درجة المشاركة الاجتماعية إذا ما قورنوا بغير المجددين .

٥ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للمهن :

تشير البيانات إلى أن التوزيع المهنى متساو تقريباً بين المجموعتين وفقاً للمهن المختلفة إلا أن نسبة العمال الزراعيين بين المجموعة التجريبية أقل من مثيلتها بين المجموعة الضابطة فهى تصل فى الأولى إلى ١٦,٦٦ ٪ بينما تصل فى الثانية إلى ٣٣,٣٣٪ والفرق بين النسبتين فرق جوهرى بالإضافة إلى أن نسبة أبناء المهن غير الزراعية ترتفع قليلا فى المجموعة التجريبية إذا ما قورنت بالمجموعة الضابطة فهى فى الأولى ٢٠,٨٣ ٪ بينما هى فى الثانية ١٥,٢٤٪ إلا أن الفرق بين النسبتين فرق غير جوهرى .

وتشير هذه البيانات بشكل عام إلى أن المجددين يميلون أكثر من غيرهم إلى الانتماء إلى المهن غير الزراعية بينما يميل غير المجددين — فى المجال

الاجتماعى – إلى الانتماء إلى المهن الزراعية بوجه عام وإلى مهنة « العمالة الزراعية » بوجه خاص .

ثالثاً : المقارنة بين المجموعتين وفقاً للنشاط الاتصالى أو « الانفتاح على العالم »

١ – المقارنة بين المجموعتين وفقاً لقراءة الصحف والمجلات أو الاستماع لقراءتها :

توضح البيانات أن المجموعة التجريبية تضم نسبة قليلة من الأميين ، إذا ما قورنت بالمجموعة الضابطة ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى مما يشير إلى أن المؤهلين لقراءة الصحف يرتفعون فى المجموعة التجريبية إذا ماقورنت بالمجموعة الضابطة ، ومن حيث الانتظام فى قراءة الصحف نلاحظ أن المجموعة التجريبية أكثر انتظاماً فى هذا النشاط إذا ما قورنت بالمجموعة الضابطة وحيث تضم الأولى ٢٠,٨٣٪ من أفرادها من المنتظمين فى هذا النشاط فى مقابل ٧,٦٢ من أفراد المجموعة الضابطة ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى ، كما أن المجموعة التجريبية تضم أيضاً نسبة مرتفعة من الذين يمارسون هذا النشاط أحياناً . وحيث تصل هذه النسبة إلى ٣١,٢٥٪ من أفرادها فى مقابل ١٦,١٩٪ من أفراد المجموعة الضابطة والفرق بين النسبتين يكاد يكون جوهريا (ن . ح = ١,٩) .

وتشير البيانات إلى أن المجددين فى هذا المجال الاجتماعى الذين يتمثلون فيمن حاولوا ممارسة ضبط النسل أكثر ممارسة لنشاط قراءة الصحف إذا ما قورنوا بغير المجددين والفرق بينهما فى هذا المجال فرق جوهرى .

كما تشير البيانات أيضاً إلى أن أفراد المجموعة التجريبية يمارسون قراءة المجلات بنسب أعلى من ممارسة المجموعة الضابطة لهذا النشاط ، فنسبة من يقرأونها أحياناً تصل بين المجموعة التجريبية إلى ٢٥,٠٠٪ من أفرادها فى مقابل ٨,٥٧٪ بين أفراد المجموعة الضابطة ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى .

ومن حيث المقارنة بين أمى المجموعتين وفقاً لمتغير « الاستماع إلى قراءة الصحف من آخرين » نلاحظ أن أمى المجموعة التجريبية أكثر ممارسة لهذا النشاط إذا ما قورنوا بأمى المجموعة الأولى . فالذين يمارسون هذا النشاط كثيراً أو أحياناً بين المجموعة التجريبية تصل نسبتهم إلى ٥٠٪ فى مقابل ١٢,٥٪ بين أفراد المجموعة الضابطة والفرق بين النسبتين عالى الدلالة .

وتشير هذه البيانات بشكل عام إلى أن المجددين فى مجال اجتماعى كتنظيم الأسرة أكثر ممارسة للنشاط الاتصالى الصحفى سواء الأميين أو غير الأميين منهم ، ويرتبط ذلك بمستواهم التعليمى المرتفع الذى يمكنهم بالتالى من ممارسة مثل هذا النشاط .

٢ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للاستماع إلى الراديو :

تشير البيانات إلى أن أفراد المجموعة التجريبية أكثر انتظاماً فى الاستماع إلى الراديو إذا ما قورنوا بأفراد المجموعة الضابطة ، وحيث تصل نسبة المنتظمين فى هذا النشاط بينهم إلى ٨٣,٣٣٪ فى مقابل ٥٣,٣٣٪ من أفراد المجموعة الضابطة والفرق بين النسبتين فرق جوهرى . ولذلك فإننا نلاحظ ارتفاع نسبة الذين يمارسون هذا النشاط أحياناً بين أفراد المجموعة الضابطة ، ومما هو جدير بالملاحظة أن جميع الأشخاص الذين لا يمارسون مثل هذا النشاط إطلاقاً ينتمون إلى المجموعة الضابطة مما يشير إلى أن المجددين الذين نشير إليهم بالمجموعة التجريبية أكثر ممارسة لنشاط الاستماع الإذاعى من غير المجددين .

وفيما يتعلق بمكان الاستماع نلاحظ أن غالبية أفراد المجموعة التجريبية يملكون أجهزة راديو بالمنزل مما ييسر لهم فرصة الانتظام فى الاستماع وهم يتفوقون فى ذلك تفوقاً جوهريا عن المجموعة الضابطة ، وحيث نلاحظ أن ٨٣,٣٣٪ من أفراد هذه المجموعة يملكون هذه الأجهزة فى مقابل ٦٠,٤٢٪ من أفراد المجموعة الضابطة حيث تعوض هذه الأخيرة ذلك بالاستماع لدى جيران أو أصدقاء أو أقارب .

ومما يلاحظ أيضاً أن أفراد المجموعة التجريبية « المجددين » يحققون درجة أعلى من الاستماع إلى إذاعات خارجية إذا ما قورنوا بأفراد المجموعة الضابطة ، وحيث ذكر نسبة ٧٥٪ من أفراد المجموعة التجريبية أنهم لا يستمعون إلى إذاعات خارجية فى مقابل ٨٤,٤٤٪ من أفراد المجموعة الضابطة إلا أن الفرق بين النسبتين ليس فرقاً جوهريا .

وتشير هذه البيانات بوجه عام إلى أن الذين حاولوا ممارسة ضبط النسل أكثر ممارسة لنشاط الاستماع الإذاعى الذى تتيحه لهم ملكيتهم لأجهزة الراديو ، وهم يتفوقون فى ذلك النشاط عن الذين لم يحاولوا ، وهم كذلك أيضاً أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى للمجتمع القومى ، ويتمثل هذا الانفتاح فى النسبة المرتفعة نسبيا للذين يستمعون إلى إذاعات خارجية .

٣ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للتردد على السينما وحجم هذا التردد :

بينما تصل نسبة الذين يترددون على السينما بين أفراد المجموعة التجريبية إلى ٥٢,٠٨٪ فإنها تصل بين أفراد المجموعة الضابطة إلى ١٦,١٩٪ والفرق بين النسبتين مرتفع الدلالة . مما يشير إلى أن أفراد المجموعة التجريبية « المجددين » أكثر ممارسة لنشاط التردد على السينما إذا ما قورنوا بأفراد المجموعة الضابطة « غير المجددين » .

وفيما يتصل بحجم التردد هذا ، أو تكرار ممارسة هذا النشاط نلاحظ أن المجددين الذين تضمهم المجموعة التجريبية يميلون بوجه عام إلى تسجيل درجة أعلى من تكرار هذا النشاط إلا أن الفروق بينهم وبين أفراد المجموعة التجريبية فروق غير جوهرية بوجه عام .

وحينما نقارن بين المجموعتين وفقاً لمشاهدة السينما الإرشادية التى توفدها الأجهزة الإعلامية فى الدولة إلى القرية نلاحظ أن المجموعة التجريبية تميل بوجه عام إلى الارتفاع عن المجموعة الضابطة فيما يتعلق بالمشاهدة نفسها من ناحية ، وتذكر المواد التى عرضت من ناحية أخرى إلا أن تفوقها فى هذا المجال غير جوهرى بوجه عام .

ومما يرتبط بذلك أيضاً أن نسبة الذين يشاهدون التليفزيون بالبندر مرتفعة بين أفراد المجموعة التجريبية إذا ما قورنت بالمجموعة الضابطة وحيث تصل هذه النسبة بين المجموعة الأولى إلى ٦٠,٤٢٪ فى مقابل ٣٦,١٩٪ بين المجموعة الثانية ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى مما يشير إلى أن أفراد المجموعة التجريبية أكثر مشاهدة للتليفزيون من ناحية وأكثر تردداً على المراكز الحضرية التى توجد بها هذه الأجهزة من ناحية أخرى .

٤ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للتردد على المراكز الحضرية الصغرى، والكبرى :

مما تشير إليه البيانات أنه لا توجد فروق جوهرية بين المجموعتين من حيث التردد على المراكز الحضرية ، والمجاورة مما يوضح بالتالى أن التردد على مثل هـــذه المراكز أصبح سلوكاً شائعاً يشترك فيه المجددون وغير المجددين وهو بالتالى لا يصلح للتمييز بينهما ، ويصبح الاعتماد عليه كمؤشر للانفتاح على العالم الخارجى للقرية اعتماداً محدوداً ، إلا أن أفراد المجموعة الأولى يميلون إلى تحقيق حجم أعلى من هذا التردد إذا ما قورنوا بأفراد المجموعة الضابطة وإن كانت الفروق بينهما فى هذا المجال فروقاً غير جوهرية.

ويختلف الحال عن ذلك فيما يتصل بالفرق بين المجموعتين وفقاً للتردد على القاهرة وحيث تشير البيانات إلى وجود فوارق جوهرية بين المجموعتين فى هذا الصدد ، وحيث نرى أن نسبة ٢٥٪ من أفراد المجموعة الأولى لا يترددون على القاهرة أو المدن الكبرى إطلاقاً فى مقابل ٥٥,٢٤٪ من أفراد المجموعة الضابطة ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى. مما يشير إلى أن أفراد المجموعة التجريبية « المجددين » أكثر تردداً على المراكز الحضرية الكبرى والبعيدة نسبيا إذا ما قورنوا بغير المجددين .

ومما يرتبط بذلك أيضاً أن نسبة من لهم أقارب بالقاهرة والمدن الكبرى من أفراد المجموعة الأولى تفوق مثيلتها بين أفراد المجموعة الثـــانية وحيث

نلاحظ أن ٨٩,٥٨٪ من أفراد المجموعة الأولى لديهم أقارب بالقاهرة والمدن الكبرى فى مقابل ٦١,٩٠٪ بين أفراد المجموعة الثانية والفرق بين النسبتين فرق جوهرى، مما يشير إلى ازدياد حجم الصلات الخارجية لأفراد المجموعة الأولى إذا ما قورنوا بالثانية ومما يشير تبعاً لذلك إلى ارتفاع معدل التأثير الخارجى بين أفراد المجموعة الأولى أيضاً ، ومما يؤكد ذلك أيضاً ما توضحه البيانات من تزايد حجم الصلات المتبادلة بين أفراد المجموعة التجريبية وبين أقاربهم المقيمين بالمدن الكبرى وحيث ذكر ٥٨,٣٣٪ من أفراد هذه المجموعة أنهم يتبادلون الزيارة مع أقاربهم فى مقابل ٢٦,٦٧٪ من أفراد المجموعة الثانية والفرق بين النسبتين فرق جوهرى .

تعليق :

حاولنا فى فحصنا لديناميات الاتصال ، والتأثير فى مجال تجديد اجتماعى أن نختبر بعض القضايا التى أثارتها النظرة السسيولوجية للاتصال والتى لا ترى العلاقة بين الاتصال والتأثير علاقة واضحة ومباشرة وإنما ترى فيها عنصراً واحداً يدخل فى تركيب موقف اجتماعى ، أو مجال اجتماعى معقد ومن ثم فإنها لا تتوقع أن يحدث الاتصال تأثيره دون الرجوع إلى المجال الاجتماعى الشامل الذى يضم عملية الاتصال نفسها بالإضافة إلى ما يضم أيضاً من العديد من الأبعاد السيكلوجية والاجتماعية والاقتصادية .

ولإنجاز هذا الاختبار لهذه النظرية تم انتقاء مجموعتين ، الأولى اقتنعت بموضوع تنظيم الأسرة وحاولة ممارسة ضبط النسل، بينما لم تحاول الثانية أداء مثل هذه الممارسة وقمنا بفحص ديناميات الاتصال داخل المجال الاجتماعى ولذلك لم نقارن بين مجموعتين وفقاً لنشاطهم الاتصالى فقط وإنما وفقاً للمجال الاجتماعى الذى تنتمى إليه كل لمجموعة . بأسلوب آخر كان هناك بعدان رئيسيان للمقارنة على النحو التالى : —

١ — المجال الاجتماعى ومتغيراته العمرية ، والاقتصادية ، والتعليمية ، والجماعية ، والمهنية .

٢ — درجة الانفتاح على العالم التى يعكسها ويقيسها النشاط الاتصالى بأبعاده المختلفة كقراءة الصحف ، والاستماع إلى الراديو ، والتردد على السينما والتردد على المراكز الحضرية البعيدة والمجاورة ، الصغرى والكبرى .

ولقد اتضح من السياق العام للنتائج أنها تتفق إلى حد كبير مع التراث العلمى السابق كما اتضح أيضاً أنها تدعم النظرية السسيولوجية الاتصال والتأثير من حيث إن عملية الاتصال لا تمارس تأثيرها فى فراغ وإنما هى تمارسه وفقاً لمجال اجتماعى معين ، والنتائج فى الوقت ذاته تدحض المزاعم الساذجة للنظريات التقليدية وغير الاجتماعية والتى تزعم بأن الاتصال يمارس تأثيره بصرف النظر عن المجالات الاجتماعية . وحيث تشير نتائجنا هنا إلى ما يلى :

١ — يختلف المجددون عن غير المجددين من حيث المجال الاجتماعى الذى ينتمون إليه فهم بصفة عامة أكبر عمراً ، وأعلى دخلاً ، وأرفع تعليماً ، ويحققون درجة أعلى من المشاركة الاجتماعية ، كما يغلب انتماؤهم إلى المهن غير التقليدية .

٢ — يختلف المجددون عن غير المجددين فى درجة ارتباطهم واتصالهم بالعالم الخارجى فهم أكثر قراءة للصحف ، وأكثر استماعاً إلى الراديو ، وأكثر تردداً على السينما ، ويحققون درجة أكبر من الصلات والعلاقات بالمراكز الحضرية القريبة والبعيدة ، الصغيرة والكبيرة . مما يمكن من القول بأن الاتصال لا يمارس تأثيره فى مختلف المجالات وبين مختلف البشر بدرجة واحدة ، وإنما هو يمارس هذا التأثير بدرجات تختلف باختلاف درجة تهيؤ المجال الاجتماعى وقابليته ، ويترتب على ذلك أن الرسائل الاتصالية التى تغفل مثل هذا المجال لن تؤتى ثمارها المرجوة ، كما يترتب عليه أيضاً أن الاتصال — وحده — ومهما بذل من جهود فى سبيل البث الإعلامى لن يحدث تغييراً يذكر . أى أن الحاجة تظهر إلى تهيئة المجال الاجتماعى لهذا البث أولا وحيث تبين أن العلاقة بين المجال الاجتماعى والاتصال علاقة مستمرة ومتسقة ، وحيث نلاحظ أن الشخص القادر اقتصاديا ، وتعليميا هو الشخص الذى يملك فرصة الإتصال والانفتاح على العالم وبالتالى يرتفع احتمال التأثير بالنسبة له فكأن المجال الاجتماعى وعلى

الأخص أبعاده الاقتصادية والتعليمية يقود إلى ممارسة الاتصال وأوجه نشاطه المختلفة، التى تقود بدورها إلى الانفتاح على العالم الخارجى وبالتالى إلى ازدياد فرص التأثر والميل إلى التجديد .

وتدعم هذه النتائج أغلب الفروض التى وضعناها فيما يتعلق بآثار عملية الاتصال وبخاصة الفرض الذى يذهب إلى أنه « مهما كان وقع أنماط الاتصال المختلفة على الناس فى القرية المصرية فإنها لن تحدث تغيرات فى الاتجاهات والآراء والأفعال وهى بمعزل عن غيرها من المتغيرات الهامة كالسن والمستوى التعليمى والمكانة الاقتصادية الاجتماعية والولاءات الجماعية والدينية والمشاركة الاجتماعية ، بمعنى أن الناس يختلفون فى التأثر بأنماط الاتصال المختلفة وفقاً لسنهم ومستوى تعليمهم ودخلهم وحجم مشاركتهم الاجتماعية ونطاقها ، أى أننا لا نستطيع فى النهاية أن نربط بين الميل نحو التجديد أو التحضر كما يتبدى فى ممارسة تنظيم الأسرة ، كموقف تجديدى ، أو تغيرى وبين الاتصالات فقط وإنما نستطيع أن نوضح أثر الاتصالات بالإضافة إلى المتغيرات التى سبق ذكرها .

وتتفق هذه النتائج — بوجه عام — مع ما وصل إليه « جوردون هيرابایاشی » وفتح الله الخطيب من أن « المتعلمين يميلون إلى أن يكونوا أقل محافظة من الأميين ، وأكثر ميلا إلى تقبل الأفكار والأساليب الحديثة ، كما لوحظ أيضاً أن قراء الصحف ومستمعى الراديو يعكسون رغبة أقوى فى استبدال الجديد بالقديم والتقليدى [١] .

كما يتوقع الباحثون — تبعاً لذلك — تزايد دور الصحف والمجلات بتزايد فرص التعليم ، كما أن ساعات الإرسال الإذاعى المتزايدة سوف تزيد من فرص الاستماع وهما يربطان ذلك بالميل المتزايد نحو التعليم الذى يؤدى بدوره إلى تغيير القيم والاتجاهات القروية [٢] .

(١) Hirabayashi & El Khatib" Social Consciousness and Means of Communication"op. cit.

(٢) Ibid.

ثانياً : ممارسة التأمين على الماشية باعتباره تجديداً زراعيا :

التأمين على الماشية مشروع زراعى جديد يتصل بتنمية الثروة الحيوانية للقروى وتحسينها وقد سمع عدد كبير من القرويين عن هذا المشروع إلا أن نسبة كبيرة أيضاً لم تع مضمونه الحقيقى مما ساقنا — آنفاً — إلى القول أن الاتصالات المختلفة فشلت — نسبيا — فى نقل مضمون هذا الموضوع دون تحريف أو تشويه .

ولذلك فإننا يجب أن نشير إلى أننا الآن بصدد فحص موقف غير واضح نسبيا ولذلك فإن علينا أن نضع نتائج هذا الفحص فى إطار هذه الحدود ، فمن المعروف أن درجة وضوح المشروع الجديد تؤثر بدرجة ما فى درجة تقبله ، أو تبنيه ، أو تنفيذه .

تبين من خلال فحص العينة فيما يتصل بملكية الماشية أن هناك نسبة ٤٩,٦٧٪ لا يملكون ماشية ، ولقد استبعد أفراد هذه النسبة الذين يمثلون ستة وسبعين شخصاً واقتصر التمييز على الباقين الذين يملكون ماشية وعددهم سبعة وسبعون شخصاً ، مارس منهم التأمين على الماشية ستة وعشرون شخصاً ، اعتبروا مجموعة تجريبية ، بينما اعتبر الباقون مجموعة ضابطة وحيث تمت المقارنة بين المجموعتين ، على نفس النسق السابق ، أى من زاويتين رئيسيتين على النحو التالى :

١ — المجال الاجتماعى بمتغيراته العمرية ، والاقتصادية ، والتعليمية وغيرها .

٢ — أوجه النشاط الاتصالى التى تشير إلى الاتصال بالعالم الخارجى للقرية ودرجة الانفتاح عليه .

ويشير التراث السابق فى مجال تقبل التجديدات ذات الطابع الزراعى إلى أن المجددين يختلفون عن غيرهم من حيث السن ، والدخل والتعليم وغير ذلك من المتغيرات بالإضافة إلى اختلافهم من حيث درجة اتصالهم ، أو أوجه نشاطهم الاتصالى المختلفة ، فهم بوجه عام أصغر سنًّا ، وأوفر دخلا ، وأرفع تعليماً ،

وأكثر مشاركة اجتماعية ، ويحققون درجات عالية من المشاركة فى الاتصالات المختلفة إلا أنه ينبغى أن نشير مرة ثانية إلى أن هذه النتائج تم التوصل إلى أغلبها فى نطاق مجتمعات ذات طابع ثقافى خاص كما أنها استخلصت من دراسة مواقف تجديدية ، أو مهارات ومشروعات زراعية جديدة واضحة ، ومفهومة فى ذهن أفراد المجتمع . ونحن هنا نسعى إلى فحص هذه القضايا فى إطار مجتمع قروى مصرى للتعرف على ديناميات الاتصال والتأثير العاملة على الإقناع والتنفيذ بالنظر إلى المتغيرات الاجتماعية المختلفة .

ويهمنا أن نشير أيضاً إلى أننا بصدد موقف بسيط نسبيا ليس على تلك الدرجة من التعقيد والتركيب التى تميز موقف تنظيم الأسرة .

أولا : المقارنة بين المجموعتين وفقاً لعدد من المتغيرات الاجتماعية

١ — السن :

تشير البيانات إلى أنه ليست هناك فروق جوهرية بين متوسط عمر المجموعتين ، وحيث كان متوسط عمر المجموعة الأولى ٤٣,٨٪ بانحراف معيارى قدره ١٣ ومتوسط عمر المجموعة الثانية ٤٢,٤٥ بانحراف معيارى قدره ١٤,٢٠ ، وباستخدام اختبار « ت » لقياس دلالة الفرق بين المتوسطين تبين أن قيمة « ت » ٠,٤٠ وهى قيمة غير دالة . ولا تعكس فروقاً جوهرية . ومما يلفت النظر أن هناك ارتفاعاً ظاهرياً فى متوسط عمر المجموعة الأولى . وربما يرجع ذلك أيضاً إلى أن متوسط عمر جميع أفراد العينة مرتفع بشكل عام .

٢ — الدخل :

يبلغ متوسط دخل المجموعة الأولى ١٤٠,٤ بانحراف معيارى قدره ١٤٠ بينما يبلغ متوسط دخل المجموعة الثانية التى لم تمارس التأمين على الماشية ١١٣,٢ بانحراف معيارى قدره ١٤٥ ، وباستخدام اختبار « ت » لقياس دلالة الفرق بين المتوسطين تبين أن قيمة « ت » تصل إلى ١,٠٤ وبالكشف عن هذه القيمة فى جدول « ت » وعند درجة حرية أكثر من « ٧٠ » تبين أنها غير دالة عند

أى مستوى مقبول . مما يشير إلى أنه ليست هناك فروق جوهرية فى الدخل بين أولئك الذين مارسوا التأمين على الماشية والذين نعدهم مجددين فى مجال زراعى وبين غيرهم . وإن كان يميل أفراد المجموعة الأولى ميلا غير دال إلى الارتفاع من حيث متوسط الدخل .

٣ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للمستوى التعليمى :

تشير البيانات إلى أن المجموعة الأولى ترتفع — بوجه عام — عن المجموعة الثانية فيما يتعلق بالمستوى التعليمى وحيث نلاحظ أن نسبة الأميين بين المجموعة الأولى تصل إلى ٣٠,٧٧٪ فى مقابل ٥٨,٨٥٪ من أفراد المجموعة الثانية ، والفرق جوهرى بين النسبتين ، كما أن نسبة الملمين بين أفراد المجموعة الأولى أعلى منها بين أفراد المجموعة الثانية والفرق بين النسبتين فرق جوهرى أيضاً ، مما يشير بوجه عام إلى أن المجموعة التى مارست تجديداً زراعيا كالتأمين على الماشية ترتفع عن المجموعة التى لم تمارس مثل هذا التجديد من حيث المستوى التعليمى .

٤ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للمشاركة الاجتماعية وحجمها :

لا تشير البيانات إلى أن هناك فروقاً جوهرية بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية وفقاً لهذا المتغير .

٥ — المقارنة بين المجموعتين وفقاً للمهنة :

يكاد يتسق التوزيع المهنى بين المجموعتين ، فالفروق بينهما ضئيلة ولا تعكس اختلافاً جوهريا .

ثانياً : المقارنة بين المجموعتين وفقاً للنشاط الاتصالى ، أو الانفتاح على العالم الخارجى للقرية :

١ — قراءة الصحف أو الاستماع إلى قراءتها من آخرين :

تشير البيانات إلى أنه بينما لا توجد فروق جوهرية بين نسب المنتظمين فى

قراءة الصحف من المجموعتين ، وحيث ذكر ١٥,٣٨٪ من المجموعة الأولى أنهم يمارسون هذا النشاط بانتظام فى مقابل ٩,٨٠٪ من أفراد المجموعة الثانية إلا أنه توجد مثل هذه الفروق الجوهرية بين الذين يمارسون هذا النشاط « أحياناً » بين أفراد المجموعتين ، وحيث ذكر ذلك نسبة ٣٨,٤٦٪ من أفراد المجموعة الأولى فى مقابل ١٥,٦٩٪ من أفراد المجموعة الثانية والفرق بين المجموعتين فرق جوهرى ، وربما ساعد على زيادة حجم هذا النشاط بوجه عام بين أفراد المجموعة الأولى أنهم يضمون نسبة قليلة من الأميين . إذا ما قورنت بمثيلتها بين أفراد المجموعة الثانية .

وتشير هذه البيانات إلى أن المجموعة الأولى التى مارست هذا التجديد الزراعى أكثر ممارسة للنشاط الصحفى إذا ما قورنت بالمجموعة التى لم تمارس هذا التجديد.

وفيما يتصل بقراءة المجلات ، نلاحظ أن المجموعة الأولى أيضاً تسجل درجة أكبر من ممارسة هذا النشاط . إذا ما قورنت بالمجموعة الثانية . وحيث ذكر ٣٠,٧٧٪ من أفرادها أنهم يمارسون هذا النشاط أحياناً فى مقابل ١١,٧٧٪ من أفراد المجموعة الثانية ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى وربما كان ارتفاع المستوى التعليمى أيضاً بين أفراد المجموعة الأولى عاملا من عوامل ممارسة هذا النشاط ، إلا أنه ليست هناك فروق جوهرية بين الأميين فى كل من المجموعتين وفقاً للاستماع إلى قراءة الصحف من آخرين إلا أنه يلاحظ بوجه عام أن أمى المجموعة الأولى أكثر ممارسة لهذا النشاط وحيث ذكر ٥٠٪ منهم أنهم يمارسون هذا النشاط كثيراً أو « أحياناً » فى مقابل ٢٠٪ من أمى المجموعة الثانية إلا أن الفرق بين النسبتين ليس فرقاً جوهرياً .

٢ — الاستماع إلى الراديو :

بينما تشير البيانات إلى أنه ليست هناك فروق جوهرية بين نشاط الاستماع الإذاعى بين المجموعة التى مارست التجديد وتلك التى لم تمارسه ، إلا أنه من الملاحظ أن النسبة التى تمارس هذا النشاط بانتظام بين أفراد المجموعة الأولى

أعلى منها بين أفراد المجموعة الثانية فهى تصل فى الأولى إلى ٨٠,٧٧٪ بينما تصل فى الثانية إلى ٦٤,٧١٪ دون فروق جوهرية . مما يشير إلى أن أفراد المجموعة الأولى أكثر انتظاماً فى ممارسة نشاط الاستماع الإذاعى ولكن تفوقهم فى هذا الصدد تفوق غير جوهرى .

ومما هو مرتبط بذلك أيضاً أن أفراد المجموعة الأولى يسجلون درجة أكبر من حيث ملكية « جهاز الراديو » وحيث نلاحظ أن نسبة ٩٢٪ منهم يمتلكون هذا الجهاز فى مقابل ٧٢,٩٢٪ من أفراد المجموعة الثانية، والفرق بين النسبتين فرق يكاد يكون جوهريا (ن . ح = ١,٩١) مما يشير إلى اتساع الفرصة أمام أفراد المجموعة الأولى فيما يتصل بممارسة الاستماع الإذاعى ممارسة منتظمة، ولذلك فإننا نلاحظ أن أماكن الاستماع تعدد بالنسبة للمجموعة الثانية بينما هناك نسبة ضئيلة جداً من أفراد المجموعة الأولى يمارسون هذا النشاط خارج المنزل .

وفيما يتعلق بالاستماع إلى إذاعات خارجية نلاحظ أن المجموعة الأولى التى مارست التجديد الزراعى أكثر ممارسة لهذا النشاط إذا مـــا قورنت بالمجموعة الثانية ، وحيث توضح البيانات أن نسبة من لا يستمعون إلى إذاعات خارجية تصل إلى ٦٤٪ بين أفراد المجموعة الأولى فى مقابل ٨٥٪ بين أفراد المجموعة الثانية ، والفرق بين النسبتين فرق جوهرى ، مما قد يشير إلى أن فرص الاستماع إلى إذاعات خارجية تزداد بتملك أجهزة الراديو وحيث يكون مالك هذا الجهاز حرا فى اختيار الإذاعات والبرامج التى يفضل الاستماع إليهـــا بينما تقل هذه الفرصة أو حتى تنعدم بالنسبة لمن يستمع لدى جار أو قريب . أو صديق .

٣ ــ التردد على السينما ، وحجمه :

توضح البيانات أن ٤٢,٣١٪ من أفراد المجموعة الأولى يترددون عل السينما فى مقابل ٢٩,٤١٪ من أفراد المجموعة الثانية إلا أن الفرق بين النسبتين ليس

فرقاً جوهريا مما يشير إلى أنه أنه ليست هناك فروق بين المجموعتين من حيث هذا المتغير بالإضافة إلى أنه لا توجد مثل هذه الفروق الجوهرية فيما يتصل بحجم التردد على السينما .

وفيما يتصل بمشاهدة عروض السينما الإرشادية التى تتردد على القرية نلاحظ أن البيانات لا تعكس فروقاً جوهرية بين المجموعتين سواء من حيث المشاهدة، أو تذكر هذه البرامج، أو عدم تذكرها وإن كان أفراد المجموعة الأولى يميلون ميلا ظاهريا إلى الارتفاع عن أفراد المجموعة الثانية من حيث مشاهدة هذه العروض . أو تذكرهـــا . وحيث نلاحظ أن ١٢٪ من أفراد المجموعة الأولى لم يشاهدوا هذه العروض فى مقابل ٣٠.٢٢٪ من أفراد المجموعة الثانية و ٢٨٪ من أفراد المجموعة الأولى يتذكرون ما شاهدوه فى مقابل ١٨.٤٠٪ من أفراد المجموعة الثانية . إلا أن هذه الفروق بين النسب فروق غير جوهرية مما يشير إلى أن احتمال رجوع هذه الفروق إلى الصدفة احتمال كبير .

أما فيما يتعلق بالفرق بين المجموعتين وفقاً لمشاهدة التلفزيون بالمدينة، نلاحظ أن أفراد المجموعة الأولى يتفرقون فى هذه المشاهدة وحيث ذكر ٦١.٥٤٪ منهم أنهم يشاهدونه فى مقابل ٣٩,٢٢٪ من أفراد المجموعة الثـــانية . والفرق بين النسبتين فرق جوهرى . مما يشير إلى أنهم لا يشاهدون البرامج التليفزيونية بدرجة أكبر فحسب وإنما هى أيضاً أكثر تردداً على المراكز الحضرية .

٤ — التردد على المراكز الحضرية الصغرى والكبرى :

بينما تشير البيانـــات إلى أن جميع أفراد المجموعتين يترددون على المراكز الحضرية المجاورة فإننا نجدها تعكس فروقاً جوهرية بين أفراد المجموعتين من حيث حجم هذا التردد وحيث نلاحظ أن ٤٦,١٥٪ من أفراد المجموعة الأولى يترددون أسبوعيا فى مقابل ١٣.٧٣٪ من أفراد المجموعة الثانية والفرق بين النسبين فرق جوهرى . كما نلاحظ أيضاً أن نسبة من يترددون « فى المناسبات » تصل

إلى ١٢٣.٠٨٪ بين أفراد المجموعة الأولى فى مقابل ٥٨.٨٢٪ من أفراد المجموعة الثانية . والفرق بين النسبتين جوهرى كذلك . بحيث نستطيع أن نخرج بأنه وإن كان نشاط التردد على المركز أو البندر نشاطاً مشتركاً وشائعاً بين المجددين وغير المجددين فى مجال زراعى ، إلا أن المجددين يتفوقون فى درجة تكرار هذا التردد مما يعكس درجة أكبر من الاتصال بالمراكز الحضرية القريبة .

كما أننا نجد أيضاً أن المجموعة الأولى تتفوق من حيث ترددها على المراكز الحضرية الكبرى وحيث نلاحظ أن ٧٦,٩٢٪ من أفرادها يترددون على هذه المراكز فى المناسبات فى مقابل ٤٩,٠٢ ٪ من أفراد المجموعة الثانية . والفرق بين النسبتين فرق جوهرى مما يشير إلى أن المجددين الزراعيين ليسوا أكثر اتصالا بالمراكز الحضرية الصغيرة والمجاورة فقط — وإنما هم أيضاً أكثر اتصالا بالمراكز الحضرية الكبرى والبعيدة نسبيًّا .

وفيما يتصل بوجود أقارب بالقاهرة أو المدن الكبرى . لا تعكس البيانات فروقاً جوهرية بين المجموعتين وإن كانت المجموعة الأولى تتفرق تفوقاً ظاهريًّا وغير دال ، كما نلاحظ أيضاً أن المجموعة الأولى — بوجه عام — أكثر صلة بالأقارب الموجودين بالمدن الكبرى إلا أن تفوقهم غير جوهرى وحيث توضح البيانات أن نسبة الذين يتبادلون الزيارة مع أقاربهم المقيمين بالمدن الكبرى تصل إلى ٦٦,٦٧٪ من أفراد المجموعة الأولى فى مقابل ٤٨,٦٥٪ من أفراد المجموعة الثانية إلا أن الفرق غير جوهرى ، مما يمكن من القول أنه عند مستوى مقبول من الدلالة الإحصائية نستطيع أن نقول إن المجموعة الأولى لا تتفوق على المجموعة الثانية فى حجم الصلات القائمة مع الأقارب المقيمين بالمدن الكبرى .

تعليق :

من خلال فحصنا لديناميات الاتصال ، والتأثير فى مجال تجديد زراعى موجهين بالنظرة السسيولوجية للاتصال والتأثير ، والتى لا تضع فى اعتبارها عملية

الاتصال فقط وإنما تنظر إليها باعتبارها عملية تحدث فى مجال اجتماعى يضم عديداً من الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، وبعد اختيار مجموعتين إحداهما تضم المجددين فى مجال زراعى وهو التأمين على الماشية، بينما تضم الثانية غير المجددين أو الذين لم يمارسوا هذا التأمين، وانطلاقاً من بعدين هامين للمقارنة بين هاتين المجموعتين وهما المجال الاجتماعى الذى يضم متغيرات السن، والدخل، والتعليم، والمشاركة الاجتماعية والمهنة، وبعد الانفتاح على العالم، أو الاتصال بالعالم الخارجى للقرية والذى يضم أوجه النشاط الاتصالى المختلفة توصلنا إلى ما يلى :

أولا — المجال الاجتماعى :

١ — لا توجد بين المجموعتين فروق جوهرية من حيث السن .

٢ — لا توجد فروق جوهرية من حيث الدخل .

٣ — توجد فروق جوهرية من حيث المستوى التعليمى، وحيث يميل المجددون إلى الارتفاع فى هذا المستوى إذا قورنوا بغير المجددين .

٤ — ليست هناك فروق جوهرية بين المجموعتين فيما يتعلق بالمشاركة الاجتماعية وحجمها .

٥ — يتسق التوزيع المهنى بين المجموعتين والفروق بينها — فى هذا المجال — ضئيلة وغير جوهرية .

ثانياً — الاتصال وأنماطه المختلفة :

١ — المجددون أكثر ممارسة لقراءة الصحف من غير المجددين، يمكنهم من ذلك ارتفاع مستوى تعليمهم .

٢ — ليس هناك فرق جوهرى بين المجموعتين فيما يتعلق بنشاط الاستماع الإذاعى والانتظام فيه إلا أن المجددين يميلون إلى أن يكونوا أكثر انتظاماً، وفيما يتصل بالاستماع إلى إذاعات خارجية تبين أن المجددين أفراد المجموعة الأولى أكثر ممارسة لهذا النشاط .

٣ — ليست هناك فروق جوهرية بين كل من المجموعتين فيما يتعلق بالتردد على السينما . أو حجم هذا التردد . إلا أن هناك فروقاً جوهرية بينهما فيما يتصل بمشاهدة البرامج التليفزيونية فى المراكز الحضرية .

٤ — التردد على المراكز الحضرية المجاورة ، نشاط مشترك بين المجموعتين إلا أن المجموعة الأولى تتفوق تفوقاً جوهريا عن المجموعة الثانية فى حجم هذا التردد وتكراره . كما أن المجموعة الأولى — أيضاً — أكثر اتصالا بالمراكز الحضرية الكبرى .

ومن الواضح أن هذه النتائج تختلف عما توصلنا إليه فى فحصنا للتجديد فى اتجاه اجتماعى مركب وهو تنظيم الأسرة . وحيث لاحظنا أن هناك اتساقاً فى تفوق المجددين سواء من حيث الأبعاد المختلفة ، أو المتغيرات المختلفة للمجال الاجتماعى أو المتغيرات الأخرى المرتبطة بالاتصال بالعالم الخارجى للمجتمع المحلى ، بينما نحن هنا — وفيما يتعلق — بتجديد ذا طابع زراعى لا نلاحظ مثل هذا الاتساق . وحيث يتضح أيضاً أن بعد المجال الاجتماعى المتعلق بالسن والدخل ، والمستوى التعليمى ، والمشاركة الاجتماعية ، والمهن ، لم ينجح فى التمييز بين المجموعتين فى أربعة من المتغيرات الخمسة ، بينما نجح فى التمييز بينها وفقاً لمتغير واحد وهـــو المستوى التعليمى ، إلا أننا نلاحظ أن بعد الانفتاح على العالم الخارجى أو الإتصال به قد نجح نسبيًّا فى التمييز بين المجموعتين وبخاصة فى مجال قراءة الصحف ، والاستماع إلى إذاعات خارجية ، والتردد على المراكز الحضرية القريبة ، والبعيدة أو الصغرى والكبرى . وذلك بخصوص هذا التجديد فى المجال الزراعى إلا أن هذين البعدين قد نجحا نجاحاً يكاد يكون تامًّا فى التمييز بين المجددين وغير المجددين فى موضوع ذى طابع اجتماعى وهو تنظيم الأسرة .

وهنا يثار سؤال مؤداه ؛ هل تعبر البيانات الواردة فى مجال التجديد الزراعى هذا عن حقيقة الموقف أم أن هناك بعض العوامل التى تتدخل فى إخراج هذه البيانات بالشكل الذى خرجت به ؟ ويمكن وضع هذا السؤال بطريقة أكثر وضوحاً على النحو التالى :

هل يتشابه المجددون وغير المجددين فى هذه الممارسة الزراعيـــة ، مثل هذا التشابه فى مثل تلك المتغيرات التى أظهرت البيانات أنهم لا يختلفون فيها ؟

لا نستطيع فى الواقع أن نقدم إجابة عن هذا السؤال ، إلا أننا نستطيع فقط أن نقول إن التأمين على الماشية يمثل مشروعاً غير واضح الأهداف فى ذهن القروى ، أو أن مضمون أهداف التأمين على الماشية فى ذهن القرى يختلف عن مضمونه الحقيقى ، وحيث تعكس البيانات بوضوح أن نسبة محدودة من الذين سمعوا بمثل هذا الموضوع هى التى تعرف مضمونه الحقيقى وحيث يعتقد غالبية من سمعوا به أنه نوع من الاشتراك الذى يدفع بقصد تيسير الحصول على « علف للماشية » مما يوضح أن مضمون الاتصال قد شابه الكثير من التحريف ، ومن الواضح أن التحريف الذى يطرأ على مثل هذه الموضوعات يؤثر إلى حد كبير فى درجة الإقناع بها ، وبالتالى فى درجة تقبلها وتنفيذها ، ويترتب على ذلك أن الشخص الذى يمتنع عن تبنى هذا الموضوع أو تنفيذه قد لا يكون تقليديًّا ، أو محافظاً أو غير مجدد بقدر ما يكون لديه من الأسباب المنطقية ما يبرر بها صده ورفضه لمثل هذا المشروع ، ولقد سبق أن أشرنا إلى أن دراسة العوامل المصاحبة لتبنى مثل هذه المشروعات وتنفيذها لابد أن تسبقها دراسة لمضمون هذه المشروعات فى ذهن القروى. وبناء على هذه الأسباب فإننا لا نستطيع الاطمئنان تماماً إلى هذه النتائج التى توصلنا إليها فى مجال التأمين على الماشية ، إلا أنه يمكن اعتبار هذه النتائج بمثابة محاولات استكشافية لدراسة تقبل مثل هذه الموضوعات التى ستظل مهمة صعبة طالما أن مضمونها وأهدافها فى ذهن القروى ، يختلفان عن مضمونها الحقيقى وأهدافها الحقيقية إلى حد كبير . ومن الواضح أنها ليست نتائج مرفوضة ، ولكنها نتائج غير مدعمة وحيث إننا نقيس هنا دلالة النتائج عند مستويات إحصائية صارمة ، ومما هو واضح أننا إذا تنازلنا عن مثل هذه المقاييس الإحصائية لوجدنا أن البعدين الأساسيين لعملية التمييز بين المجموعتين ينجحان فى مهمتهما إلى حد كبير .

• • •

ومن خلال استعراض النتائج التى توصلنا إليها فى هذا الفصل الخاص بالاتصال والتجديد فى مجال اتجاه معقد كتنظيم الأسرة واتجاه بسيط كممارسة التأمين على الماشية باعتباره تجديداً زراعيًا ، ننتهى إلى أننا سوف نعتمد اعتماداً أساسيًا فى ربط النتائج بالفروض وبالنظرية السسيولوجية للاتصال والتأثير على ما توصلنا إليه من نتائج من خلال فحصنا لديناميات الاتصال فى مجال التجديد فى موقف تنظيم الأسرة. على اعتبار أنه موقف واضح فى ذهن القروى ولم يطرأ على مضمونه تحريف يذكر أى أن الاتصالات المختلفة قد نجحت فى نقل هذا المضمون إلى القرويين وبالتالى فإننا هنا نستطيع أن نضبط عنصر وضوح الموقف . وهنا عنصر غير متوفر إلى حد كبير فى موضوع التأمين على الماشية .

وتعكس نتائج هذا الفصل بوجه عام أن الفروض التى وضعناها فيما يتعلق بآثار الاتصالات فى مجال الاتجاهات ، والآراء ، والأفعال صادقة إلى حد كبير .

كما تعكس النتائج أيضاً أن النظرية السسيولوجية للاتصال . نظرية صادقة إلى حد كبير ، وحيث تتفق هذه النتائج مع تلك النظرية الرئيسية التى تقول بها هذه النظرية ومؤداها أنه ليست هناك علاقة مباشرة وبسيطة بين الاتصال والتأثير ، وإنما يعمل الاتصال من خلال مجال اجتماعى لا بد أن يوضع موضع الاعتبار ونحن بصدد المحاولة الحقيقية لفهم ديناميات الاتصال والتأثير .

* * *

خاتمة

استهدف هذا البحث فحص وتحليل الاتصال وتأثيره فى مجتمع قروى مصرى فى مجالات مختلفة وعند مستويات متعددة ، ولتحقيق هذه الأهداف استخدم المنهج الوصفى التشخيصى والتحليلات الإحصائية لاستجابات عينة من مجتمع قروى مصرى اختير اختياراً إجرائياً بحتاً . ومن خلال الاستعانة بمقاييس مختلفة أمكننا الخروج بعدة نتائج نعرض لأهمها هنا على النحو التالى :

أولا – فيما يتعلق بالاتصال والمتغيرات المرتبطة به :

١ – الاستماع الإذاعى :

نستطيع أن نقول إن الاستماع الإذاعى نشاط اجتماعى مطبوع بنفس الطابع الأولى الذي يميز العلاقات الاجتماعية بالقرية ، وحيث يمارس القروى هذا النشاط – غالباً – فى منزله ثم لدى أصدقائه ، وأقاربه ، وجيرانه . وهنا نلاحظ أن « أدموند برونر » قد بالغ فى دور المقهى فى الريف كما بالغ « أبو لغد » أيضاً فى دور « دكان التاجر » كمركز لتبادل الأخبار وتبادل التسلية والترثرات . ومما أوضحته أيضاً أن الاستماع الإذاعى نشاط عام وشامل ويعنى ذلك أنه منتشر بين مختلف الطبقات والمستويات التعليمية ، وغير ذلك من التصنيفات الاجتماعية .

٢ – الصحف :

(ا) يتوزع جمهور الصحف – عموماً – بين مختلف الأعمار وإن كان هناك ميل غير دال إحصائياً إلى أن تكون الأعمار الكبيرة أكثر قراءة للصحف .

(ب) تنتمى أغلبية جمهور الصحف إلى المكانة الاقتصادية الاجتماعية المرتفعة بما تتضمنه من مكانة تعليمية مرتفعة كذلك .

(ح) يتوزع جمهور الصحف بين المشاركين اجتماعياً وغير المشاركين مع ميل غير جوهرى لتفوق المشاركين فى هذا النشاط .

(د) تنتمى أغلبية جمهور الصحف فى القرية إلى طائفة المهن غير الزراعية وحيث تشير هذه المهن إلى مكانة اجتماعية اقتصادية معينة كما تشير أيضاً إلى مستوى تعليمى معين ، بالإضافة إلى الفرص التى تتيحها للانتقال إلى العالم الخارجى للقرية .

٣ — السينما :

(ا) مشاهدة العروض السينمائية نشاط اتصالى محدود النطاق بين القرويين الذين تمثلهم العينة .

(ب) يقدم القرويون عدداً من التبريرات المنطقية لأحجامهم عن ممارسة هذا النشاط .

(ح) يختلف حجم التردد اختلافاً دالا بين المكانات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة والمستويات التعليمية ، وأنماط المشاركة الاجتماعية والأنماط المهنية وحيث يرتبط التردد بالارتفاع فى المكانات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والمشاركة الاجتماعية ، وينتشر بين طائفة المهن غير الزراعية .

٤ — الاتصال بالحضر :

من الملاحظ من خل اللال تحليترات العلمى أن جميع الباحثين فى نطاق القرى قد اهتموا بالاتصال بالمجتمعات الحضرية فيما وراء مجتمع القرية ، وحيث يتخذ « ميرتون » من هذا الاتصال الخارجى مقياساً للتمييز بين « المحلية » و « الانفتاح على العالم » كما نجد « روجرز » يحدد درجة الانفتاح على العالم بالاتصال بوسائل الاتصال الجمعى من ناحية وبالتردد على المراكز الحضرية من ناحية أخرى .

وقد أوضحت النتائج فى هذا المجال أن خصائص الذين يترددون على

القاهرة والمدن الكبرى تميل إلى الاتساق مع أولئك الذين يكثرون من التردد على المراكز الحضرية القريبة بحيث نستطيع أن نقول إن الشخص الذى يتردد على المراكز الحضرية يغلب أن يكون منتمياً إلى مكانة اقتصادية اجتماعية مرتفعة، وكذلك إلى مكانة تعليمية مرتفعة أيضاً ، كما يغلب أن يكون منتمياً إلى طائفة المهن غير الزراعية .

٤ ــ العلاقة بين الاتصالات المختلفة .

(ا) الاستماع الإذاعى نشاط شائع ولا يرتبط بغيره من أوجه النشاط الاتصالى الأخرى .

(ب) هناك علاقة محدودة بين قراءة الصحف والتردد على السينما مما يوحى بأن قراء الصحف يميلون أكثر من غيرهم إلى التردد على السينما .

(حـ) التردد على المراكز أو البندر القريب يعد نشاطاً شائعاً ولا يرتبط بغيره من الأنشطة الاتصالية الأخرى .

(د) هناك علاقة بين قراءة الصحف والتردد على القاهرة كما توجد مثل هذه العلاقة بين الاختلاف إلى السينما والتردد على القاهرة .

فكأن التشابك والتداخل ــ هنا ــ ليس قائماً بين جمهور الراديو وغيره من جماهير الاتصالات المختلفة ، كما أنه ليس قائماً بين جمهور المراكز الحضرية المجاورة وغيره من الجماهير ، ومن المرجح أن ذلك نتاج للاتساع والنمو المستمرين لجمهور الراديو فى القرية بالإضافة إلى الاعتماد المتزايد على المراكز الحضرية المجاورة، أما التداخل والتشابه فيلاحظ بين جمهور الصحف والسينما والقاهرة والمدن الكبرى وتعكس هذه النتيجة تحولا عما سجله « أدموند برونر » فى تقريره الذى سجل فيه تداخلا بين جماهير الراديو والصحف والسينما .

وننتهى من حديثنا عن السلوك الاتصالى فى القرية موضوع الدراسة إلى أن ممارسة مثل هذا السلوك الذى حددناه فى عدة أوجه من النشاط ترتبط بعدد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية بدرجات تتفاوت فى شدتها بحيث

يمكن القول بما يلى :

(ا) هناك أنشطة اتصالية تمارس على نطاق واسع ولا ترتبط كثيراً بالتباين والاختلاف فى المكانة الاقتصادية والاجتماعية والمكانة التعليمية أو المشاركة الاجتماعية أو السن أو المهن مثل الاستماع إلى الراديو والتردد على المراكز الحضرية المجاورة .

(ب) هناك أوجه أخرى من النشاط الاتصالى ما زالت تصلح للتمييز بين نوعين من الأشخاص أحدهما محلى مستغرق فى شئون مجتمعة وغير مكترث نسبياً بما يدور حوله ، وآخر منفتح على العالم لا يهتم فقط بما يدور داخل نطاق مجتمعه المحلى وإنما هو يستشرف ما وراء هذا المجتمع وتتمثل هذه الأوجه فى قراءة الصحف ، والتردد على السينما والتردد على القاهرة والمدن الكبرى .

ومن المهم أن نشير إلى أن مثل هذه الأنشطة ترتبط بعدد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، فكأن هذه النتائج تميل — بشكل عام — إلى تدعيم ما ذهب إليه «ليرنر» فى تصنيفه الثلاثى الأبعاد، التقليدية ، والتحولية ، والعصرية ، على أساس أبعاد المكانة الاقتصادية والتعليمية ، وعلمانية التفكير ، والمشاركة فى الاتصالات الجمعية ، وهى توضح بجلاء أن الأسس التصنيفية التى وضعها « ليرنر» صادقة إلى حد كبير . وفى نهاية حديثنا فى هذا الصدد يهمنا أن نميز بين نوعين من المشاركة فى الاتصالات :

١ — مشاركة سلبية لا تتضمن بذل أى جهد فى سبيلها .

٢ — مشاركة إيجابية تتضمن بذل الجهود .

وبينما تتمثل الأولى فى الاستماع إلى الراديو فإن الثانية تتمثل فى قراءة الصحف والتردد على المراكز الحضرية الكبرى ، ومن ثم فإن المشاركة الإيجابية تصبح أكثر دقة كدليل تصنيفى ، يميز بين تحولى وتقليدى ، أو بين محلى ، ومنفتح على العالم .

ثانياً – العلاقة بين نمط الاتصال ، ومضمون الرسالة ، وعدد من المتغيرات الاجتماعية :

انتهينا من خلال النظرة الفاحصة لمصادر المعلومات – فى مواقف مختلفة – سياسية واجتماعية فى علاقتها بعدد من المتغيرات الاجتماعية إلى عدة نتائج يمكن تلخيص بعضها فيما يلى :

١ – تلعب المصادر الجمعية ، أو الاتصال الجمعى ، وبخاصة الراديو دوراً مسيطراً فى نقل المعلومات ذات الطابع السياسى وهو – أى الراديو – وإن كان يلعب دوراً واضحاً فى نقل المعلومات ذات الطابع الاجتماعى إلا أنه يتوقف فى دوره كموصل سياسى .

٢ – بينما نجد نسبة لا بأس بها تعتمد على الاتصال الشخصى كمصدر للمعلومات الاجتماعية فإن هذه النسبة تتلاشى فيما يتصل بالمعلومات السياسية ، وتختلف هذه النتيجة مع ما توصل إليه « أبو لغد » من بروز الاتصال الشخصى فى نقل أخبار حادثة سياسية إلا أنها تتفق مع ما انتهى إليه « أتولارسن » وزميله « وليو بوجارت » .

٣ – إذا ما تحينا مضمون الرسالة جانباً فإننا قد لاحظنا أن طبيعة مصدر المعلومات تختلف اختلافاً واضحاً وفقاً لعدد من المتغيرات الاجتماعية .

٤ – إذا ما تحينا المتغيرات الاجتماعية جانباً ، نلاحظ أن طبيعة مصدر الاتصال أو المعلومات تختلف وفقاً لاختلاف مضمون الرسالة المنقولة . وحيث لوحظ أن الاتصال الشخصى قد يكون مكافئاً للاتصال الجمعى فى نقل المعلومات ذات الطابع الاجتماعى بينما يتلاشى دوره فى نقل المعلومات ذات الطابع الاجتماعى بينما يتلاشى دوره فى نقل المعلومات ذات الطابع السياسى . وتدحض هذه النتيجة ذلك الافتراض الذى ساقه أبو لغد من أن انتشار نبأ ذى طابع سياسى يلقى ضوءاً على طبيعة عملية الاتصال التى ينتشر بواسطتها غيره من الأخبار ذات المضامين المختلفة .

ثالثاً – الاتصال والتكامل الاجتماعى والسياسى :

يعد التكامل الاجتماعى السياسى لمجتمع محدود كالقرية مؤشراً هاماً من مؤشرات التغيير الاجتماعى فهو يشير إلى أن الذين يعيشون فى مجتمع محلى قد تحولوا من استغراقهم التام فى مجتمعهم هذا ، وانغلاقهم على مشكلاته إلى الانفتاح على العالم الخارجى والاهتمام بمشكلاته ، وإيضاح العلاقة بين الاتصال وبين هذا التكامل إنما يبرز بطريقة ما ، دور الاتصال فى جانب هام من جوانب التغير الاجتماعى وهو الانتقال من المحلية إلى الانفتاح على العالم الخارجى بالنسبة للمجتمع .

ولقد ميزنا بين مستويات ثلاثة لهذا التكامل على النحو التالى :

١ – تكامل مع موضوعات ذات طابع محلى بحت .

٢ – تكامل مع موضوعات ذات طابع قومى .

٣ – تكامل مع موضوعات ومواقف سياسية بحتة .

ومن خلال عقد مقارنة بين مستويات التكامل الاجتماعى السياسى المختلفة أمكن الخروج بالنتائج التالية :

١ – يلعب الاتصال الشخصى ذو الطابع الرسمى الدور الأساسى فى إعلام القرويين بالموضوعات ذات الطابع المحلى البحت فى الوقت الذى يتقلص فيه دور الاتصال الجمعى ، إلا أن الاتصال الشخصى هذا لم ينجح فى نقل مضمون الرسالة صحيحاً بل لوحظ أن هناك الكثير من التحريفات التى طرأت على هذا المضمون مما ترتب عليه أن المواقف الجديدة هذه أصبحت غير واضحة أو محددة فى ذهن القروى مما يوحى بأن الاتصال الشخصى يترك المجال مفتوحاً أمام عوامل التحريف .

٢ – نجحت الاتصالات المختلفة والاتصال الجمعى بوجه خاص فى نقل مضامينها المرتبطة بالموضوعات الاجتماعية والمشروعات ذات الطابع القومى ،